

عبد الوهاب بن منصور

# قِطْرِ الْمَرْبِ

الرواية

( جائزة المغرب 1968 )

الجزء الاول



1968 — 1388

الطبعة المصكية - الرباط

عبد الوهاب بن منصور

# قائل المغرب

الجزء الاول

( جائزة المغرب 1968 )



1388 ~ 1968

المطبعة المصكية - الرباط



صاحب جلالة الملك الحسن الثاني  
ملك المملكة المغربية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**أهمل** النظام القبلي مكاناً مرموقاً في الحياة العامة للأقطار المغربية واستمر يحتلها ويطبعمها بطابعه الى عهد قريب ، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هي المحور الذي تدور عليه فيها جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية .

كانت القبيلة هي أعلا قمة في النظام السياسي والاجتماعي الذي عرفه البربر سكان المغرب الاولون قبل الاسلام ، وقد كانت تبتدى في قاعدتها من الخلية الاولى التي هي الاسرة المتركة من أب وزوجة أو عدة زوجات وأولاد يطعمون والدهم حق الطاعة ويؤولون جميع تصرفاته تأويلا حسناً وينظرون دوماً اليه بعين الاجلال والاحترام ، ثم ترتفع الى مستوى العشيرة المشتملة على عدد من الأسر تنتمي الى جد واحد وترتبط برابطة القرابة الوشيعة ، ثم ترتقى الى مرتبة العمارة أو البطن الذي تجمع عشائره شتى جوامع الصهر والجسوار والمنفعة المشتركة ، وتنتهي في القمة بالقبيلة التي تحتوى في الغالب على عدد من البطون تؤلف بينها وحدة الدم والنسب ، وتشمل في النادر بطناً أو عدة بطون من غيرها انحازت لها وانضافت اليها في أوقات بعيدة أو قريبة لسبب من الأنساب فأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء .

كان لكل قبيلة محيطها الخاص الذي تعيش فيه وتتقلب منعزلة عن غيرها من القبائل أو شبيهة بالمنعزلة ، فلها في حالة ما اذا كانت مستقرة ترابها الوطني، وفي حالة ما اذا كانت راحلة مجالها الحيوي الذي تستमित في حماية حوزته، وتمنع بحد السيف غيرها من القبائل أن تنتجع مراعيه أو تستقر فيه ، وشيخ ( أمغار ) تجتمع عليه كلمتها ، وعراف ينبئها بالغيب ويؤول الاحلام ، ويشرح لها ما في مظاهر الطبيعة من معان وأسرار ، وجاعة تنظر في المصالح وتحكم في



الخصومات ، وتقرر فى شؤون السلم والحرب والصلح والديات ، وقانون يحدد الأحكام، ويبين الحلال والحرام، ولهجة تتميز عن سائر اللهجات ، ومطامر عمومية لخزن الغلال والأقوات ، وأسواق أسبوعية لبيع الفائض منها وشراء المستورد من البضاعة التى تتوقف عليها الحياة ، ومواسم وأعياد تقترن فى الغالب بالأشغال الفلاحية يذصب فيها أهل القبيلة خيامهم ، ويظهرون زينتهم ، ويتسابقون فى ميادين الفروسية ، ويتنافسون فى المطاعم والمشارب ، ويتبارون فى حلقات الرقص ومجالس الغناء ، وإذا اجذبت السنة وأمحلت الأرض قوضت القبيلة خيامها وشدت رجالها تجوب البلاد طولا وعرضا باحثين عن المراعى الخصبة والبقاع المرعة ، تسير اليها آلاف الأميال لا تشكو تعباً ولا نصباً وتزاحم عليها روادها ولو أدى الأمر الى القتال ، ان كانت قوية استنكفت بنفسها ولم تستنجد بغيرها ، وان كانت ضعيفة تحالفت مع قبيلة أخرى تكون فى الغالب من دمها واستعانت بها على قهر عدوها وبلوغ مآربها .

والفرد فى كل الحالات شديد الاخلاص لقبيلته شدة اخلاص القبيلة له ، هى تمنعه من طالبيه وتدافع عنه بالقوة وتحمل عنه الديون والديات ، وهو يجود بنفسه فى نصرتها ، ويتحاشى معرة خذلانها ، وينوء بما تثرها ، ويشيد بمفاخرها ، ويتغنى بأمجادها ، ويرى لها الفضل على من عداها ، همه الأكبر أن يبصرها عزيزة الجانب منيعة الحوزة ، وأمله الأعظم بعد ذلك أن يشيع بين أهلها ذكره ، ويعرف فى خدمتها نصحه وسبقه ، ويظفر بقلب جميلة من بناتها تنجب له أبناء يطيعون أمره ، ويعلمون قدره ، ويحمون فى الملمات ظهره .

كان للقبيلة عند البربر فى الماضى ما للوطن من معنى عند الأمم والشعوب فى العصر الحاضر ، ولها على أبنائها من حقوق الاخلاص والولاء والدفاع ما للأوطان على ساكنيها من مثل تلك الحقوق ، لا فرق بين أولئك وهؤلاء الا ان قلوب الأولين متعلقة بالقراة المقامة على أسس الدم والنسب ، وان عواطف الأخيرين مائلة الى القراة المبنية على قواعد المواطنة والمصالح المشتركة .

ولما طرأ العرب على المغرب بعد الاسلام فى القرن السابع قابلهم البربر بالترحاب واسلّسوا لهم القياد ، واعتنقوا الدين الذى جاءوا به اليهم ، واقتبسوا اللغة التى سمعوههم يتكلمون بها ، وأخذوا عنهم كثيراً من قواعد الحضارة ونظم السياسة ، وساروا وياهم يفتحون الأقطار و يقيمون الدول ، وصاروا وياهم فى ميادين الفضل ومجالات النبل أفراس رهان ، واتصلت منهم فى وقت قصير الأرحام وتلاقحت الدماء وتداخلت الأنساب ، ومت كل فريق بسبب قوى أو ضعيف الى الفريق الآخر ، ولم يكن هذا التنداعى مجرد صدفة ولا هذا التجاوب ناتجاً عن غير سبب ، فقد كانت الطبائع الانسانية متشابهة والأمزجة والسجايا متماثلة وان اختلفت طبيعة الأرض العربية عن طبيعة الأرض المغربية ، وامتازت الظواهر الكونية هنا عن الظواهر الكونية هناك ، يضاف الى ذلك ما كان للدين الاسلامى الحنيف من اثر حميد وفعل عجيب فى ترويض العقول الجامحة ، والانة القلوب العصية ، وتاليف الأرواح المختلفة ، ومحو الفروق السلالية والطبقية ، وتوجيه الهمم نحو الخير والصلاح وما ينفع الناس ، حتى نشأ عن تمازج العنصرين البربرى والعربى ظهور شعب قوى بايمانه ، جديد فى تركيبه ، قديم فى اصالة اعرافه وعراقة تقاليده ، هو هذا الشعب المغربى القوى الكريم ، الأبى السمع ، الساكن فوق تربته الطيبة وأرضه الجميلة الفاتنة الممتدة من حدود برقة الى البحر المحيط .

ولقد لفت نظرى منذ ثلاثين عاماً خلت أهمية الأدوار التى لعبتها القبائل فوق مسرح السياسة والحكم فى كل مرحلة من مراحل تاريخ المغرب الطويل ووجه من أوجه حياته ومظهر من مظاهر عيشه ، فقد كانت القبيلة تمثل باستمرار أمام عينى خلال مطالعاتى التاريخية وأبحاثى ، وتخطر ببالى كلما حاولت أن أجند للوقائع تعليلاً وللحوادث تأويلاً ، كنت أجدها وراء قيام الدول وسقوطها ، ونشوب الحروب وخمودها ، وثبوت السلطة وتزعزعها ، وظهور المذاهب وخبوها ، ورخاء المعيشة وشدها ، وانبساط المعرفة وانقباضها ، وبناء المدن وخرابها ، وتحسن الصحة وانتشار الأمراض وازدهار الاقتصاد وتدهور الصنائع ، واستتباب الأمن وشمول الخوف ، وتدخل الأجانب واحتلال الأرض ، فحدانى ذلك الى البحث عن أنساب القبائل المغربية وأصولها ،

والتنقيب عن شعبها وفروعها ، والتعرف على أعرافها وعاداتها ، وتحديد مواطنها ومجالاتها ، وتتبع خطاها وهي تنتقل في دروب المغرب الطويلة وتمشي في مناكبه العريضة عبر الزمان منذ كانت الأكوان ، فوجدتني أمام قبائل عظيمة فوية ، كريمة حفية ، صابرة أبية ، طروبة مرحة ، تتفاخر بالأنساب ، وتعزّز بالأحساب ، لا تخاف من الحتوف ، ولا تبخل على الضيوف ، كان فيها أنشد أبو فراس :

انا اذا اشتد الزمان وناب خطم وادلهم  
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم  
للقا العدا بيض السيوف وللندی حمر النعم  
هذا وهذا دأبنا يؤدي دم ، ويراق دم

ووجدت من التمتع بمعرفة أحوالها ، والتلذذ بسماع موسيقاها وأزجالها ، وسائر ألوان فولكلورها الجميل ما كان يغريني بزيادة البحث والتنقيب ، حتى بدأت تراودني فكرة تخصيص ( قبائل المغرب ) بتأليف أقيد فيه شوارد معلوماتي ، وأدون خلاصة بحوثي ودراساتي ، وأجمع فيه شتات قراءاتي وسماعاتي :

ولما اتضحت الفكرة ، وألحت الرغبة ، وقر القرار وصححت العزيمة ، كان على أن آتي البيوت من الأبواب ، واتصل مع الذين سبقوني الى طرق هذا الموضوع بأسباب ، فأبحث أولا عن الكتب التي ذكر المؤرخون والجغرافيون أنها كتبت في أنساب قبائل المغرب بربريها وعربيها ، مثل كتاب ( أنساب البربر ) لمحمد بن يوسف الوراق ، وكتاب ( أنساب البربر ) لعبد الحق بن ابراهيم الصنهاجي ، وكتاب ( أنساب البربر وملوكهم ) لمحمد بن أبي المجدد المغيلي ، وكتاب ( القصص الفتانة ، في ذكر البربر وزناته ) لمحمد بن أحمد أبو راس الناصري العسكري ، وكتاب ( الجوهر المنتخب ، في تنقيح أخبار من بالمغرب من العرب ) للشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين الادريسي الشنكيطي ، فلم أعثر على واحد منها ، وحرصت كل الحرص على الظفر بكتب نسابي البربر المشهورين مثل كهلان بن أبي لؤي بن يصلاصن ، وسابق بن سليمان بن حراث بن صولات المطماطي ، وهاني بن بكور الضريسي التي ذكر مؤرخ حديث هو أبو القاسم الزباني أنه طالعا خلال مقامه في القرن الماضي

بقرية العباد ظاهر تلمسان ، فلم أظفر لدى سكان تلك القرية بمن يعرف لها عيناً ولا أثراً ، كما لم أجد في الخزانات العامة والخاصة وفي مقدمتها خزانة الكتب السلطانية التي كلّفني جلالة الملك المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه بتنظيمها بعد الاستقلال ما يشفي الغليل في هذا الباب على كثرة ما يوجد فيها من المخطوطات النادرة والكتب النفيسة الغريبة التي لا يوجد لها نظير إلا في خزائن الخلفاء والسلاطين العظماء أمثال ملوك المغرب الأقصى ، ولكنني ظفرت بدل ذلك بكثير من كتب تراجم الأولياء وأنساب الشرفاء التي اعتنى أهل المغرب قديماً وحديثاً بالكتابة فيها عناية جعلتهم أحياناً يخصون شرفاء حي من الأحياء وصالحيه بتأليف ، فلم تغن تلك الكتب شيئاً كما لم تغن شيئاً الكتب والرسائل الأخرى العديدة التي ألّفت في أنساب بعض الأسر النبوية غير الشريفة بالمدن والقرى ، إذ هي مثل بقية كتب التراجم والأنساب لا تفيد كبير فائدة من أراد مثلي أن يطرق الموضوع في عموميه ويتناولهُ من جميع جوانبه ، غير أنني استفدت الفائدة كلها مما كتبه سيد المؤرخين المغاربة عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي التونسي عن القبائل المغربية ، البربرية والعربية ، في الجزأين السادس والسابع من تاريخه الحافل ، واستترت بما أورده عالم الأندلس وأديبها علي بن أحمد بن حزم عن أنساب البربر وتشعب قبائلهم في آخر كتابه ( جمهرة أنساب العرب ) وكذا بالرسالة المسماة ( كتاب الأنساب ، في معرفة الأصحاب ) المؤلفة في أنساب أصحاب المهدي بن تومرت داعية الموحدين والقبائل المصمودية والأخرى المضافة التي أيدت دعوته ، كما استعنت بما كتبه الأوربيون من علماء وسياسيين وإداريين منذ القرن الماضي ، وهو بحر من البحوث والدراسات والتحقيقات لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ قعره ، امتزج فيه البحث العلمي الخالص بالتنويع الاستعماري المشوب ، واقترن فيه التحقيق المنطقي المتند بالخيال الجامح الأهوج ، ولكنه في حالتيه معاً لا يخلو من فائدة كبيرة ، ومادة غزيرة .

وكنّت أنوى في البداية أن اقتصر على قبائل المغرب الأقصى وحدها ، ولكنني لم أكد أخطو في العمل خطوات ، وأضع في جداره لبنات حتى أدركت أن من المستحيل علي - وعلى أي مؤرخ أو نساب في البلاد المغربية كلها - تخصيص قبائل قطر مغربي بالذكر دون الإشارة الطويلة أو القصيرة إلى علاقاته

وارتباطاته بأصولها وفروعها في أقطار المغرب الكبير كافة ، الا ان يجحف بالموضوع ويقصر فيه ولا يستوفيه حقه ، فقد تتبعتم القبيلة الواحدة من أقدم عصور التاريخ الى عصرنا الحديث فوجدتها قد مشت في مناكب المغرب وتبوأ من جنباته حيث استطابت المقام ، وخلفت في كل بقعة من بقاءه بطناً من بطونها أو عشيرة من عشائرها تحمل اسمها مستقلة عن غيرها ، أو تحمل اسمها مندمجة فيمن يشاكلها ويجانسها من القبائل والبطون ، فلكل من أقطار المغرب الأربعة هوازة ولواتة ، وصنهاجة وزناتة ، ومطماطة ومغراوة ، ومكناسة وكتامة ، وهلال وسليم ، ودباب ودليم . فرأيت أن الموضوع لا يطرق مستقصى ، والحديث عنه لا يكون تاماً مستوفى ، الا بالحديث عن جميع القبائل المغربية ، والالمام بالكبير من أمرها والصغير ، اقتداء بما فعل امام مؤرخي المغرب ابن خلدون ، وتأكيداً لوحدة أقطاره التي يسعى اليها كل مفكر منخلص في هذا البلد الأمين .

لذلك استعنت بالله وقررت التوسع في الموضوع الذي كنت أريده في البداية ضيقاً ، وتمديده بعدما عزمتم على كتابته مقصوراً ، فأقدمت على التحرير غير هياب ولا وجل رغم شعوري بخطورة الأمر وعلمي بما يتطلبه من وقت ويستلزمه من جهد .

ولست أريد أن أطيل على القارئ بذكر ما واجهني من المتاعب في تحرير اسماء الشعوب والاجذام والقبائل والعشائر البربرية وتحديد مواقعها الحالية في بلاد طويلة عريضة كبلاد المغرب ، فقد تعرضت تلك الاسماء للتعريب بعد الاسلام كما تعرضت لتحرير المؤلفين والنساج حتى كتب الاسم الواحد على أوجه عديدة ، وأعطى اللفظ الأصلي صيغاً فرعية جديدة ، واذا كان من السهل على الدارس المتخصص أن يدرك ان ترهونت وايفشنتالن هي رهونة وفشمتالة فان من الصعب عليه أن يدرك ان الزناغة هي صنهاجة ، واينكفو صارت هنجافة ، كما يصعب عليه أن يرجع أي هذه الاسماء المنحرفة عن أصل واحد : هنزولة وهيزونة وهتروقة وهترونة وهنزرتة هو الصحيح ؟ .

وقد رأيت أن أمهد اموضوع القبائل بمقدمة جغرافية وأخرى تاريخية ، الأولى تعين على معرفة أقطار المغرب وطن القبائل المغربية وتحديد مساكنها أو مجالاتها منه ، والثانية تسهل معرفة علاقة الممالك والامارات بالقبائل والعشائر التي قامت بتأييدها وتعضيدها ، أو عملت على اضعافها وتبديدها ، اما الموضوع نفسه ، مرضوع قبائل المغرب ، فقد قسمته ثلاثة أقسام :

١ - القسم الأول يتعلق بوجود النوع الانساني على صعيد المغرب الكبير وذكر هجراته منه واليه وظهور أجناسه وقبائله وبيان أنسابها وتشعبها وتحديد مواطن اقامتها ومجالات ريادتها ونجمتها .

ب - القسم الثاني يرتب القبائل حسب التقسيمات الادارية الحالية لأقطار المغرب العربي مع ذكر ما يوجد تحت كل قبيلة من بطون وعمائر ، وافخاذ وعشائر ، ويقع بالأرض التي تستقر بها من مدن وقرى ومدامر وقصور ودواوير وبروج .

ت - القسم الثالث يرتب أسماء القبائل وفروعها حسب ترتيب الحروف الهجائية المغربية فهو بمثابة قاموس لها يمكن من أراد التعرف على قبيلة أو فرع من فروعها من العثور عليها بسهولة حسب المبنى اللغوي لاسمها ، والالمام بشيء مما يتعلق بها جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وأدبياً .

وقد تفرع عن القسمين الثاني والثالث قسم آخر يمكن اعتباره معجماً لبلدان مغربنا الكبير ، فإن كثيراً من أسماء القبائل والعمائر أصبح علماً على أقاليم ومدن وقرى ومدامر ، فليست غريان ومسرارة وترهونة وزوارة بالقطر الليبي ، ومطماطة ونفزاوة وسبيطلة وقسطيلية بالقطر التونسي ، وبجاية ولدية ومليانة وندرومة بالقطر الجزائري ، وغساسة وفضالة وبني ملال ومحاميد الغزلان بالمغرب الأقصى في الأصل الا أسماء ذات دلالات سلالية صارت لها فيما بعد دلالات جغرافية ، لذلك ذكرت السلالى منها في هذا الكتاب ، وخصصت الجغرافى - مضافاً اليه بقية الاعلام الجغرافية - بكتاب مستقل حررت بعض موادّه وأنوى تحرير بقية المواد بعون الله وحسن توفيقه .

وسيالاحظ قارىء هذا القسم أننى ذكرت أسماء بعض القبائل من غير أن أعلق عليها بشئ ، والسبب فى ذلك أننى لم أتوفق فى الحصول على معلومات عنها رغم مواصلة المطالعة وطول التجوال وكثرة السؤال ، وأنى لم أتوسع فى ذكر ما تنطوى عليه الأصول من فروع مثل زناثة ومكناسة لأن ذكر الفروع سيرد فى القسمين الثانى والثالث ، كما سياتيلاحظ أننى استعملت بعض الكلمات ذات الدلالات الدقيقة مما يستعمله شعبنا المغربى أو تستعمله شعوب العالم كله ولا يوجد له نظير مشهور فى اللغة العربية ، وأننى أبحث لقلمى التحرر من بعض القواعد اللغوية المشوشة كتأنيث ما ليس مؤنثاً حقيقياً ولا لفظياً ، ويرجع السبب فى ذلك الى اعتقادى أن اللغة العربية يجب تبسيطها الى الحد الذى لا يمس جوهرها ولا يفسد رونقها ، وأنه يجب اغناؤها بالمفردات العلمية والتقنية التى لا تصطبغ بقوميات ولا تحد بحدود التبعيات ليتمكنها أن تواصل السير وتواكب قافلة التطور الحضارى ، اذ ليس من المعقول أن يكون أسلافنا اقتبسوا فى أيام عز دولتهم وشروق شمس لغتهم من الفارسية كلمات الأستاذ والتلميذ ، والسبورة والطباشير ، والفهرسة والابزيم ، ومن اليونانية الموسيقى والجغرافيا ، والارخبيل والاقليم ، والدرهم والدينار ، ونحجم نحن عن اقتباس كلمات مثل الجيولوجيا والديموغرافيا والتلغراف والتلفزيون وسواها من الألفاظ العصرية التى تستعملها أمم العالم وشعوبه .

وبعد ، فهذه أبحاث ودراسات عن قبائل المغرب الكبير أكتبها وشمس النظام القبلى فيه على أطراف النخيل فقد حلت فكرة المواطنة ذات المدلول السياسى الواسع ، وفكرة الجماعة La Commune ذات المدلول الإدارى والاقتصادى والاجتماعى الضيق محل العصبية القبلية الموروثة من العصور الانسانية البدائية ، والمنبثقة عن عوامل وظروف عتيقة لا صلة لها بالظروف العصرية والعوامل ذات المفاهيم الجديدة ، وسيأتى يوم تندثر فيه القبيلة بالمرة كما اندثرت فى الأقطار المتحضرة والشعوب المتطورة ، وتبقى محلها العمارة أو الجماعة التى يرتبط أفرادها برابطة المصلحة المشتركة والمنفعة المتداخلة لا برابطة القرابة النسبية ، ولا يبقى الا مثل هذا الكتاب يذكر

المؤرخين والنسابين ، والجغرافيين والاجتماعيين بالقبائل القديمة ويلقى أضواء  
على شعبها وفروعها ، وعاداتها وأنظمتها .

ويعرفني في الختام أن أرفع كتابي الى حضرة صاحب الجلالة أمير  
المومنين ابن أمير المومنين **الحسن الثاني** ملك المملكة المغربية ، وفرع الدوحة  
المحمدية النبوية ، الذي لا يفتأ يسدي الى من توجيهاً ونصائحاً ، ويحبوني  
بعظاياه الكريمة ومناجحه ، جعل الله اليمن مقروناً بأيامه ، والنصر معقوداً  
بألويته الخافقة وأعلامه ، وحقق له الآمال ، وأصبحه السلامة في الحل والترحال .

عبد الوهاب بن منصور

الرباط - السبت 2 شوال 1388  
21 دجنبر 1968



# وَطَنُ الْقِبَائِلِ الْمَغْرِبِيَّةِ

## نظرة جغرافية عامة

لـ مناص لمن يريد الكلام على القبائل المغربية من التحدث أولاً عن وطنها ، والالمام بشيء من تاريخه ونظمه وتقاسيمه ، ليتسنى له أن يحدد الأماكن التي تقيم بها منه ، ويتعرف على مواطنها الأولى ، ويتبين الجهات التي تقلبت فيها قبل أن ينتهي بها المطاف إلى الاستقرار في واحدة منها بصفة مستمرة .

والكلام على المغرب — وطن القبائل المغربية — يقتضى أن يكون عاماً شاملاً غير قاصر على جزء من أجزائه ، لأنه جميعه وطنها جميعاً ، عرفها وعرفته خلال مسيرة الزمان الطويلة ، تتقلب في أطرافه ، وتجول خلال نجوده وأغواره ، لا تعوقها حدود ، ولا تصدها حواجز ، لأن ضبط التنقل وتنظيم الهجرة وقوانين الجنسية وحقوق المواطنة هي أمور لم تعرفها الأقطار المغربية إلا في العصور الحديثة .

ومن حسن حظ الشعب المغربي أن الله حباه بوطن يتمتع بخصائص شتى ومزايا عديدة ، من أهمها وحدته الجغرافية التي يرجع الفضل فيها إلى سلسلة جبال الأطلس الشامخة ، تلك الجبال التي تشد أطرافه كالحزام شداً محكمًا ، وتقوى أواصر التآخي بين سكانه ، وتجعل الطبيعة والبيئة ووسائل الكسب وطرائق العيش أمامها وخلفها تنشابه في أجزائه كلها .

**الاسم :** وقد دعى هذا الوطن خلال تاريخه الطويل بأسماء عديدة ، فاليونانيون أطلقوا فى الأول كلمة **ليبيا** على شمال القارة الافريقية الذى يسكنه البيض ، وجعلوها فى مقابل كلمة **الصحراء** التى تدل على الاراضى التى يسكنها الايثيوبيون السود ، والرومان أطلقوا فى البداية كلمة **أفريقيا** على مقاطعة تكاد تعادل الشمال الشرقى للجمهورية التونسية الحالية ، ثم اتسع مدلول الكلمتين فيما بعد ، فأصبح يدل على القارة كلها .

ولما امتد مد الاسلام الى الشمال الافريقى أطلق العرب عليه اسم **جزيرة المغرب و بلاد المغرب أو المغرب** مختصراً ، وقد حلل ابن خلدون فى تاريخه ( 6 : 193 ) هذه الكلمة فقال انها فى أصل وضعها اسم اضافى يدل على مكان من الأمكنة باضافته الى جهة المشرق ، مثلها فى ذلك مثل كلمة المشرق ، فكل مكان فى الأرض مغرب بالاضافة الى جهة المشرق ، ومشرق بالاضافة الى جهة المغرب ، ثم ذكر أن العرب قد تخصص هذه الاسماء بجهات معينة وأقطار محدودة كما حدث بالنسبة لكلمة **المغرب** التى أصبحت علماً قائماً بذاته يدل على جهة معينة من الأرض دون اضافته الى كلمة أخرى .

وفى العصور الوسطى أطلقت الدول الأوربية البحرية على المغرب اسم **بارباريا** وعلى أقطاره اسم **الولايات الباربارية** نسبة الى سكانه الأولين على أحسن الفروض ، ولمزاً لأهله بالهمجية والوحشية على أسوأ الاحتمالات ، كما بدأ الجغرافيون الأوربيون يسمونه منذ القرن الرابع عشر الميلادى **افريقيا الصغرى** اشارة الى أنه يشبه قارة صغيرة متداخلة فى أخرى كبيرة ، و **البلاد الاطلسية** اشعاراً بأهمية جباله ، و **افريقيا الشمالية و الشمال الافريقى** ، ولا داعى لذكر الاسماء الأخرى التى أولع المستعمرون الأوربيون باطلاقها عليه وترديدها بكثرة على ألسنتهم وفى كتاباتهم اثناء حكمهم له ، فقد زالت تلك الاسماء بزوال سيطرتهم كما زالت الاسماء الأخرى ، ولم يبق منها خالداً الا **المغرب** الذى ارتضاه له أهله اسماً ، ورضوا أن ينسبوا اليه ويدعوا به ، ذلك الاسم الجميل

الذى ازداد فى العصر الحاضر ذيوغاً وشيوغاً ، وأصبح ينعت منذ سنوات النضال التحريرى تارة بالعربى وتارة بالكبير .

**الموقع والحدود :** كان مدلول كلمة **المغرب** يتسع تارة عند الجغرافيين العرب فيدل على جميع الأراضى الواقعة بين البحر الأحمر شرقاً والمحيط الأطلسى غرباً وكذلك الأراضى الإسلامية الأخرى بالاندلس وجزر الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط ، وتارة أخرى كان يضيق فلا يشمل الا الأراضى الممتدة من النيل الى الغرب ، أما العرف الجسارى بين المغاربة فلا يدخل فى المغرب أراضى مصر ولا أراضى برقة ، وإنما يخصه بأقليم طرابلس وما يقع غربه من أقاليم ، وهى الأراضى التى كانت للبربر موطناً وداراً قبل الاسلام ، وعلى هذا العرف سنقتصر أثناء الحديث عن قبائل المغرب .

وتحتل بلاد المغرب موقعاً ممتازاً فى شمال القارة الأفريقية والحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط ، وتتحكم فى طرق المواصلات الوسطى والغربية لهذا البحر ، لقصر المسافات التى تفصل شواطئها عن الشواطئ الأوربية عند مضيق صقلية ومضيق جبل طارق ، كما أن وجود واجهة طويلة لها على المحيط الأطلسى يجعلها مفتوحة على العالم ، يسيرة الاتصال عن طريق البحر بأوروبا الشمالية والأمريكيتين .

وإذا ألقي الإنسان نظرة على مسطح المغرب - كما يحده العرف المغربى - من خريطة القارة الأفريقية يجده يشتمل على أراضى شاسعة متباعدة الأطراف ، تبلغ المسافة بين طرفيها الشمالى والجنوبى أكثر من 2000 كلم ، وبين طرفيها الشرقى والغربى أكثر من 3000 كلم ، كما يلاحظ أن الجغرافيين العرب لم يبتعدوا عن الصواب عندما سموه جزيرة جريباً على عادتهم فى تسمية شبه الجزيرة جزيرة اذا كان الطرف الذى يتصل به مع بقية الأرض حاجزاً منيعاً كالصحارى المقفرة والجبال العالية ، فالمغرب يحيط به الماء من الشمال والغرب وجزء من الشرق ، والصحراء من الجنوب وجزء آخر من الشرق ، فالحدود التى تضم داخلها جميع أقطاره حدود

طبيعية : المحيط الأطلسي من الجهة الغربية ، والبحر المتوسط من الجهة الشمالية ، والخط المستقيم الفاصل بين ولايتي طرابلس وفزان وبين ولاية برقة النازل من خليج سرت الى الجنوب من الجهة الشرقية ، أما من الجهة الجنوبية فالجغرافيون والمؤرخون القدامى والمحدثون - وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون - يجعلون للمغرب حدين أقصى وأدنى ، فالأقصى هو الرمال المتهيلة الفاصلة بين المغرب والسودان والمعروفة عند البداءة بالعرق ، ويبدأ العرق من المحيط الأطلسي ذاهباً على سمت واحد الى جهة الشرق حتى يعترضه نهر النيل فينقطع ، وتعترضه بين الحين والحين أراضي متحجرة تدعى الواحدة منها حمادة ، ومن أشهر العروق وأكبرها عرق ايكيندي ، وعرق شيش ، والعرق الغربى الكبير ، والعرق الشرقى الكبير ، والأدنى هو الأراضي التي تجاور مباشرة السفوح الجنوبية لسلاسل جبال الأطلس المسماة قديماً جبل درن ، الممتدة من رأسها الخارج في المحيط الأطلسي باقليم سوس الى جبل نفوسة باقليم طرابلس ، وما بين الحدين الأدنى والأقصى بسائط وقفار ( فايجة ) يرتادها الأعراب الرحالون ، وما وراء الحد الأقصى من أراضي ينتهى اليها الطوارق في بعض السنين انتجاعاً للكلا معدود من البلاد المغربية وان كان خارجاً عن الحد ، مثل قرى توات في جنوب المغرب الأقصى ، وقرى تساييت وتيكورارين في جنوب المغرب الأوسط ، وقرى غدامس وفزان وودان في جنوب المغرب الأدنى ، وعلى هذا يمكن أن نعتبر أن المغرب هو مجموع الأراضي الواقعة بين خط الطول العشرين شرقاً ، والمحيط الأطلسي غرباً ، والبحر المتوسط شمالاً ، وخط العرض العشرين الشمالى جنوباً .

ومن البديهي أن هذه الحدود لا تنطبق على الحدود السياسية الحالية للدول والأقاليم المغربية ، ولكن من الواجب أن ترسخ في أذهان الناشئة المغربية من الآن ، وينظر اليها بعين الاعتبار جميع الذين يعملون لتحقيق الوحدة المغربية في أشكالها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

**المساحة وعدد السكان :** تبلغ مساحة الدول والأقاليم المغربية أزيد

من 6.000.000 كلم مربع ، موزعة هكذا :

الجمهورية التونسية	125.180	كلم مربع
الجمهورية الجزائرية	2.191.000	كلم مربع (1)
المملكة الليبية	1.759.000	كلم مربع (2)
المملكة المغربية (الجزء المحرر)	550.000	كلم مربع
المملكة المغربية (افليم موريطانيا)	1.169.000	كلم مربع
المملكة المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب)	280.000	كلم مربع
ج :	6.074.180	كلم مربع

يضاف اليها مساحة الجيوب الصغيرة التي تحتلها اسبانيا بغرب الجزء المحرر من المملكة المغربية ( يغنى ) وشماله ( سبتة - مليلية - حجرة نكور - حجرة بادس - جزائر ملوية ) .

ويبلغ عدد السكان حسب احصائيات سنة 1965 فى الدول الأربع التي لا غبار على سيادتها نحو 32 مليون نسمة ، أى أكثر قليلا من عشر سكان القارة الافريقية البالغ عددهم 302 مليون .

أما توزيعهم على الدول المغربية فهو كالاتى :

الدولة	العدد	النسبة المئوية
الجمهورية التونسية	4.675.000	15 %
الجمهورية الجزائرية	12.041.845	38 %
المملكة الليبية	1.622.000	5 %
المملكة المغربية (الجزء المحرر)	13.323.000	42 %
	31.661.845	100

(1) الأقاليم الشمالية 327.000 كلم ، الصحراء 1.864.000 كلم .

(2) ولاية طرابلس 353.000 كلم ، ولاية خزان 550.000 كلم ، ولاية برفة 855.00 كلم .

وإذا كان عدد السكان في تلك السنة هو ما ذكرنا فمن المؤكد أنه سيتضاعف سنة 1985 لأن نسبة الزيادة تبلغ 3 ٪ كل سنة ، أى بزيادة ضعف العدد في كل عشرين سنة على وجه التقريب ، ولهذا ينتظر أن يبلغ سكان الدول الأربع في نهاية هذا القرن 72 مليون حسب التدرج التالي :

سنة 1965	31.661.845	سنة 1985	52.013.000
سنة 1970	35.685.000	سنة 1990	58.543.000
سنة 1975	40.941.000	سنة 1995	65.643.000
سنة 1980	46.304.000	سنة 2000	72.759.000

وتبلغ نسبة توزع السكان على الأرض 22 ساكناً لكل كيلومتر مربع في المناطق المسكونة التي تقدر بنحو الثلث من مجموع البلاد .

وتؤثر الأحوال الطبيعية تأثيراً ملحوظاً في الاختلاف الكبير الحاصل في نسبة توزع السكان على المناطق ، ومن الطبيعي أن توجد أكبر نسبة في المدن والقرى الكبيرة ، ثم في المناطق الزراعية المسقية ، ثم في المناطق البعلية التي تؤتي فيها الفلاحة المعتمدة على المطر صابة جيدة ، ثم تنخفض النسبة في المناطق الجديدة التي يقل فيها الماء وتندعم الفلاحة أو تكاد .

ففي السهول المحاذية للمحيط الأطلسي وفي المناطق الجبلية بوسط المملكة المغربية وشمالها ، وفي مناطق التل بالجزائر وتونس تبلغ كثافة السكان 30 ساكناً في المتوسط لكل كيلومتر مربع ، وقد ترتفع هذه الكثافة الى 50 و 60 وأحياناً الى أكثر من 100 في بعض المناطق الخصيبة ، أما فيما عدى ذلك فإن الكثافة تنخفض الى 5 من السكان لكل كيلومتر ، وأحياناً تنزل الى ساكن واحد لكل كيلومتر في المناطق الصحراوية .

وتجب الإشارة الى أن الأحوال الطبيعية ليست وحدها السبب في تفاوت هذه الكثافة ، لأن عدداً من السكان يعيش متنقلاً على عادة العرب الرحل ، على أن عادة الانتجاع والارتباد هي الآن سائرة في طريق الاضمحلال .

أما نسبة السكان القيمين في المدن والمراكز الحضرية بالدول الأربع فهي كالآتي :

تونس	35 ، 6 %
الجزائر	32 ، 5 %
ليبيا	22 ، 7 %
المغرب الأقصى	29 ، 3 %

ويقدر متوسط الحياة للفرد في المغرب بخمسين سنة ، بيد أن هذا المتوسط أخذ في الارتفاع نتيجة التحسن المطرد في السكن والغذاء وأسباب الوقاية والعلاج من الأمراض ، ويمتاز سكان الاقطار المغربية بكثرة العناصر الشابة والفتية ، إذ تبلغ نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة أزيد من 50 % حسبما يوضحه الجدول التالي :

تونس	52 ، 5 %
الجزائر	50 ، 8 %
ليبيا	50 ، 7 %
المغرب الأقصى	51 %

**السطح :** يتكون سطح بلاد المغرب من أراض عالية تحجزها المياه والرمال ، وإذا كان سكانها متصلين في عصر ما قبل التاريخ على ما يظن بسكان القارة الأوربية بواسطة قناطر كانت تجمع بين الشاطئين ، وبسكان وسط القارة الافريقية عبر الصحراء التي كانت أقل ضراوة مما هي عليه الآن ، فإن انقطاع أسباب الاتصال المباشر بينهم وبين سكان القارتين في العصور التاريخية أدى الى عزلتهم ، وحال دون تسرب التأثيرات الخارجية اليهم ، وجعل أعراقهم القومية وعاداتهم المحلية تقوى على مر الزمان .

ويتجاوز ارتفاع الأرض في أكثر من نصف بلاد المغرب 800 متر فوق سطح البحر ، ومتوسط الارتفاع في تونس لا يتجاوز 300 م ، ولكنه

ينصاعد الى 800 م في المغرب الأقصى و 900 م في الجزائر ، ولا توجد في البلاد المغربية سهول منخفضة نسبياً الا في غرب المملكة المغربية وشرق الجمهورية التونسية ، والأرض فيما عداها مرتفعة ، فحيثما ولى الانسان وجهه لا يرى الا جبالا شامخة أو نجوداً عالية ، حتى قال بعض الجغرافيين : ان بلاد المغرب تقابل الوافد عليها بوجه متجهم .

**الجبال :** وتخترق البلاد المغربية سلسلة جبال منيعة عرفت في القديم بجبال درن ، وتعرف في الحديث بجبال الأطلس ، وعى جبال شاهقة وعرة الدروب صعبة المسالك ، تكمل هاماتها الثلوج في فصلي الشتاء والربيع ، وتكثر فيها المناظر الجميلة ، والغابات الباسقة ، والبحيرات اللطيفة ، والشلالات البديعة .

وتنقسم هذه السلسلة الجبلية الى ثلاثة أقسام :

1 - الأطلس الساحلي ، ويبتدىء غرباً من جبال أنجرة على ساحل بحر الزقاق (3) ويشمل جبال غمارة ، والريف ، وبنى يزنان ، وتراة ، والظهرا ، ويدوغ الخ .

ب - الأطلس التلي ، ويبتدىء من المغرب الأقصى عاليا ( قمة تجموعت 4500 ) ويشمل جبال كندافة ، وكلاوة ، والمدحوس ، وبسادو ، وتلمسان ، وسعيدة وونشريس ، والجرجرة ( قمة للا خديجة 2308 م ) وينتهى في تونس بجبال الخمير .

ج - الأطلس الصحراوي ، وامتداده من الغرب الى الشرق كذلك ، ويشمل جبال باني ، ودرعة ، وصغرو ، والقصور ، والعمور ، وأولاد نايل ، ويرتفع كثيراً بأوراس ( قمة الشلية 2328 م ) وينتهى في تونس بجبال زغوان ، وفي ليبيا بجبال نفوسة .

---

(3) مضيق جبل طارق في الاصطلاح الجغرافي المغربي القديم .



وهناك قسم رابع يدعى النجود العليا واقع بين الأطلسيين التلي والصحراوي ، وارتفاعه يتراوح بين 700 و 1100 م .

وتنفصل هذه الأقسام - بعضها عن بعض - اما ببساط واما بمضائق تسمى بأسماء القبائل المجاورة لها .

وبين القسم الثاني والبحر تنبسط عدة سهول زراعية خصيبة مثل سهول الشاوية والغرب وسائيس بالمغرب الأقصى ، وسهول مدينة وغريس وشلف ومتيجة بالجزائر ، وسهول الساحل ووادي مجردة بتونس .

**السواحل :** وسواحل المغرب طويلة جداً ، والقسم الواقع منها على المحيط الأطلسي متفتح منحدر قليل التضاريس كثير الكثبان ، والقسم الواقع منها على البحر المتوسط صخري منغلق على النقيض من الأول، كثير التضاريس ضيق الخلجان .

والجزر المحاذية لهذه السواحل ليست كثيرة العدد ولا واسعة الرقعة ، كما أنها ليست ذات أهمية اقتصادية أو حربية باستثناء جزيرة قوصرة Pentellaria الواقعة تحت سيطرة إيطاليا بمضيق صقلية ، والجزر الخالدات Islas Canarias الواقعة أمام ساحل المغرب الأقصى تحت سيطرة إسبانيا ، وأهم هذه الجزر - ان كانت ذات أهمية - واقع بالشرق كجزر جربة وقرقنة وطبرقة بتونس ، وجزر منصورية والحبيبات ورشقول بالجزائر، وجزائر ملوية Las Chafarinas ونكور وبادس والمعدنوس بساحل المغرب الأقصى ، وليس أمام الساحل الأطلسي للبلاد المغربية الا جزيرة صغيرة واقعة أمام مرسى الصويرة ، وأرخبيل كناريا .

**الأنهار :** وبالمغرب أنهار عديدة تدعى أودية حتى ولو كانت غزيرة الماء دائمة الجريان ، وتتفاوت هذه الأنهار أهمية وطولا ، وتغير بتغير الأزمنة والامكنة ، والجغرافيسون يقسمونها - كالجبال - الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم تتفجر ينابيعه من الجهات العالية التي يكثر فيها المطر والثلج ، فيستمد مياهه من السيول وذوبان الثلج خريفاً وشتاءً وربيعاً ، ومن مياه العيون في جميع فصول السنة ، وأكثر الأنهار التي تنصب في المحيط الأطلسي هي من هذا النوع ، كأنهار لكوس ، وسبو ، وأبي رقرقي ، وأم الربيع .

ب - وقسم يفيض شتاءً ويفيض صيفاً ، لأنه لا يستمد من ينابيع قوية ولا تغذيه روافد كبيرة ، وأنهاره تنصب كلها في البحر المتوسط كملاوية وتافنا وشلف وسومام ومجردة والمليان .

ت - وقسم ثالث تبتدىء مجاريه من المنحدرات الجنوبية لجبال الأطلس وتتجه نحو الصحراء وهي تضعف شيئاً فشيئاً حتى تفيض مياهها في الرمال، ومن أنهار هذا القسم الداورة والساورة والناموس والمية والغرغار .

والى جانب هذه الأودية والأنهار يوجد بالبلاد المغربية عدد من الحمامات والينابيع التي تفيد كثيراً في علاج الأمراض العصبية والجلدية والمعوية ، كما توجد بها بحيرات بعضها يبقى مغموراً بالماء طيلة السنة كبحيرة الاشكل بتونس وبحيرة طونكة بالجزائر وبحيرة أكلمان سيدي على بالمغرب الأقصى ، وبعضها تتبخّر مياهه في الصيف فتستحيل البحيرة الى بحر من الملح ، وتسمى حينئذ بالضاية أو الشط أو السبخة أو زاغز حسب الأهمية والموقع ، ومن أشهر بحيرات هذا القسم : شط الجريد ( 5000 كلم مربع ) ، وشط الحضنة ( 27.654 هـ ) ، وزاغز الشرقى ( 50.000 هـ ) ، وزاغز الغربى ( 32.000 هـ ) ، والشط الشرقى ( طوله 150 كلم ، ومساحته 165.000 هـ ) والشط الغربى أو شط حميان ( طوله 40 كلم ، ومساحته 55.000 هـ ) .

**الطقس :** ليس الطقس متشابهاً ولا متقارباً في جميع أطراف بلاد المغرب ، لأن منها مناطق موعلة في الجنوب الى ما وراء خط الانقلاب حيث الطقس الاستوائي الحار ، ومنها مناطق واقعة شمالي ذلك الخط حيث تبتدىء المنطقة المعتدلة .

ويمكن تشبيه الطقس في المناطق المأهولة بطقس أوروبا الجنوبية وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

فالصيف متميز بحرارته ، وهو يخلف فصل الشتاء تدريجياً عبر شهور فصل الربيع ، وتزداد الحرارة كلما ابتعد الإنسان عن الساحل وأوغ في داخلية البلاد ، ولا يزيد متوسط الحرارة في شهر غشت على 25 درجة في الساحل الا نادراً كما حدث يوم 19 يوليوز سنة 1967 عندما سجل مقياس الحرارة في الدار البيضاء الدرجة 47 ، ولكنه الشذوذ الذي يؤك القاعدة ، على أن السواحل اذا امتازت صيفاً باعتدال حرارتها فانها تقيا برطوبتها ، على العكس من المناطق الداخلية التي تشتد فيها وطأة الحرار حتى تصل أحياناً الى 40 درجة أو أكثر ، ولكنها تمتاز بطقس صحي خا من الرطوبة .

أما فصل الشتاء فهو لطيف محتمل ، ولا يكون البرد قاسياً في المرتفعات الجبلية والنجود العالية حيث ينخفض ميزان الحرارة فـ بعض الأحيان الى ما تحت الصفر .

ويبين الجدول التالي متوسط ميزان الحرارة في بعض المدن :

اسم المدينة	الارتفاع بالمتر	متوسط يناير	متوسط يوليوز
الدار البيضاء	982 ، 15 م	12 م	22 م
الصويرة	6 م	14 م	19 م
مراكش	460 م	12 م	28 م
وهران	80 م	11 م	24 م
الجزائر	118 م	12 م	25 م
فلسطينة	650 م	6 م	25 م
البيضا	1320 م	4 م	26 م
بسكرة	128 م	11 م	35 م
تونس	47 م	10 م	25 م
طرابلس	17 م	11 م	26 م

ويساعد الارتفاع العظيم على تكثف البخار ، وتسقط الرياح التى تهب من المحيط الأطلسى - الأمطار بغزارة كبيرة ، وتتوغل الرياح عبر الممرات الجبلية ، ولكن تأثير البحر يتناقص كلما ابتعد الانسان عن البحر ويتزايد تأثير الارتفاع .

وتغزر الأمطار بالسواحل والمرتفعات الأطلسية وتقل فيما عداها ، وتتناقص كلما اتجه الانسان شرقاً أو نزل من المرتفعات الى السهول ولاسيما تلك الواقعة خلف الجبال أو ما يسمى فى ظل المطر ، ويؤثر اتجاه التضاريس بالنسبة للرياح تأثيراً ملحوظاً فى كمية المطر النازل ، فإذا وازت الجبال الرياح قل المطر ، وإذا كانت الرياح عمودية على الجبال كثر ، ويبدأ نزول المطر مبكراً فى شهر نونبر على السواحل أكثر من الداخل باستثناء مرتفعات السلسلة الأطلسية ، فلا تقل كمية الأمطار النازلة سنوياً فى أى بقعة ساحلية عن 400 ملليمتر .

ولا تنعقد الثلوج بالسواحل الا قليلا ، ولا يستمر نزولها - اذا نزلت - الا يومين أو ثلاثاً ، ولكنها تنزل على المرتفعات الداخلية وتنعقد فوق الأرض بضعة أسابيع ، وفى جبال الأطلس بالمغرب الأقصى تستمر منعقدة بضعة أشهر ، وغالباً ما يدخل فصل الصيف وقمم الجبال الأطلسية ما زالت معممة بالثلج ، ويؤدى ذوبان الثلج الى فيضان الأنهار الخلفية الذى تنفع سكان الواحات نفعا كبيراً ، وتعوضهم بمائها عن ماء المطر الذى حرمتهم منه الطبيعة .

وليس نزول المطر فى البلاد المغربية مضبوطاً فى وقته ولا كميته ، فقد يتقدم موعد نزول المطر أو يتأخر فى سنة عن موعد نزوله فى أخرى ، وقد تزيد الكمية النازلة بجهة ما أو تنقص فى سنة ما عنها فى سنة أخرى ، وهذا يؤدى بالطبع الى استحالة ضبط الانتاج الزراعى ، ففى مدينة جلفة بلغت كمية المطر 99 ملليمتر سنة 1913 بينما بلغت الكمية 775 ملليمتر سنة 1893 ، وفى المغرب الأقصى بلغ المحصول الزراعى  $38 \frac{1}{2}$  مليون قنطار سنة 1941 ولكنه لم يتعد 4 ملايين قنطار فى سنة 1945 ولهذا أصبح شغل الحكومات المغربية الشاغل فى الوقت الراهن استغلال المياه الأرضية ببناء السدود

واستنباط المياه الجوفية ليتمكنها مواجهة المشاكل الغذائية الناتجة عن النمو الديموگرافي المتزايد .

والجدول التالي يبين متوسط كميات المطر النازلة سنوياً في جهات مختلفة من البلاد المغربية :

المدينة	كمية المطر بالليتر	المدينة	كمية المطر بالليتر
طنجة	750 ملم	الجزائر	750 ملم
الدار البيضاء	400 ملم	القل	1798 ملم
بسكرة	200 ملم	صفاقس	150 ملم
مراكش	150 ملم	تونس	390 ملم
البيضا	280 ملم	طرابلس	370 ملم

**النبات :** يخضع النبات في كل بقعة من بقاع الأرض لأحوال الطقس والموقع كما يخضع للعمل البشري ، فمن الطبيعي - وبلاد المغرب تصافح الصحراء بيد والبحر المتوسط بأخرى - ان يختلف النبات في شمال المغرب عنه في جنوبه .

ففي الشمال الذي يمر في أقصاء الخط السابع والثلاثون من العرض الشمالي توجد جميع نباتات حوض البحر الأبيض المتوسط ، لأن الرياح العكسية التي تتعرض لها مرتفعاته يترتب عنها نزول الأمطار بغزارة في فصل الشتاء ، وهذه تساعد على نمو أشجار وشجيرات مخضرة على الدوام ، كالزيتون والليمون ، كما تساعد على استغلال الأراضي لأغراض زراعية ، وتعين على وجود غابات كثيفة الأشجار .

ومن الثابت تاريخياً أن مساحة الغابات ( 6.000.000 هكتار اليوم ) ببلاد المغرب ضاقت عبر القرون ، ولا يعزى ذلك فقط الى حاجة الانسان الى تحويل مساحات منها الى بساتين وحقول لتلبية متطلبات الحياة الفردية والقومية،

بل يرجع السبب أيضاً الى الأهمال وتطاحن القبائل فى الماضى ، الشيء الذى نتج عنه تلف الأشجار ، وخاصة شجر الزيتون الذى ما زالت معاصر الزيت فى بعض الجهات تدل على وجوده السابق بها .

ولا يوجد من الأعشاب فى بلاد المغرب الا الأنواع الفقيرة التى لا تصلح للبقر ، ولذلك لا يوجد اللبن وبالتالى الزبد والجبن بوفرة ، ويعتمد المغاربة غالباً على زيت الزيتون فى طبخهم ، تلك الشجرة التى تميزت بها بلدان حوض البحر المتوسط .

وتوجد بالغابات المغربية أكثر أنواع الأشجار الغابوية، فالبلوط يوجد فى تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، والزان يوجد على ارتفاع 1000 - 1500 ، والحروب يكثر فى المناطق التى يتراوح ارتفاعها بين 400 و 1500 م ، والعرعار والصنوبر فى المناطق التى يزيد ارتفاعها على 1500 م ، أما الأرز فيوجد فى مناطق يتراوح ارتفاعها بين 1500 و 2500 م ، ومنه فى بلاد المغرب غابات كبيرة تكاد مساحتها تضارع مساحة لبنان ! .

وفى المناطق المواجهة للصحراء خلف جبال الأطلس وكذلك فى النجود العليا ( **الظهرا** ) توجد نباتات ضعيفة من النوع الذى ينبت فى الأراضي التى يسميها الأوربيون الستيب Les Steppes وهى تورق شتاء وربيعاً وتيبس صيفاً ، والاعراب يرتادونها بماشيتهم فتجد فيها غذاء جيداً ، كما توجد فيها الحلقة التى تدخل فى صناعة الورق، وتصدر منها كميات وفيرة الى الخارج .

والى الجنوب من ذلك تبدو الصحراء بوجهها الكالج حيث يقل النبات شيئاً فشيئاً الى ان يتلاشى نهائياً فى صميمها ، وهذه الصحراء تقترب من الساحل فى المملكة الليبية ولا سيما غرب مدينة طرابلس وحول خليج سرت ، وذلك لمساهمة ذلك الساحل عرضاً للمناطق الصحراوية فى بقية الأقاليم المغربية .

ويمكن تلخيص القول فى شأن النبات بأن المناطق التى يزيد متوسط المطر السنوى فيها على 300 ملم تنبت نباتات أقطار أوروبا الجنوبية ، وفى

المناطق التى يقل فيها متوسط المطر عن 300 ملم توجد نباتات الستيب الهزيلة ، أما المناطق التى يقل فيها متوسط المطر عن 100 ملم فهى مناطق صحراوية لا تنبت شيئاً .

**الثروات الطبيعية :** التربة المغربية غنية جداً بما يشتمل عليه ظاهرها وباطنها من ثروات فلاحية ومعدنية ، إلا أن الطرق المتبعة فى استغلال هذه الثروات اقتصادياً متباينة جداً ، فهناك الطرق العصرية التى تعتمد على الوسائل المالية والتقنية فى الانشاء والتسيير والتصرف ، وهناك الطرق العتيقة التى تعتمد على اليد بالدرجة الأولى ، ولا تستهدف أكثر من سد الرمق .

وينتج عن هذا الاختلاف اختلاف فى طريقة الحياة وتفاوت فى مستوى العيش لدى المغاربة ، ولهذا أصبح الهدف الأكبر لقادة البلاد المغربية القضاء على هذا التفاوت والاختلاف باستثمار الثروات الطبيعية استثماراً عصرياً ، والتعجيل بالتصنيع ، ومباشرة جميع أنواع الاقتصاد ، والانشاء التدريجى لاقتصاد متكامل للأقطار المغربية .

ويعتبر القطاع الزراعى من أكبر قطاعات الحياة الاقتصادية المغربية ، ويمثل نحو الربع من الانتاج الداخلى الخالص .

والانتاج الزراعى فى المغرب متنوع جداً ، ويمكن توزيعه على ستة قطاعات كبيرة .

أ - زراعة الحبوب ( القمح - الشعير الخ ) ويبلغ المحصول السنوى منها فى جميع الأقطار المغربية أزيد من 50 مليون قنطار .

ب - زراعة الحوامض وهى تنمو باطراد ، ويبلغ انتاج الأقطار الأربعة منها ٢.200.000 طن يصدر معظمها الى الخارج .

ت - زراعة الحضر وهى أيضاً فى طريق النمو والازدهار ، ويصدر معظم البواكير الى الخارج .

ث - الزراعة الصناعية ( طابا - القطن - الشمنذر السكرى الخ )  
وهى أيضاً تتسع يوماً بعد يوم، وينتظر أن تنمو بسرعة كبيرة لتتمكن من تلبية  
الاحتياجات المتصاعدة .

ج - الدالية - تحتل غراسة الكرم مكاناً ممتازاً فى القطاع الزراعى ،  
ويبلغ انتاج الخمر أكثر من 20 مليون هكتولتر فى السنة يصدر معظمها  
الى الخارج .

ح - تربية الماشية - توجد بالمغرب أكثر أنواع الماشية المعروفة ،  
لكنها خاضعة لأحوال الطقس . وتبذل الحكومات جهوداً قوية لتحسين النسل  
وتنمية الزراعة المعدة للعلف .

ويبلغ عدد البقر الآن فى البلاد المغربية 4.500.000 رأس ، وعدد  
الغنم ( ضأن - معز ) 20.500.000 رأس .

أما الثروات المعدنية فبالإضافة الى المعادن التقليدية كالزنك  
والرصاص والنحاس تستثمر الأقطار المغربية عدداً آخر من المعادن مثل  
الفوسفات ، والكوبالت ، والمنغنيز التى يتوقف عليها الاقتصاد الحديث .

وقد أدى اكتشاف مناجم الفوسفات فى المغرب الأقصى والجزائر  
وتونس خلال الربع الأول من هذا القرن - الى انقلاب حقيقى فى السوق العالمى  
لهذه المادة ، كما أحدث انقلاباً آخر فى الاقتصاد المحلى .

أما المكتشفات الأخيرة من البترول والغاز الطبيعى فسيكون لها  
أعمق الآثار الاقتصادية والاجتماعية .

وقد تصاعد منتوج الأقطار المغربية من الفوسفات كالاتى :

سنة 1955 : 8.280.000 طن

سنة 1960 : 10.136.000 طن

سنة 1965 : 13.000.000 طن

ويصدر جل الانتاج المغربى من هذه المادة الى الخارج ، ولكن الأقطار  
المنتجة شرعت منذ بضع سنين فى انشاء مصانع لتحويله صناعياً ، ومن أعظم



المنشآت التي أحدثت لهذا الغرض مركب آسفى للصناعات الكيماوية بالمغرب الأقصى .

وتأتى البلاد المغربية فى مقدمة بلدان العالم المنتجة للحديد ، ويعتبر حديدها من النوع الرفيع ( يتراوح المحتوى بين 50 و 60 ٪ ) ولا يسبب استخراجها مصاعب كبيرة ، ويبلغ انتاجها السنوى منه 5.000.000 طن .

ويأتى انتاج البلاد المغربية من الزنك والرصاص فى طليعة منتجاتها المعدنية ، ويبين الجدول التالى انتاجها من المادتين خلال سنوات مضت :

السنة	الزنك	الرصاص
1955	81.300 طن	126.700 طن
1960	93.100 طن	124.600 طن
1965	165.000 طن	151.000 طن

وتوجد البلاد المغربية اليوم فى طليعة الدول المنتجة للبترول وهى مجهزة أحسن تجهيز لاستخراجها وتصريفه على وجه يبعث على التفاؤل بمستقبل اقتصادى واجتماعى باسم .

وقد بلغ الانتاج المغربى من البترول 95.000.000 طن سنة 1965 ، ومخزائها منه ومن الغاز الطبيعى قوية جداً .

وتبذل حكومات الاقطار المغربية جهوداً كبيرة لتقوية انتاج الكهرباء ونشر شبكاتها فى المدن والقرى ومد أسلاكها الى المصانع والمعامل بكل جهة .

وقد قدر الانتاج السنوى من هذا السائل الثمين بـ 2.071.000.000 كيلوات - ساعة سنة 1965 ثم ارتفع الرقم الى 2.742.000.000 كيلوات - ساعة

سنة 1960 وإلى 3.060.000.000 كيلوات — ساعة سنة 1965 ، وينتظر أن يرتفع الرقم ارتفاعاً محسوساً في السنين القليلة المقبلة عندما يتم بناء السدود التي قررت الحكومات بنائها .

**الصناعة :** يستأثر التصنيع في الأقطار المغربية باهتمام حكوماتها في الوقت الراهن ، وتصرف العناية بجد إلى انشاء صناعات عصرية كبرى وصغرى تستهدف تلبية الاحتياجات المحلية وتصدير ما يزيد على الحاجة من مصنوعات .

ولما كان القطاع الزراعى بما فيه تربية الماشية أهم قطاعات الاقتصاد المغربى فإن المعامل والمصانع التي تقام تستهدف بالدرجة الأولى تصنيع المنتجات الزراعية من جهة ، وصناعة الآلات والأدوات التي يتوقف عليها تجديد ذلك القطاع ونموه وازدهاره من جهة أخرى .

فهناك صناعات كان لها في السابق وجود ، ولكنها سارت في الوقت الراهن أشواطاً في طريق النمو والتجديد كالصناعة الغذائية التي تتمثل في المطاحن والمعاصر ومعامل تعليب اللحم والسمك وعصير الفاكهة ، وهناك صناعات اندثرت منذ قرون ووقع إحيائها حديثاً كصناعة السكر التي لن تلبث أن تكفى الحاجة منه وتغنى عن استيراده من الخارج .

ولقد كان جميع الانتاج المغربى من الحديد يصدر إلى الخارج ، ولكن التصدير سيقل بالتدريج كلما كثرت مصانع الصلب الضرورية لتجهيز البلاد وإقامة المنشآت .

وقد بدأ بالفعل انشاء معامل للتركيب ومصانع السيارات والجرارات والعجلات نتج عنه انشاء مصانع ثانوية تمد المعامل والمصانع الكبرى بالمواد المعدنية والزجاجية والجلدية والمطاطية اللازمة لها .

ويبين الجدول التالي احتياجات الأقطار المغربية من مصنوعات  
هذه القطاع :

1970	1965	
32.000	24.350	سيارات .....
16.000	12.320	سيارات منفعة .....
750	470	حافلات .....
1.500	820	سيارات خاصة .....
2.100	650	جرارات فلاحية مسلسلية .....
7.650	3.650	جرارات فلاحية مدرجة .....

وتتطور الصناعة الكيماوية والصيدلية تطوراً مرضياً ، كما تبذل جهود مهمة لتصنيع نبات الحلقة الذي يغطي مساحة تبلغ 7.500.000 هكتار يقطع منها سنوياً أزيد من 650.000 طن ، أما صناعة النسيج فهي تنمو نمواً مطرداً ، ولن تلبث الأقطار المغربية أن تصبح من البلدان المصدرة للمنسوجات في مستقبل قريب .

**الميزانيات :** وتعتبر الميزانيات العامة للدول المغربية تعبيراً صادقاً عن سياسة حكوماتها الرامية الى تجهيز مرافقها وترقية مجتمعاتها .

ومع أنها تلتزم سياسة تقشفية في مصاريفها العامة فإنها تصرف بسخاء على التجهيزات الأساسية اللازمة للتنمية الاقتصادية ، كما تصرف بسخاء في القطاع الاجتماعي لتستطيع من جهة تكوين الاطارات الكافية ، وتحسين أحوال المواطنين ورفع مستواهم عن طريق تعميم التعليم والثقافة ونشر الرياضة والمستشفيات والمساكن السليمة من جهة ثانية ، وهذه السياسة تحمل الدول المغربية على تخصيص مبالغ مالية طائلة تفوق أحياناً الربع من ميزانياتها العامة للتربية والتعليم وحدهما .

ويبين الجدول التالي ميزانيات التسيير والتجهيز للدول المغربية  
الأربع عن سنة 1967 .

اسم الدولة	ميزانية التسيير	ميزانية التجهيز
الجمهورية التونسية	108.000.000 د . ت	35.000.000 د . ت
الجمهورية الجزائرية	3.332.000.000 د . ج	( التصميم الثلاثي بما فيه سنة 1967 : 863.977.184 د ج )
المملكة الليبية	87.000.000 د . ل	90.900.000 د . ل
المملكة المغربية	2.218.866.347 در . م	863.977.184 در . م

**التجارة الخارجية :** تؤثر السياسة التي تنتهجها الدول المغربية في ميدان التجهيز تأثيراً قوياً على ميزانها التجاري ، ولهذا اتخذت هذه الدول عدة تدابير لضمان تعادله أو تخفيض عجزه تخفيضاً مستمراً .

وقد التجأت المملكة المغربية والجمهورية التونسية الى فرض قيود على وارداتهما ، اما الجزائر وليبيا فانهما تتمتعان بحالة أفضل من حالة شقيقتيهما نظراً لدخلهما الوافر من البترول .

ويصور الجدول التالي تطور التجارة الخارجية للدول المغربية الأربع من سنة 1963 إلى سنة 1965 :

1965		1964		1963		الدولة
مادرات	واردات	مادرات	واردات	مادرات	واردات	
نصف سنة	نصف سنة					تونس (بملايين الدينار)
62.916	129.062	57.304	110.845	52.922	93.148	الجزائر (بملايين الفرنك الفرنسي القديم)
177	161	359	347	374	343	ليبيا (بملايين الدينار الليبي)
282.008	114.416	250.166	104.379	133.535	85.277	المغرب الأقصى (بملايين الدرهم)
2.176	2.201	2.194	2.327	1.943	2.243	

**الدخل الكامل :** بلغ المنتج الداخلي الكامل لمجموع الدول المغربية نحو سبعة ملايين دولار سنة 1964 موزعة هكذا :

الدولة	المنتج الكامل بملايين الدولار	النسبة المئوية
الجمهورية التونسية	955	14 %
الجمهورية الجزائرية	2.542	37 %
المملكة الليبية	935	13 %
المملكة المغربية	2.500	36 %
	6.932	100

والمنتج في الأقطار الأربعة واحد ومختلف في نفس الوقت ، والفلاحة في جملته تمثل نحو الربع منه ، والصناعة اليدوية العشر ، والإدارة العمومية العشر ، بينما تمثل المعادن في تفصيله 53 % بالنسبة لليبيا ، و 8 ، 1 % بالنسبة لتونس ، ولا تمثل الفلاحة بالنسبة لليبيا الا 4 ، 6 % بينما تمثل أكثر من 29 % بالنسبة للمغرب الأقصى .

ويعطى الجدول التالي توضيحات أكثر عن المنتج الكامل وتشابهه واختلافه وحظ كل قطر مغربي من عموم قطاعاته :

القطاع الاقتصادي	المغرب	الجزائر	تونس	ليبيا
الفلاحة .....	29 ، 1	20 ، 2	24 ، 8	6 ، 4
المعادن .....	5 ، 5	18 ، 5	1 ، 8	53 ، 2
الصناعة .....	12 ، 2	8 ، 9	12 ، 5	3 ، 2
البناء .....	4 ، 5	4 ، 8	7 ، 8	3 ، 2
الكهرباء والغاز والماء .....	2 ، 4	1 ، 6	1 ، 8	
النقل ، المواصلات ، البنوك ، الخدمات ..	36 ، 2	34 ، 7	36 ، 0	23 ، 9
الإدارة العمومية .....	10 ، 1	11 ، 3	15 ، 3	10 ، 1
	100 ، 0	100 ، 0	100 ، 0	100 ، 0

ويظهر ان حظ الجزائر وتونس من السكان يتناسب وحظهما من المنتج ، فـ سكان القطر الجزائري يعادلون 38 ٪ من مجموع المغاربة ومنتجه يعادل 37 ٪ من المنتج المغربي ، وكذلك الحال فيما يخص تونس التي يبلغ سكانها 15 ٪ من سكان المغرب ومنتجها 14 ٪ من منتجه ، اما حظ المغرب الأقصى من المنتج الذي لا يتعدى 36 ٪ من مجموع المنتج المغربي فهو ضئيل بالنسبة لسكانه الذين يمثلون 42 ٪ من مجموع السكان المغاربة ، بخلاف القطر الليبي الذي يمثل ظاهرة عكسية . فـ سكانه لا يبلغون الا 5 ٪ من مجموع سكان البلاد المغربية ، ولكن منتجه يجاوز 15 ٪ من مجموع منتجها ، ويعد البترول أهم أسباب هذه الظاهرة .

**السياحة :** تزدهر السياحة شيئاً فشيئاً في البلاد المغربية ، ويرتفع عدد الوافدين عليها من الاقطار الاوربية والأمريكية سنة بعد أخرى ، ويسهل قرب الشواطئ المغربية من الشواطئ الاوربية وتنظيم وسائل النقل البحري والجوي بينهما مجيء السواح بأعداد وفيرة صيفاً وشتاء حيث يجدون كل ما يرغبون التمتع به من أجواء ومناظر ، والتعرف عليه من أمور غريبة .

ولا يحد من نمو السياحة بالسرعة المطلوبة الا ضعف التجهيز السياحي والغلاء النسبي للسكن والمعيشة ، والحكومات المغربية جادة في تلافي النقص وتذليل الصعاب المعترضة في هذا الميدان .

**الطرق السيارة :** توجد بالبلاد المغربية نحو 50.000 كلم من الطرق السيارة الجيدة ، منها 25.000 كلم في الجزائر ، و 14.000 كلم في المغرب الأقصى ، و 8.000 كلم في تونس ، و 2.300 كلم في ليبيا . يضاف اليها آلاف أخرى من المسالك والطرق الغابوية .

وتستجيب الطرق المغربية لمتطلبات السير ، فهي فسي المناطق الخصيبة كثيرة حول المدن والمراسي . كما انها تخرق أكثرية الجبال والنجود العالية وتخلف على العموم طرق القوافل العتيقة .

**السكك الحديدية :** وإذا كانت الطرق السيارية تنشأ عن داعي الاهتمام بخلق توازن اقتصادي بين الأقاليم فإن الطرق القطارية لا تنشأ إلا لأغراض محلية يظهر فيها القطار أقل كلفة وأكثر نفعاً .

وتحتل السكك الحديدية مكانة ممتازة بين الوسائل التي يلجأ إليها لاستثمار الثروات الطبيعية على أحسن وجه .

ويبلغ طول السكك الحديدية المغربية 8.709 كلم ، منها 4375 في الجزائر ( 1029 كلم ضيقة + 3346 عريضة ) ، و 1984 كلم في تونس ( 484 كلم عريضة + 1.500 كلم ضيقة ) و 2.008 كلم في المغرب الأقصى ، عريضة كلها .

**المراسي :** ومن مميزات التجارة المغربية أن معظمها يجري على طريق البحر تصديراً وتوريداً ، وأقلها يجري على الطرق البرية أو الجوية .

وستؤدي مخططات التنمية التي وضعتها وتضعها الحكومات المغربية إلى ارتفاع كبير في الحركة المرسوية الشيء الذي يستلزم تجهيزات قوية ونفقات طائلة .

على أن الأقطار المغربية تتوفر في الساعة الراهنة على مراسي عديدة مجهزة أحسن تجهيز ، ومن أشهر المراسي وأهمها :

- الدار البيضاء وأسفي ، وطنجة ، وفضالة ، واكدير بالمغرب الأقصى .

- والجزائر ووهران ، وعنابة ، والفزوات ، وارزيو بالجزائر .

- وتونس ، وبنزرت ، وصفاقس ، وقابس بتونس .

- وطرابلس ، وبنغازي ، وطبرق بليبيا .

**المطارات :** لم تفتأ حركة النقل الجوي تنمو منذ استعادت البلاد المغربية استقلالها ، فقد انشئت خطوط جديدة ، وأصبحت الشركات الوطنية والأجنبية تربط البلاد المغربية مع بلدان العالم ربطاً منتظماً .



ولما كانت التجهيزات المطارية وافية فى الساعة الراحنة بجميع الأغراض فإن العناية منصرفة فقط الى صيانة المطارات الموجودة وتوسيعها لا الى انشاء مطارات جديدة .

**الأقسام :** قسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب الى ثلاثة أقسام باعتبار قربها أو بعدها عن مكان الحج ومقر الخلافة ، ولكنهم لم يحددوا موقع كل واحد من الأقسام الثلاثة تحديداً دقيقاً :

**١ - المغرب الأدنى :** وبدايته من جهة الشرق الحد الفاصل بين بلاد المغرب واقليم برقة ، أما من الجهة الغربية فالأقاليم مضطربة ، فمن الجغرافيين من يجعل حده الغربى مدينة قسنطينة (4) أو الجبال الواقعة شرقى سهول متيجة ، فيكون المغرب الأدنى يشمل تقريباً اقليمى طرابلس وقران ، والقطر التونسى ، واقليم قسنطينة من القطر الجزائرى ، ومنهم من يجعل المغرب الأدنى ينتهى غرباً عند وادى ميجع ؟ الواقع فى منتصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان ، فيدخل فيه اقليم الجزائر (5) .

ويدعى هذا القسم أيضاً **افريقية** ، وكانت قاعدته فى الأول مدينة القيروان ، ثم أصبحت مدينة تونس .

**ب - المغرب الأوسط :** ويقع غربى الأولى وينتهى عند نهر ملوية (6) أو بلاد تازة (7) حيث تبتدىء حدود المغرب الأقصى .

وقاعدة هذا القسم مدينة تلمسان . ثم الجزائر منذ عصر الاحتلال التركى للجزائر .

**ت - المغرب الأقصى :** ويبدأ من نهر ملوية أو بلاد تازة على اختلاف التحديد عند الجغرافيين والمؤرخين ، وينتهى غرباً بالمحيط الأطلسى .

---

(4) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 215 طبعة سلا .

(5) الاستبصار ، فى عجائب الامصار ص 176 .

(6) الاستنقاص ، لأخبار دول المغرب الأقصى 1 : 76 طبعة الدار البيضاء .

(7) الاستبصار ، فى عجائب الامصار ص 176 .

وهذا القسم معروف عند أهله بالاسم المذكور أو باسم المغرب فقط ، وقد بدأ الشرقيون منذ أول هذا القرن يسمونه مراکش وهي ترجمة حرفية لكلمة Maroc و Marruecos التي يسميه بها الأوربيون ، ولكنها تسمية مجهولة عند أهله ، إذ مراکش عندهم اسم لمدينة من مدنه لا للقطر كله .

وقاعدة هذا القسم كانت في الغالب مدينة فاس الى ان انتقم منها الفرنسيون اثر ثورة اهلهما عليهم يوم 17 ابريل سنة 1912 بمساعدة الجيش الوطني ، فنقلوا الادارة الى الرباط .

وقد جرى الجغرافيون والمؤرخون منذ خمسة قرون على اطلاق اسم المغرب الأدنى على امارتي تونس وطرابلس ، والمغرب الأوسط على امارات الجزائر ، والمغرب الأقصى على المملكة المغربية ، رغم ان الحدود السياسية لهذه الدول تختلف عن الحدود الجغرافية لتلك الأقسام ، ونحن في هذا الكتاب سنجاړهم فيما ساروا اليه ، فسيعدل المغرب الأدنى مملكة ليبيا والجمهورية التونسية ، و يعدل المغرب الأوسط الجمهورية الجزائرية ، و يعدل المغرب الأقصى المملكة المغربية بحدودها السياسية الحالية .

**حب المغاربة للمغرب :** وقد أثر عن المغاربة حبهم الشديد لوطنهم ، وتفضيلهم اياه على ما عداه من البلاد ، وحدا هذا الحب أدباءهم ومؤرخيهم الى اختراع الحكايات اللطيفة عنه ، وربط الوقائع الدينية التي حدثت بالشرق ببعض مدنه وقراه ، ونسبة أحاديث الى النبي صلى الله عليه وسلم في بيان فضله وشرف أهله .

فمن ذلك الحديث المتواتر بينهم الذي يرويه سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة ) ، والحديث الذي روى عن سفيان ابن عيينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( ان بالمغرب باباً للتوبة مفتوحاً مسيرته أربعون خريفاً لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها ) .

وكما نسبوا هذه الأحاديث الى النبي في بيان فضله جملة نسبوا اليه أحاديث أخرى في بيان فضله تفصيلا . فمن ذلك الحديث الذي رواه أبو عبد

الرحمان الحبلى فى فضل افريقية من أقاليمه ، وهو قوله عليه السلام : ( ينقطع الجهاد من البلدان كلها ، فلا يبقى الا بموضع من الغرب يقال له افريقية ، فبينما القوم بأزاء عدوهم ، نظروا الى الجبال قد سيرت ، فيخرون لله تبارك وتعالى سجداً ، فلا ينزع أخلاقهم الا خدمهم بالجنة ) ! والحديث الوارد فى فضل المنستير : ( بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير ، من دخله فبرحمة الله ، ومن خرج منه فبعفو الله ) . والحديث الذى وجد فى كتاب دراس بن اسماعيل الوارد فى فضل فاس ، وهو قوله ( ستكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس ، أقوم أهل المغرب قبلة ، وأكثرهم صلاة ، أهلها قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم ، يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة ) .

ومن الحكايات المستملحة فى هذا الباب ما حكاه محمد بن حمادو البرنسى السبتي فى كتاب **المغرب** له عن الجرجاني وزير الظاهر لاعزاز دين الله أحد ملوك العبيديين ، أن الظاهر قال لوزيره : انى أريد أن أسمع كلام المغاربة فقال له : هنا شيخ يعرف بأبى مسلم الدقى ، فقال له : أسمعنى كلامه ، فجلس الظاهر خلف حجاب وأحضر وزراء دولته ، ووجه عن الدقى ، فلما وصل سلم وقعد وتكلم معه بأشياء أضحكه بها الى أن قال له الوزير : بلغنا أن الدنيا شبهت بطائر ، فالمشرق رأسه ، واليمن جناحه الواحد ، والشام جناحه الآخر ، والمغرب ذنبه ، فقال له أبو مسلم : صدقوا والطائر طاووس ! فضحك الظاهر وقال حسبه وانصرف .

وقد استخرج بعض الشعراء دلائل حسن المغرب من اسمه فقال :

الغرب شئ مليح	ولى دليل عليه
البدر يرقب منه	والشمس تسعى اليه !

ولما قال بعض المشارقة يهجو المغرب هذه الأبيات :

تجنب بلاد الغرب ما عشت انها	بسلاء وهم دائم وحسروب
وخيم بأرض الشرق تدرك بها المنى	وتنجو فلا تدنو اليك خطسوب
ففى الشرق من أجل الشروق مزية	وفى الغرب من أجل الغروب كرب

أجابه شاعر مغربى بقوله :

تجنب بلاداً بدى الشر باسمها      وذاك دليل أنها بلد الحرب  
تكانرت الأديان فيها فلم يكن      لدين الهدى الا الرحيل الى الغرب !  
وأجابه آخر بقوله :

خليلى لا تسركن الى الشرق انه      مشوم وفي اسم الشرق ناه لذى اللب  
الم تنظر الشمس المنيرة لم يطب      لها الشرق فارتاحت الى جهة الغرب  
ولشعراء المغرب قصائد كثيرة أطنبوا فيها فى وصف المغرب كله  
أو جهة من جهاته ، وأشادوا بمحاسنه التى جعلته فى نظرهم أحسن بلاد  
الدنيا ، فمن ذلك قصيدة ابن حبيب الشهيرة التى مطلعها :

أحب بلاد الغرب والغرب موطنى      الا كل غسرى الى حبيب  
وقصيدة ابن سعيد التى تشوق فيها الى المغرب من أرض مصر  
والتي أولها :

هذه مصر فأين المغرب      مذ نأى عنى فعينى تسكب  
فارقته النفس جهلا انما      يعرف الشيء اذا ما يذهب

والحق أن محبة المغاربة لوطنهم ، ومبالغاتهم فى وصف محاسنه ،  
وتفضيلهم أياه على ما عداه شيء لا يعاب عليهم ، مع العلم بأن من بين بلاد الله  
بلاداً تفوق المغرب حسناً وجمالاً وأخرى تساويها وأخرى تقل عنها ، ولكن الله  
سبحانه جعل النفوس البشرية انما تميل الى مواطن الطفولة ومراتع الصبا  
وقديماً قال ابن الرومى :

وحبب أوطان الرجال اليهم      ما ترب قضاها الشباب هنالك  
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم      عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

وقبله قال شاعر عربى :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى      ما الحب الا للحبيب الأول  
كم منزل فى الأرض يالفه الفتى      وحينه أبداً لأول منـزل

# المغرب الأدنى

## (1) المملكة الليبية

### موقعها وحدودها

تقع المملكة الليبية - التي هي القسم الشرقي من المغرب الأدنى - بين خطي العرض 20 و 32 شمال الاستواء، وخطي الطول 25 و 9 شرقي كرينويتش، وتحدها الجمهورية العربية المتحدة شرقاً ، والجمهوريتان التونسية والجزائرية غرباً ، والبحر المتوسط شمالاً ، وجمهوريات التشاد والنيجر والسودان جنوباً .

### مساحتها

وتبلغ مساحتها 1.759.000 كلم مربع ، منها 353.000 كلم مربع في ولاية طرابلس ، و 550.000 كلم مربع في ولاية فزان ، واما اقليمان مغربيان بلا خلاف ، و 855.000 كلم مربع في ولاية برقة .

### سطحها

وتتكون المملكة الليبية من اراض سهلة في الشمال مرتفعة في الجنوب ، باستثناء المرتفعات التي يتكون منها الجبل الاخضر بشمال برقة، وخلف مدينة طرابلس توجد منطقة نجدية يبلغ ارتفاعها 700 م فوق سطح البحر ، وفي هذه الهضبة يوجد جبل نفوسة الشهير ، يليها منخفض سهل جفارة ،

وفي شرق هذا السهل توجد منطقة مستوية تصلح لغراسة الأشجار أكثر مما تصلح لها تربة ولاية برقة ، ويرجع الفضل في ذلك الى وجود مياه جوفية وفيرة بولاية طرابلس .

وبجانب الساحل الذي يبلغ طوله 1800 كلم تمتد كتبان رملية تتخللها منخفضات لا تخلو من بحيرات وسبخات ملحة ، والتربة في سهل جفارة تتكون من مفتتات الرمال ، وهي خشنة حسنة التهوية ، وتضيف اليها المجارى المائية أتربة رسوبية ، والتربة في الساحل جيرية رملية ، وتربة الكشبان الرملية الثابتة والمتنقلة عبارة عن رواسب قارية وأخرى بحرية ، والتربة من وراء الشطوط والمستنقعات الساحلية ملحية .

وولاية فزان مضرسة بها تلال صخرية وكتبان رملية وأودية جافة ، ويتراوح ارتفاع معظم أجزائها بين 500 و 1.000 م ، ف ، س ، ب . وتتجه مياه هذه الولاية نحو الجنوب ولا تنصب في البحر مثل مياه أودية المناطق الشمالية، وتوجد في فزان بحيرات كثيرة مختلفة الأحجام ما هي في الحقيقة الا الأجزاء المكشوفة من الطبقة المائية القريبة من سطح الأرض ، ونسبة الملوحة عالية في أجزائها المعرضة للتبخر ، لكن يمكن الحصول بسهولة على مياه عذبة بواسطة حفر آبار قليلة العمق على أطرافها .

## طقسها

والمناخ في المملكة الليبية متأثر بموقعها وهبوب الرياح الشمالية عليها وانخفاض سواحلها على اقليم برقة ، فالحرارة تشتد صيفاً فتصل الى الدرجة الأربعين في المناطق الداخلية ، وما يقارب هذه الدرجة في المناطق المنخفضة القريبة من الساحل ما بين خليج سرت ومدينة طرابلس يخفف من حدتها هبوب نسائم بحرية علية في بعض الأحيان ، والحرارة في مدينة طرابلس محتملة ، يبلغ متوسطها في الصيف 24 درجة وفي الشتاء 14 درجة ، أما فيما عداها فالحرارة لا تكاد تطاق لبعدها عن التأثيرات البحرية الملطفة ، بالإضافة الى طبيعة الأرض الصخرية أو الرملية التي يشتد اكتسابها للاشعاع الشمسي .

ولا تسقط أمطار غزيرة نسبياً الا فى شمال اقليم برقة وحول مدينة طرابلس ، وتبلغ كمية المطر السنوية النازلة على هذه المدينة حوالى 400 مليمتراً ، وتقل الأمطار فى الجهات الواقعة فى غربها لوقوعها فى ظل المطر ، وتبلغ نسبة الرطوبة أقصاها صيفاً بتأثير البحر الذى يمتد الى الداخل مسافة 15 كلم . ويقل المطر بالتدريج كلما امتدت الأرض نحو الجنوب ، حتى تقل كميته السنوية فى المناطق الجنوبية عن 50 مليمتراً ، وتكثر سنوات الجفاف ، ويقدر أن يقع عام ممطر بين ست أو سبع سنوات عجاف .

وتشتد الحاجة الى المياه فى المملكة الليبية نظراً لقلة المطر ، سواء مياه العيون أو مياه الآبار ، لأنها ضرورية لاستقرار السكان وازدهار العمران ونمو الزراعة ، ولا توجد أنهار ولا أودية يجرى فيها الماء بصفة مستمرة الا فى الجبل الأخضر ، وفى جبال ولاية طرابلس ، وهى أودية ضعيفة قصيرة تغذيها مياه المطر فى فصل الشتاء والينابيع فى بقية الفصول ، وينصب بعض الأودية شمالاً فى البحر ، وبعضها يفيض جنوباً فى رمال الصحراء ، وفى ولاية طرابلس توجد مياه جوفية على شكل آبار عادية وآبار أرتوازية وعيون ، فالأولى كثيرة بولاية طرابلس ، ويعتمد عليها بالدرجة الأولى فى الانتاج الزراعى ، ولا يزيد عمق الطبقة التى بها هذه الآبار عن بضعة أقدام ، وهى المورد الرئيسى للماء على طول الساحل خصوصاً فى منطقة الكتبان ، وهناك طبقة أخرى تمتد الى عمق 20 - 25 متراً ومياها أغزر وأقل ملوحة ، وأنقى من الطبقة السطحية الأولى ، وهى التى تمتد بمياه الشرب مدينة طرابلس ومعظم مدن ولايتها . وتساهم بالنصيب الأكبر فى عمرانها وتعين على التنمية الزراعية فى بعض المناطق مثل سهل جفارة . والثانية بدى بحفرها حديثاً ، ويصل عمق البئر الى 300 م ونتاجه 125 متراً مكعباً فى الساعة ، وهى كمية تكفى لسقى 16 هكتاراً ، وليس عدد هذه الآبار الأرتوازية كثيراً ، فهو لا يتجاوز فى ولاية طرابلس 120 بئراً ، لأن الحفر يستلزم نفقات طائلة ، الشئ الذى لا تطيقه الا الحكومات والهيئات التعاونية . أما العيون فيوجد معظمها فى قيعان الأودية والحافات الجبلية ، ومياها أصح للشرب من مياه الآبار ، لكنها تقوى وتضعف بحسب السنين التى يكثر فيها المطر أو يقل .

## عدد سكانها

ويبلغ سكان المملكة الليبية 1.620.000 نسمة ، وهم جميعاً مسلمون ديناً عرب لغة ، وفي ليبيا جوالى عربية معدودة من أهلها وأخرى غير عربية يتكون معظمها من بقايا المستعمرين الايطاليين ( حوالى 45.000 سنة 1960 ) .

## أقسامها الادارية

وتنقسم المملكة الليبية الى عشر محافظات : طرابلس ، وبنغازى ، وسبها ، وصبراتة ، والزاوية ، والبيضاء ، وغريان ، والخمس ، ودرنة ، ولوبارى ، وتشتمل كل محافظة على عدد من المتصرفيات ، وفي كل متصرفية عدد من الدوائر البلدية والقروية .

## انتاجها الزراعي

والزراعة فى المملكة الليبية هى المورد الوحيد لعيش سكانها ، والمورد الرئيسى لخزينة الدولة قبل ظهور النفط . ولا تنبت الأرض الا فى الجبل الأخضر ببرقة والمناطق المشاطئة للبحر من ولاية طرابلس ، وبين الولايتين منطقة قاحلة تمتد من خليج سرت 500 كلم الى الجنوب ، وهى تكون حاجزاً طبيعياً وبشرياً لا بين الولايتين فحسب ، ولكن بين المغرب العربى والمشرق العربى أيضاً . كما تمتد خلف الجبل الأخضر والشريط الساحلى الحصب اراض قاحلة الى اللانهاية ، وقد قدر سنة 1951 انه من بين 174 مليون هكتار لا توجد الا أربعة صالحة للزراعة فى ولاية برقة ، و 10 فى ولاية طرابلس ، وأن هناك نحو 200 ألف هكتار مغطاة بالأشجار والأحراج ، و7 ملايين هكتار صالحة للرعى .

والشريط الساحلى تمكن زراعته على المطر شتاء ، ولكن لابد أن يسقى من الآبار صيفاً ، وفى ولاية طرابلس يزرع 1.200.000 هكتار قمحاً



وشعيراً ، وتنبت في هذه المساحة الأشجار التي تنبت عادة حول حوض البحر الأبيض المتوسط كالزيتون والكرم والتين والمشمش واللوز والبرتقال والليمون ، وكثيراً ما تزرع الحبوب والخضر بين الأشجار ، وقد ترك المعمرون الايطاليون بعد انسحابهم من ليبيا مزارع تبلغ مساحتها 200 ألف هكتار تستغل استغلالاً آلياً عصرياً ، وتستنتبت فيها بعض النباتات الصناعية كالطابا والأشجار الخشبية .

وبجانب الزراعة يشتغل جانب من السكان بالرعى وتربية الأغنام .

ومهما كانت الجهود المبذولة في الميدان الزراعي فانه ليس من المنتظر حصول تنمية زراعية تلبي احتياجات السكان في القريب العاجل .

## ثروتها المعدنية

وكانت الثروة المعدنية في ليبيا محدودة الى عهد قريب لا تتعدى الفوسفات والملح ، ولكن عوض هذا النقص ظهور البترول سنة 1958 في ولاية فزان أولاً ثم في مناطق أخرى من ولاية طرابلس بعد ذلك ، ويتمتع بترول ليبيا بمزايا عديدة كوفرة احتياطيه وقربه من الساحل وأن آبارها غير عميقة .

وتقوم بالبحث عنه واستثماره شركات أجنبية عديدة تخضع كلها لقانون البترول الليبي الذي ينص على أن تقسم الأرباح بينها وبين الحكومة مناصفة ويحتم دفعها الموائد والرسوم الجمركية على ما تستورده من مواد وأدوات مع استثناءات بسيطة ، الشيء الذي يرفع استفاد الحكومة الليبية الى 70 ٪ من أرباح الشركات . ولا شك ان هذه الثروة البترولية الطائلة أصبحت ذات تأثير عظيم في تطور المجتمع وتنمية الاقتصاد وارتفاع مستوى العيش في ليبيا ، كما صارت مورداً فياضاً يدر على خزينتها أموالاً طائلة تغنيها عن طلب السلف من الدول الأجنبية مقابل غض الطرف عما لها من قواعد عسكرية في ترابها . وقد مكنت هذه الثروة حكومة ليبيا أن تتخذ

قرارات جريئة بعد الاعتداء اليهودي على الأقطار العربية يوم الاثنين 5 يونيو 1967 ، فمنعت تصدير البترول الى الدول التي ساندت العصابات اليهودية في عدوانها . وطلبت افسراغ القواعد العسكرية الانكليزية - الأمريكية المقامة فوق التراب الليبي .

وقد دلت الأبحاث التي أجريت في طول ليبيا وعرضها على وجود رواسب للحديد في وادي الشاطئ بفران ، ورواسب كثيرة من الجبس في سهل جفارة ، ورواسب النثرون الى جانب البوتاس في مرادة بصحراء سرت ، كما اكتشف الكبريت والمنغنيز وفحم الاجنيت وحجر الشب والزجاج وكربونات السوداء في جهات كثيرة .

## صناعتها

والصناعة الليبية ضعيفة جداً تكاد تنحصر في الصناعات البسيطة التي تلبي الاحتياجات المنزلية والغذائية ، كعصر الزيتون واستخراج الملح ودبغ الجلد ونسج الزرابي والأغطية الصوفية وتعليب السمك وعصر الفواكه .

## تجارتها الخارجية

وكان ميزان التجارة الخارجية غير متعادل الى سنوات قليلة ، ففي سنة 1960 قدرت الواردات بـ 59.000.000 ليبره سترلينية ، والصادرات بـ 4.000.000 ليبرة سترلينية فقط ، ولكن الميزان انقلب رأساً على عقب بعد ذلك ، وسجلت كفة الصادرات رجحاناً كبيراً ، حتى حققت ليبيا سنة 1964 فائضاً في ميزانها التجاري يقدر بـ 140.000.000 ل . س بالنسبة لمنطقة السترليني ، و 3.000.000 ل س بالنسبة لمنطقة الدولار ، و 133.000.000 ل . س بالنسبة لمناطق العالم الأخرى ، مع العلم بأن هذه التقديرات يستبعد منها واردات شركات البترول .

وأهم صادرات ليبيا البترول الذي تبلغ نسبته 99 ٪ من مجموع الصادرات ، وزيت الزيتون ، والفول السوداني ، والجلد ، والصوف والشعر

وبدور الخروج والبرتقال والاسفنج ، وأهم الأقطار التي تصدر اليها هي ألمانيا الغربية وانكلترا وإيطاليا وهولاندا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .  
أما أهم الواردات فالسيارات والأدوات الكهربائية وأنايب الصلب والحديد التي تستعمل في استثمار البترول ، والمواد الغذائية والملابس ، وأهم الأقطار المستورد منها هي الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وانكلترا وألمانيا الغربية .

## طرقها

ويقع معظم المدن الميضية على الساحل ، وتربط بعضها ببعض شبكة من الطرق الجيدة ، كما تمتد الطرق الى مرزوق مقر السلطة بفزان ، وإلى مدن الجبل الأخضر ، وبها مراسي كبيرة ومطارات عظيمة لا تنقطع حركتها ، ومن أشهر مدنها طرابلس الغرب التي هي عاصمة المملكة ومرساها الأول ، ويبلغ سكانها 200.000 نسمة ، وبنغازي مقر السلطة بإقليم برقة ، وممراته ، وسرت ، وطبرق ، وبالداخل واحات غات وغدامس بإقليم طرابلس ، وواحات جغبوب والكفرة بإقليم برقة ، وواحات سبها ومرزوق وودان بإقليم فزان .

## نظامها

وليبيا دولة ملكية دستورية ، أعلنت استقلالها في 24 دجنبر سنة 1951 بعد نضال طويل خاضه شعبها الأبى بشجاعة واستماتة لاستخلاص حريته من يد المستعمر الفاصب ، وهي عضو في منظمة الأمم المتحدة وسائر المنظمات الأممية الجهوية . وملكها هو صاحب الجلالة الملك إدريس الأول السنوسي المولود بزاوية جغبوب من إقليم برقة يوم الجمعة 12 مارس سنة 1890 م ( 30 رجب عام 1307 هـ ) .

## (2) الجمهورية التونسية

### موقعها وحدودها

تقع الجمهورية التونسية التي هي الشطر الغربي من المغرب الأدنى بين خطي العرض 30 و 37 شمال الاستواء ، وخطي الطول 5 ، 7 و 5 ، II شرق كرينويتش ، ويحدها البحر المتوسط وليبيا والجزائر من جميع الجهات ، وهي قريبة من أوروبا لا يفصلها عنها الا مضيق صقلية الذي لا يتجاوز عرضه 137 كلم .

### مساحتها

وتبلغ مساحتها 125.180 كلم مربع .

### سطحها

ويمكن تقسيم سطح القطر التونسي أفقياً على أساس مرتفعات غربية وسهول شرقية ، ولكن يظهر من المناسب تقسيمه عمودياً الى خمسة أقسام :

1 - المنطقة الجبلية ، وتقع في الشمال الغربي والغرب ، وهي في الحقيقة بقية الجبال الجزائرية ، وتمتد جبالها من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، ويبلغ متوسط الارتفاع فيها 700 م ، لكن علو الجبال يتجاوز شمالا 1.000 م في جبال الخيير وتبرسق ، ويصل الى 1.544 م جنوباً في جبل الشعانبي .

وتتعامد هذه الجبال في الشمال الشرقي حتى تصبح من أكبر عوامل حماية المراسي الواقعة فيه ، وتحصر بينها وبين البحر سهلاً ضيقاً لا يتسع الا حول خليج تونس ، كما تحصر بينها سهولاً مرتفعة مثل سهل سرس ، وتبدأ الجبال في الانخفاض كلما اتجه الانسان شرقاً .

وينبع من هذه المنطقة وادي مليان الذي يصب جنوبى تونس .

ب - المنطقة السهلية وهى واقعة الى الشرق على ساحل البحر ، وتسمى اقليم الساحل ، ويبلغ طولها 300 كلم وعرضها يتراوح بين 20 و 80 كلم . والتربة فى هذه المنطقة مستوية خصيبة ، ويوجد بها سبخات قليلة .

ث - منطقة النجود العليا - وتقع خلف المنطقة السابقة ، وفيها جهات منخفضة وأخرى مرتفعة غرباً ، وتنحدر منها أودية ذات تصريف داخلى مثل وادي مرسالة ووادي زروود ، وفى هذه المنطقة كانت توجد طرق المواصلات العتيقة الرابطة عبر القيروان وسبيطلة بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وسهول اقليم قسنطينة .

ث - منطقة الشطوط وتقع الى الجنوب من المنطقتين السابقتين ، وتنخفض الأرض فيها الى مستوى سطح البحر بالقرب من الحدود التونسية - الجزائرية ، فتكون بحيرات ومستنقعات واسعة تدعى الشطوط من أهمها شط الجريد ، وشط الغرسة ، وشط فجاج ، وفى شرق هذه المنطقة توجد مرتفعات مطماطة التى تتحول الى كنان فى الصحراء .

ج - والى الجنوب من هذه المنطقة الأخيرة توجد الصحراء الفسيحة الخالية الا من حراس الأمن ومراقبى الحدود ، لكن توجد فى غربها سلسلة جبلية تدعى جبال القصور ( جبل الدويرات 662 م ) وتمتد هذه الجبال على شكل هلال عبر الحدود التونسية - الليبية وتنتهى بجبل نفوسة فى اقليم طرابلس ، وبينها وبين البحر المتوسط ينبسط سهل جفارة الشهير .

## ساحلها

ويبلغ طول الساحل التونسى على البحر الأبيض المتوسط 1.200 كلم وهو على العموم صخري فى الشمال رملى فى الشرق ، وتحاذيه فى الشمال سهول ضيقة تقطعها تضاريس تتيح للسفن من الرأس الأبيض الى رأس أدار ( الطيب ) ملاجئ آمنة فى كل الأوقات ، ومن هذه الجهة تسربت

حضارة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الى بلاد المغرب ، وبعد ذلك يفتح خليج الحمامات الجميل ، وتمتد جنوبه من السلاسل الجبلية الوسطى نتوءات صخرية ساعدت على اقامة مراسى أمينة بسوسة ومنستير والمهدية وصفاقس ،

والى الجنوب من ذلك يفتح خليج قابس الذى تحاذيه سهول منخفضة خالية من التضاريس ، والساحل هنا غنى بأسماكه ، ويحتضن جزائر قرقنة وجزيرة جربة القريبة من البر .

## طقسها

ويختلف الطقس فى شمال تونس عنه فى وسطها وجنوبها ، وهو يشبه الى حد كبير طقس الجزائر الشرقية ، ويزيد عليها بالارتفاع الذى يجلب أمطاراً غزيرة جداً ، وتمتد فى شمال الجبال التونسية منطقة ممطرة واسعة تصل كمية المطر النازلة على عين الدراهم منها الى 1.698 ملم ، أما فى السفوح الجنوبية لتلك الجبال فان الطقس الصحراوى هو الغالب ، ولكن ذلك لا يمنع تونس الوسطى من تلقي كميات وفيرة من المطر ( الكاف : 543 ملم ) ، والى الجنوب من ذلك تهب الرياح الجافة بكثرة ، وتكون هذه الرياح شديدة اذا هبت مباشرة من الجنوب ، وعندما تهب ريح السموم يرتفع ميزان الحرارة أحياناً الى الدرجة 50 فى تونس العاصمة ، ولا تتلقى منطقة الساحل كميات من المطر أوفر مما تتلقاه المناطق الداخلية ، ولكنها تستعويض عن قلة المطر ( 200 - 400 ملم ) بجو رطب نظراً لقربها من البحر ، وليست الأيام الممطرة كثيرة فى بقية البلاد ( 79 يوماً فى تونس العاصمة ) والأمطار الغزيرة تنزل عادة فى شهر نونبر ، وفى شهر يناير ويناير ، وقد ينجم عنها سيول وفيضانات عارمة ، ومع ذلك فان العادة قد تتخلف ، وهذا ما يجعل ضبط الشؤون الزراعية وتقدير المحاصيل الفلاحية أمراً عسيراً .

## نباتها

ويتبع النبات الطقس فى كل الجهات ، فهو متوسطى فى سفوح السلاسل الجبلية ، وتمتد فوق جبال الخمير غابات كثيفة جميلة تصل الى

الجهات القريبة من بنزرت ، والى الجنوب من تلك الجبال توجد المنطقة الوسطى التى تشتمل على جهات تنتشر فيها أشجار وأخرى تنتشر فيها نباتات ضعيفة ، وفى بعضها كدى خصيبة يغطيها الكرم والزيتون ، ولكن سرعان ما يبدأ الخصب فى النقصان والقحولة فى الزيادة كلما اتجه الانسان نحو الجنوب حتى ينعدم النبات بالكلية عند ظهور الصحراء ، ولا ترى خضرة الا فى واحات مبعثرة هنا وهناك .

## عدد سكانها

وبلغ عدد سكان تونس سنة 1965 - 4.675.000 نسمة ، يدينون بالاسلام ويتكلمون اللغة العربية ، وهم ينمون بمعدل 3 ٪ كل سنة ، وقد كان عدد الأجانب واليهود كثيراً ، ولكنهم قلوا بعد استرجاع الاستقلال واجلاء القوات الأجنبية .

## أقسامها الادارية

وتنقسم الجمهورية التونسية الى ثلاث عشرة ولاية ، هى ولايات تونس ، وباجة ، وبنزرت ، وجندوبة ، والكاف ، ومدنين ، ونابل ، وصفاقس ، وقابس ، والقصرين ، وقفصة ، والقيروان ، وسوسة ، وتنقسم كل ولاية الى معتمديات تشتمل كل واحدة منها على عدد من الدوائر البلدية والقروية .

## إنتاجها الزراعي

والقطرالتونسي - مثل سائر الأقطار المغربية - هو قطر زراعي قبل كل شيء ، وتعتبر الحبوب والزيت والخمر من أهم منتجاته ، يضاف اليها بعض المصنوعات العصرية والعتيقة . والانتاج المعدنى وفى مقدمته الفوسفات . وتبلغ المساحة المنزرعة 8.500.000 هكتار أى ما يعادل 72 ٪ من مجموع مساحة الأرض التونسية ، ولكن المزروع منها لا يعدو الثلث ( 2.800.000 هـ ) .

وأكثرية الأراضي التونسية ملك للقبائل والأحباس والدولة ، ولا يملك الأفراد منها الا القليل ، فبينما تبلغ مساحة الأملاك المشاعة بين القبائل ، والأملاك المحبسة على المساجد وأملاك الدولة 4.400.000 هكتار ( القبائل : 2.800.000 هـ + الأحباس : 1.200.000 هـ + الدولة : 400.000 هـ ) لا يملك الأفراد الا 1.600.000 هكتار .

وقد اتخذت الحكومة التونسية عدة تدابير في ميدان الاصلاح الزراعي ، واعتبرت الملكية الزراعية على الخصوص وظيفة اجتماعية ، فنزعت ملكية الأراضي من ملاكها المهملين . واستردت من المعمرين الفرنسيين الأراضي الخصبة الشاسعة التي كانوا يملكونها والبالغة مساحتها 600.000 هـ ووضعتها بين أيدي الفلاحين الوطنيين .

كما بذلت مجهوداً كبيراً في ميدان السقي وافادة التربة التونسية من جميع الكمية المطرية النازلة كل سنة ، فهناك سد بنى مطير المقام على وادي مجردة والذي يستطيع خزن 75.000. 000 متر مكعب من الماء ، ويمون العاصمة التونسية بـ 100.000 متر مكعب من الماء النقي الصالح للشرب ، وهناك سد ملاق الذي يستطيع خزن 300.000.000 متر مكعب من الماء ، بالإضافة الى عدد آخر من السدود الصغيرة المبنية فعلا أو هي في طريق البناء ، ومشروع استصلاح وادي مجردة الذي سيتمكن من الانتفاع من 60.000 هـ واقعة على الوادي المذكور .

ويتعاطى زراعة الحبوب أكثر الفلاحين التونسيين في مساحة تبلغ 1.300.000 هـ ولكن الصابة منها غير منتظمة ، ففي بعض السنين تبلغ الصابة من القمح 4.000.000 قنطار لا يتجر الا في الثلث منها . وفي سنين أخرى لا تبلغ الا مبلغاً ضئيلاً ، فلذلك صار لزاماً على الدولة أن تجلب القمح من الخارج لمواجهة الاستهلاك السنوي الذي لا يقل عن 1.500.000 قنطار ، واعداد الزريعة الضرورية للفلاحين . ومثل ما قيل عن صابة القمح يقال عن صابة الشعير التي تصل هي أيضاً في السنوات



الطيبة الى 4.000.000 قنطار . وتكاد زراعة الحبوب فى الضيع التى كانت بإيدى الأجانب تعطى غلات مماثلة للفلات التى تعطيها زراعة الحبوب فى الأراضي الأخرى ، مع أن المساحة المخصصة لزراعة الحبوب من تلك الضيع لا تتعدى 230.000 هـ ويرجع السبب فى ذلك الى جودة التربة من جهة ، وقوة الوسائل الآلية والتقنية المستعملة فى استثمارها من جهة أخرى .

وتنتشر بساتين الدالية فى المناطق السهلية ، لاسيما فى الجهات القريبة من تونس والوطن القبلى ، وكانت غراستها وقفاً على المعمرين الأجانب، كما كانت المساحة المغروسة كرمًا تبلغ 36.000 هـ سنة 1954 ويعصر العنب التونسى فيعطى خمراً قوياً ، ويبلغ متوسط الصابة السنوية منه 650.000 هيكترولتر ، ولكن شهرته شهرة محلية ، ويجد المسؤولون صعوبات كبيرة فى تصديره الى الخارج ومزاحمة الخمور الأخرى به فى الأسواق العالمية .

وبالإضافة الى المساحات المغطاة بدالية الخمر توجد 4.000 هكتار مغروسة بالدالية التى تغل العنب المعد للأكل ، وبساتين هذا النوع من الدالية منتشرة بفراف قرب بنزرت ، وبالوطن القبلى خاصة بين نابل ومنزل أبى زريعة والحمامات ، وبالقرى التى تحيط بالعاصمة مثل سكرة ومرناق ومنوبة .

والزيتون من أكبر ثروات تونس الطبيعية ، وهو مغروس فى كل جهة ، خاصة فى الشرق والشمال الشرقى ، وقد تضاعفت أشجاره مرات عديدة منذ نحو مئة سنة حتى تجاوزت الآن 26.000.000 شجرة ، ومنه غابات غثيقة بالمنطقة النيلية ترجع الى ما قبل الاسلام ، وأخرى حسنة بالساحل ، وثالثة بديعة بناحية صفاقس حيث تستعمل أحسن الطرق العصرية للغرس والتعهد والاستثمار ، وتبلغ المساحة التى تغطيها أشجار الزيتون 700.000 هـ ، ويقدر متوسط صابة الزيتون بـ 400.000 طن فى السنة تعطى 80.000 طن من الزيت أكثر من 60 ٪ منها زيت جيد صاف صالح للطبخ وترتب تونس فى الدرجة الخامسة بين الدول المنتجة للزيت ، والثانية بين الدول التى تصدره ، ولكنها تحتل المرتبة الأولى من حيث جودة النوع ، لأن

معاصر الزيت التي تفوق الألفين هي في غالبيتها في النوع الجيد المجهز أحسن تجهيز .

وتكثر في الجهات القريبة من تونس - العاصمة زراعة الخضر والفواكه وتقل في غيرها، وتوجد بشط الجريد غابات نخل يبلغ عدد أشجارها 2.500.000 ، منها 500.000 نخلة تنتج من التمر النوع المعروف بدكلة النور ، وهو من ألد التمر وأحلاه ، وتصدر منه تونس 3.000 طن في كل سنة .

وليست للزراعة الصناعية الا أهمية ثانوية ، والغابات تغطي 1.096.212 هـ ويقطع شجرها فيستخرج منه الخشب وعوارض السكك الحديدية ، وأعمدة المناجم ، وكميات من الفرش يبلغ ما صدر منه سنة 1955 خاماً ومصنوعاً 10.299 طن قيمتها 696.000.000 فريك ، أما الحلفة فهي تغطي 1.200.000 هـ ، ومنذ اكتشاف فني انكليزي سنة 1864 أنه يمكن صنع الكاغيط منها صارت انكلترا أكبر مستورد لها ، وتختلف الصابة منها باختلاف السنوات ، ويرتفع الصادر منها وينخفض تبعاً لذلك ، وقد ارتفعت الكمية المصدرة منها سنة 1951 الى 171.000 طن ، ثم انخفضت سنة 1955 الى 50.000 طن فقط .

وتربية العاشية من أهم قطاعات الاقتصاد التونسي ويحل انتاجها الرتبة الثانية فيه بعد انتاج الحبوب وقبل انتاج الزيتون والمناجم بكثير ، وتقدر قيمة الغنم وحده بستين مليار فرنك ، لكن بدأ يلاحظ نقصان تدريجي في عددها يعزى السبب فيه من جهة الى استقرار القبائل وتخليها عن عسادة الانتجاع ، والى تقلص مساحة المراعي أمام مساحة الزراعة من جهة اخرى ، وفي سنة 1954 كان يوجد بالقطر التونسي 3.215.000 رأس من الغنم ، و 2.000.000 رأس من المعز ، و 456.000 من البقر ، و 150.000 من الابل ، و 120.000 من الخيل ، و 57.000 من البغال ، و 200.000 حمار ، لكن أهمية هذه الأخيرة بدأت تتضاءل بسبب انتشار الوسائل الآلية المستعملة في الأشغال الزراعية والنقل .

والصيد البحري هو أيضاً قطاع اقتصادي مهم ، وتساعد الطبيعة في الشواطئ التونسية ولا سيما في خليج قابس والساحل الشرقي عموماً على تولد السمك بكثرة ووجود أنواعه العديدة . وتنتشر في عرض البحر أمام الشاطئ زوارق أسطول الصيد التي تعود في كل خرجة بصيد وفير ، كما تقطع من قعر البحر كميات من الأسفنج تقدر بنحو 200 طن في السنة يصدر معظمها الى الأقطار الصناعية الكبرى مثل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .

## ثروتها المعدنية

وتحتل الثروة المعدنية المرتبة الثانية في الاقتصاد التونسي من حيث الأهمية بعد الثروة الزراعية التي تحتل بالطبع المرتبة الأولى ، وقد أدى اكتشاف عدد من المعادن واستغلالها منذ أواخر القرن الماضي الى ادخال تطور كبير على الحياة الاقتصادية بالقطر التونسي ، كما أدى الى انتشار السمك الحديدية التي تزرع البلاد طولا وعرضا لنقل المواد المعدنية الى المراسي حيث تشحن في البواخر الى المصانع بأوروبا وأمريكا .

ويوجد خام الحديد بالقرب من سلاطة على الحدود الجزائرية ، ونفزة بالقرب من بنزرت ، ويصدر منه سنوياً نحو 100.000 طن ، يوسق معظمها الى انكلترا ، وقد بلغ الانتاج منه 1.057.046 طن سنة 1955 ، كما بلغ انتاج الرصاص 42.902 طن ، وانتاج الزنك 9175 طن، ويستخرج من التربة التونسية أيضاً كميات ضئيلة من البيريت والباريت والفلورين، ويستخرج ملح الطعام من ملاحات صفاقس وسوسة والمنستير ومقرين ، وتصدر الى الخارج أربعة أخماس الكميات المستخرجة التي بلغت 165.000 طن سنة 1955 ، أما الفوسفات الذي يوجد في جهات عديدة من وسط تونس وجنوبها فانه يحلها الرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة والمملكة المغربية والاتحاد السوفياتي - بين البلدان التي تنتجه ، وأكبر مناجمه موجود قرب قفصة والمثلوي ، ويصدر أكثره من مرسى صفاقس ومرسى سوسة الى فرنسا وانكلترا وإيطاليا وغيرها . ويقدر الانتاج التونسي من الفوسفات بعشر الانتاج العالمي ، وقد بلغت الكمية التي صدرت 2.500.000 طن سنة 1957 ثمنها 6 ملايين فرنك قديم .

وتقدر صادرات تونس من المعادن بـ 80 ٪ من مجموع صادراتها ومبيعاتها منها بـ 25 ٪ من مجموع مبيعاتها للبلاد الأجنبية ، وتتراوح قيمة المصدر سنوياً منها بين 10 و 15 مليار فرنك قديم، ويسهم الحديد والفوسفات وحدهما بـ 50 ٪ من مجموع الانتاج .

ونظراً لما للمعادن من أهمية في تطور البلاد أنشأت الحكومة التونسية سنة 1962 الديوان القومى للمناجم ، وأناطت به مهمة البحث عن المعادن والتنقيب عنها ، وقد اكتشفت مناجم الفلورين ، كما تبذل جهود للبحث عن النحاس والمنغنيز والبوتاس والزنابق، فضلاً عن البترول الذي اكتشف بالجنوب.

## صناعتها

والصناعة العصرية في تونس ما زالت في طريق النمو ، وقد سبب تخلفها في الماضي الحكم الأجنبي الذي كان يحرص على بقاء تونس قطراً زراعياً كما قلل من نموها انعدام القوى المحركة ، وتوجد صناعات محلية تعتمد على المنتجات الموجودة في البلاد مثل الفوسفات ، والصناعات الخاصة بأعداد مواد البناء كصناعة الاسمنت الذي تصدر منه تونس سنوياً 200.000 طن ، والصناعات الغذائية كمطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون والعنب ، ومعالب اللحم والسمك والفاكهة . وهناك صناعات تعتمد على المواد المستوردة من الخارج كمصانع طابا الذي يزرع محلياً على قلة ، ومصانع الغزل والنسيج التي تلبى ربع الاحتياجات المحلية ، ومصانع الأحذية والمواد الكيماوية والصباغات والمنتجات الزراعية ، وكلها صناعات صغيرة يقصد بها مواجهة الحاجيات المحلية بالدرجة الأولى لا التصدير الى الخارج .

والى جانب الصناعات الميكانيكية العصرية توجد بتونس صناعات يدوية عتيقة اشتهرت بجمالها ولطافتها كصناعة الزرابي والنسيج والفخار التي بدأت تفتعش في السنين الأخيرة بعد شعور الناس بنفاستها وضرورة تشجيعها لأنها مظهر من مظاهر حضارتهم العريقة .

وقد أحصى بتونس 23.000 معمل للصناعة العتيقة ، منها 8.800 معمل للنسيج ، و 4.800 لصنع الثياب ، 2.200 لصنع الجلد ، و 3.300 لصنع الخشب ، و 500 للصناعات الفنية ، وتشغل هذه الصناعة 90.000 صانع يضاف اليهم 50.000 من الصناع يخدمون ببيوتهم ، فيكون مجموع الصناع التقليديين مئة وخمسين ألفاً .

والصناعة السياحية هي سائرة بدورها في طريق النمو والازدهار ، وقد بلغ عدد السواح 218.817 سائحاً سنة 1965 أى بزيادة 32 ٪ بالنسبة لعددهم في السنة التي سبقتها ، وبلغ استفاد تونس من الحركة السياحية في تلك السنة 27 مليون دولار .

وقد أخذت تونس بمبدأ التخطيط ، واستعانت بما تسلفه اياها الدول الأجنبية الصديقة . وبلغ ما اقترضته منها 138 مليون دينار خلال سنتي 1960 - 1961 .

## تجارتها الخارجية

وتصدر تونس الى الخارج منتجاتها الزراعية والمعدنية بالدرجة الأولى ، ثم مصنوعات العصرية والأخرى ذات الطابع الفني العتيق ، وتستورد ما تحتاج اليه من مواد مصنوعة ، ويسجل ميزانها التجاري عجزاً لزيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات .

وأكثر التجارة الخارجية لتونس يجرى مع فرنسا وأقطار امبراطوريتها السابقة ، وكانت فرنسا الى سنة 1958 تحتكر 66 ٪ من الواردات و 51 ٪ من الصادرات ، ولكن المسؤولين التونسيين يسعون بجادين فى فتح أسواق لمنتجاتهم بكل الاقطار ، والتعامل مع الدول على أساس المساواة ومراعاة المصالح التونسية .

وقد بلغ حجم التجارة الخارجية لتونس سنة 1953 - 99 مليار فرنك ، منها 60 مليار قيمة الواردات ( 48 مليار من منطقة الفرنك + 3 مليار من منطقة

الدولار + 2 مليار من منطقة السترليني ) ، و 39 مليار قيمة الصادرات ( 26 1/2 الى منطقة الفرنك + 5 مليار الى منطقة السترليني ) .

وبين الجدول التالي أنواعاً من الصادرات والواردات التونسي وقيمتها بملايير الفرنك سنة 1957 .

الصادرات		السواردات	
القيمة بملايير الفرنك	نوع السلعة	القيمة بملايير الفرنك	نوع السلعة
7 ، 9	زيت الزيتون	3	السكر
6 ، 7	خمر	3	مصنوعات حديدية
5 ، 9	فوسفات	3	قمح
4 ، 5	حديد	2 ، 9	منتجات قطنية
3 ، 9	قمح	2	بتترول
2 ، 7	رصاص	2	ملابس
1 ، 6	اسمنت	1 ، 9	شاي
11	اسبارتو		

ويلاحظ ان السكر كان يحتل مكانة كبيرة سنة 1957 في واردات تونس ، ولكن الحكومة التونسية أنشأت مصنعاً للسكر بباجة دشن يوم 1 يوليوز 1962 تبلغ طاقته الانتاجية 20.000 طن من السكر المستخلص من الشمندر السكري الذي تغطي زراعته مساحة تقرب من 6.000 هـ .

والمصنوعات تمثل أهم الواردات ، وفرنسا - بحكم ارتباطها - تونس في الماضي - مكان الصدارة من بين الدول التي تجلب منها تونس وارداتها تليها إيطاليا ثم الجزائر ثم بريطانيا العظمى .

وقد بلغت قيمة الصادرات 150 مليون دولار سنة 1960 تبلغ نسبة الخمر فيها 40 ٪ والزيوت 32 ٪ والفوسفات 14 ٪ والحديد 6 ٪ والرصاص 5 ٪ والفحم 1 ٪ .

وتتعامل تونس مع مجموعة بلدان السوق الأوروبية المشتركة ، وتستورد منها مواد مصنوعة ونصف مصنوعة ، كالملابس والسيارات والمصنوعات الحديدية وأدوات التجهيز ، وتصدر إليها الحديد والفوسفات والرصاص والمنتجات الزراعية .

ومعظم التجارة التونسية يجرى عن طريق البحر ، وتتلقي مدينة تونس وحدها ثلاثة أرباع الواردات ، وهي أهم مدينة تجارية ، ومركز جميع الأبنك ، ومقر أكثر الشركات والوكالات التي تعنى بشؤون الاقتصاد .

## طرقها

وترتبط مدن تونس وأقاليمها بشبكة جيدة من الطرق السيارية والقطارية ، ويبلغ طول السكك الحديدية 2038 كلم ، منها 1538 كلم تملكها الدولة ، و 500 كلم تملكها الشركات المستثمرة للفوسفات ، وتمتد هذه السكك الى الجزائر والمغرب الأقصى حتى مراكش وطنجة غرباً ، ولكنها تقف جنوباً عند قابس فلا تصل الى المملكة الليبية .

وبتونس عدد من المطارات التي تنتظم منها أسفار داخلية وأخرى دولية ، من أشهرها مطار العوينة بتونس الذي هو من أهم مراكز الاتصال الجوي بين أوروبا وإفريقيا ، والأقطار الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط والأخرى الواقعة في غربه .

كما تقوم السفن التجارية بأسفار منتظمة بين الشواطئ التونسية والشواطئ الأوروبية .

## نظامها

وقد استعادت تونس سيادتها وحريتها سنة 1956 واضطرت بنضالها المستميت القوات الفرنسية الى الجلاء عن القواعد التي كانت تحتلها بترابها سيما قاعدة بنزرت العظيمة سنة 1963 ، ونظامها جمهوري دستوري رئاسي منذ سنة 1957 ، ورئيسها الحالي هو صاحب الفخامة السيد الحبيب بن محمد بورقيبة المولود بمدينة المنستير يوم 3 غشت سنة 1902 .





# المغرب الأوسط

## ( الجمهورية الجزائرية )

### موقعها وحدودها

المغرب الأوسط - أو الجزائر - هو قلب البلاد المغربية ، يقع بين خطي العرض 19 و 37 ، شمال الاستواء ، وخطي الطول 10 شرقى كرينويتش و 2 غربيه ، ويحده من الشرق المغرب الأدنى ( تونس - ليبيا ) ، ومن الغرب المغرب الأقصى ، ومن الجنوب الصحراء الكبرى ، ويطل من الشمال على البحر الأبيض المتوسط بساحل بديع يبلغ طوله 1200 كلم .

### مساحتها

وتبلغ مساحة القطر الجزائري 2.191.000 كلم مربع ، منها 327.000 كلم فى الأقاليم الشمالية ، و 1.864.000 كلم فى الأقاليم الجنوبية .

### ساحلها

ويمتد الساحل الجزائرى على خط مستقيم من الحدود التونسية الى الحدود المغربية ، وهو صخرى تتراعى عليه الأمواج مرغية مزبدة ، وليس به خلجان عريضة ولا جزر مهمة ، والمراسى الطبيعية غير موجودة فيه ، وقد بذلت جهود عظيمة لحفرها وحمايتها بسدود صناعية تجعلها فى مأمن من التيارات القوية والرياح العاصفة التى تهب من مضيق جبل طارق ، واكثرها محفور

وسط خلجان صغيرة محمية صناعياً أو على جوانبها اليسرى ، تأميناً للسفن  
الراسية فيها من أخطار تلك التيارات والرياح .

## سطحها

وسطح الأرض الجزائرية مرتفع في مجموعه ، ولكن ليس به من  
الجبال العالية ما بالمغرب الأقصى ولا من السهول المنخفضة ما بتونس ، فأعلا  
قممه لا يزيد ارتفاعها على 2327 م ، وأكبر سهوله لا تزيد سعتها على 50 كلم ،  
وإذا ألقى الانسان نظرة على مسطح القطر الجزائري من الشمال الى الجنوب  
وجده يشتمل على منطقة تلية في الشمال تتكون من سهول وجبال ، ومنطقة  
نجدية في الوسط يجاوز ارتفاعها 800 م فوق سطح البحر ، تليها منطقة  
صحراوية تشتمل أيضاً على جبال جرداء ، وسهول رملية قاحلة ، ومرتفعات  
صخرية صلبة في أقصى الجنوب .

وتعتبر جبال المنطقة التلية - بما فيها الجبال الساحلية والأخرى  
الداخلية - امتداداً لسلاسل جبال المغرب الأقصى ، وهي ترتفع بصورة واضحة  
في شرق الجزائر وغربها ، ففي الشرق ترتفع جبال الجرجرة والبايور والبيبان ،  
ويبلغ ارتفاع الأولى 2300 م ، وارتفاع الثانية 2000 م وارتفاع الثالثة 1800 م ،  
وأعلا قمة في جبال الأطلس التلي هي قمة للا خديجة ( 2308 م ) بجبال  
الجرجرة ، أما في الغرب فيبلغ ارتفاع جبال تلمسان 1800 م وتبلغ أعلا قمة  
في جبل ونشريس 1985 م وتسمى عين الدنيا .

والجهات القريبة من الساحل في هذه المنطقة هي أحسن جهاتها  
غنى وجمالاً ، بل هي أحسن جهات القطر الجزائري على الإطلاق وأكثرها مطراً  
وأشدّها عمراناً ، وتنفّث الى جانب البحر عن سهول عديدة أهمها سهل عنابة ،  
وسهل الجزائر المسمى بسهل متيجة ، وسهل وهران ، كما ينفّث الأطلس  
التلي الواقع خلفها عن سهول زراعية خصيبة مثل سهل بلعباس وفحص زيدور  
قرب تلمسان ، وتمتاز المنطقة كلها بطقس معتدل وسماء صافية ومجاورة

لبحر أزرق بديع ، وهى أرض الأشجار المثمرة والزهور الجميلة والفواكه المبكرة ، وثلاثة أرباع سكان الجزائر يعيشون من خيراتها الزراعية ، وعلى البحر منها تقع المدن والمراسى العتيقة مثل عنابة وبجاية ودلس والجزائر وشرشال وتونس ووهران ، كما تقع فى داخليتها الحواضر التاريخية الكبرى مثل قسنطينة وتلمسان .

أما منطقة النجود العليا التى تلى الأطلس التلى جنوباً فهى على عكس المنطقة التلية - منطقة مقفرة خالية تقريباً من السكان ، ترتفع 800 م فوق سطح البحر ، وليست بها أشجار بأسقة ولا مياه جارية الا فى النادر القليل .

وينتجع الأعراب بمواشيهم هذه المنطقة فى فصل الربيع ، ويقتلح منها نبات الحلفة صيفاً وهو نباتها الوحيد المستغل اقتصادياً . وتكثر فيها السباح الكثيرة المالحة ، فان كانت كبيرة سميت الشط ، وان كانت صغيرة دعيت زاغز ، من أهمها فى الجهة الشرقية والوسطى شط الحضنة ، وزاغز الشرقى ، وزاغز الغربى ، وفى الجهة الغربية الشط الشرقى والشط الغربى أو شط حميان .

وخلف هذه النجود العليا توجد سلسلة جبال الأطلس الصحراوى وهى أيضاً ممتدة من الغرب الى الشرق ، تبتدىء بجبال القصور والعمور وتنتهى بجبال أوراس ، واذا انحدر الانسان منها جنوباً وجد نفسه أمام الصحراء التى يخالها الانسان بسيطاً فسيحاً من الرمل يمتد الى اللانهاية . وما هى فى الحقيقة بسيطاً كلها ولا رملا جميعها ، بل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصل الى 1.900 م فوق سطح البحر فى جبال هكار بأقصى الجنوب ، كما ان منها جهات متحجرة تدعى الحمادة وأخرى رملية تدعى العرق ، ولا تخلو الصحراء الجزائرية رغم ضراوتها وقسوتها من واحات جميلة يرتفع نخلها فى عنان السماء تصهر رأسه الشمس المحرقة وتسقى جذوره المياه الدافقة ، وينتج تماًراً شهياً شهيراً فى العالم بجودته وحلاوته .

## طقسها

والطقس في القطر الجزائري مماثل للطقس في الأقطار المغربية الأخرى ، فهو في الساحل معتدل يشبه طقس بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويظهر اعتداله على الخصوص في المنطقة الواقعة بين مدينة الجزائر ومدينة القالة ، وقلما تنخفض درجة الحرارة في فصل الشتاء الى ما تحت الصفر ( المتوسط الشتوي الأدنى + 8 د ) . وعلى عكس الساحل داخلية البلاد ، فالطقس فيها لا يتسم بالاعتدال ، والبون شاسع جداً بين الدرجات العليا والدنيا للحرارة صيفاً وشتاء . ففي الشتاء يشتد البرد وينزل الثلج ويهبط ميزان الحرارة الى الدرجة العاشرة تحت الصفر بالوجود العليا ، وفي الصيف تشتد الحرارة وترتفع حتى تصل الدرجة الأربعين فوق الصفر بمدينة الأصنام ووادي شلف ، على أن المدن الواقعة في الجبال القريبة من الشاطئ كجبال تلمسان وتساله وونشريس تتمتع بطقس معتدل شبيه بالطقس الساحلي لارتفاعها ووصول النسيم البحرية العليقة اليها ، اما في المناطق الصحراوية فالاختلاف شديد جداً بين برودة الليل وحرارة النهار ، وترتفع الحرارة صيفاً حتى يسجل ميزانها أحياناً الدرجة السبعين فوق الرمال . وذلك شيء طبيعي في كل منطقة ملاصقة لخط الانقلاب .

وتهب على القطر الجزائري في فصل الشتاء الرياح الغربية العكسية بأمطارها وأعاصيرها ، ويبدأ نزول المطر عند دخول فصل الخريف ، ويستند ابتداء من نونبر ، ويستمر ستة أشهر مع فترات صحو ، ويبلغ متوسط الكمية النازلة في المناطق الشمالية 450 ملم ، وهو في الجهة الشرقية المرتفعة ( القل 1798 ملم ) أغزر منه في الجهة الغربية ( وهران 463 ملم ) التي تسلب الرياح الشمالية الغربية الهابة عليها شتاء من رطوبتها عند مرورها بإسبانيا ، وتتلقى منطقة الجزائر الواقعة بين الجهتين متوسطاً مطرياً قدره 733 ملم ، وهو متوسط يبعث على الدهشة اذا ما قورن بالمتوسط المطري السنوي الذي ينزل على باريس ( 561 ملم ) ، ولكن المطار يبدأ في تسجيل درجات تنخفض شيئاً فشيئاً كلما امتدت الأرض جنوباً ، ففي النجود العليا

يسجل متوسطاً سنوياً يتراوح بين 300 و 200 ملم ، وإلى الجنوب منها تقل الكمية النازلة عن القدر اللازم للفلاحة ، وذلك نذير بظهور الصحراء القاحلة .

## نباتها

ويتغير النبات بتغير الطقس ، وتعتبر منطقة التل التي تنزل فيها أمطار كافية منطقة الأشجار المخضرة باستمرار ومنطقة الغابات التي تتكاثر فيها أشجار البلوط والخروب والصنوبر والعراعر والأرز ، وهي أيضاً منطقة الزراعة والغراسة الكبرى حيث تمتد حقول القمح والشعير والقطاني بجانب بساتين الزيتون والكرم والليمون ومختلف أنواع الأشجار المثمرة والصناعية، أما النجود العليا فإن الأشجار تختفي فيها ويحل محلها الشيع والحلقة وبعض الأشجار الشوكية القصيرة ، وإذا كانت الطبيعة حرمتها من الثراء الزراعي فقد عوضتها بالثراء الحيواني . إذ جعلت منها منطقة للرعى تكثر فيها قطعان الابل والبقر والغنم ، أما المنطقة الصحراوية فهي أرض الجفاف والقحولة ، وتخللها بين المسافة والأخرى واحات جميلة تغطيها غابات النخيل الذي يساعد ظله على غرس أشجار مثمرة وزرع بعض الحبوب والخضر .

## أقسامها الإدارية

بقي القطر الجزائري عشرات السنين مقسماً إلى عمالات ثلاث موجودة في الشمال هي عمالات الجزائر وقسنطينة ووهران ، تضاف إليها أراضي الجنوب العسكرية التي أسست في 4 دجنبر 1902 وكانت من الوجهة القانونية مستعمرة فرنسية خاصة لها إدارتها وميزانياتها وأملاكها وإن كانت موضوعة تحت سلطة الحاكم الفرنسي العام بالجزائر ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أعيد تنظيم التراب الجزائري تبعاً للتطورات السياسية الداخلية من جهة ، والتخطيطات الاستعمارية البعيدة المدى من جهة أخرى ، فأصبحت بذلك مقسمة إلى ثلاث عشرة عمالة شمالية هي عمالات : الجزائر ، والأصنام ، وباطنة ، وتلمسان ، وتيزي وزو ، وتيهرت ، والمدية ، ومستغانم ،

وعنابة ، وسطيف ، وسعيدة ، وقسنطينة ، ووهران ، وحولت أراضي الجنوب العسكرية الى عمالتين تدعى احدهما الساورة ، والاخرى الواحات ، وقد حوفظ على هذا التقسيم بعد اعلان الاستقلال .

وتنقسم العمالات الى دوائر، كل دائرة تشتمل على عدد من البلديات .

## سكانها

تعرض سكان الجزائر خلال أيام الاحتلال التركي ثم الفرنسي لعدد من أعمال القمع والتشريد جعلت عددهم في نقصان مستمر ، ولما جرى أول احصاء رسمي سنة 1856 لم يكن عدد المسلمين يزيد على 2.307.000 نسمة ، وزاد هذا العدد نقصاناً بعد ذلك ، ثم بدأ يرتفع في نهاية القرن الماضي وأول هذا القرن حتى بلغ 7.721.678 مسلماً سنة 1948 يضاف اليهم 960.107 من المستوطنين الفرنسيين وسائر الأوروبيين المتفرنسين ، وفي سنة 1954 صار العدد عشرة ملايين ، تسعة أعشارهم من المواطنين المسلمين والعشر الباقي من الفرنسيين والمتفرنسين ، وخلال حرب التحرير التي جرت في فاتح نونبر من تلك السنة واستمرت الى بداية سنة 1962 خسرت الجزائر مليون شهيد من أبنائها ولكنها ربحت بدلهم حريتها وسيادتها ورحيل الأجانب جماعياً من ترابها ، وقد صار عدد سكانها بعد ثلاث سنوات من استقلالها ( 1965 ) - 12.041.845 نسمة ليس بينهم الا أقلية ضئيلة من الأجانب .

وأهل الجزائر - كسائر المغاربة - مسلمون ديناً ، عرب أو متعربون أصلاً ولغة ، واللغة الفرنسية منتشرة في سائر أوساطهم بسبب الحكم الأجنبي السابق ، كما توجد قبائل في بعض الجهات تتكلم الى جانب العربية لهجات بربرية . لكن اللغة العربية صارت تستعيد مكانتها بعد ما جعلتها الجزائر المستقلة لسان الدولة الرسمي، وقررت استعمالها وحدها في التعليم الابتدائي.

## اتساجها الزراعي

كان عدد الأملاك العقارية المسجلة بالجزائر قبل الاستقلال يبلغ حوالي 21.000.000 هـ منها 5.000.000 هـ من أملاك الدولة ، و 4.200.000 هـ من أملاك البلديات ، و 9.200.000 هـ من أملاك المسلمين ، و 2.400.000 هـ من أملاك المعمرين الفرنسيين ، ولاكن مساحة الأراضي المنزرعة منها لم تكن تتعدى 10 ملايين هكتار .

وأجود الأراضي كان بيد المعمرين الفرنسيين ، انتزعه الاستعمار من الوطنيين بمختلف الوسائل ، ولم يبق لهم الا الأراضي التي يقل نفعها ويكثر تعبها .

والفلاحة هي أهم الثروات الطبيعية ، ويعمل فيها أكثر من 75 ٪ من السكان ، وقد قدرت قيمة منتجاتها بـ 185 مليار فرنك سنة 1953 ، وبلغت نسبة المصدر منها في تلك السنة 84 ٪ من مجموع الصادرات بينما لم تتعد نسبة المستوردات الزراعية 6 ٪ من مجموع الواردات ، وتعتبر الزراعة في الجزائر مثالا يحتذى لا في الدول المتخلفة فحسب ، ولكن في بعض الدول المتقدمة أيضاً ، ويرجع السبب في ذلك الى الوسائل الآلية والتقنية المستعملة فيها .

وقد انشئت سنة 1941 مصلحة خاصة للتنجيز وحماية التربة ، كما أنشئت سنة 1946 مصلحة التجديد القروي لتعميم استعمال الوسائل العصرية في الفلاحة ، وأنشئت سدود عديدة في طول الجزائر وعرضها لخزن مياه الأمطار واستعمالها في سقى الحقول والبساتين ، وقد وضع سنة 1920 مخطط لبناء جملة من السدود فأنشئ سد بنى بهدل على نهر تافنا جنوبى تلمسان ، وسد وادي الفضة أحد روافد نهر شلف ، وسد غريب . كما وضع سنة 1946 مخطط آخر يستهدف سقى ناحية غليزان ( سد وادي التحت ) وناحية سيك ( سد وادي سارنو ) وناحية الزيبان ( سد الوادي الأبيض ) ،

والغرض من هذا السد الأخير بالخصوص حماية ناحية بسكرة باغلاق فج ( فم الغرزة ) وهو أول مستودع صحراوي للمياه .

وتحتل زراعة الحبوب 3.165.000 هـ تحث قمحاً وشعيراً وذرة وخرطالا ، وتختلف كمية الانتاج في سنة عنها في سنة أخرى ، وكان متوسط الانتاج السنوي خلال العشرين سنة الماضية 18 مليون قنطار ، وبلغ انتاج الحبوب 21 مليون قنطار سنة 1967 ، بينما لم يبلغ الا نصف ذلك العدد في السنة التي قبلها بسبب تأخر نزول المطر ، الشيء الذي اضطرت معه الحكومة الجزائرية الى استيراد القمح من الخارج لسد العجز الناتج عن سوء الصابة ، والى جانب زراعة الحبوب التقليدية بدأت تتسع مساحة زراعة حبوب جديدة لا عهد للجزائر بها من قبل كالأرز والذرة الهيريديية والبشنة .

وقد بلغت كمية القطنى التي أنتجتها الجزائر سنة 1953 580.000 قنطار قيمتها 2.135 مليون فرنك .

وتمتاز الجزائر بسعة المساحة المفروسة دالية وبوفرة انتاجها من الخمر ، وقد كانت الكروم سنة 1952 تغطى 400.000 هـ بلغ انتاجها في السنة التي تليها 18.500.000 هكتولتر من الخمر الشهى الدائع الصيت المستاغ كثيراً في فرنسا وسويسرا وبلجيكا والبلدان الأوربية على العموم .

والجزائر غنية بأشجارها المثمرة ، والزيتون أوفر هذه الأشجار عدداً وهو يغطى مساحة 100.000 هـ وعدد أشجاره يفوق 11.000.000 ، ويبلغ متوسط ما ينتجه من الزيت 500.000 هكتولتر ، وترتب الجزائر في الدرجة السابعة بين البلدان المنتجة لزيت الزيتون ، اذ يبلغ انتاجها منه 2 ٪ من مجموع الانتاج العالمى . وتبلغ أشجار التين 10 ملايين تغل أكثر من مليون قنطار من التين وباكوره ، وتغطى أشجار الحوامض 30.000 هـ انتجت سنة 1954 أكثر من 3 ملايين قنطار من البرتقال والليمون والماندريسن والكليمانتين والبابليموس ، أما غابات النخيل الموجودة في الجنوب فعدد أشجارها لا يقل عن 7 ملايين شجرة تغل سنوياً أكثر من 1.150.000 قنطار



من التمور الجيدة الشهية التي تؤكل محليا ويوسق النوع المسمى منها  
بدكلة النور الى الخارج .

وتزدهر في المنطقة التلية ولاسيما في الجهات القريبة من الساحل -  
زراعة الخضر والبواكر كالبطاطا والقوق ( الخرشف ) وماطيشة والجزر  
واللوبيا والجلبان ، وقد بلغ الانتاج منها أكثر من مليون طن سنة 1953 .

وتنمو الزراعة الصناعية باطراد، كالطابا ( 30.000 هـ - 260.000 ق )  
والقطن ، والنباتات العطرية والكتان ( 2.600 هـ - 10.000 ق ) . والشمندر  
السكرى الذي أنتج 25.000 ط سنة 1953 .

وبالإضافة الى ذلك تغل الأرض الجزائرية غلات طبيعية أخرى ،  
كالحلقة وسبيب الدوم والمنتجات الغابوية ، فالحلقة تغطي 4.000.000 هـ  
وهي مصدر غنى سكان جنوب الأقاليم الغربية ، ولاسيما سكان الناحية الواقعة  
بين سعيدة والمشرية ، وقد أنتجت سنة 1953 - 140.000 ط صدر معظمها الى  
الخارج ، وصنع طرف منها في مصانع الكاغيط والسليلوز بالجزائر وبجاية ،  
أما الغابة فتغطي هي أيضاً مساحة 2.400.000 هـ وتنتج خشباً صناعياً وحطباً ،  
كما تنتج 450.000 ط من الفرشى الذي يستعمل كمادة عازلة وتصنع منه  
سدادات القنينات والزجاجات . ومعظم الفرشى الجزائري يوسق للخارج وأقله  
يصنع داخلياً .

ويعتنى الفلاحون الجزائريون بتربية الماشية ، ويقدر عددها في  
الساعة الراحنة بعشرة ملايين رأس ، لكن انتشار الفلاحة المصرية يحول دون  
زيادتها ، كما ان القحط الذي تتعرض له البادية بسبب قلة المطر في بعض  
السنين يعرضها لنقصان كبير ، ففي سنة 1945 كان عددها يبلغ 9 ملايين ،  
وفي السنة التي تليها انخفض العدد الى أقل من 3 ملايين بسبب الجفاف ، ثم  
بدأ يرتفع فيما بعد ، ومن بين العشرة ملايين رأس يوجد 3.200.000 من المعز ،  
و 866.000 من البقر ، و 241.000 من البغال ، و 341.000 من الحمير ، أما الخيل

التي يبلغ عددها 216.000 رأس فهي في نقصان مستمر بخلاف الإبل ( 182.000 ) التي يزيد عددها في الصحراء .

## انتاجها المعدني

الجزائر غنية بما يشتمل عليه باطن تربتها من معادن . وزاد في غناها ظهور البترول بصحرائها سنة 1956 . وكانت صادراتها من المعادن سنة 1953 تمثل 11 ٪ من مجموع قيمة صادراتها البالغة في تلك السنة 154 مليار فرنك .

ومن أقدم المعادن المستغلة في الجزائر الحديد المستخرج بالخصوص من الوزنة وجبل زكار وناحية بني مصاف ، ويقدر الاحتياطي منه بـ 2.500 مليون طن، وكان متوسط الانتاج السنوي منه يبلغ 3 ملايين طن، ( 3.372.000 ط سنة 1953 ) ، ولكنه انخفض فيما بعد بسبب اندلاع حرب التحرير فلم يتجاوز 1.924.000 ط سنة 1959 ويعتقد أن الانتاج الحالي لا يتجاوز نصف المتوسط القديم .

والفوسفات من ثروات الجزائر المعدنية ( 531.000 ط سنة 1959 ) ويستخرج من التخوم الجزائرية - التونسية جنوبي مدينة تبسة ، وكذلك الرصاص ( 15.300 ط سنة 1959 ) والزنك ( 62.900 ط سنة 1959 ) والبريت وسلفات البريت والزرئبق .

وكان يعتقد ان التربة الجزائرية لا تتوفر على مواد وقودية تمكن من انشاء صناعات كبيرة ، ولكن هذا الاعتقاد تغير بعد اكتشاف مناجم الفحم الحجري بالقنادسة ( بشار ) التي شرع في استغلالها منذ سنة 1917 وهي تؤمن للجزائر ثلث احتياجها منه ( 295.000 ط - سنة 1953 ) ، كما اكتشف البترول سنة 1956 بعد ابحاث جرت على نطاق ضيق منذ سنة 1952 بناحية الحضنة وتبسة ، وأشهر الأحواض التي يستخرج منها حوض حاسي مسعود بوسط الصحراء الذي تمتد منه الى مرسى بجاية أنابيب تبلغ طاقتها

10 ملايين طن في السنة ، وحوض حاسي الرمل وهو أيضاً بوسط الصحراء ، وحوض زارزيتن ، وحوض عجيلة على الحدود التونسية الذي تمتد منه أنابيب الى مرسى الصخيرة القريب من مرسى قابس بتونس ، ويقدر احتياطي الجزائر من البترول بـ 500 مليون طن ، وهو تقدير قابل للزيادة ، وبلغ الانتاج منه 25.000.000 ط سنة 1965 .

ويوجد الغاز الطبيعي في وسط الصحراء ، وفي منطقة حاسي الرمل وينقل في أنابيب الى الساحل بمعدل 1.500.000 م مكعب في اليوم .

وقد نتج عن اكتشاف البترول انبعاث الحياة في الصحراء وانشاء الطرق والمطارات لربطها بالأقاليم الشمالية ، وفتح امكانيات التصنيع على مصراعيها أمام الدولة الجزائرية .

## اقتصادها الصناعي

كانت السياسة الفرنسية تستهدف ابقاء القطر الجزائري قطراً زراعياً والحيلولة دون اقامة صناعة ثقيلة به رغم وجود مقوماتها الأساسية من فحم وحديد ومواد أخرى ، ولم تكثف بذلك بل تعمدت قتل الصناعات العتيقة التي اشتهرت الجزائر باتقانها والتي كانت مورداً لعيش سكانها ، والصناعة الوحيدة التي أبحاثها هي الصناعة التي لها ارتباط بالقطاع الفلاحي والادوات المستعملة فيه .

ولما احتل الألمان فرنسا سنة 1940 بدأ الفرنسيون يفكرون بدافع فرنسي محض - في تصنيع بلدان امبراطوريتهم التي نجت من احتلال الألمان ، فوضعوا - فيما يخص الجزائر - مخططاً للتصنيع شرع في تنفيذه سنة 1946 باتخاذ عدد من الاجراءات التي تسهل استثمار الرساميل لأغراض صناعية في التراب الجزائري ، ووسعوا نطاق المدارس الصناعية وأنشأوا عدداً من الوحدات السكنية ونفذوا قوانين الضمان الاجتماعي المطبقة في فرنسا ،

كما بذلوا أكبر جهد لتنمية الطاقة الكهربائية ( 1.307.000.000 كليوات - ساعة سنة 1960 ) .

وهكذا دخل القطر الجزائري منذ سنة 1946 في عهد التصنيع ، فانشئت فيه الأفران التي تصهر الحديد والمعادن الصلبة ، وانشئت مصانع ومعامل لصنع الزجاج والخزف والكاغيط المستخرج من الحلفة والكارطون ، وأخرى لصنع الصابون والمطاط والحامض الكبريتي ، والمغازل والمناسج ومعامل الزرابي ومعاصر الزيت والخمر ، والمطاحن والمعالب ، ومصانع السكر والأرز ومعامل صنع الصمامات من الفرشى وتعبئة المياه والمشروبات .

وقد زودت البلاد بمخازن ثلجية لحفظ الخضر واللحوم والمواد التي تفسد بسرعة مما يجعل الجزائر تراث اليوم منشآت صناعية مهمة ان أحسنت استعمالها والمحافظة عليها وعملت على تنميتها وتصريف منتوجاتها فستدر عليها الربح الوفير والخير الكثير .

## طسرقها

يبلغ طول الطرق المسلوكة 60.000 كلم منها 8.450 كلم من الطرق الوطنية الكبرى ، والباقي طرق اقليمية وثنائية ، وتمتد السكك الحديدية الواسعة والضيقة 4.078 كلم وتتوفر الجزائر على عدد من المراسى الكبيرة المجهزة أحسن تجهيز بلغ عدد السفن التي دخلتها سنة 1960 - 6.977 سفينة حمولتها الصافية تزيد على 10 ملايين طن . اما مطاراتها فمن أكبرها مطار الدار البيضاء قرب الجزائر ومطار السانية قرب وهران وعدد آخر من المطارات المدنية والعسكرية التي تستعمل في النقل الجوي الداخلي والآخر الدولي .

## تجارتها الخارجية

كانت الجزائر في عرف القانون الاستعماري جزءاً من التراب الوطني الفرنسي الى سنة 1962 فلم تكن هناك حدود جمركية بينها وبين فرنسا ،

كما كانت حركة النقل بينهما لا تتم الا على بواخر فرنسية ، فصارت فرنسا المتعامل الأول مع الجزائر بيّعا وشراء : تحتكر ما بين 75 - 80 ٪ من صادراتها و 78 - 85 ٪ من وارداتها .

وبسبب هذا الاحتكار الاستعماري ظلت الجزائر تعاني باستمرار نقصاً في ميزان تجارتها الخارجية ، لأن قيمة الواردات ( 624.000.000 فرنك سنة 1960 ) تفوق دوماً قيمة الصادرات ( 194.000.000 سنة 1960 ) .

ولما استقلت الجزائر شرعت في تنظيم تجارتها الخارجية على أسس سليمة يعطى فيها لمصلحتها الاعتبار الأول ، وهكذا انخفضت نسبة التعامل مع فرنسا من 75 ٪ عام 1962 الى 65 ٪ عام 1964 .

وعقدت الجزائر مع عدد كبير من الدول اتفاقيات للتبادل التجاري ، وأدى استثمار البترول وتصديره بوفرة الى القضاء على العجز الحاصل في ميزان الأداءات .

وتصدر الجمهورية الجزائرية منتوجات الصناعة الغذائية : من خضر وفواكه وخمور ، ومنتوجات المعادن من حديد ورصاص وزنك وفوسفات وبترول ، وكذلك بعض المصنوعات العصرية ، وتستورد مواد التجهيز والمواد المصنوعة والمواد الغذائية بصفة عامة .

## نظامها

رزحت الجزائر تحت نير السيطرة الاستعمارية 132 سنة أظهر شعبها خلالها من ضروب المقاومة وأنواع التمرد ما سارت يذكره الركبان ، ومن أشهر ثوراته ثورة I نونبر 1954 التي شارك فيها الشعبان المغربي والتونسي مشاركة فعلية وساندتها جميع الدول الاسلامية والعربية والاخرى التي تناصر مبدأ تحرر الشعوب وحققها في تقرير مصيرها ، وقد استمات

الشعب الجزائرى فى القتال وضحى فى المعارك التى دامت أزيد من سبع سنوات بأكثر من مليون شهيد ، حتى اضطر فرنسا الى الاعتراف بحريته وسيادته فولدت الدولة الجزائرية يوم 5 يوليوز 1962 ، وانخرطت بعد ذلك فى منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الاقليمية والمتخصصة .

ونظام الدولة فى الجزائر جمهورى دستورى رئاسى ، ومنذ شهر يونيو سنة 1966 أصبحت مقاليد الدولة بين يدى مجلس الثورة الذى يرأسه العقيد أبو مدين الهوارى أحد قادة جيش التحرير الجزائرى .



# المغرب الأقصى

## ( المملكة المغربية )

### موقعها وحدودها

المملكة المغربية - أو المغرب الأقصى - هي أوسع البلاد المغربية مساحة وأكثرها سكاناً ، تقع في غربها الأقصى بل في أقصى غرب القارة الأفريقية بين الجزائر والصحراء الكبرى والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي .

وليس لها في الوقت الحاضر حدود قارة الا الحدود الطبيعية بالشمال والغرب حيث البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، اما من الجهتين الشرقية والجنوبية فهي مثار جدال ، لأن الشعب المغربي وحكومته يرفضان التسليم بالتخطيط الاستعماري للحدود ، والرضا بما فعلته فرنسا واسبانيا ابان حكمهما من بتر كثير من أطراف المغرب الأقصى وتضييق رقعته حتى أصبح البون شاسعاً بين حدوده الحقيقية القديمة وحدوده المصطنعة الجديدة .

وقد حددت المعاهدة المعقودة بين فرنسا والمغرب بقرية للا مغنية سنة 1845 والمفروضة عليه اثر هزيمته في معركة يسلي - الحدود بتدقيق ما بين مصب وادي كيس على البحر الأبيض المتوسط وثنية الساسي جنوبي مدينة وجدة ، اما الحدود فيما عدى ذلك فقد وضعتها فرنسا وحدها دون مشاورة المغرب ولا موافقة حكومته الشرعية ، وهي تمتد من ثنية الساسي جنوباً حتى تسامت واحة فكيك ، ثم تميل الى الغرب شاقرة الواحة المذكورة

تاركة بنى ونيف خارج الحد وجبل عنتر داخله ، وتسير على خط مستقيم حتى تلتقى بمجرى وادى المزة جنوبى قرية تلزازه ، فتسير مع مجراه الى ان يلتقى بمجرى وادى كير فتسير مع مجرى هذا الوادى الأخير حتى تصل الى نقطة تبعد 15 كلم الى الشمال من قرية يكل ، ومن هناك يمتد خط الحدود مستقيماً فى اتجاه جنوبى غربى حتى يلتقى مع الدرجة 40 . 27 من العرض الشمالى التى هى الحد الجنوبى لاقليم طرفاية ، وحتى خط الحدود هذا لم يحترمه الفرنسيون بعد استقلال المغرب الأقصى وقيل انتهاء حكمهم للجزائر ، فقصداً اجتازوه ووضعوا أيديهم على بعض المناطق الواقعة غربه وشماله لأغراض استراتيجية أثناء محاربتهم للثوار الوطنيين الجزائريين ، فخلق هذا التعدى حالة توتر على الحدود بين المغرب والجزائر المستقلة أدى الى نشوب خلاف مسلح بينهما فى شهر اكتوبر سنة 1963 ، ذلك الخلاف الذى صدر بشأنه تصريح باماكو فى 30 أكتوبر 1963 وتألفت لفضه لجنة خاصة منبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية .

## مساحتها

تبلغ مساحة المملكة المغربية فى حدودها التاريخية حوالى 3.000.000 كلم مربع ، ولكن البئر المتوالى لأطرافها من جانب الاستعمار جعل الرقعة التى ينسبط عليها السلطان الشرعى منها لا تتعدى 550.000 كلم .

## سطحها

يمتاز سطح المملكة المغربية بارتفاعه وامتداد مجموعة من السلاسل الجبلية فوقه امتداداً أفقياً تتخللها أو تنبسط قربها سهول واسعة ونجود عليا .

وتكون الجبال فى المغرب العربى وحدة متماسكة ، ولكنها فى المغرب الأقصى أرفع منها فيما عداه ، وكانت قديماً تسمى جبال درن . ثم صارت فى العصر الحديث تدعى جبال الأطلس . وهو اسم محلى على ما يظهر ، دعت به فى الأول جبال المغرب الأقصى ثم عمم إطلاقه فصار يدل على جبال البلاد المغربية كلها .



وإذا أردنا أن نتكلم على هذه الجبال متدرجين من الشمال الى الجنوب فسنجد في البداية سلسلة **الأطلس الساحلي** المشرفة على البحر الأبيض المتوسط الممتدة من جبل موسى ( 856 م ) المحاذي لسبتة الى نهر ملوية ، ويسمى الجغرافيون الأوروبيون هذه السلسلة **الأطلس الريفى** (8) وهى ترتفع كثيراً فى الوسط قرب تركيست ( جبل تيدغين 2452 م ) وشفشاون ( جبل تيسوكة 2120 م ) .

وخلف هذه السلسلة توجد منحدرات يظن انها كانت مغمورة بماء البحر فى الزمن القديم ، وهى تتسع شيئاً فشيئاً من جهة الشرق حتى تتفتح عن سهول وادى ملوية والمغرب الشرقي ، مثلما تتسع من الجهة الغربية حتى تتفتح عن بسيط سايس وسهول الغرب .

وتعتبر كدية الطواهر الواقعة غربى تازة هى العقدة التى تصل الأطلس الساحلى بالأطلس المتوسط ، وبها يمر الطريق العتيق الذى يربط نلمسان وما خلفها من قرى وأمصار بفاس وما بعدها من قرى وأمصار .

والى الجنوب من تلك السهول والمنحدرات توجد سلسلة جبال **الأطلس المتوسط** التى تنفصل فى جبل حيان ( 3.000 م ) عن الأطلس الكبير ، وتمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى حتى تصل الى جبل تزكة المطل على ( مجاز تازة ) من الجنوب بعد ما يكون ارتفاعها بلغ فى جبل بويبلان 3.200 م وفى جبل موسى وصالح 3.219 م وتنتهى فى أعالي ملوية ، ويمكن إضافة **الجبال** الواقعة شمال مدينة مراكش الى هذه السلسلة .

ويمتد **الأطلس الكبير** وراء الأطلس المتوسط على مسافة تزيد على 800 كلم من مبتداه بأعلى وادى كبير الى منتهاه برأس غير ، ويتراوح عرضه ما بين

---

(8) شاع إطلاق الريف منذ نورة سكانه على المستعمرين الفرنسيين والاسبانيين ( 1919 - 1926 ) على الشمال المغربى من نهر ملوية الى المحيط الأطلسى . والحقيقة ان ذلك مجرد خطأ ، فالريف فى عرف أهله وعرف المغاربة قاطبة هو منطقة صغيرة واقعة فى وسط شمال المغرب تمتد من قبائل قلعية شرقاً الى قبائل غمارة غرباً ، واكبر مدنه وفراء مدينة الزمة ( الحسبة ) . وما عدى تلك المنطقة فليس من الريف .

60 و 80 كلم ، وجباله أبرز جبال المغرب وأرفعها ، وتتجاوز قمم جبال العياشي ومكون وتونقال 3.500 م بل تتجاوز 4.000 م .

وخلف الأطلس الكبير يوجد **الأطلس الصغير** الذي يلتقى وایاه فى جبل سيرو ( 3.300 م ) وتمتد هذه السلسلة من جبل صفرو شرقاً سائرة فى اتجاه جنوبى غربى الى المحيط الأطلسى عالية احياناً الى 2.000 م ( جبل فيردوست ) و 2.512 ( جبل اكليين ) .

وتنبسط ما بين هذه السلاسل الجبلية والمحيط الأطلسى سهول واسعة منخفضة تسمى باسماء القبائل المستقرة فيها كسهل الشاوية وسهل عبدة . وسهل دكالة ، ويتراوح ارتفاعها ما بين 150 و 200 م فى الجهات القريبة من البحر ، وقد يصل ارتفاعها الى 300 م وأحياناً الى 700 م فى الداخل .

ويدعى السهل الواقع بين مثلث طنجة - فاس - الرباط **سهل الغرب** وأكبر أنهاره نهر سبو . كما تدعى المنحدرات الواقعة بين المحيط الأطلسى والسفوح القريبة من الأطلس الكبير والأطلس الصغير **سهل سوس** ، ويبلغ طوله 200 كلم وعرضه 40 كلم .

ويحيط حزام السلاسل الأطلسية فى أقصى الجنوب بناحية نجدية يبرز منها فى جهات درعة جبل بانى ، وإلى الشرق منها نتوءات سلسلة **الكور** القديمة ، وخلف ذلك كله توجد الصحراء .

## طقسها

يتغير الطقس فى المملكة المغربية بتغير المناطق والفصول ، فهو متوسطى فى الشمال ، أطلسى فى الغرب ، صحراوى فى الجنوب ، قارى فى داخل البلاد ، وقد حملت تقلباته وتناقضاته بعض الجغرافيين على القول بأن المغرب الأقصى قطر حار جداً وبارد جداً ورطب جداً وجاف جداً ! .

وتتأثر الجهات القريبة من مضيق جبل طارق بالتيارات البحرية الباردة نسبياً المسماة بتيارات كناريا ، كما تتأثر الجهات الغربية بالمحيط

الأطلسي الذي يلطف من حرارة الصيف ويخفف من حدة برد الشتاء ، أما الجهات الجنوبية في الداخل فليست في مأمن من التأثيرات الصحراوية لأن جبال الأطلس الكبير لا تحول في كل مكان دون تسرب طقس الصحراء إليها .

وأغلب الرياح التي تهب شتاء ترد من الغرب والجنوب الغربي ، وأكثر ما تهب صيفاً من الشمال الشرقي ، وفي مضيق جبل طارق يشتد هبوبها وتقلبها نتيجة اصطراع الطقس بين البحرين المجاورين ، ورياح السموم أقل هبوباً في المغرب الأقصى منها في القطر الجزائري ، ولكن الشرقي الذي يهب من نجد الأقاليم الوهرانية حاراً جافاً يكون له في غالب الأحيان ما لرياح السموم من مميزات وآثار : فكلاهما ينقل الجو ، ويرفع درجة الحرارة في وسط النهار بالساحل وتشتد وطأته - عندما يهب - على الإنسان والحيوان والنبات بالداخل .

وتبعاً لذلك يختل نظام المطر ، فهو يقل كلما امتدت الأرض من البحر المتوسط الى الجنوب ومن المحيط الأطلسي الى الشرق ، ويمكن تقسيم المغرب الأقصى بسبب ذلك الى ثلاث مناطق مطرية :

1 ( منطقة غزيرة المطر تتعدى الكمية النازلة منه سنوياً فوقها 800 ملم ، وتشتمل هذه المنطقة على ناحية جباله و جهات الأطلس الكبير والأطلس المتوسط المعرضة للرطوبة الغربية .

2 ( منطقة متوسطة المطر تشتمل على القسم الشمالي من السهول الغربية ، وعلى نواحي فاس ومكناس وتازة ، والجهات العالية في وسط وغرب الأطلس الكبير ، وتغوى الكمية السنوية النازلة عليها منه 400 ملم .

3 ( منطقة قليلة المطر لا تتعدى كميته في السنة 200 ملم تشتمل على القسم الجنوبي من السهول الغربية والقسم الشمالي من المغرب الشرقي ، وعلى الأراضي الواقعة في السفوح الجنوبية الشرقية لسلاسل جبال الأطلس ،

وهناك منطقة رابعة تكاد تكون عديمة المطر ، تنزل عليها منه سنوياً كمية تقل عن 200 ملم ، وهي تشتمل في الوسط على منطقة واقعة بين مراكش وآسفى ، وعلى النواحي الصحراوية والشبهية بها .

وأغزر المطر ينزل في الجهات المجاورة للمحيط الأطلسي ، وهو يتحكم في الزراعة والنبات على العموم تحكماً قوياً ، وينزل الثلج على علو 600 - 1.000 م قوياً أو ضعيفاً حسب موقع الأرض وتعرضها للمطر والهواء ، ويبقى جامداً بضعة أيام أو أسابيع على ارتفاع 1.000 - 2.000 م ، ومن 6 الى 9 أشهر ( أكتوبر - يونيو ) إذا تجاوز ارتفاع الأرض 2.000 م .

ويمكن تقسيم السنة الى فصلين : أحدهما رطب ممطر من نونبر الى أبريل ، وثانيهما حار جاف من مايو الى أكتوبر .

أما الجو فانه يكون لطيفاً ومعتدلاً بالسواحل ، ولكن يبدأ تفاوته بمجرد ما تمتد الى الأرض الى الجنوب ، ولا يعرف الجليد فيما تحت الجديدة ، ويبلغ متوسط درجة الحرارة في الساحل 19 في الصويرة والجديدة ، و 20 في آسفى ، و 17 في الدار البيضاء والرباط وطنجة ، وفي الداخل تشتد الفروق بين حرارة النهار وبرودة الليل ، وبين حرارة الصيف وبرودة الشتاء ، والليالي باردة على العموم ، فمتوسط درجة الحرارة بمكناس ( علو 500 م ) 18 درجة ، وبفاس ( علو 376 م ) 19 درجة ، مع درجة 1 دنيا في شهر يبرابر ودرجة 44 عليا في شهر غشت ، وفي مراكش التي يبلغ علوها فوق سطح البحر 45 م تنزل درجة الحرارة الدنيا في شهر يناير الى ما تحت الصفر ، وتصل الدرجة العليا الى 45 في شهر غشت .

## مياها

وكما تختلف أحوال الطقس بحسب المناطق تختلف حالة المياه تبعاً لها ، فهي غير متناسقة في جميع جهات المملكة المغربية ، غير أنها هنا أكثر منها في المغربين الأوسط والأدنى مجتمعين ، ويرجع السبب في ذلك

الى ارتفاع الجبال ، وغزارة الأمطار ، ونزول الثلج بوفرة وانعقاده شهوراً عديدة فوق الجبال حيث يبقى ذوبانه يغذى باستمرار مجارى أودية وأنهار يوجد حفافها أينما صبت - الخصب والحياة .

وتمثل أنهار المغرب وأوديته أهمية بالغة فى حياته الاقتصادية ، ويقدر متوسط الكمية الجارية فيها جرياً متواصلاً بنحو 310 متر مكعب فى الثانية ، وهى نستغل فلاحياً وتستخرج منها الطاقة الكهربائية ، ولكنها رغم ذلك لا تبلغ من الأهمية ما يبلغه أحد الأنهار المتوسطة بأوروبا .

والأنهار التى تصب فى المحيط الأطلسى هى أطول أنهار المغرب وأغزرها ماء ، منها نهر لكوس الذى ينبع من منطقة جباله ويصب بالعرائش بعد ما يقطع 100 كلم سيراً ، ونهر سببو الذى ينبع من الأطلس المتوسط ويحمل فى بدايته اسم وادى كيكو ، ثم يسير مسافة 600 كلم متعرجاً متضخماً بما ينصب فيه من روافد حتى يصب عند المهدية بعد ما يصبح عرضه 300 م وتبلغ كمية المياه الجارية فيه أيام الفيضان 2.000 متر مكعب ، ولكنها تنقص حتى تصل الى 15 م مكعب فقط فى أيام الصيف ، وهو النهر الوحيد الذى بنى عليه مرسى داخلى فى المغرب ( القنيطرة ) ، ويتحدث المؤرخون ان السفن كانت تصعد فيه الى فاس . ونهر بو وقرارق الذى ينبع من منطقة زيان ويصب بين الرباط وسلا بعد ما يقطع مسافة 250 كلم ، ونهر أم الربيع الذى هو أكبر أنهار المغرب وأكثرها انتظاماً ، ينبع من جبل حيان بالأطلس المتوسط ويمر بخنيفرة وتادلة ، ويتضخم بالروافد التى تنصب فيه مثل وادى العبيد ووادى تيساوت ، ويصب عند أزموور بعد ما يقطع 550 كلم ، وواد نسيقة ( تنسيقت ) الذى ينبع من الأطلس الكبير ، ويسير مسافة 270 كلم حتى ينصب بين آسفى والصويرة ، ووادى سوس الذى ينبع من الأطلس الكبير ويمر برودانة ( تروانت ) ويصب قرب أكدير وقد بلغ طوله 200 كلم .

أما الأنهار التى تصب فى البحر المتوسط فهى أقل من الأولى أهمية . أكبرها نهر ملوية الذى يبلغ طوله 480 كلم وينصب غرب جبال بني

بنزاسن ، تليه أودية صغيرة مثل وادي كرت و وادي غيس و وادي نكور و وادي لاو و وادي مرتيل .

وهناك أودية وأنهار تعتبر صحراوية وإن كان مصب بعضها في المحيط الأطلسي تنبع من المنحدرات الجنوبية للأطلس وتتجه مجاريها نحو الصحراء فتغيض مياهها في الرمال ، أكبرها وادي دوعة الذي يبلغ طوله 200 كلم ، و وادي غريس و وادي زين اللذان يتكون من التقائهما وادي الداورة ، و وادي كير و وادي زوسفانة اللذان يتكون من التقائهما وادي الساورة الشهير الذي تقع عليه واحات إقليم توات .

وقد بنيت على بعض أودية المغرب وأنهاره سدود لخزن المياه اللازمة للسقي وتوليد الطاقة الكهربائية ، مثل سد القنصرة المقام على وادي بهت الذي يخزن 227 مليون متر مكعب من الماء ويسقي 37.000 هـ من الأراضي الخصبة بناحية سيدي قاسم وسيدي سليمان ، وسد بين الويدان المقام على وادي العبيد الذي يخزن مليار و 300 مليون متر مكعب من الماء ، ويسقي 150 ألف هكتار من سهول تادلة ويولد 560 مليون كيلواط من الكهرباء ، وسد ايمفوت المقام على وادي نفيس الذي يخزن 46 مليون متر مكعب من الماء ويسقي 146.700 هـ من سهول عبدة ودكالة ، وسدي مشرع حمادي ومشرع القليلة المقامين على وادي ملوية اللذين تقدر دائرتهما السقوية بـ 60 ألف هكتار من أراضي بني يزناسن وقلعية بالمغرب الشمالي الشرقي .

وبكل جهات المغرب الأقصى آبار وعميون وبحيرات وضائيات وشطوط يمكن اعتبارها جزءاً من الشبكة الهيدرولية التي ينتفع بها المغاربة في معاشهم ومكاسبهم الزراعية والصناعية ، تضاف إليها أنهار وجداول باطنية تسقي منها بعض القرى بجبال الأطلس والواحات بالصحراء .

## سواحلها

للمملكة المغربية واجهتان بحريتان ، احدهما شمالية على البحر المتوسط في مقابلة السواحل الإسبانية ، يبلغ طولها 468 كلم ، وهي صخرية

متفرسة تنفتح بين المسافة والمسافة عن فرضيات تشبه أقواساً لا تجعل السفن التي ترسو فيها في حوز حريز من التيارات المائية والعواصف الهوائية الآتية من مضيق جبل طارق، ويعسر الاتصال بين هذا الساحل والداخل بسبب السلسلة الجبلية المعترضة خلفه ، ويربط ساحل المغرب المتوسطي بساحله الأطلسي بحر الزقاق المسمى حديثاً بمضيق جبل طارق الذي لا تزيد المسافة الفاصلة بين شاطئيه الإسباني والمغربي عن 17 كلم في بعض النقاط ، وقد ازدادت أهمية هذا المضيق بعد حفر قناة السويس إذ أصبحت تمر به آلاف السفن غادية رائحة بين مختلف القارات ، وفي أقصى طرفه الغربي توجد مدينة طنجة كما توجد في أقصى طرفه الشرقي مدينة سبتة ، وإلى الشرق منها يوجد مرسى الحسيمة ومرسى مليلية ، وتتخلل المرتفعات الجبلية والرهوس الخارجة في البحر من هذا الساحل بعض الشواطئ الرملية الجميلة التي يقصدها الناس من الداخل والخارج للاصطياف ، مثل شط سمير Restinga وشط مرتيل وشط السعيدية .

والواجهة الثانية غربية تمتد على المحيط الأطلسي في الجزء المحرر من المملكة مسافة 835 كلم من رأس شبرتال Cap Spartel الذي هو أعلا نقطة بالساحل الغربي للقارة الأفريقية إلى رأس جوبي Cap Jobi بجنوب إقليم طرفاية ، وهو ساحل رملي منخفض تبرز من قسمه الأوسط والجنوبي بين الحين والحين رؤوس بحرية منطلقة من الجبال الداخلية ، ولا توجد فيه مراسي طبيعية آمنة ، ويتصل هذا الساحل مع داخل البلاد بسهولة بواسطة طرق جيدة وسكك حديدية ، وعليه توجد المراسي المغربية الكبرى مثل الدار البيضاء وفضالة وآسفي وأكدير والقنيطرة ( داخل ) ومراسي أخرى دونها أهمية مثل العرائش والجديدة والصويرة وطرفاية .

## تربتهما

تقل التربة المنبثة في السلاسل الجبلية التي تكثر فيها الشعاب - أو تنعدم بالمرّة ، لأن هذه الشعاب لا تمكن مياه الأمطار من الاستقرار والنفوذ إلى باطن الأرض . بل تحولها إلى سيول - تقوى وتضعف حسب قوة المطر

وضعه - تنحدر بسرعة جارفة معها التربة والحجارة والأشجار ، ولكن السهول والأودية على عكس ذلك تغطيها باستمرار طبقة من التراب أو الرواسب التي تخلفها السيول النازلة من الجبال ، وفي المغرب أنواع من التربة يدعى كل منها باسم عربي أو محلي حسب نوعه ولونه ، فالتربة السوداء التي تتشقق أثناء يابسها البطيء تدعى **التيرس** وهي أخصب تربة بالمغرب ، وتوجد في سهول الغرب والشاوية وعبدية ودكالة ومراكش ، والتربة الحمراء التي تيبس بسرعة تدعى **الحمري** وأكثرها جيد لما يخالطها من مواد مقوية كالجير والحامض الفوسفوري ، والتربة الرملية تدعى **الرمل** وهي دون الترتينين السابقين خصوبة لقلة المواد المقوية المختلطة بها وعدم ثبوتهما . والتربة الرسوبية تدعى **الدھس** ، والتي يخالطها الحصى بكثرة تدعى **الحروشة** ، وجميع هذه الأنواع منزرع لكن درجة الخصوبة ترتفع في بعضها وتنخفض في البعض الآخر .

## نباتها

يقع النبات تحت تأثير الطقس والتربة والموقع ويتكيف تبعاً لها ، فكلما غزر المطر وطابت التربة وحسن الموقع نما وبسق وأعطت الفلاحة غلات وفيرة ، وكلما نزر المطر وخبثت التربة وساء الموقع نكد وتضاءل وقلت الغلات والمحاصيل الزراعية .

وينسجم النبات مع اعتدال الحرارة أكثر مما ينسجم مع وفرة الماء ، فإذا ارتفعت درجة الحرارة تبخر الماء بسرعة وعجز النبات بالتالي عن النمو ، ولهذا نرى منطقة تادلة تكاد تكون قاحلة من شدة الحر رغم أنها من المناطق التي تنزل عليها كميات وفيرة من المطر .

وقد أحصى العلماء الطبيعيون نحو 4.000 نوع من النبات في المغرب ، أغلبها من الأنواع المعروفة في أقطار البحر المتوسط ، وأقلها وهو الذي ينبت على أبواب الصحراء خلف جبال الأطلس - يمت بالنسب والقربى إلى نبات المناطق الانقلابية والاستوائية .



وتوجد في المغرب خمس مناطق نباتية :

1 ( المنطقة الجبلية الشمالية المجاورة للبحر المتوسط الممتازة باعتدال هوائها ووفرة مياهها ، وفيها يكثر الشجر المثمر كالزيتون والليمون والكرم والتين والجوز واللوز والرمان وغيرها . والشجر الغابوي كالخروب والبلوط والصنوبر والأرز والعرعار ، وفي السهول والنجود التي تتخلل جبال هذه المنطقة تزرع أنواع الحبوب والقطاني والخضر ، وعلى جوانب أوديتها وشعابها تنبت أنواع عديدة من الحشائش والبقول التي تتألق أنوارها وتعبق أزهارها .

2 ( المنطقة الساحلية الغربية وهي أخصب مناطق المغرب الطبيعية وأكثرها سكاناً ، مطرها غزير ، وجوها بارد شتاء معتدل صيفاً ، تنبت فيها الحبوب والأشجار المثمرة على اختلافها وتحيط بمدنها وقراها غابات الزيتون ، كما تنتشر في سائرها غابات عادية كثيفة الأشجار متشابكة الأغصان ، من أهمها غابة المعمورة بين نهري سبو وأبي رقراق التي يبلغ طولها 60 كلم وعرضها 40 كلم ومساحتها 135.000 هـ .

3 ( منطقة الجبال الأطلسية ، وهي منطقة يشتد فيها البرد فيؤثر على النبات ، ففي مرتفعاتها التي يزيد علوها على 3.000 م لا تعيش أشجار الزيتون والفواكه ، وإنما يوجد في وهادها وشعابها أشجار العرعار والجوز والنباتات العطرية والصيدلية كالزعتر والحناء والورد . وتكفل الأطلس المتوسط والأطلس الصغير غابات الأرز والصنوبر فتكسيهما خضرة وجمالاً وهذه المنطقة غزيرة الأمطار . منها ينبع جل أودية المغرب ، وتقع بينها نجود عالية بعضها يزرع وبعضها ترعاه الدواب .

4 ( منطقة المغرب الشرقي ، وهي منطقة يشتد حرها صيفاً وبردها شتاء ويقل مطرها بصفة عامة ، وتمتاز بوفرة الأعشاب وكثرة المراعى التي تسرح فيها أنواع الماشية من غنم وبقر وخيل وابل ، وتغطي الحفلة

مساحات شاسعة منها ، ويعتنى سكانها بالسقى نظراً لاختلال نزول المطر فى الموسم الفلاحى .

5 ) المنطقة الصحراوية وهى عبارة عن تلال ونجود ومفاوز رملية قاحلة يشتد حرها ويقل مطرها ، فلذلك انعدمت فيها الزراعة وقل النبات الا بعض الأعشاب والشجيرات الشوكية ، وتوجد فيها واحات جميلة يكثُر فيها النخل وأنواع من الشجر المثمر ويزرع فيها القمح والشعير وبعض الخضر على قلة ، ويعتمد أهلها فى معاشهم على تربية الأبل ونقل السلع والمنتجات بين مدن الصحراء وقراها .

وقد استنبتت بالتربة المغربية نباتات بقلية وشجرية عديدة مستوردة من الخارج فنبتت فى حالات مماثلة لنباتها فى موطنها الأصلية ، ومن هذه النباتات الجديدة شجر الكاليتوس المستورد من أستراليا والصبار المستورد من أمريكا ، والقطن والرز والبنان ، واستنبت الكاكاو بناحية أصيلة فنبت وأعطى غلات وفيرة ، كما جربت زراعة الشاي فى نفس الناحية بنجاح .

## غاباتها

تغطى الغابات فى المملكة المغربية 3.500.000 هـ ، وهى موجودة فى كل جهة ، لكن بعضها منفصل عن بعض ، كما أن كل غابة تنفرد بنوع من الشجر ، وقليلة هى الغابات التى تتعدد فيها أنواعه .

وينبت شجر الفرشى ( الفلين ) على علو 100 - 800 م وتغطى غاباته 250.000 هـ من أراضي زموور وزعير وزيان .

وتوجد غابات الأرز الجميلة فى الأطلس الساحلى ( كتامة ) والأطلس المتوسط جنوبى فاس ومكناس خاصة فى مرتفعات تيكريكورة وكيكو ، وهى تنمو على علو 1100 - 2300 م ويبلغ طول بعضها أزيد من 50 كلم .

ويوجد الصنوبر والعرعار بجهات كثيرة من الأطلس كما يوجد شجر الهركان ، وهو نوع من الزيتون الوحشي ينبت بالجنوب ما بين وادي درعة ووادي نسيغة ( تنسيغت ) ، وتغطي غاباته ما يزيد على 700.000 هـ .

وتغل الغابات المغربية كل سنة 100.000 م . م من الخشب الصالح للنجارة ، و 2.000.000 م . م من الحطب ، و 52.000 ط من الفحم ، و 50.000 طن من الفرش .

ويمكن عد منابت الحلقة من الغابات ، وهي تغطي بالمغرب الشرقي 2.000.000 هـ تغل سنوياً أزيد من 120.000 طن .

وتبذل الدولة مجهوداً كبيراً للمحافظة على الغابة وتوسيع مساحتها ورواقبتها من الحريق وتجرب غرس أنواع جديدة من الشجر بها ( 2.994.862 شجرة من مختلف الأنواع سنة 1963 ) ، كما تنظم استغلالها للصالح العام من جهة وصالح السكان المجاورين لها من جهة أخرى .

## فلاحتها

المملكة المغربية قطر فلاحي قبل كل شيء ، يعمل 80 ٪ من سكانه في الفلاحة ويتعيسون منها ، لذا تستأثر التنمية الزراعية والشؤون القروية على العموم بحظ وافر من اعتماد الحكومة والمصالح المركزية والجهوية .

وتبلغ المساحة المنزرعة بها 11.000.000 هـ يزرع نصفها فقط ، وأطيب الجهات التي توجد فيها الزراعة هي جهات الغرب وحوض سبو والشاوية ودكالة وعبدة وحوز فاس وحوز مكناس ( سهل سايس ) وحوز وجدة ( أنكاد ) وسهول تادلة .

وقد بلغت صابة المغرب سنة 1964 - 8.894.000 ق من القمح ، و 3.064.000 ق من الفريضة ( القمح الطري ) ، و 11.684.000 ق من الشعير ، و 3.197.000 ق من الذرة ، و 639.000 ق من البشنة ، و 2.149.000 ق من

القطاني ( الفول والحمص واللوبياء والجلبان والعدس ) وبلغت صابته من الرز الذي نجحت زراعته بناحية القنيطرة 195.000 ق سنة 1963 .

وتنتشر زراعة الخضر بالقرب من المدن والقرى الكبيرة ، وفي المزارع العصرية التي تتوفر لها وسائل النقل السريع ، وقد بلغ سنة 1963 مجموع الانتاج منها 1.100.000 طن ، منها 225.300 طن من البطاطا ، و 175.000 طن من الماطشة ، و 84.100 طن من الفول الطرى .

وتزرع بالمغرب نوازة الشمس التي تعصر بذورها زيتا ، والقطن ( 89.600 ق سنة 1964 ) والطابا ( 8.400 طن سنة 1963 ) والشمندر السكري ( 181.000 طن سنة 1964 ) الذي يذهب الى مصانع السكر المحلية .

وتغطي حقول الدالية 25.000 هـ بلغ ما أنتجته من العنب 417.000 طن سنة 1963 ويقدر انتاج المغرب السنوي من الخمر بمليونى هيكتولتر ، ولكن الدولة تجد مصاعب في تصريفه في الخارج رغم جودته بسبب القيود التي فرضتها فرنسا على دخوله اليها وهي التي كانت أكبر مستورد له .

ومما يعتنى الفلاحون المغاربة باستنبات النباتات التي تدخل في الصناعة العطرية ، كالورد وزهر الليمون والنانج والعطرشة والنعناع والفل والقرنفل والياسمين، وكذلك النباتات الأخرى التي تدخل في الصناعة الصيدلية.

وينبت بالمغرب الأقصى جل الأشجار التي تنبت بأوروبا الجنوبية والوسطى . ويوجد به من الزيتون 12.700.000 شجرة أنتجت سنة 1963 - 145.000 طن من الزيتون و 8.800 طن من الزيت ، ومن الأشجار الحامضة ( البرتقال والليمون والماندرين ) 2.276.000 شجرة أنتجت 481.000 طن سنة 1962 ، ومن اللوز 13.288.000 شجرة أنتجت 9.200 طن سنة 1963 ، ومن المشمش ( 16.200 طن ) والتين ( 61.000 طن ) والجوز ( 5.625 طن ) والتفاح والاجاص والبرقوق والخوخ والرمان الشيء الكثير ، أما النخل الذي يبلغ عدد شجره 4.885.000 فقد جنى منه سنة 1963 ما وزنه 79.500 طن .

## حيوانها

يوجد بالمغرب أنواع الحيوان المعروف بأقطار حوض البحر الأبيض المتوسط ، سواء منه الطائر في الفضاء والسباح في الماء ، والماشى أو الزاحف على الأرض ، ومن الثابت تاريخياً أن أنواعاً كثيرة من الحيوان انقرضت فسى عصر ما قبل التاريخ بسبب التقلبات الجوية ، وان أنواعاً أخرى انقرضت فى العصور التاريخية بسبب القنص والصيد ، ومنذ خمسين سنة فقط كسان بالمغرب الأسد والنمر والفهد وأنواع أخرى من السباع شجعت الحكومة على القضاء عليها لفتكها بالناس والدواب .

وللمغاربة ولوع بتربية الحيوان الأنيس سواء منه الذى يؤكل أو الذى يستعمل فى الأشغال الزراعية أو الذى يستغل تجارياً ، وقلما يوجد بالأرياف دار أو خيمة خالية من حيوان يربى ، ومن المغاربة **كسابون** لا يشتغلون بغير تربية الحيوان . وقد كانوا يتولون ذلك حتى بالمدن داخل زارئب مخصصة لذلك .

لكن يلاحظ أن هؤلاء الكسابين لا يخدمهم الحظ باستمرار ، ويرجع السبب فى ذلك الى اختلال نزول المطر من جهة ، وعدم العناية بتوفير العلف والخطائر من جهة أخرى ، لذلك تسعى الادارة المغربية جاهدة لتوفير المراعى وارشاد الكسابين الى أقوم الطرق التى يجب اتباعها لتربية الحيوان تربية تجعل عدده ونوعه فى المستوى المطلوب .

وفى سنة 1963 كان عدد الحيوان بالمغرب يقدر كما يلى : 15.000.000 رأس من الغنم ، و 7.4.00.000 رأس من الممر ، و 2.900.000 رأس من البقر ، و 100.000 من الخيل ، و 200.000 من الابل بلغ ما انتجته 186.000 طن من اللحم ، و 16.500 طن من الصوف و 520.000.000 لتر من الحليب .

أما الطيور فهى وفيرة ، وتعرض فى الأسواق للبيع بكثرة وكذلك بيضها ، وقد أنشئت فى السنين الأخيرة خطائر لاستفراخها وتربيتها بالطرق الآلية ، كما أنشئت الخلايا الصناعية لتربية النحل واستخراج العسل منه ، وتربية دود القز الذى يغزل حريراً .

## صيدھا

والبحر هو أيضاً مجال من مجالات الكسب ومصدر من مصادر الثروة للمغاربة ، فالشواطئ المغربية ولاسيما الأطلسية منها تزخر بما يولد فيها من أنواع السمك والحيوانات البحرية ، لهذا يقصدها الصيادون بزوارقهم وسفنهم من فرنسا وإسبانيا والبرتغال مثلما يصطاد بها المغاربة أنفسهم ، وقد أنشئت في السنين الأخيرة أحواض خاصة بزوارق الصيد في مراسي فضالة وآسفي وأكدير زيادة على الأحواض التي كانت موجودة من قبل بالدار البيضاء وطنجة وغيرها . كما أحدثت بها أسواق لبيع السمك ومعامل لتعليبه ، ويعد مرسى آسفي أول مرسى سردينى فى العالم اذ تنزل به زوارق الصيد فى كل موسم ما لا يقل عن 80.000 طن من السردين تغذى معامل التعليب الموجودة فيه ( 127 مليون درهم 1963 ) ، ولا يقصر الصيد على الشواطئ بل يشمل أيضاً الأودية والأنهار التى يوجد بها أيضاً سمك كثير .

## معادنها

ليس استخراج المعادن فى المملكة المغربية بالأمر الجديد ، فمنذ قرون طويلة جرى استخراجها بالطرق البدائية وتصنيعها فى مصانع داخلية أو وسقها الى البلدان الأجنبية لتصنع هناك .

وقد نظم ظهير 19 يناير 1914 والظواهر التى عدلته شؤون البحث عن المعادن واعتبرت باطن التربة ملكاً للدولة ، كما أنشئ فى 15 دجنبر 1928 مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية الذى كلف فى البداية بالتنقيب - لحساب الدولة - عن المعادن والمناجم باستثناء الفوسفات ، ثم اتسع نطاق عمله فيما بعد فأصبح يشمل الاستغلال والتحويل والنقل والاشتراك مع الغير فى أعمال التنقيب والاستثمار .

وفى سنة 1963 انتجت مناجم الفحم الحجري بجرادة وحاسى بلال ( المغرب الشرقى ) 404.000 طن من الانتراسيت ، واستخرج من آبار النفط

بجبل سلفات ( سيدى قاسم ) 150.000 طن ، ولم يجر استغلال النفط الذى عثر عليه بسيدى غانم ( الصويرة ) لضعف احتياطه ، ولهذا ظل المغرب يعتمد فيما يخص الوقود السائل - على ما تكرر مضافى المحمدية من بترول مستورد من الخارج .

وفى السنة نفسها انتجت معادن المنغنيز 266.000 طن من المواد المعدنية و 69.000 طن من المواد الكيماوية ، واستخرج من معادن الرصاص والزنك المختلطين 106.000 طن من الرصاص و 59.000 طن من الزنك .

ويوجد بالمغرب النحاس بجبل صفرو وقرب أمزميز ولكن انتاجه ضعيف كما يوجد الكوبالت والانتيموان والايتان والفلورين والفضة ، وغالباً ما تكون هذه المواد مختلطة بمعادن الرصاص .

أما الفوسفات الموجود بين خريقة ووادي زم فقد استخرج منه 10.118.562 طن سنة 1965 وسق معظمها الى الخارج ، والمغرب يحتل المرتبة الثانية بين الدول المنتجة له بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالإضافة الى هذه المعادن الصلبة توجد بالمغرب عيون معدنية يؤمها الناس من الداخل والخارج للاستشفاء من الأمراض الجلدية والعصبية والمعوية ، من أشهرها حمة سيدى حرازم وحمة مولاى يعقوب ( فاس ) وحمة ولعاس ( الرباط ) .

## صناعتها

اشتهر المغاربة باتقانهم للصناعات اليدوية من قديم ، وكانت المصانع والمعامل المنتشرة بالمدن والقرى تلبى جميع الاحتياجات الوطنية وطرفاً من احتياجات الأقطار المغربية والافريقية ، أما الصناعات العصرية التى تعتمد على الآلات الضخمة والقوى المحركة البخارية والوقودية فانها لم تعرف بالمغرب الاقضى الا فى مطلع هذا القرن باستثناء بعض المطاحن والمطابع التى أنشأها الأجانب بالمدن الساحلية، وبعض المعامل الحربية التى أنشأتها الدولة بالداخل.

وقد عرقلت معاهدة الجزيرة الخضراء المنعقدة في 7 أبريل 1906 التنمية الصناعية لأن الحرية التجارية التي أقرتها والرسوم الديوانية ( الجمركية ) المنخفضة التي نصت عليها جعلت من المؤكد عجز أى صناعة تنشأ في المغرب عن الصمود أمام البضائع المصنوعة التي ترد من الخارج ، لكن نشأت - مع ذلك - بعض الصناعات العصرية التي لها ارتباطات بالزراعة والتغذية والبناء ، فأقيمت المطاحن والمعاصر في مختلف الجهات ، ومصانع الاسمنت والصابون والزجاج ومعالب اللحم والخضر والفواكه .

ولما استعاد المغرب الأقصى حريته سنة 1956 كان التصنيع في طليعة القضايا أولتها الحكومة المغربية عناية فائقة وشجعتها بمختلف الوسائل ، فازدهرت الصناعات الغذائية وصناعات الأدوات المنزلية مثلما ازدهرت صناعة الغزل والنسيج وصناعة التحويل ، وأقيمت مصانع السكر ومصانع المواد البلاستيكية والصيدلية ، ومصانع الكارطون وعجين الكاغيط والزجاج والفخار والأصباغ ومعامل تركيب السيارات والجرارات والآلات الكهربائية والالكترونية ومركب للصناعات الكيماوية باتسفي ومصافي البترول والزيوت النباتية والزفت والمدايق والمطابع ومعامل صنع الأحذية والزرابي وأفران صهر المواد الحديدية والمعدنية ، وتدرس الحكومة الآن مشروع بناء مركب للصلب قرب مدينة الناظور سيكون شروعه في العمل بداية عهد التصنيع الثقيل في المملكة المغربية .

## تجارتها الخارجية

وكما حالت معاهدة الجزيرة الخضراء دون تصنيع المغرب حالت دون تعادل الميزان التجاري ، لأن الحرية التجارية التي أقرتها بالنسبة لجميع الدول جعلت أبوابه مفتوحة على مصاريحها أمام الواردات الأجنبية ، فكانت قيمة الواردات بسبب ذلك تفوق دائماً قيمة الصادرات .

ويجرى جلي العمليات التجارية على طريق البحر جلباً ووسقاً ، وأقلها يجرى عبر الحدود البرية ، ومن أشهر المراسي المفتوحة في وجه التبادل



التجارى مع الخارج مراسى الدار البيضاء والقنيطرة وآسفى وطنجة  
وأكدبر والصويرة والجديدة والمحمدية ، وقد قدرت قيمة التجارة الخارجية  
بـ 150 مليون فرنك سنة 1912 وارتفع المبلغ الى 3 ملايين و 629 مليون فرنك  
( 3.170.000 ط ) سنة 1938 وإلى 421 مليار و 500 مليون فرنك ( 14.980.000 ط )  
سنة 1963 منها 227 مليار و 100 مليون فرنك ( 2.582.000 ط ) قيمة الواردات ،  
و 194 مليار و 400 مليون فرنك ( 11.943.000 ط ) قيمة الصادرات .

وتتكون الواردات على الخصوص من المواد المصنوعة كالآلات  
والسيارات وأدوات التجهيز والبتروول ، وتشتمل الصادرات على الفوسفات  
والحبوب والقطاني والبواكير والحوامض ومحفوظات السمك والجلد والصوف  
والثياب والزراوى والمصنوعات الجلدية والمواد المستخرجة من المعادن  
والمناجم .

## عدد سكانها

بلغ عدد سكان الجزء المحرر من المملكة المغربية 12.560.000 نسمة  
حسب احصاء سنة 1963 منهم 130.000 يهودى مغربى ، و 295.000 أجنبى  
معظمهم من الفرنسيين والاسبانيين ، ويزداد المغاربة 400.000 نسمة فى  
السنة ، بينما ينقص سنة بعد أخرى عدد الأجانب الذين تضعف المصالح  
الاقتصادية والادارية التي كانت بين أيديهم باستمرار ، وكذلك عدد اليهود  
الذين يغادرون المغرب للاستقرار النهائي فى فرنسا وكندا وفلسطين المحتلة .

وأهل المغرب مسلمون ديناً ، عرب أو متعربون لغة ، يتبعون فى  
العقائد مذهب أبى الحسن الأشعرى ، وفى الفقه مذهب مالك بن أنس ،  
ومنهم قبائل تتكلم الى جانب العربية لهجات بربرية ، وتنتشر اللغة الفرنسية  
فى الجنوب واللغة الاسبانية فى الشمال .

## أقسامها الادارية

تنقسم المملكة المغربية الى ثلاث عمالات وتسعة عشر اقليماً ، هى عمالة  
الرباط ، وعمالة الدار البيضاء البحرية ، وعمالة الدار البيضاء ، وأقاليم أكدير ،

وآسفي ، وبني ملال ، وتازة ، وتطوان ، والجديدة . والحسيمة ، وخريبقة ،  
وطرفاية ، وطنجة ، ومراكش . ومكناس ، والناظور ، وفاس ، والقنيطرة  
وقصر السوق ، وسطات ، ووجدة ، وورزازات .

وينقسم كل اقليم الى عدد من الدوائر ، وكل دائرة الى عدد من  
الجماعات البلدية والقروية .

## طرقها

يبلغ طول الطرق السيارية بالمغرب 50.000 كلم ، منها 6079 كلم  
طرق رئيسية جيدة تربط كبريات المدن ، و 4224 طرق ثانوية  
تربط المدن بالقرى ، والباقي طرق محلية . ويبلغ طول الطرق القطارية  
1780 كلم جميعها سكك عريضة بعضها مكرب وبعضها مضعف ، وهذه الطرق  
والسكك تربط أطراف المغرب الدانية والقاصية ، كما تربطه بالقطر الجزائري  
وسائر الأقطار المغربية .

وبالمغرب مطارات عديدة يستعمل بعضها في الأسفار الداخلية  
والخارجية ، وبعضها يستعمل في الأغراض العسكرية الصرفة ، وهناك  
مطارات أخرى مغلقة في الساعة الراهنة لعدم الحاجة إليها ، وأكثرها من  
المخلفات التي تركتها القوات الأجنبية بعد رحيلها .

أما المراسي فتنتشر على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية  
وهي مرتبطة بالمراسي الأوروبية والافريقية وغيرها ارتباطاً منتظماً بواسطة  
سفن لنقل المسافرين وأخرى لنقل السلع ، وقد دخلها وخرج منها سنة 1960 -  
19.000 سفينة بلغت حمولتها 26 مليون طن ، ولا يدخل في هذه الأرقام عدد  
السفن التي وردت على مرسى مليلية ومرسى سبتة الحاضعين للسيطرة الإسبانية.

## أشهر مدنها

وبالمغرب الأقصى مدن كبيرة ساحلية وداخلية ، اشتهر بعضها  
بمميزات دينية أو علمية أو إدارية أو اقتصادية ، من أهمها مدينة فاس

( 216.133 نسمة ) عاصمة المغرب السياسية والثقافية والاقتصادية الى سنة 1912 ، و **مراكش** ( 243.134 نسمة ) عاصمته التاريخية الثانية ، و **الرباط** ( 227.445 نسمة ) العاصمة الحالية ، و **الدار البيضاء** ( 965.277 نسمة ) أكبر مركز صناعى وتجارى ، و **تطوان** ( 101.352 نسمة ) و **طنجة** ( 141.714 نسمة ) و **مكناس** ( 175.943 نسمة ) و **وجدة** ( 128.645 نسمة ) .

## نظامها

نظام الدولة فى المغرب ملكى دستورى ، والملك فى المغرب رئيس للسلطة الدينية ( امام - أمير المومنين ) والدينية ، والملك الحالى هو صاحب الجلالة الملك **الحسن الثانى** المولود بالرباط يوم الثلاثاء 9 يوليوز سنة 1929 م ( 1 صفر عام 1348 هـ ) .

## أقاليمها السليبية

تعرض المغرب الأقصى خلال خمسة قرون لحملات وغزوات عديدة ما زال يتجرع مرارتها ، ويكابد غصتها ، ففى البداية شنت عليه الدولتان النصرانيتان اسبانيا والبرتغال غارات مكنتهما من احتلال جل شواطئه ، وكانتا مدفوعتين فى عملهما بوازع دينى ، وفى نفس الوقت بدأ الأنراك العثمانيون الذين ثبتوا أقدامهم فى الجزائر يسعون فى اخضاع أقاليمه الشرقية لحكمهم مستغلين انشغاله بمقاومة الغزاة الاسبانيين والبرتغاليين وكانوا فى سعيهم مدفوعين بحب السيطرة والتوسع ، وفى القرن الماضى بدأت فرنسا واسبانيا فتوحاتهما الاستعمارية التى انتهت بعد كفاح مريس طويل باستيلائهما التام عليه .

واذا كان المغرب الأقصى استطاع أن يسترد جميع المراسى التى استولت عليها اسبانيا والبرتغال فى الأول حتى لم يبق منها الا مرسى **هليلية** ومرسى **سبتة** وبعض الجزر الصغيرة المتناثرة أمام ساحله الشمالى ، واستطاع

أن يصد الأتراك الى ما وراء نهر تافنة ويتفقوا يا هم على جعل النهر حداً فاصلاً بين الأيالتين فإنه وجد صعوبات كثيرة بعد استقلاله سنة 1956 في استرجاع المناطق التي اقتطعتها من ترابه الدولتان المستعمرتان فرنسا وإسبانيا وألحق بعضها بالأقطار المجاورة له بينما اصطنع لبعضها كيان دولي قانوني بدون استشارته ولا موافقته .

وتشتمل الأطراف المسلوقة من المملكة المغربية على مناطق وأقاليم في الشرق والجنوب الشرقي ضمتها فرنسا الى مستعمرتها السابقتين بالجزائر ومالي ، وأخرى بالجنوب ضمتها في الأول تحت اسم ( موريطانيا ) الى مستعمراتها بأفريقيا الغربية الفرنسية السابقة ثم أنشأت منها دولة سمها ( الجمهورية الاسلامية الموريطانية ) ، كما تشتمل على المدن والجزر والقطاعات والأقاليم التي تستمسك بها إسبانيا بغير حق الا الحق الذي تمسك به انكلترا جبل طارق .

وفيما يلي بيانات جغرافية واقتصادية عن بعض هذه الأقاليم .

#### (1) جزائر ملوية :

ثلاث جزر صخرية صغيرة عديمة الأهمية تقع أمام رأس كبدانة Cabo de Agua غير بعيدة عن مصب نهر ملوية التي تضاف اليه ، تطلع الاسبانيون الى احتلالها بعد هزيمة المغرب في معركة يسلي سنة 1844 وقاموا باستطلاعات عسكرية حولها في نفس السنة ، ولما علموا باستعداد الجيش الفرنسي في الجزائر لاحتلالها سنة 1848 أرسلوا اليها حملة تجريدية أبحرت من مالقة تحت قيادة الخرنال سيرانو فوصلت اليها ورفعت عليها العلم الاسباني قبل وصول الأسطول الفرنسي ببضع ساعات .

وقد أنشأ فيها الاسبانيون معسكراً لجنودهم وفناراً لارشاد السفن وسجناً للمجرمين .

## (2) مليبية :

مدينة جميلة على ساحل البحر المتوسط بتراب اقليم الناظور احتلتها اسبانيا فى شهر شتنبر 1497 وحصنتها وشحنتها بالجنود لصد الهجمات التى لم يفتأ المغاربة يشنونها لطردهم منها ، ولم يزالوا يوسعون رقعة احتلالهم حتى صارت المساحة التى يسيطون عليها سيطرتهم 12 كلم .

وقد جعلوا منها منطقة حرة تجارية منذ سنة 1863 وألحقوها ادارياً باقليم مائقة ، سكانها 100 ألف نسمة جلهم من الاسبانيين .

## (3) حجرة نكور :

جزيرة صغيرة واقعة على مرمى السهم من مرسى المزمة ( الحسيمة ) احتلتها اسبانيا فى عهد كارلوس الثانى يوم 28 غشت 1673 وأنشأوا بها معسكراً تقيم به حامية عسكرية باستمرار .

## (4) حجرة بادس :

جزيرة صغيرة جداً تقع أمام ساحل قبيلة بقوية من اقليم الحسيمة على بعد مئة متر من مرسى بادس القديم ، ويصلها بالبر عند انحسار الماء ذارع رملي ، احتلها القائد الاسباني بييدرو نافارو يوم 23 يوليوز 1508 واسترجعها المغاربة سنة 1522 ثم أعادت اسبانيا احتلالها سنة 1564 وأنشأت بها معسكراً تقيم به حامية عسكرية باستمرار ، وسجناً للمجرمين .

## (5) سبتة :

مدينة شهيرة كانت من أهم مراكز الحضارة والثقافة بالمغرب ، وجه الدون جواو الأول ملك البرتغال لاحتلالها أسطولاً يتركب من 200 سفينة ويحمل على متنه 50.000 مقاتل بقيادة الدون ألفونسو كنت برسيلوس فوصل أمامها يوم 21 غشت 1415 ونزل إليها جنوده فاحتلوها واحتفظوا بها رغم ما

كبدهم احتلالها من نكبات ، ولما احتل الاسبانيون البرتغال سنة 1580 ألحقوها بممتلكاتهم وبقيت بأيديهم منذ ذلك التاريخ رغم ما بذل المغاربة لاسترجاعها من جهود وتحملوا من تضحيات .

تبلغ المساحة التي تبسط عليها اسبانيا سيطرتها بسبب وضواحيها 19 كلم مربع ، ويبلغ عدد سكانها 120 ألف نسمة ، وهي ملحقة ادارياً باقليم قادس من اسبانيا .

#### (6) يفنى :

منطقة واقعة باقليم اكدير على الساحل الاطلسي احتلتها اسبانيا سنة 1934 بمساعدة فرنسا ، وقد كان طولها يبلغ 90 كلم في عرض 25 كلم ، ولكن الثورة التي أوقد أهل تلك المنطقة نارها ضد المستعمر الاسباني سنة 1957 ضيقت رقعتها حتى صارت المسافة التي التي يتبسط عليها نفوذ الاسبانيين خارج مدينة سيدي يفنى لا تتعدى 3 كلم .

#### (7) الساقية الحمراء :

منطقة فسيحة واقعة بين اقليم طرفاية واقليم الداخلة ( وادي الذهب ) المحتل على المحيط الأطلسي ، بدأت اسبانيا احتلالها في بداية هذا القرن خرقاً لجميع الاتفاقيات الدولية المصرحة بمغربيته . تبلغ مساحتها 82.000 كلم ، ومقر ادارتها الاستعمارية في مدينة العيون .

#### (8) وادي الذهب :

يعرف هذا الاقليم في الوقت الراهن باسمه الاسباني وادي الذهب Rio de Oro واسمه العربي الداخلة ، وهو يمتد جنوب المنطقة السابقة مسافة 690 كلم على المحيط الأطلسي . وتبلغ مساحته 185.400 كلم مربع .

احتلته اسبانيا وحددت حدوده باتفاق مع فرنسا أثناء تفاهمهما على توزيع ( الغنيمة ) المغربية .

(9) موريتانيا :

هو الاسم الاستعماري الذي أطلقه الفرنسيون على إقليم شنكيط  
المغربي وما زال يحمله حتى الآن . ويمتد هذا الاقليم الفسيح الذي تبلغ  
مساحته 1.169.000 كلم من المحيط الأطلسى غرباً الى مالي شرقاً ، ومن منطقة  
تندوف شمالا الى نهر السنغال جنوباً .

بدأ الفرنسيون احتلاله في أول هذا القرن ، وسلكوه في سلسلة  
مستعمراتهم بأفريقيا الغربية الفرنسية السابقة تحت اسم ( موريتانيا ) ثم  
اصطنعوا له كياناً دولياً سنة 1961 وسموه الجمهورية الإسلامية الموريتانية .



## مراجع هذا الفصل (9) :

- الاستبصار ، في عجائب الأمصار - تأليف كاتب مغربي مجهول .
- الاستقصا ، لأخبار المغرب الأقصى - تأليف أحمد بن خالد الناصري .
- تونس الجديدة - تأليف صلاح الدين التلاتلي .
- جغرافية المدن المغربية - تأليف حسان عوض .
- جنى زهرة الآس ، في بناء مدينة فاس - تأليف علي الجزناني .
- الجغرافية المصورة للمغرب الجديد - تأليف عمر السباعي .
- جغرافية المغرب وسائر الوطن العربي - تأليف إبراهيم حركات .
- جغرافية الوطن العربي - تأليف الدكتور فيليب رقله وأحمد سامسي مصطفى .
- دائرة المعارف الفرنسية .
- كتاب الجزائر - تأليف أحمد توفيق المدني .
- كتاب العبر ( تاريخ ابن خلدون ) - تأليف عبد الرحمان بن خلدون .
- المعجب ، في تلخيص أخبار الغرب - تأليف عبد الرحمان التميمي السمراكشي .
- المغرب في عشر سنوات من الاستقلال - وزارة الأنباء المغربية .

- Algérie - Tunisie (Les Guides Bleus) .
- Le Grand Maghreb Arabe - Comité Permanent Consultatif du Maghreb .
- Maroc (Les Guides Bleus) .
- Population Légale du Maroc (Le Recensement Démographique Juin 1960) .

---

(9) لا ينضمّن الثّبت أسفله إلا أهمّ المراجع ، والحقيقة أنّ الفصل المتّقدم اعتمد في تحريره على عشرات من الكتب والنشرّات الجغرافية والاقتصاديّة والإحصائيّة التي ألفت عن أنظار المغرب العربي . وكذلك الوثائق والمستندات التي أصدرتها حكوماته ، وعلى المعلومات الخاصّة .



## عصور التاريخ المغربي

لا ننوي أن نؤرخ في هذا الفصل بتطويل لأقطار المغرب العربي ، لأن هذا التاريخ أكبر من أن يقوم به فرد وأوسع من أن يستوعبه عمر انسان ، وإنما ننوي أن نستعرض باختصار الدول والأسر التي حكمتها منذ بدء الخليقة الى الآن ، وكذلك الغزوات الأجنبية التي تعرضت لها خلال تاريخها الطويل ومكنت بعض الدول والشعوب والجماعات الآتية من البر أو البحر أن تسيطر عليها - كلا أو بعضاً - فترات من الدهر طويلة أو قصيرة خلقت آثاراً عميقة أو سطحية في حياتها السلالية والاجتماعية .

وقد يبدو هذا الاستعراض زائداً في كتاب لا يؤرخ لبلدان المغرب وإنما يعرف بقبائله ، ولكنه سيظهر ضرورياً كالفصل الجغرافي المتقدم ، إذ لا مندوحة لمن يريد التعرف على أنساب القبائل المغربية ومواطنها وفروعها وأصولها من الالمام بشيء من جغرافية وطنها وتاريخه .

ويمكن لكل مؤرخ - وطني أو أجنبي - أن يقسم تاريخ الأقطار المغربية الى عدد من العصور حسب اجتهاده أو حسب ميوله وأهوائه ، وقد ارتأيت أن أقسمها في هذا الكتاب الى ثلاثة عصور أثرت تأثيراً كبيراً في التطور السياسي واللغوي والسلالي والاجتماعي للأمة المغربية ، وهذه العصور هي :

(1) عصر ما قبل الاسلام الذي يبتدىء من بداية التاريخ الى بداية الفتح الاسلامي لبلاد المغرب سنة 643 م ( 22 هـ ) .

(2) العصر الاسلامي ويبتدىء من الفتح الاسلامي سنة 643 م الى غزو الجيش الفرنسي للجزائر سنة 1830 ( 1246 هـ ) .

3) العصر الحديث ، وهو مندمج في العصر الذي قبله باعتبار ان البلاد المغربية بقيت محافظة على طابعها الاسلامى - العربى ، ولكنه يمتاز بخروج المغرب من ظلام القرون الوسطى ودخوله فى عهد جديد وصله بأسباب المدنية المعاصرة عن طريق الدول الاستعمارية التى بسطت سيطرتها بالتدريج عليه ، ثم انزاحت تلك السيطرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ويبتدىء هذا العصر من سنة 1830 وهو مستمر الى الآن .

ولست بغافل عن عصر رابع هو عصر ما قبل التاريخ ، ولكنه عصر يدل اسمه على أن العقل البشرى لم ينفذ بعد الى أغواره ، لذلك لا نريد فى هذا الفصل أن نضيع الوقت فيما لا طائل وراءه من احتمالات وتقديرات .

## عصر ما قبل الاسلام

814 ق . م - 643 ب . م

يشتمل هذا العصر على تاريخ ورود الفينيقيين على المغرب وقيام دولة قرطاجنة البونيقية . ثم استيلاء الرومان عليه وتنظيمه ، ثم عبور الواندال اليه وتخريبهم لمعالم الحضارة البونيقية والرومانية ، ثم مجيء الروم البيزنطيين واستقرارهم به الى ظهور الاسلام ؛ مع ما صاحب ذلك كله من قيام ممالك وامارات بربرية .

## دولة قرطاجنة البونيقية

814 ق . م - 146 ب . م

يبتدىء تاريخ المغرب بمجىء الفينيقيين اليه واستقرارهم بسواحله وانشائهم لدولة قرطاجنة العظيمة التى هى اول دولة حاكمة معروفة فيه ، والفينيقيون شعب شرقى من شعوب الامة الكنعانية السامية ، ينتسبون الى

وطنهم فنيقيا الواقع في ساحل الشام بين جبل لبنان والبحر ، وأشهر مراسيه طرابلس الشام وبيروت وصيدا وصور ، وقد كانوا قوماً تجاراً يعتمدون على البحر في كسب قوتهم نظراً لضيق رقعة وطنهم ووعورة أرضه واحاطة الأعداء بهم ، فكان لهم أسطول كبير يسافرون به الى الاقطار القاصية والدانية متبحرين ، واستمروا على ذلك الى ان بدأت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد أم بحرية جديدة تراحمهم في التجارة عبر البحار ، فشرعوا يفكرون حينئذ في الهجرة الى المغرب أو تحويل مراكز نشاطهم التجاري الى شواطئه على الأصح ، ولم يمض زمن طويل حتى صار لهم نحو 500 مركز تجارى بساحل البلاد المغربية وداخليتها .

وفي سنة 814 (10) قبل الميلاد فرت الأميرة جونو (IX) أرملة اسرباس رئيس كهنة صور من ظلم أخيها بيغماليون المستبد بالملك دونها والمستأثر بثرات زوجها ونزلت بساحل المغرب الذي كانت سبقتها اليه طوائف من قومها الفنيقيين ، فاشترت قطعة من أرض جبل برسة قرب تونس ، وبنت بها مدينة أضيفت الى اسمها فعرفت في الأول باسم قرت - جونو أى قرية جونو الذي تحرف الى قرطاجنة فيما بعد . ولما شاع خبر تأسيسها قصدتها الناس من فنيقية وسائر سواحل البحر الأبيض المتوسط ، فانتشر بنيانها ونما عمرانها وكثر سكانها حتى بلغ عددهم 300 ألف ساكن على أقل تقدير ، وأصبحت قرطاجنة منذ ذلك التاريخ حاضرة الحوض الغربى للبحر المتوسط وأكبر مراكزه التجارية ، وعاصمة دولة شرقية الأصل بأرض مغربية الموقع .

وكان من الضروري للدولة الجديدة التى نشأت بقرطاجنة أن تؤسس حكومة تدبر أمورها وتحفظ أمنها وتدافع عن حدودها ، فانشأت نظاماً جمهورياً تحت رئاسة شيخين ينتخبهما الشعب من أسرتين مختلفتين لمدة سنة أحدهما

---

(10) نختلف الروايات التاريخية في تحديد زمن ورود الفنيقيين على المغرب ، فمنهم من يجعله في سنة 880 ق . م ومنهم من يجعله في غير تلك السنة ، ويبدو من الروايات المتعددة ان التاريخ الذي اتبناه أقرب الى الصواب .

(11) تسميها روايات تاريخية أخرى عليشة ديدو .

يتولى الأمور المدنية والآخر يتولى الأمور العسكرية ولكن من غير أن يكون لأى منها الحق فى إبرام أسمر أو نقضه الا بالاتفاق مع صاحبه حتى ولو كان منه الأمور الخاصة به ، كما كان بجانبها فى الأول ثلاثة مجالس : واحد للنواب ، وثان للشيوخ ، وثالث للقضاء ، وقد اختصرت هذه المجالس الثلاثة فى القرنين الأخيرين من حياة قرطاجنة الى مجلسين فقط ، أولهما يدعى مجلس الثلاثين الذى من اختصاصاته فرض الضرائب ، وثانيهما مجلس العشرة ويختص بالأمور الدينية ، وبهذا النظام الاستشارى اشتهرت قرطاجنة بأنها أول دلة سنت نظام الحياة النيابية فى العالم ، أما الجيش الذى كان يبلغ عدده خمسين ألف جندى فقد كان يتركب من مرتزقة البربر والمأجورين من مختلف الأجناس ، لأن القرطاجنيين - ككل التجار - لم تكن تستهويهم الأمجاد العسكرية والمغامرات الحربية ، بل كان عنهم منصرفاً الى الاستغناء عن طريق التجارة والنقل البحرى .

وقد كان الحكم القرطاجنى ليناً سمحاً ، ولم يكن من خطة قرطاجنة تأسيس إمبراطورية بالقوة وبسط النفوذ بالعنف ، ولهذا اكتفت بحكم ما جاورها وجاور مراكزها التجارية على الساحل ، وتركزت حكم داخلية البلاد للملوك والأمراء البربريين ، وقد استمال هذا التسامح قلوب كثير من هؤلاء الملوك والرؤساء فكاثوا يتصاهرون مع القرطاجنيين ويقتبسون منهم الحضارة والثقافة ويقلدونهم فى طرق المعيشة ، حتى أصبح الامتزاج تاماً بين العنصرين وكونوا وحدة كاملة فى كل شىء وصار من العسير التفرقة بين مغربى من أصل فنيقى ومغربى من أصل بربرى كما حدث بين العرب والبربر فيما بعد ، ويرى بعض المؤرخين أن السبب فى ذلك يرجع الى وحدة السلالتين أو تقاربهما فى الغالب .

وقد اجتازت قرطاجنة من نشأتها الى تخريبها بعدة أطوار كانت فى بعضها مجرد تابع لأمها صور ، وفى بعضها عاصمة دولة قوية مزدهرة وفى بعضها الآخر عاصمة وهن عظم قوتها وتآلب عليها أعداؤها وخصومها وأخذت القرائن تدل على انها سائرة فى طريق الانهيار .

فخلال قرنين ونصف تقريباً ( 814 ق . م - 574 ق . م ) كانت قرطاجنة أكبر مركز تجارى فنيقي بغرب البحر المتوسط ينفذ السياسة التي يخططها حكام صور عاصمة الوطن الأصلي ، وكانت هذه السياسة تستهدف المحافظة على سيادة الفنيقيين بالبحار الغربية وتوجيه نشاط الأساطيل ونشاط جميع المراكز التجارية .

ولما سقطت مملكة صور في قبضة البابليين ودخلت تحت نفوذ ملكهم بختنصر سنة 574 ق . م انتقلت السيطرة على الأساطيل والمراكز التجارية من فنيقية الى المغرب ، وصارت لقرطاجنة في ذلك التاريخ أكبر قوة بحرية وتجارية بغرب البحر المتوسط . وهي قوة ورثتها في البداية عن فنيقية ثم نمتها بوسائلها الخاصة على عهد الملك ملقيس والماقونيين من بعده .

وكان اليونانيون يسيطرون في ذلك الوقت على اقليم برقة من ليبيا وبلاد الغال ( فرنسا القديمة ) وجزيرة كورسيكا وإيطاليا الجنوبية ، بينما كان القرطاجنيون يسيطرون على السواحل المغربية من خليج سرت الى المحيط الأطلسي ، وعلى النصف الغربي من جزيرة صقلية ، وقد أدى التنافس بين اليونانيين والقرطاجنيين الى نشوء حالة حذر بالحدود الفاصلة بين مناطق نفوذهم أفضت الى حدوث احتكاكات بين قواتهم ، ولم يؤخر هجوم اليونانيين على القرطاجنيين الا تحرش الفرس الذين استقروا بساحل الشام بهم ، وعقدتهم محالقات مع البونيقيين والأتوريين ( إيطاليا ) لتطويقهم وعزلهم ، ولكن اليونانيين استطاعوا بذكائهم ومهارتهم الصناعية والتجارية الاطاحة بذلك التحالف ، ووجهوا للبونيقيين ضربة عنيفة في هيمار بجزيرة صقلية سنة 480 ق . م ، كما هزموا الفرس في واقعة سلامين البحرية في نفس السنة ، وكسروا الأتوريين سنة 474 ق . م بمدينة كومة الواقعة في جنوب إيطاليا .

وبعد انهزام البونيقيين في واقعة هيمار طلبوا الصلح من اليونانيين فنالوه بعد لاي من الملك جيلون الاغريقي الصقلي ، فانكشمت قرطاجنة على نفسها وسلكت سياسة تقشفية بعد أن أغلقت أسواق الحوض الشرقي للبحر المتوسط أمام أساطيلها وتجارتها ، وادخلت عدداً من الإصلاحات على نظمها

الدستورية والاقتصادية ، والتفتت لأول مرة الى الأرض الافريقية التي كانت كأنها تعيش خارجها لانشغالها بأمور البحر ، وأقبلت على الزراعة لتتخلص من المجاعة والفقر ، وأرسلت بعثات استكشافية مكنتها من ارجاع ذخائرها المعدنية التي ألحقت بها هزيمة صقلية أضراراً فادحة . وقد وصلت بعثة خيمسكن الاستكشافية الى سواحل بلدان أوربا الشمالية كأنكلترا والدنمرك ، كما وصلت بعثة حنون الاستكشافية الى سواحل افريقيا الوسطى .

واستمرت قرطاجنة تستجم وتتربص دوائر السوء باعدائها الاغريق حتى سنحت لها الفرصة سنة 409 ق . م فجهزت حملة سارت الى صقلية تستفزها عواطف الانتقام وأخذ النار فاسترجعت مدينة هيمار ، ونكسنت باليونانيين تنكيلا فظيماً ، وبعد ذلك بدأ القرطاجنيون يقوون اقتصادهم ويوطدون علاقاتهم بالدول الأخرى ، فأبرموا معاهدة مع روما سنة 348 ق . م ، وانفتحت طرق الشرق في وجوههم من جديد ، بل عادوا الى مراكزهم السابقة ببلاد الاغريق التي أصبحت تتخبط في أزمة اقتصادية ، ولكن هذه النهضة الجديدة لم تدم طويلا ، لأن استيلاء قرطاجنة على كامل جزيرة صقلية بعد انتصارها على اليونانيين لفت نظر روما اليها ، فبدأت بينهما الاحتكاكات التي أدت الى نشوب ثلاث حروب عرفت في التاريخ بالحروب البونيقية ، استمرت أولاها من سنة 264 الى سنة 241 ق . م ، واستمرت الثانية من سنة 219 الى سنة 201 ق . م ، ودامت الثالثة من سنة 149 الى سنة 146 ق . م ، وانتهت بتخريب قرطاجنة والقضاء على الدولة البونيقية ، وقد بدأت هذه السلسلة من الحروب عندما شرع الرومان سنة 264 ق . م في مهاجمة مراكز قرطاجنة في جزر البحر المتوسط حتى استخلصوها لأنفسهم واستولوا على صقلية كلها سنة 241 ق . م ، ثم انتهزوا فرصة انشغال حكومتها بأخماد نثار الشغب الذي أحدثه المرتزقة فيها فاحتلوا جزيرتي كورسيكة وسردانية ، وفي هذه الأثناء تولى قيادة الجيش القرطاجني باسبانيا القائد الشهير حنيميل ( هنيسال ) بن أملكار ، وكان شديد الحقد على الرومان فعزم على غزوهم في عقر دارهم ، واجتاز اليهم جبال اليبيريني ( البرانس ) وجبال الألب وبدأ في محاصرة روما ، ولكن الرومان نقلوا الحرب الى قرطاجنة نفسها مستعينين

بعض أمراء نوميديا ، فاضطر حنيبعل الى رفع الحصار عن روما والعودة الى قرطاجنة مضجياً في سبيل انقاذها باسبانيا وبعض المراكز التجارية بسواحل المغرب ، ولما رجع ورأى الحزب المعارض لسياسته يتقرب من الرومان هاجر الى سوريا حيث تجرع كأساً من السم سنة 183 ق . م ليتخلص من الجواسيس الذين كانوا يقتفون أثره .

وكان مسينيسا أحد أمراء نوميديا من البربر المتعاونين مع الرومان يجهز يومئذ على نفوذ قرطاجنة ويتوسع على حسابها حتى اضطر حكومتها الى الاعتراف بسلطته وقبول أداء جزية سنوية له ، وكان مسينيسا الذي أذهلت فتوحاته روما يستهدف القضاء على كل سيطرة أجنبية ، ولكن روما فكرت في القضاء النهائي على قرطاجنة . فأرسلت سنة 149 ق . م جيشاً عمرما يشتمل على 80.000 جندي بقيادة سيبيون ايميليان Scipion Emelian فنازل الرومان المدينة سنة 147 وقاوم القرطاجنيون سبعة أيام تحت قيادة القائد أسد روبال ، ثم اضطروا الى الاستسلام بعد ان لم يبق بين أيديهم شيء يدافعون به ، فاحتل الرومان المدينة ، ثم بدا لهم فأحرقوها سنة 146 ق . م ففقدوا على حاضرة من أكبر الحواضر وعلى دولة من أعظم دول الأرض مدنية .

وقد كانت البلاد المغربية في العصر البونيقي مقسمة الى عدد من المناطق والأقاليم يدعى كل منها باسم خاص ، فعلاوة على التراب الوطني الذي كان يشمل قرطاجنة والأراضي القريبة منها كانت هناك مقاطعة **نوميديا** الممتدة منه الى وادي شلف غرباً ، وكانت نوميديا مقسمة الى طرف شرقي يسمى **ماسيليا** ، وقسم غربي يسمى **ماسيسيليا** ، وفي غرب نوميديا كانت توجد مقاطعة **موريطانيا** الممتدة من وادي شلف الى المحيط الأطلسي ، اما المناطق الصحراوية التي تقع خلف هذه المقاطعات فانها كانت تدعى **جيتوليا** التي يزعم بعض المؤرخين انها محرفة عن اسم **جدالة** .

## الحكم الروماني

146 ق . م - 439 ب . م

ينتسب الرومان الى رومولوس ملك اللتين باني روما ومؤسسها سنة 754 ق . م . وهم أمة آرية تتكون من شعوب عديدة وأجناس مختلفة ، كانوا يسكنون في الأول سهول ايطاليا وجبالها ثم علا أمرهم فصاروا في بعض العصور سادة الدنيا وحكام المعمور .

كانت بداية اتصالهم بالبلاد المغربية في القرن الرابع قبل الميلاد عندما عقدوا مع الدولة البونيقية بقرطاجنة معاهدة تعاون وسلام ، ثم كان الاتصال يزيد كلما ازدادت روما قوة ونظاماً الى أن نشأت بينهم وبين قرطاجنة منافسة أدت الى نشوب الحروب البونيقية التي انتهت بتخريبها سنة 146 ق . م ، ويظهر أن الرومان لم يكونوا في البداية يفكرون في الحلول محل قرطاجنة بجميع البلاد المغربية ، فقد اكتفوا في الأول باحتلال الأراضي المجاورة لقرطاجنة وفصلوها عن الامارات الوطنية بحدود هي عبارة عن خندق يمتد من طبرقة الى ناحية صفاقس وألحقوها تحت اسم **أفريقيا** بالجمهورية الرومانية ووضعوا على رأسها حاكماً رومانيا يقيم في أوتيكا Utica الواقعة شمال تونس .

ولم يكن الحكم الروماني سمحاً ولا متساهلاً كالحكم القرطاجني ، بل كان حكماً قاسياً يتسم بالظفرسة والظفان ، كما كانت سيرة الحكام الرومانيين فاسدة وسلوكهم سيئاً ، ولذلك ناصبتهم الامارات والقبائل البربرية العداء وشنت عليهم الهجمات ، ومن أشهر مقاوميه من البربر في السنوات القليلة التي تلت استقرارهم بالبلاد المغربية القائد البطل يوغورطة حفيد الملك مسينيسا ، فقد قاد الثورة ضدّهم سنة 110 ق . م وهزمهم قسرب مدينة قالمة في المعركة الشهيرة بوقعة سوتول ، وكرر عليهم الهزائم ، فلجأ الرومان الى الحيلة للتخلص منه ، وداخلوا بعض أمراء البربر في القبض عليه ، فتم لهم ما أرادوا بواسطة صهره بوكوس ملك موريطانيا الذي اعتقله سنة



106 ق . م وأسلمه اليهم فذهبوا به الى روما حيث مات أسيراً في أحد سجونها  
سنة 104 ق . م ، وكافأ الرومان الملك بوكوس بأن سمحوا له بالحاق نوميديا  
بمملكته الموريتانية .

ومع أن بوكوس ظل وفياً لروما فان عرشه تعرض لهزات عنيفة لم  
يكن الرومانيون اجنبيين عنها ، حتى اذا مات حوالى سنة 80 ق . م اقتسم ولداه  
بوغود وبوكوس الثانى مملكته . فكان للاول قسمها الغربى الذى يبتدىء من  
نهر ملوية وعاصمته مدينة تينجيس ( طنجة ) وكان للثانى ما وراء ملوية شرقاً  
الى حدود افريكا الرومانية .

ولما اضطربت الحالة بين الحزب الملكى والحزب الجمهورى بروما  
كان أمراء البربر بين مشايخ ومحايدين ، وقد أدى ذلك الى نشوب حرب بين  
الأخوين بوغود ملك موريتانيا وبوكوس الثانى ملك نوميديا انتهت بقتل الأول  
والحاق بمملكته بمملكة الثانى .

وخلال تلك الاضطرابات والحروب كان النفوذ الرومانى ينتشر ببلاد  
المغرب حتى أصبحت تعيش فى نظام يشبه نظام الحماية على عهد الملك  
البربرى جوبا الثانى ، فلما توفى هذا الملك سنة 23 م خلفه الملك بطوليمى ،  
وفى عهده ثار بنوميديا زعيم من البربر يسمى تاكفاريناس وشن الغارة على  
الرومان وهزمهم فى وقائع عديدة ، ولكنهم كانوا يعيدون الكرة عليه حتى قتل  
بالجزائر ، ولم ينج الملك بطوليمى من بطش الرومانيين رغم أنه ظل مسالماً  
لهم خلال ثورة تاكفاريناس فقتلوه سنة 41 م واذاك ثارت ثائرة البربر  
فهاجموا المراكز الرومانية فى كل مكان ، ولكن الرومان الذين كانوا فى ذروة  
القوة والنظام تغلبوا عليهم وفرضوا عليهم نظام الحكم المباشر سنة 42 م .

وكان الرومان شرعوا قبل فرض الحكم المباشر فى تنظيم المغرب  
ادارياً ، فقسموه الى ثلاث ولايات : افريقيا ، ونوميديا ، وموريتانيا ، وفى سنة  
27 ق . م أدمجوا طرفاً من نوميديا فى افريقيا القديمة وصارت الحدود تمتد من  
الوادى الكبير قرب جيجل الى اقليم برقة ، ولما وضع الامبراطور كلوديوس

بلاد المغرب تحت الحكم الرومانى المباشر أطلقوا عليها جميعا اسم موريتانيا ، وقسموها الى موريتانيا قيصرية نسبة الى عاصمتها سيزاريا ( شرشال ) ، وتشمل الجزء الشمالى من أرض الجزائر وتونس ، وموريتانيا طنجية نسبة الى عاصمتها تينجيس ( طنجة ) وتشمل الأرض الواقعة بين وادى ملوية والبحر المحيط .

وكانت العاصمة الرومانية الأولى بالمغرب هى عوتيقة ، ثم انتقل منها حاكم الامبراطور الى جنونيا التى هى قرطاجنة ، وكان لهذا الحاكم ( البروقنصل ) النظر المطلق فى الشؤون المدنية والعسكرية ، وكانت ولايته تستمر سنة ، فان احسن التصرف مد أمدھا سنة أو سنتين أو أكثر ، وان أساء التدبير عزل وعوقب ، وكان الموظفون يتقاضون رواتبهم من الضرائب والجبايات المستخلصة من الشعب بواسطة الأعيان ، أما الجند فكان عدده لا يزيد على 15.000 جندى فيهم الرومانى والبربرى والاسبانى وغيرهم من المرتزقة ، وهو عدد قليل بالنسبة لسعة البلاد التى كان ينيست عليها الحكم الرومانى ، ولكن قلة عدده تدل على دهاء الولاة ومهارتهم فى ضبط الرعية وتصريف الأمور ، وكان القانون الرومانى يقسم الناس الى طبقتين : طبقة الأحرار وطبقة العبيد ، للأولى كل المغانم ، وعلى الثانية جميع المغارم . وقد بذلت محاولات لتسوية الناس أمام القانون من طرف بعض الحكام المصلحين فكان الفشل حليفها بسبب تعنت طبقة الأحرار المستبدين .

وتوالى الولاة على المغرب منذ عهد الامبراطور كلوديوس ، ونعمت أقطاره على عهد الأسرة الأنطونية بفترة هدوء واستقرار ونظام ، وكان أفراد هذه الأسرة التى دشنت حكمها على يد الامبراطور طراخان ( 97 - 117 م ) كلهم من المقاطعات التابعة لروما ، ولما تولى عرش روما الامبراطور هادريان ( 117 - 138 م ) قرب اليه اليه المغاربة وأشركهم فى الحكم المحلى والمركزى ولم يحد عن سياسة أسلافه فى تأليف قلوبهم وسلوك جانب الرفسق بهم الا آخرهم الامبراطور كومود الذى كان متعجرفا بليداً ، فلما اغتيل سنة 198 م انتقل الحكم المركزى الى أسرة القساة Les Sévères التى انتهت سنة 235 م من

غير أن تطول مدتها ، وبعدها نشبت بين الرومان أنفسهم فى روما وبلاد المغرب فتن وثورات استمرت الى سنة 285 كان سببها التنافس على الحكم .

وفى عهد الديوليكييون Diolecion ( 285 - 305 ) عدل الرومان النظام الادارى المتبع فى المغرب . وأصبحت موريتانيا الطنجية تابعة لأسقفية اسبانيا تحت نظر قومس محلى ، فلما تولى الملك قسطنطين الكبير ( 306 - 337 ) صارت تحت نظر والى الغال ( فرنسا ) الذى كان يعين مندوباً عنه لحكمها ولجنة من خمسة أشخاص لادارة شؤونها المالية .

وقد كان هذا الامبراطور مشهوراً بعزمه وحزمه وعدله وتسامحه ، وهو الذى اعتنق النصرانية وأعلا من شأنها وجعلها ديناً رسمياً للدولة وأمر ببناء المعابد والكنائس بجميع جهات الامبراطورية الرومانية ، ولكنه لم يلزم أحداً من الرومان ولا من رعاياهم بالدخول فيها ، بل أصدر المرسوم المعروف بمرسوم ميلان الذى يمنح به الحرية فى الاعتقاد ولقد عاشت هذه الحرية مدة حياته ، فلما توفى ألغى الرومان - وقد صاروا جميعاً نصارى - ذلك المرسوم وسنوا بدله قوانين صارمة للضرب على أيدي الوثنيين والمارقين !

واجتاحت الامبراطورية الرومانية بعد موت قسطنطين الأكبر موجة من الاضطرابات السياسية والخلافات الدينية ، واختل النظام وسامت سيرة الولاة بروما وشمال أفريقيا ، وكان ذلك كله نذيراً بانهيار روما وزوال سلطانها ، وكان يحكم بلاد المغرب يومئذ القائد الرومانى الشهير الكونت بونيفاس من مقر حكمه بمدينة سبتة ، وقد سعى به أعداؤه لدى الامبراطورة ( بيلا سيدي ) فعزلته سنة 427 م ، ولكنه لم يبال بقرارها واستمر فى مكانه الى أن هاجمته جيوش روما سنة 429 م فصمد لها وانتصر عليها ثلاث مرات ، ولما شعر بوهنه استجاش بالفندال أصحابه ، ووعدهم بالتنازل عن جميع غرب المملكة الرومانية لقاء مساعدته ، فعبروا البحر لنجدته تحت قيادة رئيسهم جنسريق فى شهر مايو سنة 429 م وكان عددهم 80.000 واكتسحوا السواحل مخربين مدمرين ، ولما رأى الكونت بونيفاس سلوكهم الوحشى

ندم على ما صدر منه والتمس بكل قواه المغفرة من الامبراطورة بواسطة القديس أوغسطين فعت عنه وانقلب على الفندال يحاربهم فهزموه بناحية قالمة من المغرب الأوسط ففر الى هبونة ( غنابة ) ، واستمر الفندال يثبتون أقدامهم ببلاد المغرب ويبسطون عليها سلطانهم ويستخلصونها من ولاية الرومان وجندهم حتى صفت لهم بفتح قرطاجنة عنوة يوم 19 أكتوبر سنة 439 م فطويت بذلك الفتحة صفحة الحكم الروماني للشمال الافريقي بعد أن ظلت مفتوحة مدة 576 سنة .

وإذا ألقي الانسان نظرة عامة على الوجود الروماني بالبلاد المغربية وما كان له فيها من آثار فسيبرى أن الحكم الروماني لم يشملها جميعاً ، وإنما كان قاصراً على السواحل والمناطق المجاورة لها ، ولقد ضبط الرومان مناطق نفوذهم بخط ( الليميس ) الذي هو عبارة عن طريق معبد أو خندق عميق أو سلسلة من المعسكرات المدة لاقامة الجند المحارب المكلف بحفظ الأمن والنظام . وكان هذا الخط يمتد من طرابلس الغرب الى نهر أبي رقراق ، ولم يثبت تاريخياً أن الرومان تجاوزوه أو أنشأوا لهم مراكز حربية أو تجارية على ساحل المحيط الأطلسي فيما دون الرباط ، فاحتفظ جل البلاد المغربية ولاسيما المناطق الجبلية بحريته واستقلاله ، بينما خضع الجزء المحتل لنظام عسكري تعسفي يهدف الى استغلال خيراته وتزويد روما بها مع استعمال وسائل العنف والشدة لاجبار الأهالي على القيام بالأعمال اللازمة لذلك ، فكانت كراهية الوطنيين للرومان بسبب ذلك شديدة ، وحتى النصرانية التي اعتنقها بعضهم على أيديهم كانت سطحية لم تنفذ الى أعماق قلوبهم ، ولذلك ارتدوا عنها بسرعة اثر زوال حكمهم ولا سيما بعد مجيء الاسلام المبنية قواعده على التسامح مع الأديان وعدم اكراه الواقعيين تحت ذمته على ترك دياناتهم واعتناقه ، على أن هذا لا يمنع من القول بأن بعض حكام روما انتهجوا أو حاولوا أن ينتهجوا سياسة عدل ورفق مع الأهالي ، وأن البلاد المغربية نعمت بفترات سلم وهدوء واستقرار ، وانها استفادت كثيراً مما سنته العبقريّة الرومانية من نظم سياسية وإدارية وأقامته من منشآت عظيمة تدل على علو كعب الرومان في المدنية وبراعتهم الفائقة في الصناعة . ولا تزال آثارهم بكل جهة من جهات

المغرب ناطقة بعظمتهم ، شاهدة على قدرتهم على التفتن والابداع ، فمن وليلى  
بالمغرب الأقصى الى طرابلس وما وراءها من المغرب الأدنى يوجد أكثر من  
ستين مستعمرة رومانية ما بين مدن وقرى وحصون كانت كلها على جانب كبير  
من الرقى والحضارة والعمران ، وكان لكل بلدة منها ساحة عمومية ( فوروم )  
لعقد الاجتماعات واقامة الحفلات ، ومسارح وملاعب وهايكل للعبادة وحمامات  
وسقايات وسواقي لجلب الماء كما كانت تربطها شبكة طرق معبدة  
وجسور محكمة ، ويمكن القول باختصار ان التأثير الرومانى فى البلاد المغربية  
وأهلها يأتى فى المرتبة الثانية بعد التأثير الاسلامى — العربى .

## الحكم الفندالي

429 م — 534 م

الفندال شعب قديم من شعوب الأمة القوطية الغربية التى سكنت  
شمال نهر الدانوب ، وكانت مواطنهم فى القرن الثالث قبل الميلاد بشمال  
جرمانيا ما بين نهر الفيستولا ونهر الأودير على سواحل البحر البلطيقى ، وهم  
منحدرون من السلالة السلافية ، وبعد ما انتشر هذا الشعب فى جنوب ألمانيا  
فى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد زحف على أوروبا الغربية فاستولى  
على بلاد الغال ( فرنسا ) واجتاز جبال البرينى منحدراً الى اسبانيا سنة 409  
فاحتلها ونزل بجنوبها فى نواحي غرناطة وجيان واشبيلية وقرطاجنة ، فنسبت  
البلاد كلها اليهم وصارت تسمى فاندلوسيا أى بلاد الفندال ، وهو الاسم الذى  
جاءت منه كلمة ( أندلس ) التى أطلقها العرب على اسبانيا فيما بعد .

ولما كانت بلاد الشمال الافريقى خصيبة والحياة فيها هينة يسيرة  
فان دعوة الكونت بونيفاس الوالى الرومانى لهم وجدت منهم آذاناً صاغية ،  
وهكذا اكتسحوه بسرعة عجيبة ساعدهم عليها تضعضع الحكم الرومانى من  
جهة واعانة البربر الذين كانوا ينتظرون مجيئهم أو مجيئ غيرهم لتخليصهم  
من المظالم والمغارم الرومانية من جهة ثانية ، وبعد سنتين فقط من عبورهم

أسسوا بالمغرب دولة ملكية سنة 431 م . ثم استولوا على ولاية تونس ( البروقنصلية ) ودخلوا قرطاجنة سنة 439 م ، وبعد ذلك عبروا البحر الى جزيرة صقلية فأصبحت روما نفسها مهددة منهم بخاطر محقق .

وكان الفنداليون أثناء زحفهم على الشمال الافريقي ومطاردتهم لفلول الجيش الروماني يخربون المباني ويحرقون الزروع ويقطعون الأشجار ، كما كانوا يطاردون أتباع مذهب دونات Donat ولذلك تقتصر ذكريات حكمهم بصور الخراب والدمار حتى صار اسمهم نفسه يدل على الهمجية والوحشية ، ورغم أن الرومان استجمعوا قواهم وقسوا حامياتهم العسكرية بسردانيا وطرابلس ومصر وساحل عناية فان جنسريق ملك الفندال استطاع ان يحطم تلك القوى في كل مكان واجهها فيه ، واضطر حكام روما سنة 476 الى الاعتراف بسيادته على عدة أقطار من الشمال الافريقي ، فكان ذلك مؤذنا بانتهاء الامبراطورية الرومانية الغربية نفسها . اذ لم تمض سنة على ذلك الاعتراف حتى انتقلت السلطة منها الى امبراطور القسطنطينية .

أنشأ الفنداليون دولة ببلاد المغرب توارث عرشها ستة ملوك من آل جنسريق ، وكانت عاصمتهم الأولى مدينة هبونة ( عناية ) سنة 431 ثم انتقلوا منها الى مدينة صلداى ( بجاية ) ثم انتقلوا مرة أخرى الى قرطاجنة سنة 455 م .

ولم يكن نفوذهم يشمل البلاد المغربية بأسرها ، فمن المؤكد تاريخيا ان موريتانيا الطنجية ( المغرب الأقصى ) نجت من حكمهم ، وحتى نزولهم بها عند عبورهم الى المغرب مشكوك فيه ، أما الجهات الأخرى فانهم مروا بها كالأعصار ، ولم يكن لهم مستقر ثابت الا في شرق الجزائر وولاية تونس .

ولما مات الملك جنسريق سنة 477 تولى الملك ابنه هونريك الذى أحرق خصومه وعذب الكاثوليكين ، وبعد وفاته سنة 484 أضرم البربر نار الثورة ضد المحتلين ، كما حدثت بين الفنداليين أنفسهم منازعات على الملك أدت الى تدخل الامبراطور جوستينيان ملك الامبراطورية الرومانية الشرقية لفائدة الملك الفندالى هيلديريك وضد خلفه الملك جيليمير ، ووجه البيزنطيون أسطولهم الى

بلاد المغرب تحت قيادة القائد بليزير ، فوقفت قطعه البالغ عددها 500 قطعة امام سوسة وقرطاجنة ، ثم نزلوا الى البر واحتلوا قرطاجنة وسائر المراكز الفندالية ووقع الملك جيليمير نفسه فى قبضتهم فنقلوه الى بيزنطة وأتموا بعده عملية الفتح حتى صفت لهم البلاد فى شهر دجنبر سنة 534 بعد ان دام حكم الفنداليين لبعض جهاتها 103 سنين .

لم يخلف الفنداليون بالبلاد المغربية آثاراً تذكر بهم ، ولا أنشأوا بها نظاماً ولا سنوا أحكاماً على غرار ما فعله الرومان من قبلهم ، بل كانوا قوماً قساة مضطهدين ، لا يخضعون لنظام ولا يتقيدون بقانون ، وقد واجهوا خلال القرن الذى تسلطوا فيه على بعض البلاد المغربية ثورات القبائل البربرية ومقاومة الأمباطورية الرومانية ، ولم يكادوا يغلبون الرومان حتى نشبت بينهم النزاعات والخصومات التى أفضت الى تدخل البيزنطيين وقضائهم على ملكهم ، ولهذا لم يكن لهم تأثير على المغرب الا الفساد الذى صاحب وجودهم فيه .

## الحكم البيزنطي

534 م - 643 م

يعرف البيزنطيون فى الكتب العربية القديمة باسم الروم ، وهم منسوبون الى بيزانس رئيس الماغريين ( 1200 ق . م ) مؤسس مدينة بيزنطة التى جدها فيها بعد الأمباطور قسطنطين الكبير واتخذها عاصمة له وسماها القسطنطينية ، ثم سماها الأتراك العثمانيون عند ما فتحوها فى القرن الخامس عشر مدينة الاسلام ( اسلام بول = اسطنبول ) ، وليسوا يرجعون الى أرومة واحدة ، بل هم مزيج من الرومان واليونان والسلاف واللتين .

ولما رسخت أقدامهم فى بعض المناطق الساحلية من تونس تقدموا الى الجهات الغربية يحاولون فتح مدنها وقراها ، وقد استطاعوا بالفعل فتح هبونة ( عنابة ) وسيرته ( قسنطينة ) وقالمة ، ووصلت وحداتهم الاستطلاعية

الى نواحي أوراس والحصنة والزاب ، ونزلوا الى بعض المراكز الماهولة بوسط الجزائر وغربها ، ولكن لم يثبت لهم وجود بالمغرب الأقصى الا ما يردده بعض المؤرخين من غير تأكيد من أنهم وصلوا الى سبتة وطنجة ، كما لم يثبت لهم وجود فى داخلية البلاد ولا سيما الجهات البعيدة عن السواحل التونسية .

وقد عين الامبراطور جوستينيان بعد القضاء السريع على الفندال القائد سالمون حاكماً على المنطقة المفتوحة ، وجعل مقر حكمه فى مدينة قرطاجنة ، ولكن لم يكن فى وسعه ولا فى وسع الحكام الذين جاءوا من بعده تمهيد البلاد واستئلاف سكانها رغم ما تظاهروا به فى الأول من رفق ولين ، فقد كان البربر يضيّقون عليهم الخناق فى كل مكان وجدوهم فيه ، ومما أعان على تألب البربر عليهم محاربتهم للمعتقدات والمذاهب الدينية التى كانت سائدة فى الشمال الافريقى ، ومحاولتهم اجبار الناس على اعتناق المذهب الكاثوليكي الذى صيره الملك جوستينيان المذهب الوحيد للامبراطورية سنة 535 م ومن أكبر قادة النضال ضد البيزنطيين فى البلاد المغربية الزعيم البربرى ( يابداس ) رئيس قبائل جبل أوراس الذى كان يشد عضده الزعيمان ( كوتسينا ) و ( أورناباس ) فقد التف حولهم 40.000 من البربر ساروا تحت قيادة يابداس فغزوا نوميديا وسلبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد وخربوا العمران ، وانهزم البيزنطيون أمامهم وحاولوا انشاء خطوط دفاعية يتقون بها هجمات البربر على قلاعهم وحصونهم ، ولكن ذلك لم يثن من عزيمة البربر على القضاء على حكم الأجنبى الدخيل ، فما زالت الانتصارات تواكبهم حتى وصلوا أبواب قرطاجنة فضربوا عليها الحصار سنة 597 واضطر الروم الى عقد هدنة معهم صاغرين ، ولكن سرعان ما نكثوا العهد ومكروا بهم ففت ذلك فى عضد البربر ، حتى اذا كانت سنة 610 اعتلى هرقل عرش بيزنطة وكان رجلاً حكيماً اعتنق فكرة التوحيد التى بلغت أصدائها من جزيرة العرب حيث ظهر النبى الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها . وقد نعمت المقاطعات البيزنطية فى افريقيا على عهد هذا الامبراطور بشئ من الهدوء والرخاء ، ولكن العرب بدءوا يكتسحون الامبراطورية البيزنطية منذ سنة 632 على عهد الخليفة أبى بكر الصديق ، كما كان الجيش البيزنطى يعانى مرارة التفرق ، وكان على هرقل أن يواجه صراعاً



جديداً في الشمال الافريقي حيث أعلن البطريق كريكوريوس الثاني الذي يسميه العرب جرجير ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم ( 607 ) وفتح صلات الشمال الافريقي ببيزنطة وتحصن بسببيلة ابتعاداً عن خصومه بقرطاجنة ، ولم ينقذ البلاد المغربية من الفوضى التي عمتها ويعد اليها الاستقرار المادي والاطمئنان النفساني الا ظهور الاسلام بها على يد الجيوش العربية التي جاءت تحمل اليها الهدى والنور .

## العصر الاسلامي

643 م - 1830 م

العرب جنس من البشر يسكن شبه الجزيرة المنسوبة اليهم بجنوب غرب القارة الآسيوية ، وهم من شعوب الأمة السامية ومن أقدم الأمم وجوداً وأعرقها أصولاً وأكثرها في فم الزمان ذكراً ، ولغتهم لغة غنية جميلة غزيرة المادة تساعد على التعبير عن ألطف خلجات النفس وأدق المحسوسات والمرئيات لوفرة الفاظها ومرونة اشتقاقها ، وقد اشتهرت هذه الأمة بخصال حميدة وسجايا كريمة ، وعرف عنها حبها الشديد للحرية وأنفتحت من الذل ومقاومتها للاستعباد .

ورغم انها كانت أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب - كانت تجل الفصحاء ، وتحترم الحكماء ، وترفع منزلة الشعراء والخطباء ، وكانت قبائل منها تحترف التجارة وتسير القوافل بين الشام واليمن ناقلة بضائع أحدهما الى الآخر ، وأحرز بعض أبنائها ثروات طائلة بسبب ذلك كما اكتسبوا التجارب وخبروا الحياة .

وعند ما بعث الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم سنة 610 من ميلاد المسيح كانت الأمة العربية متهيئة لأن تقوم بأكبر دور قامت به أمة في التاريخ . فبعد مقاومة للنبي استمرت عدة سنوات خالطت بشاشة الاسلام

قلوب أبنائها فأذعنوا لشريعته ، وأظهروا حمية وحماساً في نصرته ، وأبدوا استعدادهم لنشره خارج جزيرتهم وتبليغ عديده الى أبعد البلدان وأقصاها عن بلدهم ، ولم يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتحق بالرفيق الأعلى ( 632 هـ ) حتى شرع الخليفة الأول أبو بكر الصديق بعد ما قضى على فتنة المرتدين - في توجيه الجيوش الإسلامية الى خارج الجزيرة العربية ، فأمكنها في آخر أيام خلافته وأثناء خلافة عمر بن الخطاب ( 634 - 644 ) أن تتغلب على دولتين من أكبر دول الدنيا يومئذ : فارس والروم ، وتلتحق بهما الهزيمة ، وتستولى على الأقطار التي كانت تحت سيطرتهما وتفتح بلاد فارس نفسها ، وتصل بعد بضعة سنوات فقط من شروعاتها في الفتح الى بلاد الأرمن والترك بآسيا الوسطى ، وتصبح سيادة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

ولما قدم عمر بن الخطاب الجابية من أعمال دمشق سنة 639 ( 18 م ) أتى اليه عمرو بن العاص أحد قواد الجيوش التي فتحت الشام ووصف له مصر ووصف خبير لما كان له من معرفة سابقة بها أيام الجاهلية عندما كان يتردد عليها تاجراً ، واستأذنه في فتحها مبيناً له ضرورة استيلاء المسلمين عليها تأميناً للجناح الغربي للجيوش الإسلامية الضاربة ، فتردد الخليفة أول الأمر ، ولما ألح عليه عمرو في الطلب وهون عليه أمر القبط والروم استأنس برأيه وأذن له بالسير اليها في أربعة آلاف جندي ، فانطلق عمرو بن العاص اليها في نفس السنة وكانما نشط من عقال ، ففتح العريش واجتاز صحراء سيناء متوغلاً في أرض مصر ، فأمدته الخليفة بأربعة آلاف أخرى فأكمل فتحها وعامل المسلمون أهلها بالرفق والحسنى فأسلم كثير منهم وأصبحوا من خيرة المسلمين .

## بداية الفتح العربي لبلاد المغرب

643 م - 701 م

وكان من الطبيعي أن يتابع المسلمون فتوحاتهم ببلاد المغرب بعد ما أتموا فتح مصر ، كما كان على القائد المحنك عمرو بن العاص أن يؤمن ميسرة

الجوش الإسلامية العاملة بها ويحميها من كل هجوم محتمل يقوم به البيزنطيون من ممتلكاتهم بشمال إفريقيا . ولهذا لم يكد عمرو بن العاص يفرغ من فتح الاسكندرية في النصف الثاني من شهر شتنبر سنة 642 حتى شرع يعد العدة لفتح برقة ، كما كان جنوده وقد ثملوا من خمرة النصر يتشوفون الى منابذة الغزو ومواصلة الفتح رغبة في الأجر وطمعاً في المغنم ، بل ان منهم من ذهبوا في غارات استطلاعية الى الواحات الغربية المجاورة لأرض مصر ، فلم يجدوا مقاومة من السكان .

ويذكر بعض المؤرخين أن بربر برقة لما بلغتهم أخبار انتصارات عمرو بن العاص بمصر بعثوا اليه قبل أن يخلص من فتحها رسلا منهم يعرضون عليه الدخول في الاسلام ، ولما أفهمه الترجمان كلامهم أرسلهم الى الخليفة عمر بن الخطاب الذي احتفى بمقدمهم واستقبلهم بترحيب ، وسألهم عن بلادهم وسكانها وعاداتهم وعلاماتهم فأجابوه بتفصيل ، فبكى الخليفة لأن النبي (ص) تنبأ بفتح بلاد تنطبق على أهلها تلك الصفات . ثم ردهم الى عمرو بن العاص محملين بالهدايا وأمره أن يقدمهم على الجند .

وكانت الأراضي الواقعة بين مصر وبرقة تسكنها قبيلة لواتة البربرية الشهيرة ، كما كانت تسكن واحات الصحراء الليبية بطون من قبائل هوارة ونفوسة وجرمة ، فلما أتم عمرو بن العاص استعداداته أرسل سرية من الجيش تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري الى أرض برقة سنة 643 ( 22 هـ ) ففتح بعض مدنها وحصونها دون مقاومة تذكر ، وقابل بربر لواتة المسلمين بفرح كبير ، فلما وصلت الى عمرو أنباء عقبة المشجمة قرر الذهاب بنفسه لاتمام الفتح ، فسار على رأس جيش كبير فيه عدد من الصحابة وكبار التابعين ففتح مدينة انطابلس وصالح أهلها على الجزية . ثم أرسل عقبة بن نافع لفتح الواحات الصحراوية تأميناً لمسيرته ، وسار هو على طريق الساحل حتى نزل على طرابلس فحاصرها شهراً ثم فتحها من جهة البحر ، ثم أرسل بعثاً لفتح صبرة ( سبرت ) فدخلها على غفلة من أهلها ، ووجه بعثاً آخر تحت قيادة بسر بن أبي أرطاة لفتح ودان والمناطق الداخلية فأذعننت نفوسة لحكم الاسلام وعقدت مع المسلمين معاهدة .

ومن هناك كتب القائد الاسلامى الى الخليفة عمر يخبره بما فتح الله على المسلمين ، ويطلب منه توجيه المدد ويستأذنه فى فتح افريقية ، ولكن الخليفة أبى عليه ذلك ومنعه من التماذى فى الفتح محافظة على أرواح المسلمين ، وكان مما ورد فى كتابه عن افريقية : انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت ، وكان الخليفة فى جوابه يصدر عن شعور بالمسؤولية ، ويتصرف تصرف حكيم لا تستهويه الانتصارات الأولى ، فلذلك لم يرد التفرير بالمسلمين ، ورفض الاذن لهم بالتوغل فى بلاد لا خبرة لهم بها ، ولا مراس لهم بقوة احلها على الممانعة والمصاهرة على القتال ، فلم يسع عمرو بن العاص بعد وصول جواب الخليفة واياه من مجيئ المدد الا التخلي عن المناطق التى افتتحها من اقليم طرابلس والعودة الى مصر بعد ما رتب شؤون اقليم برقة الذى كان النفوذ الاسلامى استتب به ، وترك عقبة بن نافع على رأس الجيش العامل به ، والحقه ادارياً بولاية مصر .

ووقف الزحف العربى بقية أيام خلافة عمر ، فلما توفى سنة 644 ( ذو الحجة 23 هـ ) وتولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان أسند ولاية مصر الى أخيه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكان عبد الله قائداً عبقرياً ووالياً حازماً لا ينقص من قدره وعظمة الأعمال التى قام بها لخير الاسلام والعروبة بعض موافقه المشوبة فى بداية الاسلام ودعايات خصومه السياسيين ضده ، فبدأ الوالى الجديد يستعد لاعادة الكرة على المغرب ، وكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل الى افريقية فيصيبون من أطرافها ويغنمون ويكتب بذلك الى الخليفة عثمان لفتاً لنظره اليها واستدراجاً لاذنه بفتحها ، ثم استأذنه صراحة فى ذلك محذراً من وجود احتشادات للروم بالقرب من مراكز المسلمين ، وبعد ما استشار الخليفة كبار الصحابة صرح عزمه على تلبية طلب ابن أبى سرح ، وبدأ يحشد الجيش فى الجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة ، وفرق السلاح ووزع الاعطيات وأعان الجيش بألف بعير من ماله الخاص يحمل عليها ضعفاء الناس ، وانضم الى هذا الجيش عدد من كبار الصحابة وأولادهم حتى عرف بجيش العبادلة ، ولما كمل الاستعداد خرج الخليفة الى الجرف فخطب فى الجنود مرغباً فى الجهاد ، وودعهم فارتحل الجيش من المدينة فى أكتوبر

سنة 647 ( محرم 27 هـ ) قاصداً مصر تحت قيادة الحارث بن الحكم ، وكتب الخليفة الى عبد الله بن سعد يخبره بانفصال الجيش ويسند اليه قيادته عند ما يصل اليه ويأذن له فى فتح افريقية وبلاد المغرب .

ولما وصل الجيش الى مصر تولى القيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح كما أمر الخليفة ، وكان أخذ فى الاستعداد والتأهب لما بلغه أن الخليفة استجاب لمطلبه وشرع يحشد الجيش فى الجرف ، فلم يمض الا زمن قصير حتى كان الاستعداد تاماً . فانفصل ابن أبى سرح بالجيش الذى أصبح يتألف من 20.000 جندي فيهم عرب الجزيرة وقبط مصر وبربر المغرب ، ولما وصل الى برقة انضم عقبة بن نافع اليه بمن كان معه فيها من المسلمين ، ثم قدم بين يديه الطلائع وبث السرايا فى كل ناحية ، فلما وصل طرابلس وجد أهلها متحصنين وراء أسوارها فأقام يحاصرها أياماً ثم أمر الناس بالرحيل مخافة أن يشغله حصارها عما قصد اليه من غزو افريقية ، وسار حتى بلغ قابس فوجد أهلها قد تحصنوا فانصرف عنها حتى وصل الى قمونية أو قمودة فاستقر هناك ، وبدأت المفاوضات بينه وبين البطريق جريجوريوس ( جرجير ) حاكم افريقية المستبد المستقر بسبيلطة ، وكان المسلمون أصابهم شيء من الفتور بعد ما قطعوا هذه المسافة الطويلة ولما طلبوا المدد من الخليفة أمدهم ببعثة عبد الله بن الزبير التى هزلوا لها وكبروا وتحمسوا لمقاتلة الروم ، فتقدموا نحو قمونية حيث كان جرجير متربصاً مع 120.000 مقاتل ، فدارت المعركة بين المسلمين وبينهم على مقربة من حصن عقوبة الذى يبعد عن سبيلطة 36 كلم فقتل جرجير فى المعركة وانهزم الروم شر هزيمة ، وانعقد الصلح بين الطرفين بعد ذلك وانتشر المسلمون بأطراف افريقية ، وتعقب الفاتحون فلول المنهزمين الى حصن الجهم ( العجم ) فى الشرق فغلبوهم وفتحوا الحصن ، واثر ذلك أجمع رؤساء البربر على طلب الصلح ، فاشتراط ابن أبى سرح عليهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، وما أصابوه بعد الترداد رد عليهم ، فوقع الاتفاق على ذلك ، وقسمت الغنائم بين الغزاة ، وجاء الأسطول من مصر لنقل أثقال المسلمين ، وعاد ابن أبى سرح الى مصر بعد غياب خمسة عشر شهراً من غير أن يستخلف بافريقية أحداً وأسرع عبد الله بن الزبير

الى المدينة ليقص خبر الفتح من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين .

وتجهل الأسباب الحقيقية التي جعلت عبد الله بن أبي سرح يقنع بالغنائم والأسلاب ويرجع عن افريقية بعد ما سحق الروم سحقاً في وقعة سببلة ووقعة الجم ، ولذلك صوب كثير من المؤرخين سهام النقد اليه ، ولا جرم أنه كانت له أعذار وجيهة لم يمط التاريخ عن وجهها النقاب حتى الآن . وأياً كان فإن الحالة ساءت بافريقية بعد رحيله ، واشتد ارهاق الروم لأهلها حتى حدثت بين الفريقين معارك دامية ، كما ساءت الحالة في المشرق آخر خلافة عثمان بن عفان وطيلة أيام الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ، ولما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة 661 ( 41 هـ ) ، اتفق أن التجأ اليه القائد جناحه Ghanaha الذي أقامه البربر بعد وفاة جرجير مقامه ، وذلك لما ناله ونال الأفارقة عن عسف البيزنطيين فحرضه على عودة العرب الى افريقية على أن يكون هو دليلهم على عورات القوم كما جاءه الصريح من زعماء البربر يستحثونه على انقاذهم مما هم فيه ، وفي النهاية أصدر معاوية الأمر الى معاوية ابن خديج عامله على مصر بالعودة الى افريقية بعد غيبة استمرت 17 سنة ، فخرج اليها سنة 666 ( 45 هـ ) في عشرة آلاف مجاهد فيهم كثير من الصحابة والتابعين ، وكان دليله في البداية القائد جناحه الذي مات في الطريق ، وسار ابن خديج حتى اتى افريقية ففتح بعض مدنها ومعاقلها مثل جربة وسوسة وجلولاء وبنزرت ، ثم عاد الى مقر ولايته من غير سبب معقول .

وفي سنة 670 ( 50 هـ ) عين معاوية عقبة بن نافع والياً على افريقية وهو من القواد العرب الأولين الذين دخلوا اليها عند بداية الفتح ، وكان خبيراً بشؤونها مطلعاً على أحوالها وثيق الصلات بمن أسلم من قبائلها أو ركن من غير اسلام الى ذمة المسلمين ، فسمار اليها على رأس جيش قوامه 10.000 جندي ، وانضم اليه كثير من مسلمي البربر ، وتمكن في أمد قصير من فتح تونس ، ثم نظر في أحوال افريقية نظر الحاذق البصير فرأى انه لا يستقيم فيها أمر الا باستقرار المسلمين فيها بصفة نهائية وقال : ان افريقية اذا دخلها امام

تحووا بالاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان اسلم بها وارثا الى الكفر ، وارى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكريا وتكون عز الاسلام الى آخر الدهر ، فبنى لهم مدينة القيروان ، واشتغل ببنائها عن الغزو فقلت الغنائم التي يبعث بها الى ولاية المشرق . وكانت كثرتها هي المقياس الذي يقاس به اجتهاد القائد في قيادته ، ولما سمع والى مصر مسلمة بن مخلد بشروع عقبة في بناء مدينته داخلته الغيرة ، فسعى به لدى الخليفة فعزله بعد خمس سنوات من ولايته وعين ابو المهاجر دينار مولى مسلمة قائدا للجيش العربي بافريقية ، فوصل اليها واسس تيكروان التي تبعد ميلين عن القيروان وجعل بها مركز قيادته ، ثم سار الى جبال اوراس حيث يخيم ملك البربر كسيلة ، فحقق انتصارات باهرة سنة 678 ( 59 هـ ) ونقل مركز قيادته الى مدينة ميلة وبنى بها دار الامارة واقام بها سنتين ، وتابع بعد ذلك فتوحاته غربا حتى وصل الى حوز تلمسان ، وظفر فيه بكسيلة ، فعرض عليه الاسلام فاسلم محافظة على نفسه . وحينئذ خلى عنه ابو المهاجر وابقاه معه ، ثم عاد الى المغرب الأدنى فحاصر الروم بقرطاجنة فنزلوا له عن شبه جزيرة شريك .

وفي سنة 682 ( 62 هـ ) عزل الخليفة يزيد بن معاوية القائد ابا المهاجر واعاد عقبة الى سابق عمله ، فجاء الى افريقية وبدأ عمله باصلاح القيروان وتوجه الى فتح ما بقى من البلاد في 15.000 جندي ، ففتح باغاية ، وقاتل الروم بلمبيس ، ثم دخل الزاب وفتح قراه البالغ عددها 360 ثم ذهب الى تيهرت ومن هناك انحدر الى السهل الساحلي وسار الى المغرب الأقصى ففتح تلمسان ودخل طنجة واحتل المدن والقرى حتى وصل ساحل المحيط الاطلسي فأدخل فرسه في الماء حتى بلغ لبيه ، وشهر سيفه ورفع بصره الى السماء وقال بأعلا صوته : اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً ، وانك لتعلم اني أطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو ان تعبد ولا يشرك بك ، اللهم لو كنت أعلم وراء هذا البحر أرضاً لخضت اليها في سبيلك ! .

واعاد عقبة بعد ذلك ادراجه ، وقدم بين يديه أكثرية الجيش وقد دانت له البلاد . وكان يستصحب معه الزعيم البربري كسيلة موثقاً في الحديد

فى مهانة وذل ، وكان أبو المهاجر كثيراً ما ينهائ عن ذلك وينصحه باستئلافه ومعاملته بالحسنى . فلما وصل الى تهودة وكان فى نحو الثلاثمئة من جنوده اعترضه كسيلة الذى كان تمكن من الفرار فى جموع البربر فاستلحمه وأصحابه بالمكان المعروف اليوم بسيدى عقبة من أرض الزاب سنة 683 ( 63 هـ ) وقاتل أبو المهاجر دون عقبة حتى قتل ، وختمت بذلك حياة هذا القائد الفذ الذى يعتبر الفاتح الحقيقى للبلاد المغربية .

وبعد ذلك توجه كسيلة فى جموعه الى المغرب يريد احتلال مقرر الولاية والقيادة الاسلاميتين بالقيروان ، وكان عقبة خلف به مساعده ورفيقه فى الجهاد منذ بداية الفتح الاسلامى القائد زهير بن قيس البلوى مع حامية صغيرة من الجند عدتها 5000 جندي ، فلما وصلته أخبار استشهاد عقبة بتهودة عزم على القتال وأخذ يتأهب له ولكن القائد حنش الصنعانى ومن معه من الجنود المصريين خالفوه وعادوا الى مصر ، فاضطر زهير الى الجلاء عن القيروان سنة 684 ( 65 هـ ) ولم يبق بها الا أصحاب الأتقال والذراى من المسلمين ، فلما وصل كسيلة طلبوا منه الأمان فأمنهم .

وكان لزاماً على الخليفة عبد الملك بن مروان أن يثأر لشهداء تهودة ويستعيد ولاية المغرب التى أسلم عدد كبير من قبائلها ، وأصبح للمسلمين بها قيروان وربط ومساجد ، ورغم الخطر الذى كان يواجهه من جراء ثورة عبد الله ابن الزبير فانه أمر زهير بن قيس الذى كان يقيم ببرقة بعد انسحابه من القيروان بالعودة الى المغرب سنة 688 ( 69 هـ ) وأمدّه بأربعة آلاف جندي فقاد ذلك الجيش عن طريق الساحل بعدما انضم اليه ألفان من مقاتلة البربر ، وسار حتى وصل الى القيروان فتخلى له كسيلة عنها ، ورحل الى ممش فتبعه زهير اليها فدارت بين الفريقين معركة حاسمة انجلت عن مقتل كسيلة وكثير من انصاره ، وبعدما تفقد زهير أعمال القيروان عاد مسرعاً الى برقة ، وفسى الطريق أبصر جنود اسطول بيزنطى نزلوا الى البر وأسروا جماعات من المسلمين فسار لانتقاذهم وقاتل حتى استشهد هو وأصحابه دونهم فى حومة الوغى .



ولم يصرف مقتل زهير الخليفة عبد الملك بن مروان عن التفكير في إعادة الكرة على المغرب ، حتى اذا خلص من متاعبه سنة 695 (76 هـ) أعد جيشاً قوامه 40.000 جندي أسند قيادته الى القائد حسان بن النعمان ، فسار به الى المغرب وهو أكبر جيش اسلامي يدخله ، وكان عدده يتضخم اثناء الطريق بانضمام متطوعة البربر اليه ، فاجتاز ببرقة وطرابلس، وسار أولاً الى القيروان، ثم توجه لاختراع قرطاجنة التي كانت لا تزال بأيدي البيزنطيين فاختضعها وطرد الروم منها . ثم سار الى الكاهنة اميرة قبيلة جراوة بجبل أوراس فهزمتها بوادي نينى قرب مدينة مسكيانة وامرت 80 من رجاله ، وتبعه جنودها حتى اخرجوه من افريقية ، فتقهقر الى برقة وأقام بها ثلاث سنوات ، وخلال ذلك أمرت الكاهنة جنودها بتخريب البلاد المغربية تأسيساً للعرب منها بزعمها ، فانطلقوا يعيشون فيها فساداً : يخربون المدن وينسفون الحصون ويقطعون الأشجار . وأثارت هذه السياسة الخرقاء أحقاد السكان فبعثوا الى العرب مستغيثين ، فعاد حسان - وقد وصله المدد - الى المغرب سنة 700 (81 هـ) ، ولما أحست الكاهنة بدنو العرب منها استأمنت لولديها بواسطة خالد بن يزيد القيسي الذي كان أسيراً لديها وعيناً لحسان بمجلسها ، وبعد ذلك جرت الحرب التي انتهت بمقتلها فتم بموتها فتح المغرب بصفة نهائية ، واسلم البربر وانخرط كثير منهم في سلك الجندية ، وكان ذلك في أكتوبر سنة 701 (رمضان 82 هـ) .

وبعد ذلك ساد افريقية وبلاد المغرب كلها الهدوء والاستقرار ، وانصرف حسان الى توطيد أركان الاسلام والعروبة فيها ، وادخل كثيراً من النظم والاصلاحات الادارية والمالية ، وأنجز عدداً من الأعمال العمرانية التي منها بناء مدينة تونس وانشاء مصنع للسفن ( دار الصناعة ) ، ثم أعفى من منصبه سنة 704 (85 هـ) وعين موسى بن نصير اللخمي والياً على المغرب وقائداً للجيش الاسلامي المربط فيه ، فجاء اليه وقد أسلم أهله واطمانوا للحكم العربي ، وعم الأمن وساد الهدوء ، ولكن موسى عزم مع ذلك على اتمام فتح بعض المراكز المنعزلة التي لم تشملها بعد سلطة الوالي ، فاستمال اليه حاكم سبتة يوليان الغماري ( الكونت جوليان ) وأوطأ خيله وادى درعة وتخوم

الصحراء الغربية ، ثم أرسل طارق بن زياد الليثي الى المغرب وأنزل معه بطنجة 27.000 من العرب ، وأمره بعبور البحر لفتح الأندلس فاجتاز اليها يوم الاثنين 27 ابريل سنة 711 ( 5 رجب عام 92 هـ ) على رأس جيش يتألف من 12.000 بربري وبضع مئات من العرب . وكان في نية موسى أن يستمر في فتح أوروبا حتى ينتهي الى القسطنطينية ويتصل عن طريقها بعاصمة الخلافة ، ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك استقدمه سنة 715 ( 96 هـ ) ، وتوالى بعده الولاة على بلاد المغرب وقد حسن اسلام أهلها ، وبعث اليهم بعض الخلفاء من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين .

ولم تنج البلاد المغربية بعد ما تم اسلامها من فتن وتوارت قام بها البربر سكانها الأصليون والعرب الطائرون عليهم الذين أصبحوا يشعرون أنهم مواطنون ، وقد نشأت بعض هذه الثورات احتجاجاً على جور بعض الولاة وتعسفهم وشططهم في سلب الرعية ما لها من أهل ومال ومتاع ، ونشأ بعضها الآخر عن انتقال عدوى الخلافات السياسية والمذهبية التي ذر قرنها بالشرق الى المغرب ، ولاسيما المذهب الخارجي الذي تسرب اليه على يد أتباعه الآتين مع الجيوش الاسلامية ، ووجد من البربر قبولا واستحسانا فاعتنقته قبائل كثيرة منهم عن حسن نية وقاقلت دونه بحماس وحمية ، وساعد على تأجج نيران الفتن والثورات ضعف الخلافة الأموية وبعدها عن المغرب ، وانقسام العرب الى قيسية ويمنية وما نشأ عن ذلك من خلاف وشقاق ، وتشوف المغاربة الى الاستقلال بشؤونهم انسياقاً مع جبلتهم التي فطروا عليها ، وقد تمكنوا من ذلك في النهاية ، فانفصلوا عن الخلافة العباسية ، وأنشأوا ممالك وامارات مغربية صرفة راحم بعضها الخلافة في المشرق بالمناكب وتطلع الى استلحاق بعض ولاياتها .

كان الفتح الاسلامي للمغرب فاتحة عهد جديد لقحت فيه الأمة المغربية بدم جديد ، واعتنقت فيه ديناً سمحاً تألفت به قلوب أبنائها ، واقتبست لغة توحدت بها ألسنتهم وتقاربت مفاهيمهم ومقاييسهم ، وأصبحت تتوفر فيهم الصفات التي لا تكون أمة بدونها ، فانطلقوا بعد ذلك يبنون ويشيدون ،

ويؤيدون المبادئ السامية للإنسانية وينصرون مثلها العليا بقلوب مومنة وعقول واعية وعزائم قوية ، فأنشأوا حضارة جديدة وخلقوا ثقافة متينة استمدوا لهما من حضارات الأمم التي سبقتهم وثقافاتها وزادوا عليها بعدما نقحوها وجددوها ثمار قرائحهم ونتاج عقولهم فكانت مثل الحضارات وفضل الثقافات ، استنار بها قروناً طويلة هذا البلد الطيب وما حلف به من بقاء وأصقاع .

### دول المغرب الأقصى :

## الدولة الإدريسية

788 - 985

فر ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب صحبة مولاه راشد الى المغرب سنة 786 ( 169 هـ ) بعد انهزام أخيه محمد النفس الزكية في معركة فخ القرية من مكة أمام الجيوش العباسية ، ولما وصل اليه نزل على اسحاق الوري شيخ قبيلة وربة ( أوربة ) في يوم السبت 9 غشت 788 ( أول ربيع الأول 172 هـ ) ، ولم تلبث القبائل البربرية ان عرفت فضله وقربه من النبي ، فالتفت حوله وبايعته ملكاً على المغرب ، فخرج بها الى أريافه يهد الأمن ويفسر الدين حتى بلغ الى ماسة بجنوب افليم سوس ، ثم سار مشرقاً حتى بلغ تلمسان ونزلت جيوشه خارجها فبايعه أميرها محمد بن جزر المفراوى ومن هناك من القبائل فدخل تلمسان واستقر بها ، ولما بلغت اخباره الخليفة هارون الرشيد اغتم وخشى أن يمتد نفوذه الى الشرق فبعث من اغتاله في شهر غشت 793 ( منسلخ ربيع الثاني 177 ) وخلف ادريس جارية بربرية حبلى في السابع من أشهر حملها ، فولدت ولداً ذكراً سمي باسم أبيه . وقام مولاه راشد بالوصاية عليه وتدير شؤون الدولة الى أن بلغ الحادية عشرة من عمره ، فأخذ له البيعة في يناير 802 ( ربيع الأول 186 هـ ) فقام على صغر سنه بالأمر أحسن قيام يعينه مستشاروه من عرب وبربر ، ولما

كبر سلطانه وتوطد ملكه وفد عليه الناس من افريقية والأندلس ، وجماعات من القبائل العربية كقيس والأزد والخزرج ويحصب والصدف وطوائف أخرى من الفرس ، فاعتز بهم ادريس ورفع منازلهم وجعلهم بطانته ، وانصرف الى تنظيم الدولة فأسس فاس عاصمتها الجديدة في يناير 808 ( ربيع الأول 192 هـ ) وبعد ما رتب الحكومة والادارة بدأ يتجول في البلاد ولاسيما في جبال الأطلس الكبير الذي كانت لا تزال فيه بقية من البربر على فطرتها الأولى فبلغها الدين ، ووطد بينها أركان الأمن ، ثم سار إلى تلمسان في شهر شتنبر 814 ( محرم 199 هـ ) فأقام بها ثلاثة أعوام أصلح خلالها أسوارها وجدد الجامع الذي بناه والده باكدير منها ثم رجع الى فاس وقد تهدنت البلاد ، فلم يزل مقيماً بها الى ان توفى في 20 مايو 828 ( أول ربيع الأول 213 هـ ) . فولى بعده ابنه محمد الذي قسم المملكة بين اخوته بأشارة من جدته كنزة فانفتح بذلك باب فتنة أضعفت الدولة وأذهبت الهيبة . ولما توفى سنة 836 ( 221 هـ ) خلفه ابنه على الملقب بحيدرة الذي حسنت الأحوال في عهده ، وبعد وفاته في يبرابر 849 ( رجب 234 هـ ) تولى الملك أخوه يحيى بن محمد الذي كثرت في عهده العمارة بفاس وبني جامع القرويين وجامع الأندلس ، وبعده انتقل ملك الادارسة من بني محمد بن ادريس الى بني أخيه عمر بن ادريس فكثرت الفتن وساءت الأحوال ، وبدأ الأمويون بالأندلس والعبيديون بافريقية يتدخلون في الشؤون المغربية مستعينين ببعض أمراء البربر ، وقد استطاع هؤلاء أن يقضوا على الدولة الادريسية بفاس ويضطهدوا ملوكها وأمراءها ، فانحازوا الى الشمال واعتصموا بقلعة حجر النسر ، وكان من أشهر أمرائهم القاسم كنون بن محمد ابن القاسم بن ادريس الذي دعا للعبيديين ، وابنه أبو العيش الذي دعا للأمويين ثم الحسن بن كنون الذي لفظت الدولة الادريسية أنفاسها بوفاته سنة 985 ( 375 هـ ) .

كانت المملكة الادريسية مملكة واسعة الأطراف ، امتدت من المحيط الأطلسي الى نهر شلف (I2) فشملت المغرب الأقصى والنصف الغربي من

---

(I2) واد يتبع في وسط القطر الجزائري خلف جبال وشربس ، ثم يسير الى الشمال والشمال الغربي ماراً ببوغاري . وخميس مليانة والاصنام حتى يصب في البحر المتوسط شمالي مستنقاه . وهو من أهم أودية الجزائر وأطولها ، وحوضه من أخصب أراضيها .

الجزائر الحالية باستثناء أربع امارات صغيرة هي امارات بنى عصام بسببة (13) وبنى صالح بنكور (14) وبنى مدرار بسجلماصة (15) وبنى رستم بتيهرت (16) ورغم وجود هذه الامارات فان فضل الدولة الادريسية على الوحدة المغربية عظيم ، لأنها استطاعت أن تنظم فى سلك الطاعة قبائل عنيدة شديدة المراس تحتل بلاداً شاسعة الأطراف لم يسبق لقوة من القوى ان أخضعتها لسلطة مركزية واحدة ، ويذكر التاريخ أن محمد بن ادريس الثانى قسم المملكة بين اخوته ، ولكنه لم يكن الا تقسيماً ادارياً اقطاعياً ، لأن فاس ظلت هي مصدر الحكم وينبوع السلطان ، ومع ذلك فان ما فعله محمد ابن ادريس يواخذ عليه فى عرف السياسة ، لأنه وان لم يجرىء المملكة الى ممالك جر اليها ضعفاً أدى فى النهاية الى التدخل الأجنبى فى شؤونها والقضاء عليها .

ولقد كان شرف نسب الأسرة الادريسية وقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملاً قوياً لنشر الدين الاسلامى واخماد نائرة بعض المذاهب المتطرفة التى تسربت من المشرق الى المغرب ، ولم يمتنع على الادارسة الا قبيلة برغواطة التى كانت تسكن منطقة تامسنا (17) فقد ظلت هذه القبيلة تمارس طقوساً دينية غربية كصوم يوم الخميس وأداء عشر صلوات فى اليوم والامتناع من أكل البيض ولحم الديك ورؤوس السمك .

---

(13) بنو عصام أسرة بربرية استقلت بحكم سببة سنة 741 ( 123 هـ ) وظلت تحكمها حتى استولى عليها الناصر الأموى بعد فرنين ونيف .

(14) بنو صالح بن منصور أسرة حكمت بعض القبائل المغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وهم الذين بنوا مدينة تكور الفريية من المزمة ( الحسبة الحالية ) ، واسنمر حكمهم تلك الناحية حتى قضى عليهم الفاطميون فى بداية القرن الرابع الهجرى .

(15) أنسب عيسى بن يزيد المكناسى مدينة سجلماسة سنة 757 ( 140 هـ ) وأنشأ بها امارة خارجية انتقل ملكها بعد حين الى ابي الفاسم سمعون بن يزنان الزناتى الملقب بالمدرار المتولى فى يوليو سنة 813 ( آخر ذى القعدة 197 هـ ) فتوارثها عشرة من أبنائه آخرهم محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله الذى أرسل اليه معد بن اسماعيل المبيدى قائده جوهر فحاصره بسجلماصة ثلاثة أشهر ثم ملكها سنة 960 ( 349 هـ ) .

(16) امارة خارجية أنشأها بمدينة تبهرت القاضى عبد الرحمان بن رستم الأباضى سنة 776 ( 160 هـ ) ودامت الى سنة 909 ( 296 هـ ) وسنخضها بالذكر لدى الكلام على دول المغرب الأوسط .

(17) افلمم مغربى قديم كان يستمد من نهر أبى رقراق الى وادى أم الربيع ، وقد اندثر اليوم هذا الاسم وبقي ما يذكر به كباب تامسنا بالرباط ، والنسبة اليه ( مسناوى ) .

كما سارت البلاد المغربية على عهد الأدارسة في طريق التعريب ، وذلك بوفادة القبائل العربية على المغرب للإقامة أو للعبور الى الأندلس ، وتنظيم الحكومة على أساس عربي ، وإنشاء مدن ذات طابع عربي ، وبناء المساجد والمدارس والمعاهد وترتيب الفقهاء والعلماء بها لتعليم القرآن وأحكام الدين وقواعد اللغة العربية ، ومن أعظمها جامع القرويين . وقد بدأ التاريخ يسجل لنا في هذا العصر الشعر والخطب والمراسلات ، فكان ذلك بداية لنشوء أدب عربي مغربي .

ولا يقل دور الأدارسة الحضاري والعمراني عن دورهم السياسي والديني فقد تمصرت في عهدهم أصيلة وزاوية وليلى ( زرهون ) ، ووجدت أسوار تلمسان وبني جامعها الكبير يومئذ ، وبنيت جراوة (18) وترنانة (19) وأرشكول (20) وقلعة حجر النسر (21) والبصرة (22) ، أما فاس فهي أكبر منشأتهم ، بناها إدريس الثاني دفينها فأحكم بنيانها وكثر مرافقها وأنشأ بها وحولها المصانع والغروس وشجع بها الزراعة والتجارة فلم يمض على تأسيسها خمسون سنة حتى صارت مدينة من أكبر المدن في غرب العالم الإسلامي .

---

(18) مدينة بناحية بني يزناسن ما زالت أطلالها موجودة قرب وادي كبس ، بناها السليمانيون أبناء عم الأدارسة وولاتهم بتلمسان سنة 871 ( 257 هـ ) كانت لها أربعة أبواب وخمسة حمامات ومساجد عديدة منها مسجد جامع من خمس بلاطات .

(19) مدينة أسست في العهد الإدريسي بجبال ترازو . لا تزال أطلالها ماثلة الى اليوم على بعد بضعة كيلومترات من مدينة ندرومة .

(20) مدينة أسست في العهد الإدريسي على الضفة الشرقية لوادي نافنا شمال تلمسان ما زالت آثارها موجودة بفيلة ولهاصة ، وتنسب إليها جزيرة صغيرة واقعة أمام مصب وادي نافنا في البحر المتوسط .

(21) قلعة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى أسست في العهد الإدريسي سنة 929 ( 317 هـ ) لا تزال أطلالها موجودة الى الآن بأرض قبيلة سومانة .

(22) مدينة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى كانت تعرف ببصرة الألبان ، وبصرة الكنان ، أسست في أواسط القرن الثالث الهجري .

ولا يعاب على الأدارسة إلا شدة اعتمادهم على شرف نسبهم وأعمالهم لإنشاء جيش قوى يقضى بالمرّة على شقاق بعض الطوائف فى الداخل ويحمى الدولة من أن تمتد إليها أنظار الاطماع من الخارج . كما يعاب على بعض ملوكهم ظلمهم للرعية وأقبالهم على الملذات والشهوات ، الشيء الذى جعل الرعية تثور فى وجه جورهم ، وسهل على القوى الخارجية أن تتدخل فى شؤون دولتهم وتحتل عاصمتهم وتضيق على من التجأ منهم الى الجبال المنيعّة ثم تقضى فى النهاية عليهم .

## الامارات الزناتية

أو

### المغرب بين المروانيين والعبيديين

لا يمكن للمؤرخ أن يعد الامارات التى أنشأها بالمغرب بربر زناتة من أعقاب دولة الأدارسة الى قيام دولة المرابطين — دولة لها ما للفظ الدولة من مدلول فى الاصطلاح السياسى القديم والحديث ، لأنها لم تكن فى الحقيقة الا امارات ضيقة تخضع لزعامات قبلية متنافسة ، ويغلب عليها طابع التنقل والارتحال الذى تمتاز به حياة القبائل الزناتية ، يضاف الى ذلك انها لم تكن فى غالب أيامها مستقلة بالتصرف ولا منفردة بالتدبير ، فقد كان أمراؤها لا يستقلون بأمورهم حيناً حتى يدخلوا أحياناً فى طاعة العبيديين أو المروانيين .

واشتهر من هذه القبائل الزناتية فى بداية القرن الرابع ثلاث قبائل : مكناسة ، و بنو يفرن ، و مغراوة .

أما مكناسة فكانت مواطنها فى سهول وادى ملوية ، وكانت تتجمع اذا دأبها خطب فى الجبال القريبة من تازة ، ولا تزال بقية منها هناك الى اليوم معروفة باسمها ، وقد تقدم أنهم أسسوا دولة بنى مدرار بسجلماسة ،

وفى بداية القرن الرابع كان يتزعم القبيلة موسى بن أبى العافية ، ولما قدم المغرب مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي سنة 917 ( 305 هـ ) واستولى على فاس تقرب اليه موسى بن أبى العافية وهاداه ، فلما انصرف الى القيروان ولاه على المغرب فازداد أمره عظمة ونفوذه قوة ، ثم عاد مصالة الى المغرب بعد سنتين وقبض على الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى ملك فاس وولى عليها عند رجوعه ريحان المكناسي ، ولكن الأدارسة استردوها بعد ثلاثة أعوام سنة 922 ( 310 هـ ) واستقام بها وبالمغرب أمر الأمير الحسن بن محمد الملقب بالحجام الذى خرج فى السنة الموالية لقتال موسى ابن أبى العافية فهزمه وقتل من جيشه عدداً كبيراً ، وعاد الحسن الى فاس منتصراً ، ولكن عامله بها حامد بن حمدان الهمداني غدر به وحبسه ، وارسل الى موسى يستقدمه ليتمكنه من المدينة . فجاءها واستولى عليها وعلى جميع بلاد المغرب ، وتتبع الأدارسة قتلا وتشريداً ، ثم استولى على تلمسان ونواحيها ونكور وسائر بلاد الريف ، ولما تم له الأمر بايع عبد الرحمان الناصر الأموي وقام بدعوته ، فبعث اليه عبيد الله الشيعي سنة 932 ( 320 هـ ) قائده حميد بن يصلتين الكتامي فى 20.000 فارس فالتقى الجمعان بفحص المسون قرب نهر ملوية وانهمز موسى واعتصم بعين اسحاق من بلاد التسول، فاحتل حميد فاس وتنفس الأدارسة المحصورون بقلعة حجر النسر الصعداء وطرردوا جنود موسى المحاصرين لهم ، وضيق قواد العبيديين الخناق على موسى وبنيه حتى قتلوه ببعض بلاد ملوية سنة 952 ( 341 هـ ) وضعف أمر اسرته من بعده .

أما بنو يفرن فقد كانت مواطنهم الأولى بافريقية ، ثم ما بيسن تلمسان وتيهرت واشتهر منهم فى بداية القرن الرابع أبو يزيد مخلد بن كيدان اليفرنى الذى ثار ضد العبيديين وهددهم فى القيروان ، ويعلى بن عبد الله بن بكار الذى دعا لعبد الرحمان الناصر الأموي ، وبني مدينة فكان (23) واستولى على وهران وفاس بعد ما ضعف أمر بني أبى العافية ،

(23) بين معسكر وسيدى بلعباس من عمالة وهران على بعد 25 كلم من الأولى . تعرف اليوم بعين فكان ، وكانت تدعى فى العهد الزناتى أفكان .



ولما قدم القائد جوهر الصقلي الى المغرب سنة 958 ( 347 هـ ) انضم اليه يعلى وقطع دعوة المروانيين ، ولكن جوهر الذى لم يكن يثق بالزناتيين دبر مكيده لاغتياله فى وادى شلف ، فاختفى ولده يدو وتفرق شمل اليفرنيين وأجاز كثير منهم الى بلاد الأندلس ، ولم يظهر يدو بن يعلى اليفرنى على مسرح السياسة والحرب من جديد الا عند ما قدم الحسن بن كنون الادريسي سنة 983 ( 373 هـ ) بجيش من افريقية يحاول استرداد ملكه ، فلما قتل الحسن سنة 985 ( 375 هـ ) حدثت بينه وبين منافسه على ملك المغرب زيرى بن عطية المفاوى فتن وحروب ، وكان كل منهما يستولى على فاس مدة ثم يتخلى عنها ليستولى عليها الآخر ، واستمر الأمر بينهما كذلك الى ان قتل يدو بن يعلى سنة 993 ( 383 هـ ) فانسحب بنو يفرن الى ناحية شالة وتادلة حيث واصلوا صراعهم مع بنى عمهم المفاويين .

أما مفاوة فقد كانت مواطنهم بالمغرب الأوسط كسائر زناتة . وكانوا شيعة لبنى أمية منذ أسلم جدهم صولات بن وزمار على يد الخليفة عثمان بن عفان ، وعندما قدم بلكين الصنهاجى سنة 980 ( 369 هـ ) وفتك بزناطة انحازوا مع بنى عمهم اليفرنيين الى المغرب الأقصى ، وكانت رئاسة مفاوة آلت الى زيرى بن عطية ، فدعا لهشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبى عامر ، واستولى على جميع بوادى المغرب ودخل فاس سنة 987 ( 377 هـ ) وجعلها مقر ملكه ، فعلا أمره وعظم سلطانه ، ثم خرج لحرب أبى البهار الصنهاجى بأمر المروانيين ، فاستولى على تلمسان ووهران وجبال ونشريس وأنبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى الى الزاب ، وبعد ما قضى على منافسه يدو بن يعلى اليفرنى سنة 993 ( 383 هـ ) لم يبق له فى المغرب منافس وهابته الملوك ، وفى غشت 994 ( رجب 384 هـ ) اختط مدينة وجدة وجعلها عاصمة ملكه لكونها واسطة مملكته ، ثم سمت نفسه الى الاستقلال بأمر المغرب فطرد عمال المروانيين وأجلاهم الى سبتة واقتصر على الدعاء للخليفة وحده فوق منابر مملكته ، فجهزوا اليه الجيوش من الأندلس ودارت بين الفريقين حرب كانت فى الأول سجالا ثم انهزم زيرى أمامهم فى النهاية فتخلى لهم عن المغرب الأقصى وانسحب الى المغرب الأوسط حيث توفى محاصراً

لأشير سنة 1002 ( 391 هـ ) فول بعده ولده المعز فضبط قومه خير ضبط وقام بالملك أحسن قيام ، وصالح المروانيين ودعا لهم ف عقدوا له على فاس وسائر المغرب سنة 1003 ( 393 هـ ) وعم المغرب بعد ذلك الهناء والرخاء الى ان توفي في مايو 1031 ( جمادى الأولى 422 هـ ) فتولى بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية ، فثار عليه بسلا الأمير تميم اليفرنى وانتزع منه فاس في مايو 1033 ( جمادى الأخرى 424 هـ ) ففر الى وجدة ، ثم حشد قبائل مغراوة في مدينة تنس وأعاد عليه الكرة سنة 1040 ( 431 هـ ) فطرده من فاس ، واستمر حمامة ملكاً بها الى ان توفي سنة 1048 ( 440 هـ ) فولى بعده ابنه دوناس وكانت ايامه ايام رخاء وهناء ، ولم يشتغل بشيء غير البناء والتشييد الى ان توفي في نونبر 1060 ( شوال 452 ) . فخلفه ابنه فتوح بن دوناس ، وحدثت بينه وبين أخيه عجيسة فتن وحروب الى أن قضى عليه ، فلم يزل الفتوح ملكاً على فاس الى أن ضيق عليه المرابطون بالحصار والغارات فتخلى عنها في غشت 1065 ( رمضان 457 هـ ) لابن عمه معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ، وقضى أيامه فى محاربة المرابطين الى أن فقد فى بعض الوقائع سنة 1068 ( 460 هـ ) فدخل يوسف بن تاشفين فاس بالأمان ، وترك بها عامله مع مئة فارس وخرج لجمال غماره ، ولكن الأمير تميم بن معنصر خالفه اليها وقتل من بها من لمتونة ، وأقام بها وضبطها ، فعاد اليها المرابطون ودخلوها عليه بعد قتال شديد سنة 1070 ( 462 هـ ) وانتهت بذلك أيام هذه الامارات الزناتية بعد ما حكمت المغرب نحو قرن .

لم تكن أيام مغراوة وبنى يفرن حرباً كلها ، ولا فتنة وفوضى جميعها ، فقد نعم المغرب فيها رغم ما صاحبها من اضطرابات وتقلبات بفترات هدوء واستقرار طويلة انصرف فيها الأمراء الى البناء والتشييد والتعمير وتنشيط الأعمال التجارية والفلاحية والصناعية ، وفى أيامهم تحضرت فاس وزيد فى جامعها الأندلسى والقروى زيادات كبيرة ، وبنيت مدينة وجدة ، وكثر الاتصال والتنقل ما بين الأندلس والمغرب فكان لذلك تأثير كبير على تطور الحضارة والثقافة بالبلاد المغربية ، كما كثر الاختلاط والاندماج ما بين قبائل المغرب الأقصى وقبائل المغرب الأوسط ، وما بينها وبين العنصر

العربي الذي أصبح يتقوى شيئاً فشيئاً ، وضعفت في أيامهم دعوة الشيعة والخوارج على السواء ، وتلاشت نحلة برغواطة . وانتصر مذهب الامام مالك بن أنس ، ولم تفسد الحالة الا في أواخر أيامهم لما جاروا على الرعية وأخذوا الأموال وسفكوا الدماء بغير حق ، فانقطعت الموارد وكثر الخوف واتصل الجوع والفلاء ، فاذن ذلك بزوال حكمهم وظهور دولة أخرى قوية تمهد الأمن وتضمن للرعية العدل والرخاء .

## الدولة المرابطية

1038 - 1147

خرج الفقيه عبد الله بن ياسين من الصحراء المغربية بقبائل سنهاجة بعد ما نشر فيها الدين وبين الأحكام وأقام الحدود الشرعية وأنشأ ربط الجهاد على نهر السنيغال وتخوم السودان ، واتجه نحو الشمال ليضع حداً للمظالم التي كانت فاشية ببعض المدن المغربية التي كاتبه أهلها ، ويقضي على العقائد الفاسدة المنتشرة يومئذ في بعض القبائل ، وكان هو يقوم بدور المرشد الديني الذي يأمر باسم الدين فيطاع ، فافتتح سجلماسة واستولى على منطقة درعة سنة 1055 ( 447 هـ ) ، ثم أخضع إقليم سوس وأقر به مذهب الامام مالك بن أنس ، وبعد ذلك قطع بقبائله جبال الأطلس الكبير وانحدر الى السهول الواقعة في شمالها فأطاعته أغمات ثم تتبع أميرها لقوط الغماري الى تادلة ففتحها سنة 1057 ( 449 هـ ) ثم مال غرباً الى إقليم تامسنا لمحاربة برغواطة التي كانت تنتحل ديناً محلياً غربياً فمات في المعركة سنة 1059 ( 451 هـ ) وواصل جيشه مقاتلة البرغواطيين حتى رضوا أن يتخلوا عن معتقداتهم ويدعنوا للإسلام .

كانت امارة المرابطين ساعته للامير أبي بكر بن عمر من قبيلة لمثونة ، وكانت القيادة العامة للجيش مسندة الى ابن عمه القائد العظيم يوسف بن تاشفين الذي أصبح ملكاً فيما بعد ، فبعد ما تم لهم تمهيد الاقاليم

الكبرى الثلاثة : الحوز و تادلة و تامسنا أقام الأمير أبو بكر بن عمر مدة بأغمات ، ثم بلغته أنباء حدوث فتن بالصحراء بين قبائلها فانصرف إليها لتهدينها سنة 1060 ( 452 هـ ) وخلف بأغمات ابن عمه يوسف بن تاشفين الذى شمر عن ساق الجد لتنظيم الأقاليم والجهات المفتوحة ادارياً وعسكرياً ولما عاد أبو بكر وجد الأمر قد استقام ليوسف والشعب ملتفاً حوله فرجع الى الصحراء وظل بها ينشر الاسلام بين قبائل السودان الى أن توفي سنة 1087 ( 480 هـ ) .

أصبح يوسف بن تاشفين ملكاً على البلاد منذ سنة 1061 ( 553 هـ ) وكانت عزيمته قوية ونظرة بعيداً ، فاخطت مدينة مراكش سنة 1062 ( 554 هـ ) لتكون عاصمة ملكه ، وواسطة بين الأقاليم القريبة والبعيدة من المملكة المغربية ، ثم أنشأ جيشاً كبيراً من قبائل صنهاجة وزناتة والمصامدة بلغ عدد فرسانه 100.000 زحف به من مراكش لفتح ما بقى من حواضر المغرب الأقصى وأقاليمه خارجاً عن سلطته ، فاستولى على جبال فازاز ( الأطلس المتوسط ) وجبال الريف ، وفتح فاس الفتح الأول والثانى فتم له اخضاع المغرب سنة 1070 ( 462 هـ ) ولم يبق خارجاً عن طاعته الا طنجة وسبتة اللتين خضعتا بدورهما سنة 1078 ( 470 هـ ) ، وبعد ذلك توجه قائده مزدل لفتح المغرب الأوسط فاستولى على تلمسان وملك المدن والقرى الواقعة حول نهر شلف .

وما كاد الأمر يستتب ليوسف بن تاشفين وصيته يذيع وينتشر حتى بدأت أنظار المسلمين فى الأندلس تتطلع إليه وقد كانوا فى ضيق شديد من النصارى الذين احتل ملكهم الفونسو السادس طليطلة سنة 1085 ( 478 هـ ) وأخذ يهدد الحواضر الاسلامية الأخرى ، وبعد ما استصرخ بيوسف مسلمو الأندلس وأمراء طوائفها جاز إليها على رأس الجيوش المغربية وهزم النصارى هزيمة كبرى سنة 1086 ( 479 هـ ) فى سهل الزلاقة القريب من بطليوس . ثم عاد الى المغرب ، وجاز مرتين أو ثلاثاً أخرى الى الأندلس تمكن خلالها من صد عادية النصارى وضم الأندلس الى المغرب ، وما كاد يموت سنة 1107

( 500 هـ ) حتى كانت أحكام المرابطين سارية من وسط السودان الى وسط الأندلس ، ومن جزائر بنى مرغنة ( الجزائر ) الى المحيط الأطلسي .

وتولى الملك بعده ولى عهده على بن يوسف ، وكان ضابطاً حازماً وفقياً أدبياً ، بذل قصارى جهده فى الدفاع عن الاراضى الاسلامية بالأندلس وانشاء المباني وتشجيع الحركة العلمية ، ولكنه ابتلى فى آخر ايامه بظهور دعوة الموحدين على يد الفقيه محمد بن تومرت الهرغى وتلميذه عبد المؤمن بن على الكومى ، فلما توفى سنة 1143 هـ ( 537 هـ ) خلفه ابنه تاشفين ، وكان أمر الموحدين عظم واشتد ، ودارت بين المرابطين والموحدين معركة فاصلة بتلمسان انهزم فيها المرابطون وفر ملكهم تاشفين الى أحد الحصون المبنية على وهران فقتل به فى 23 مارس 1145 هـ ( 27 رمضان 539 هـ ) وهو ينتظر ورود قطع الأسطول التى ستنقله الى الأندلس أو المغرب ، فتولى الملك بعده ولى عهده ابراهيم ، ولكنه كان عاجزاً عن التدبير فخلعه المرابطون وولوا مكانه عمه اسحاق بن على ، ولكن الموحدين لم يتركوا لهم مهلة يستجمعون فيها أمرهم ، فقد استولوا على فاس سنة 1145 هـ ( 540 هـ ) ، ثم زحفوا على مراكش فدخلوها عليهم فى مارس 1147 هـ ( شوال 541 هـ ) .

لقد كان أثر المرابطين فى الحياة السياسية والاجتماعية المغربية عظيماً ، فهم الذين أنشأوا بالمغرب الأقصى على انقاض الامارات الزناتية الصغيرة المتنازعة مملكة قوية جمعت شمل أهله ووحدت كلمتهم ، فاستطاعوا فى فترة قصيرة أن يسيطروا السلطة والنظام فى جزء هام من المغرب الأوسط ، ويصدوا غارات النصارى على بلاد المسلمين بالأندلس ، ويقضوا على امارات الطوائف التى شجعت بتفرقها وتخاذلها على ذلك فصارت العدوتان (24) وطناً واحداً ، ولقد كان لهذا التوحيد فائدته فى زيادة التمازج والتعارف والتبادل بين سكان هذه المملكة ، كما كانت له فائدته فى انتشار الثقافة العربية وازدهار الحضارة الاسلامية واختفاء كثير من النحل والبدع التى كانت

---

(24) المغرب والأندلس .

فاشية بين السكان ، ومما يذكر للمرابطين من المآثر تأسيسهم لحاضرة مراكش التى هى ثانية عواصم المغرب واحدى كبريات قواعده ، وكذلك تأسيسهم لتلمسان العليا ( تكرات ) التى أصبحت منذ أيامهم مركز الادارة والجيش ومقر الأسر الوجيعة ، وإيثارهم جانب العدل وجنوحهم الى اللين والرفق وتوقفهم عن الاضطهاد وسفك الدماء ، ومع ان كل هذه الصفات أمالت اليهم قلوب الرعية حتى سلمت البلاد على سعتها فى أيامهم من الفتن والثورات ونعم أهلها بالهدوء والاستقرار فان تقديرهم للفقهاء وتحسين الظن بجميع تصرفاتهم جراً عليهم الفقيه محمد بن تومرت مهدي الموحدين وخليفته عبد المومن بن على اللذين قوضا ملكهم باسم الفقه وقضيا على حكمهم تحت شعار الدين .

## الدولة الموحدية

1147 - 1262

عاد الفقيه بن تومرت الهرغى الذى عرف فيما بعد بمهدي الموحدين الى المغرب سنة 1116 ( 510 هـ ) بعد ما قضى فى المشرق عشر سنوات طالباً للعلم ، وفى طريق رجوعه التقى بالفتى عبد المومن بن على الكومى فتوسم فيه الذكاء والنجابة فاصطحبه معه الى بلاده وكان كلما دخل قرية أو مدينة انتصب بالمساجد والأسواق العمومية للوعظ والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأقبلت عليه العامة لما وهب من قوة حجة وسهولة اقناع وقدرة على التعبير باللسانين العربى والبربرى ، ولما ضاق سلاطين المرابطين به ذرعاً جمعوا لمناظراته الفقهاء والعلماء فافحمهم وأعجزهم وبكى السلطان أمام الجلوساء متأثراً من كلامه ، وعندما أحس ابن تومرت بما يدبر له فى الخفاء التحق بقبيلته فى جبال المصامدة ( الأطلس الكبير ) وأسس هيئة للدعاة وشرع فى قتال المرابطين الذين سماهم المجسمين بينما سعى أنصاره الموحدين ، وما زال أمره يعظم حتى حاصر مراكش سنة 1123 ( 517 هـ ) ولكن المرابطين هزموه وقتلوا عدداً من أصحابه ، ولما بلغه ذلك قال : ( ما بقى عبد المومن فلم يهلك أحداً ) ! .

وفى سنة 1130 ( 524 هـ ) توفى ابن تومرت ودفن بتتمل ، فخلفه فى قيادة الموحدين تلميذه عبد المومن ، فما زال ينتقل بهم من نصر الى نصر حتى ففى على خصومه واستولى على عاصمتهم مراکش سنة 1147 ( 541 هـ ) وحينئذ أطاعته البلاد كلها ، وجاءته البيعات من الصحراء والأندلس والمغرب الأوسط ، وبعدما قضى فترة تمكن فيها من تنظيم الدولة الجديدة خرج بجيش كثيف الى المغرب الأوسط ، فاستولى على الجزائر سنة 1151 ( 546 هـ ) ثم استولى على بجاية وقسنطينة وقلعة بنى حماد ، ولما عاد ترك ولده عبد الله والياً على المغرب الأوسط فضيق على مملكة الصنهاجيين بافريقية ثم استولى عليها سنة 1158 ( 553 هـ ) وفى السنة التالية خرج عبد المومن بنفسه الى المغرب الأدنى فاتم فتحه ، وأطاعته طرابلس وبرقة ، وازداد نفوذه قوة بعدما استرجع المهديّة من أيدي النورمانديين سنة 1160 ( 555 هـ ) ، واثرها عاد الى المغرب وشرع فى ادخال الإصلاحات المالية والادارية والعسكرية ، ولكن المنية عاجلته سنة 1163 ( 558 هـ ) فبويج ابنه يوسف الملقب بالعسرى الذى بذل جهوداً مشكورة فى الدفاع عن الأندلس الاسلامية حتى استشهد بشنترين من أرض البرتغال سنة 1184 ( 580 هـ ) فبويج لابنه يعقوب الملقب بالمنصور الذى بلغت الأمة المغربية والدولة الموحدية فى عهده أوج عظمتها ، وهو الذى أدخل العرب الهلاليين الى المغرب ، وأتم بناء مدينة الرباط ، وهزم الاسبانيين يوم 19 يوليو 1195 ( 9 شعبان 591 هـ ) عند حصن الأرك ، وازدهرت فى عهده الثقافة وانتشر العمران ، وكانت وفاته سنة 1198 ( 595 هـ ) فخلفه ابنه محمد الملقب بالناصر الذى سار على نهج سلفه فى حماية حوزة المملكة وتوفير الهناء للشعب ، ولكن الحظ خانه فى غزوة العقاب ( 1209 — 609 ) التى هزمه فيها نصارى الأندلس ، فأعتم لذلك وفسدت طباعه وعاجلته المنية فى السنة الموالية ، وبعد وفاته وولاية ابنه يوسف المستنصر بدأ الضعف يدب الى الدولة ، فاقبل السلاطين على ملذاتهم وأهملوا النظر فى الأمور ، واشتد التنافس بين الأمراء واستعانوا على بعضهم بقواد الجيش وولاة الأقاليم ، فكثر الثوار ، واستنقل بعض الولاة بولايوتهم ، وتشوفت قبائل زناتة الى التملك من جديد رغم أن قبيلة كومية التى تنتمى اليها الاسرة الملكية الموحدية واحدة

منها فكان لها ما أرادت ، واحتل بنو مرين منها مراكش سنة 1270 ( 668 هـ ) وانقضى أمر الموحدين من المغرب بعدما استمر فيه أزيد من قرن ، وقامت على انقاض دولتهم بالمغرب العربى أربع دول : الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ، والدولة الزيانية العبد الوادية بالمغرب الأوسط ، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، والدولة النصرية الاحمرية بالاندلس .

كان من أبرز أعمال الموحدين جمع شتات الأقطار المغربية والاندلسية تحت راية واحدة وإنشاء دولة قوية أنقذت المغرب الأدنى من فتن العرب الطارئين وتهديد النصارى النورمانديين ، كما صدت غارات الممالك والامارات الاسبانية على الاندلس الاسلامية وأقفت الى حين تقدمها ، ومما لا يجادل فيه مؤرخ انه لولا تدخل المرابطين ثم الموحدين واستماتة المغاربة فى الجهاد لسقطت الاندلس مبكرة فى أيدي النصارى وكان مصيرها ومصير صقلية المسلمة واحداً .

وقد عاشت البلاد المغربية على عهد الموحدين أحسن عصورها الثقافية والحضارية ، وكانت متمتعة بنظام حكومى وإدارى متين سواء على الصعيد الحكومى أو الصعيد الإقليمى ، وأنشأ سلاطين الموحدين الذين تلقبوا لعظمتهم بالخلفاء جيشاً قوياً وأسطولاً مرهوباً وأحدثوا بكل مكان الأبنية العظيمة والمنشآت الرفيعة التى منها مدينة الرباط وقصبة المهدية وقرية تينمل ، وعدد لا يحصى من المستشفيات والمساجد والقصبات والربط ، ولا تزال أبنيتهم العظيمة كصومعة الخيرالدة باشبيلية وجامع الكتبيين بمراكش وجامع حسان بالرباط تشهد بعظمتهم وشدة اهتمامهم بالعمارة ، أما الحركة العلمية والثقافية فانهم أخذوا بضربها وشجعوا هياتها ورجالها ، وكان بلاطهم يفيض بمئات من الفلاسفة والأطباء والفقهاء والكتاب والشعراء الذين ألفوا فى كل الفنون والعلوم ، وكان من بين خلفاء الموحدين وأمرائهم من شارك بنفسه فى الحركة العلمية والثقافية وكانت له آراء واجتهادات كما كانت له أشعار وترسلات .



وفى عصر الموحدين ازداد تمازج العناصر المتساكنة فى مملكتهم من بربر وعرب وأندلسيين ، وقطعت البلاد المغربية مراحل أخرى فى طريق تعريبها باستقرار القبائل العربية الهلالية والسلمية فى جميع جهاتها وانتشار الثقافة العربية بين أهلها ، وقوى التبادل الاقتصادى بين أقاليمها الدانية والقاصية من جهة ، وبينها وبين البلاد الأوروبية والعربية والأفريقية من جهة ثانية .

أما الوضع الدينى والمذهبى فانه استمر كما كان فى عهد المرابطين ، وقد حاول بعض خلفائهم ان ينشروا فى الأول المذهب الظاهرى من خلال التحمس للكتب الفقهية والعقائدية التى وضعها ( الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ) محمد بن تومرت ، ولكنه فشل . وتخلى خلفاؤهم الآخرون عن القول بعصمة المهدي ، فاستمرت البلاد سنية كما هى الآن ، تتبع فى الأصول مذهب أبى الحسن الأشعرى ، وتعتمد فى القروع مذهب مالك بن أنس .

## الدولة المرينية

1270 - 1465

نزع بنو مرين فى بداية القرن السابع الهجرى من مواطنهم الأصلية بين تيهرت وتلمسان الى الجنوب الشرقى من المغرب الأقصى حيث أقاموا فيه ينجعون ويمتارون على عادة البدو الرحل ، وكان ملوك الموحدين كثيراً ما يستعينون بهم فى الخدمات المخزنية ( الحكومية ) ويجيزونهم الى الأندلس للجهاد ، فلما دب الوهن الى الدولة الموحدية بعد وقعة العقاب تشوف بنو مرين الى الملك ، فبدؤوا يشنون الغارات على أطراف المغرب ، ودام الصراع بينهم وبين الموحدين من سنة 1216 ( 613 هـ ) الى سنة 1270 ( 668 هـ ) .

وكانت زعامتهم فى بداية أمرهم لبطلهم عبد الحق بن محيو ، فلما توفى توارثها أربعة من أبنائه ، أشهرهم وآخرهم يعقوب بن عبد الحق الذى

أصبح سلطاناً للملكة بعد القضاء على آخر خلفاء الموحيدين بمراكش وتلقب  
بأمير المسلمين ، وقد انصرف فى السنين الأولى لخلوص الملك له الى تنظيم  
الدولة وكان من أول ما عمله بناء فاس الجديد ( 21 مارس 1276 - 3 شوال  
674 هـ ) واتخاذها عاصمة للدولة الجديدة ، ثم أخضع الامارات والمناطق التى  
ظلت خارجة عن حكمه ، وكبح جماح بنى عمه عبد الواد ملوك تلمسان ، ثم  
استجاب لصريح مسلمى الأندلس وحكومتها ، وجاز اليها أربع ممرات  
انتصر فى كل مرة منها انتصارات عظيمة ذكرت بإيام يوسف بن تاشفين  
ويعقوب المنصور ، ولما توفى سنة 1286 ، 685 هـ ) كانت الدولة فى أوج  
المجد وغاية التنظيم . وخلفه ابنه يوسف بن يعقوب الذى كان مثل أبيه كريماً  
وشجاعة ومحبة فى العلم واهتماماً بأمور الشعب ، وسار على خطته فى انجاد  
الأندلس الاسلامية وامتدادها بالأقوات والرجال ، ولما غاظته تحرشات بنى  
عبد السوادي غزا تلمسان عدة مرات بنى خلالها رباط تازة ، وحصن  
تاويريرت ، ووجدة ، وشحنها بالمقاتلة ، ثم حاصر تلمسان الحصار الكبير  
الذى استمر من سنة 1299 ( 698 هـ ) الى سنة 1307 ( 706 هـ ) ، فاجتالته  
فيها أحد عبيده بعدما أطاعته مدن المغرب الأوسط وقبائله وبنى بظاهر  
تلمسان مدينته المنصورة التى بقيت عاصمة للدولة ثمانية أعوام ، فبويسع  
حفيده أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف فارتد الى المغرب واستقدم  
الحاميات العسكرية من المغرب الأوسط وأسلم البلاد لبنى عبد الواد ، وبعد  
سنتين من ولايته توفى مسموماً . فتوالى الملوك من نسل عبد الحق على ملك  
المغرب ، وكان من أشهرهم السلطان أبو الحسن ( 1331 - 1351 ) الذى أعاد  
للبلاد المغربية وحدتها القديمة ، وابنه أبو عنان ( 1351 - 1358 ) الذى خلف  
آثراً عظيمة فى جميع جهات المغرب ، وخلال ذلك كانت الحالة تسير فسى  
طريق السوء رغم ما كان يظهر على البلاد من مظاهر الرخاء الاقتصادى والازدهار  
الثقافى ، فقد كثر الشقاق بين أمراء البيت المالك ، واستبد الوزراء على الملوك  
فأخذوا يتصرفون التصرف الحقيقى باسمهم ، وواصل النصارى غاراتهم على  
ما بقى من المملكة الاسلامية بالأندلس واجتزأ مدنها وقراها مدينة بعد مدينة  
وقرية بعد قرية ، وتفاقم الأمر فى بداية القرن الرابع عشر عندما شرع البرتغاليون

والاسبانيون فى احتلال الموطىء المرفية (25) واستهان السلاطين بعواطف الشعب حتى ولى عبد الحق المرفى الوزارة وأمانة المال لليهود ، فثار عليه الشعب سنة 1465 ( 869 هـ ) وقتله ، وانقرض بموته الفرع العبد الحقى من دولة بنى مرفى .

ورث المرفيون عظمة الدولة الموحدية وبذخها ولكنهم لم يعرفوا كيف يحتفظون بذلك ، ورغم المحاولات التى بذلها فى الأول السلطان يعقوب بن عبد الحق وابنه السلطان يوسف ، والمحاولات التى بذلها فى الوسط السلطان أبو الحسن وابنه السلطان أبو عنان فانهم لم يستطيعوا المحافظة على وحدة الاقطار المرفية كما لم يستطيعوا ايقاف الزحف النصرانى على الاندلس فى النهاية ، وقد كان من الممكن أن تبلغ المملكة المرفية فى عهدهم مبلغاً رفيعاً لو ان البلاد سلمت من الثورات المتوالية والفتن المتواصلة التى كان يضرم نارها فى الغالب أمراء البيت المالک ، ومما أنهك قوى المرفيين حروبهم التى لم تنقطع مع ملوك تلمسان الزيانيين العبد الواديين ، تلك الحروب التى استمرت ثلاثمئة سنة وكان الرابع فيها خاسراً ، ولم يسجل التاريخ المرفى دولة سفكت فيها الدماء وسبق الملوك والأمراء والوزراء فمن دولهم الى المذابح سوق الأغنام كما سجل ذلك فى العهد المرفى . ومع كل ذلك - تعتبر الدولة المرفية من أعظم الدول المرفية وأطولها أياماً ، وقد تحققت خلالها بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط كثير من الأعمال العمرانية كبناء المدن والمساجد والمدارس والحمامات والسقايات التى بلغت منتهى الروعة والجمال ، كما سنت فيها كثير من القواعد الحكومية والمعدات الاجتماعية التى لا تزال تطبع الدولة والمجتمع فى المغرب الى الآن . ومما تمتاز به الدولة المرفية نشاط الحركة العلمية والأدبية والدينية ، واحتضان ملوكها لعدد لا يحصى من الشعراء والكتاب والعلماء والفقهاء الذين خلفوا وراءهم ثروة طائلة من المؤلفات طرّقوا فيها كل باب من أبواب العلم والفن ، فهى دولة عبد العزيز الملوّزى ،

---

(25) ابتدا احتلال المراسى المرفية باستيلاء البرتغاليين على سبنة يوم 21 غشت سنة 1415 وتتابع الغزو بعد ذلك حتى لم ينج منه الا مرسى الرباط ومرسى سلا .

وابن أبي زرع ، وعبد الرحمان بن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وأبي الحسن الصغير ، والخطيب ابن مرزوق . والقاضي محمد المقرئ ، ولم تكن الحركة الاقتصادية بأقل من الحركة الثقافية ازدهاراً ، فقد قوى الاتصال بين المغرب والاقطار الأوربية والأفريقية وكثر التبادل التجارى بينه وبينها ، مما أدى الى ظهور عدد من الصنائع التى كانت تلبى الاحتياجات المغربية والأجنبية .

## الدولة الوطاسية

1465 - 1549

بنو وطاس فرقة من قبيلة بنى مرين المتقدمة ، تولوا ملك المغرب بعد القضاء على الفرع العبد الحقى منها فلذلك يعد بعض المؤرخين أبام الفريقين واحدة ، وينسبون دولتيهما الى الأصل الكبير فيدرجونهما معاً تحت اسم الدولة المرينية .

كانوا بنو وطاس شديدي المنافسة للملوك من بنى عمهم عبد الحق ، وكان هؤلاء يترضونهم باسناد الوزارة اليهم تأليفاً لقلوبهم واتقاء لعصيانهم ، فلما آل الملك الى السلطان عبد الحق آخر ملوك بنى مرين أسند وزارته الى أبى زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى ، ثم الى ابن أخيه على بن زيان ولما توفى سنة 1459 ( 863 هـ ) استوزر السلطان ابن عمه يحيى بن يحيى المتفلسم ، ثم لم يلبث ان بطش به وبقومه بعد 70 يوماً ، ولم ينج من القتل الا أخوا الوزير : محمد الشيخ الذى فر الى جهة أصيلة ، وأخوه محمد الحلو الذى اختفى أيام البطش .

ولما ثأ الى السلطان عبد الحق ان الناس تقوموا عليه ايقاعه بالوطاسيين لج فى عتوه وغلوائه ، وأسند الوزارة وبيت المال الى يهوديين من خاصته ، فاغتاظ العامة والخاصة وخلعوا بيعته وقتلوه فى 23 مايو 1465 ( 27 رمضان

( 869 ) وبأيعوا محمد بن علي العمراني الإدريسي نقيب الشرفاء ، ولكن لم يلبث محمد الشيخ الوطاسي الذي كان هرب الى أصيلة ان جاء الى فاس واستولى عليها وأسس بها الدولة المرينية التي أصبحت تعرف في عهدها الجديد هذا بالدولة الوطاسية ، واستمر محمد الشيخ يواجه الشدائد والأزمات من فتن بالداخل وأطماع برتغالية وإسبانية بالساحل ، وفي عهده استولى النصارى على مدينة غرناطة آخر معقل للإسلام بالأندلس ، والتجأ اليه أميرها أبو عبد الله بن الأحمر آخر ملوك بني نصر الأندلسيين ، واستمر محمد الشيخ ملكاً على المغرب الى ان توفي سنة 1505 ( 910 هـ ) فخلفه ابنه محمد المعروف بالبرتغالي ، ثم أخوه علي بن محمد الشيخ المعروف بأبي حسون للمرة الأولى سنة 1526 ( 932 هـ ) ولكن ابن أخيه الأمير أحمد بن محمد البرتغالي خلعه بعد أشهر من توليه واستمر ملكاً الى ان أسره محمد الشيخ السعدي سنة 1549 ( 956 هـ ) وقتله بعد ذلك ففر أبو حسون المتقدم الى المغرب الأوسط واستصرخ الأتراك الذين كانوا استقروا به فأجابوه الى مطلوبه وبعثوا معه جيشاً احتل به فاس سنة 1554 ( 961 هـ ) فعاد السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستولى عليها في نفس السنة وقتله ، وبموته انتهى ملك الوطاسيين .

كانت أيام بني وطاس أيام فتن وحروب تدهور فيها المغرب وذهبت هيبته وتكالب عليه أعداؤه من كل جهة ، ورغم أنهم كانت لهم رغبة صادقة في الجهاد وإصلاح الأحوال فان الظروف التي كانت تحيط بهم وبالعالم الإسلامي كله لم تساعدهم على تحقيق مرغوبهم ، وقد احتل الأسبانيون والبرتغاليون في عهدهم جل شواطئ المغرب ، وألح الأتراك العثمانيون الذين استقروا بالجزائر على الأقاليم المغربية الشرقية والشمالية بالقتال ، ونبغت نابغة السعديين بالجنوب فكانت قاصمة الظهر بالنسبة لهم ، ولم يسجل التاريخ لهم ماثر عمرانية ذات بال، أما الحالة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فكانت سيئة الى أقصى حدود السوء ، ومن الملاحظ ان عناصر بشرية جديدة قوية انحازت من الأندلس الى المغرب في آخر أيام المرينيين وأيامهم وكان لها تأثير عظيم على الصناعة والفلاحة والحضارة والعمران .

## الدولة السعدية

1549 - 1562

ينتمي السعديون الى النسب النبوي الشريف ، وكان خصومهم يطمنون في انتسابهم الى الرسول عليه السلام ويقولون انهم من بنى سعد ابن بكر بن هوازن ، ولم يزلوا منذ قدموا الى المغرب من ينبوع النخل مقيمين بدرعة الى استولى البرتغاليون على بعض المراكز الساحلية باقليم سوس ، وكان نفوذ الوطاسيين يومئذ فيه اسماً ، فبحث السوسيون على أمير تجتمع عليه كلمتهم ، ويجاهدون تحت رايته عدوهم ، فعثروا بتاكمدارت من اقليم درعة على الشريف محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن مخلوف بن زيدان الذي لقب فيما بعد بالقائم بأمر الله فبايعوه ملكاً عليهم حوالي سنة 1510 ( 915 هـ ) فشرع في تنظيم امارته واستولى على الاقليم السوسي وهاجم المراكز البرتغالية من غير جدوى ، وفي سنة 1516 ( 922 هـ ) تجاوزت جنوده جبال الأطلس الكبير الى الشمال فأخضعت قبائل حاحة والشيظامة وعبد ، واستولت على مراکش ، ثم ولي عهده ولده الأكبر الأمير أحمد الملقب بالأعرج ، واستخلف بسوس ولده الأصغر محمد الملقب بالشيخ . وانتقل الى أفغال من بلاد حاحة فلم يزل مقيماً بها مسموع الكلمة الى ان توفي سنة 1517 ( 923 هـ ) فبوسع أحمد الأعرج الذي واصل التضيق على البرتغاليين وحقق بعض الانتصارات عليهم ، مثلما انتصر على الوطاسيين الذين هالهم ما أصبح له من السمعة العظيمة والصيت الكبير فجاءوا لمحاربته . ولم يلبث أخوه الأصغر محمد الشيخ الذي كان بقى والياً على اقليم سوس منذ عهد أبيه ان شق عليه عصي الطاعة بعد ان دخل الوشاة بينهم فغلبه واعتقله ، وأصبح محمد الشيخ سلطاناً بعد ان كان والياً فقط وتلقب بالمهدي وذلك سنة 1539 ( 946 هـ ) ، فشرع على ساق الجدد لطرد البرتغاليين من السواحل المغربية فطردهم من حصن فونتي سنة 1540 ( 947 هـ ) ومن مدينة آسفي سنة 1542 ( 948 هـ ) وتخلوا له عن أزموور وأصيلة فيما بعد ، وبعدما أنشأ مرسى اكدير ( 1543 - 949 هـ ) ونظم شؤون دولته بمراكش نهض الى فاس ففقد على الوطاسيين سنة 1549

( 956 هـ ) وتناقت نفسه الى طرد الأتراك من الجزائر فجهز جيشاً عظيماً ذهب به الى تلمسان فاحتلها في 9 يونيو 1550 ( 23 جمادى الأولى 957 هـ ) وانتشر حكمه في أعمالها الى وادي شلف ، ثم كر الأتراك عليها واستردوها ، ولما رآه الأتراك خطراً يهدد أملاكهم في المغرب الأوسط ، وحجر عثرة يحول دون تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على المغرب الاقصى أرسلوا اليه طائفة من جواسيسهم اغتالوه في 23 أكتوبر 1557 ( 29 ذى الحجة 964 هـ ) فولى بعده ابنه عبد الله الملقب بالغالب بالله الذى صد الزحف التركى على المغرب في السنة الموالية ، ومع انه حاصر مدينة البريجة ( الجديدة اليوم ) حتى كاد يستردها من البرتغاليين فان خوفه من الأتراك آذاه الى مصالحة الاسبان والسماح لهم باحتلال بعض المراسى بشمال المغرب ، وكانت وفاته سنة 1574 ( 981 هـ ) فخلفه ابنه محمد المتوكل الذى خرج عليه عمه عبد الملك بن محمد الشيخ ، واستعان بالأتراك على انتزاع الملك منه ، فذهب المتوكل الى البرتغال وتطارح على ملكها الدون سيبيستيان لكى يعينه على استرجاع ملكه فأجابه الى طبله ، وخرج ملك البرتغال على رأس جيشه صحبة السلطان المخلوع فدارت بين البرتغاليين والمغاربة معركة بوادى المخازن قرب مدينة القصر الكبير هزم فيها البرتغاليون هزيمة كبرى يوم الاثنين 4 غشت 1578 ( 30 جمادى الأولى 986 هـ ) وقتل ملكهم والسلطان المخلوع محمد المتوكل . كما مات السلطان عبد الملك من مرض أصابه فى الطريق والمعركة دائرة ، فلهذا تسمى هذه المعركة عند النصارى بمعركة الملوك الثلاثة ، وبويع فى ساحة القتال خليفته بفاس أخوه أبو العباس أحمد الملقب بالمنصور وبالذهبي ، فعاش المغرب فى عهده سنين مجيدة تمكن فيها من استعادة وحدته وتقوية كيانه وبسط سيطرته على ممالك السودان ، كما ازدهرت فى عهده الحركة الأدبية والعلمية التى خبت شعلتها منذ العصر المرينى المتوسط ، وشيدت المباني الرفيعة كقصر البديع بمراكش ، ودخلت تجديدات على المخزن ( الحكومة ) والادارة والجيش أكثرها مقتبس من النظم التركية التى كان السلطان أحمد المنصور مفتوناً بها ، بيد ان بوادر الانحلال بدت فى آخر حياته اذ شق عليه عصا الطاعة ولده المامون ، ثم سمه ولده زيدان أو طعن

فمات يوم الاثنين 24 غشت 1603 ( 16 ربيع الأول 1012 ) فانطلقت الفتنة بين أبنائه من عقالها ، واصطلت البلاد بنيران حروب أهلية مريعة كان من نتيجتها استيلاء الاسبانيين على العرائش سنة 1610 ( 1019 هـ ) والمعصورة سنة 1614 ( 1023 هـ ) وظهور رؤساء محليين أقوياء جزءوا المملكة الى مناطق نفوذ ، من أشهرهم المجاهد محمد العياشي ، والفقير أحمد السجلماسي المعروف بابي محلي ، والرئيس يحيى بن عبد المنعم الحاحي ، والمرابط أبو حسون السملالي ، ولكن لم يبلغ أحد من هؤلاء ما بلغه مرابطو زاوية الدلاء وشرفاء سجلماسية العلويون من الشفوف والظهور ، وقد كتب النصر في النهاية للشرفاء العلويين فعادت بهم وحدة المغرب الأقصى الى سالف عهدها كما سنراه فيما بعد .

ان المتتبع لأيام السعديين يراها امتداداً لأيام من تقدمهم من متأخري المرينيين والوطاسيين المطبوعة بالفتنة والفوضى والتدهور المادي والأدبي واشتداد التدخل الاسباني والبرتغالي والتركي في الشؤون المغربية ، باستثناء أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي التي تعد بحق أياماً ذهبية انتعشت فيها الأمة وامتدت آفاق الدولة وازدهرت الحركة العلمية حتى ظهر في المغرب من جديد علماء وشعراء وكتاب ومؤرخون وفقهاء مبرزون يعدون أداة الربط بين الماضي والمستقبل ، ويمتاز العصر السعدي أيضاً باستئناف الأعمال العمرانية التي وقفت منذ عهد بني مرين، وغو العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين المغرب والممالك النصرانية ودخول عناصر اسبانية وسودانية كثيرة العدد الى المغرب ، وورود عدد كبير من القبائل العربية والبربرية ( شراقة ) التي لم ترض بحكم الأتراك للمغرب الأوسط عليه، وأعظم ما يحفظ للسعديين من المآثر السياسية بالإضافة الى وقعة وادي المخازن - صدهم للأتراك العثمانيين وإيقاق زحفهم على المغرب ، فاحتفظت البلاد بذلك بطابعها الاسلامي العربي المغربي المميز ، ولم تصيب الثقافة العربية فيها بنكسة كما أصيبت بها كل الاقطار الاسلامية الأخرى التي خضعت للحكم التركي .



## الدولة العلوية

1659

استقر الشرفاء العلويون بسجلماسة منذ نزح إليها جدهم الحسن بن قاسم الملقب بالداخل سنة 1266 ( 664 هـ ) من بلدة ينبوع النخل بأرض الحجاز وأقاموا في قصورها موفوري الفضل مشهورى الصلاح الى أن تقدموا لجمع الكلمة وتوحيد البلاد بعد ما عراها من تفرق وانقسام اثر وفاة السلطان السعدى أحمد المنصور الذهبى .

واشتهر من هؤلاء الشرفاء فى النصف الأول من القرن السابع عشر مولاي الشريف بن علي الملقب بأبى الأملأك ، وكان رجلا وجهياً يقصده الناس فى الملمات ويستشفعون به فى الأزمات ، ويهرعون اليه فى الجليل والحقير من الأمور ، وقد حدثت بينه وبين أبى حسون السلالى المكنى بأبى دميعة المستولى على اقليم سوس - عداوة بسبب سعاية أهل تبوعصامت ، فقبض عليه ونقله الى سوس واعتقله باحدى قلاعها ، فأنف ابنه مولاي محمد ( بفتح الميم ) من ذلك وجمع جيشاً من أهل سجلماسة وأعمالها سنة 1635 ( 1045 هـ ) وشرع فى تحريض العامة على سلطة أبى حسون ، وفى سنة 1640 ( 1050 هـ ) تابعه أهل سجلماسة واستتب فيها أمره وامتد سلطانه الى منطقة درعة ، بعدما افتدى والده من أبى حسون بمال كبير التفت الى الأقاليم الشمالية التى كانت خاضعة لنفوذ الزاوية الدلانية ، ودارت بينه وبين الدلائيين وقائع كثيرة تغلبوا عليه فيها فى النهاية فانسحب الى بسيط أنكاد من شرق المغرب ، فبايعه عرب معقل وأخضع بنى يزناسن وقضى على شيعة الترك بوجدة ، ثم شن الغارات على تلمسان وأحوازها وأوقع بالحاميات التركية ، واثّر ذلك توغل بجيشه فى الصحراء ووصل الى الاغواط وعين ماضى ، ولما ضاق به الأتراك ذرعاً بعثوا اليه مع اثنين من علماء الجزائر وأعيانها رسالة استعطاف (26) مؤرخة فى 10

---

(26) نشر نص هذه الرسالة فى عدد من الكتب التاريخية ، منها كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 7 : 22 . أما جوابها فقد عثرنا عليه بعد جهد جهيد فى مجموع محفوظ بخزانة القصر الملكى بالرباط تحت عدد 4485 وتاريخه أواخر شعبان عام 1064 . وهو من انشاء محمد بن مبارك بن حفيد الحسن بن شهادة الفقيه أحمد التاجموتى والقاضى أبى نعيم رضوان بن عبد الملك .

يونيو 1634 ( 15 رجب 1064 هـ ) وبعد مفاوضات اتفق الطرفان على الصلح وجعل وادي تافنا حداً فاصلاً بين الأيالتين . واثناء ذلك ظهر أخوه مولاي رشيد بن الشريف ، وكانت القلوب مالت اليه بسبب قتله لليهودى ابن مشعل وتخليص الرعية من جورهِ واهاناتهِ ، وتحارب الأخوان حرباً قتل فيها مولاي محمد يوم 2 غشت 1664 ( 9 محرم 1075 هـ ) فانحشرت جموعه الى جموع أخيه المولى الرشيد الذى بويع بالملك البيعة العامة ، ومازال ينتقل من نصر الى نصر حتى استولى على فاس فى السنة الموالية وجعلها عاصمة ملكه ، ثم فتح زاوية الدلاء فى 18 يونيو 1668 ( 8 محرم 1079 هـ ) وغرب أهلها الى فاس وتلمسان ، وبعدما قضى على امارة الشبانان بمراكش ، وامارة السملاليسن بسوس ، وبعدما تمهدت له البلاد ودانت الرعية استأنف أعمال البناء والتشييد التى كانت توقفت منذ وفاة المنصور الذهبى ، وأنشأ جيشاً نظامياً من قبائل تلمسان التى نزعت اليه كبنى عامر وأشجع ( الشجع ) ومديونة وهوارة وبنى سنوس ، وأرسل الطلائع الأولى لمهاجمة النصارى المحتلين لمراسى الساحل ، ولكنه توفى فجأة فى حادثة فروسية يوم 11 ابريل 1672 ( 11 ذى الحجة 1082 ) فتولى بعده أخوه وخليفته بمكناس السلطان العظيم المولى اسماعيل بن الشريف الذى بسط السلطة وفرض النظام طيلة عهده الذى استمر أكثر من نصف قرن ، وحقق انتصارات عظيمة على المحتلين الأوربيين بالساحل ، فطردهم من المهدية ( 1681 - 1092 هـ ) وطنجة ( 1684 - 1095 هـ ) والعرائش ( 1689 - 1101 ) وأصيلة ( 1690 - 1102 هـ ) وكاد يفتح مدينة سبتة ، ومن منجزاته العظيمة تجديد مدينة مكناس ، وبناء عدد لا يحصى من المساجد والمدارس والأضرحة والقصبات والحصون ، وبعث الحركة العلمية من مرقدها ، وتنشيط الأدب والشعر والمكافأة على التأليف ، وإنشاء جيش عتيد من عرب الوداية وعبيد ( البخارى ) وسعيه فى افتتاح وهران من أيدي الأسبانيين وقمع التحرشات التركية بالحدود الشرقية والصحراوية وتأكيد الاتفاقيات السابقة معهم بشأن جعل وادي تافنا حداً بين الأيالتين . وفتح المراسى للتصدير والتوريد وإقامة علاقات دبلوماسية محكمة مع الدول الأجنبية ، ولم يلتحق بالرفيق الأعلى فى 21 مارس 1727 ( 28 رجب 1139 هـ ) حتى كانت المملكة

المغربية تنعم بالاستقرار والهناء وعزة الجانب ، ولكن الفترة التي تلت موته عادت بها الى حالة الفوضى بسبب تنازع أبنائه على الملك وتدخل قواد الجيش في الشؤون السياسية ، وقد انقضت هذه الفترة بوفاة السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل في 10 نونبر 1757 ( 27 صفر 1171 هـ ) وتملك ولده السلطان سبدي محمد بن عبد الله الذي كان عالماً كبيراً وسياسياً عظيماً استطاع بحسن سياسته وشدة حزمه أن يهدن البلاد ويقضى على تنطع القواد العسكريين ومن أعماله العظيمة استرجاع البريجة ( الجديدة ) من أيدي البرتغاليين ( 10 مارس 1769 - 2 ذى القعدة 1182 هـ ) وبناء الصويرة وأغفا ( الدار البيضاء ) وفضالة ( المحمدية ) وانشاء أسطول قوى وتقوية العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاسلامية والدول الأوروبية وارساله السفراء الى البلاد النصرانية لافتشاك الأسارى المسلمين واستخلاص الكتب الاسلامية من خزائنها ، وهو أول رئيس دولة في العالم اعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما مات سنة 1790 ( 1704 ) خلفه ابنه اليزيد ، ثم أخوه المولى سليمان بن محمد بن عبد الله ( 1792 - 1206 ) الذي كان عالماً تقياً ، وهو الذي أعاد الترك الى نهر تافنا سنة 1796 ( 1211 ) بعد ان كانوا تجاوزوه أيام الفترة ، وفي عهده نارت تلمسان والعمالة الوهرانية كلها على الترك ( 1805 - 1220 هـ ) وبايعه أهلها وأرسلوا وفودهم حاملين بيعاتهم الى فاس ولكن المولى سليمان الذي كان حريصاً على احترام الاتفاقيات المعقودة مع الاتراك أرسل قائده عياد بن أبي شفرة الودبي الى تلمسان لاصلاح ذات البين بين أهلها وبين العثمانيين . واذ ذاك لم تر كثير من الأسر التلمسانية وقبائل الواسطة (27) مندوحة من الهجرة الى المغرب والاستقلال بعلم سلطانه فراراً من مظالم الاتراك ، وفي سنة 1822 ( 1238 هـ ) توفي السلطان المولى سليمان فخلفه ابن أخيه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وكان ملكاً حازماً سعى جهده في تمهيد البلاد وتهدين الرعية ، وكاد بنجح في أعماله الاصلاحية لولا ان ابتليت البلاد المغربية بغزو الفرنسيين لواسطتها ( 1830 - 1246 ) وما تلا ذلك من دخول القسم الغربي من الجزائر

---

(27) كان الجزائريون يعرفون قديماً في المغرب بأهل الواسطة والنسبة اليها واسطى ، وذلك لنوسط بلادهم بين المغربيين الأدنى والاقصى .

فى طاعة السلطان ، وتوجيه خليفة سلطاني وجيش مغربي الى تلمسان نسج انسحابه عنها تحت الضغط الفرنسي ، وانصراف السلطان وجميع رعاياه الى مساندة كفاح الشعب الجزائري تحت قيادة الأمير عبد القادر بن محيي الدين ضد المحتلين ، وقد نتج عن اندحار الأمير عبد القادر واندحار الجيش المغربي فى معركة يسلي ( 1844 - 1260 ) ان خسر المغرب الأقصى جزءاً من ترابسه الوطنى ، وهاجرت من المغرب الأوسط اليه أسر كثيرة وقبائل عديدة فاستقرت به وصارت معدودة من أهله ، ثم توفى سنة 1859 ( 1276 هـ ) وتولى بعده ابنه المولى محمد بن عبد الرحمان فكان أول ما واجهه فى ملكه اعلان اسبانيا الحرب على المغرب واحتلالها لتطوان ، ثم انسحابها منها بعدما حصلت من المغرب على غرامة مالية وتنازلات ترابية . وابتداء من هذا التاريخ كثر تدخل الدول الأوربية فى شؤون المغرب وحصولها على امتيازات سياسية وقضائية وتجارية صيرت رعاياها القاطنين فيه غير خاضعين لسلطته الشرعية . وقد حاول السلطان مولاي الحسن الأول ( 73 - 1894 - 1290 - 1311 هـ ) أن يحد من هذه التدخلات ويدخل اصلاحات عصرية على مملكته تجعل أهلها ينعمون بمزايا التطور الصناعى والاجتماعى الذى استفادت منه أوربا كثيراً ، ولكن أوربا القوية سارت قدماً فى تنفيذ سياستها الخاصة بالمغرب ، ثم اتفقت دولها على القضاء على استقلاله وتمزيق وحدته ، وفرضت عليه فرنسا وامبانيا معاهدة الحماية ( 1912 - 1330 هـ ) وقسمته الى مناطق نفوذ ، وألحقنا بعض أجزائه بمستعمراتهما الافريقية ، فانطلق الشعب المغربى يقاومهما بما أوتى من قوة فلم تنغلبا عليه بصفة نهائية الا سنة 1934 ، وقبل ان تنتهى المقاومة العسكرية كانت البلاد تشهد ميلاد المقاومة السياسية وقد بلغت هذه المقاومة ذوتها خلال السنين التى تلت نهاية الحرب العالمية الثانية حتى جن جنون الاستعمار الفرنسى فنفى ملك البلاد وقائد نهضتها جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وسمو ولى عهده ( جلالة الملك اليوم ) الأمير مولاي الحسن وسائر الأسرة الملكية السى جزيرة كورسيكا ثم الى جزيرة مدغشقر ( 1953 ) ولكن فرنسا اضطرت السى ارجاعه الى بلده وعرشه ( نونبر 1955 ) تحت ضغط المقاومة الشعبية ، ثم اعترفت هى واسبانيا باستقلال المغرب ( مارس 1956 ) وواصل الملك محمد

الغامس بعد ذلك تنظيم الدولة المغربية على أسس جديدة تضمن الأمن والعدل والرخاء والعزة لشعبه الى ان توفى يوم الأحد 26 يبرابر 1961 فحمل المشعل بعده جلالة الملك العظيم الحسن الثاني الذى دخلت البلاد فى عهده الميمون فى طور التنمية الحسية والمعنوية .

أوقف تربع العلويين على العرش تدهور الدولة وانحلالها ، فأعاد الى البلاد وحدتها وحفظ كيانها وأوجد فيها حكومة شرعية تنطق باسمها وتدود عن حوزتها ، ورغم المصاعب التى واجهت الملوك العلويين من الداخل والخارج استطاعوا أن يصدوا الغارة المشنونة على الشواطئ المغربية ويطهروها من الاحتلال البرتغالى والاسبانى والانجليزى باستثناء مدينتى سبتة ومليلية وجزيرتين صغيرتين بساحل الريف ، كما حالوا بين الأتراك وبين أى توسع على حساب المغرب فى أقاليمه الصحراوية والشرقية ، وقد أنشأوا جيوشاً نظامية وسعوا سعيًا متواصلًا لتزويدها بأحسن الأسلحة ، وشيد واحد من مصلحيهم السلطان الحسن الأول مصنعاً عصرياً بفاس لصنع أسلحة الجيش من بنادق ومدافع وذخيرة ، كما أنشأوا أسطولاً مرهوباً لحماية الشواطئ وصد كل هجوم عليها ، وكان اتصالهم بالشعب وثيقاً . فلم يفتأوا يتجولون عبر مملكتهم متصلين بالرعية مستمعين لتظلماتها مستجيبين لرغباتها تستوى فى ذلك الجهات القاصية والدانية حتى قيل عن عروشهم انها على صهوات أفراسهم ، وكان لهم تمسك شديد بالدين ومحافظة قوية على السنة . واشتهروا بحلقات العلم التى تعقد بين أيديهم ومشاركتهم فيها بأنفسهم . كما اشتهروا بما يسروا من أسباب العلم على طالبيه ، أما العمران فلهم فيه يد بيضاء لا تجحد ، فحيثما ولى الانسان وجهه يرى آثارهم من مدن أحدثوها ، وأخرى جددوها ، وقصبات شيدوها ، وبروج أقاموها ، ومساجد ومدارس ومكتبات علمية أنشأوها ومرافق عمومية من حمامات وسقايات ومياضى وقناطر سهلوا بها على شعبهم الحياة ، وإذا كان المغرب حلت به نكبات واكتنفته أزمات منذ منتصف القرن الماضى فان ذلك كان نتيجة حتمية للتدهور الذى بدأت الأمة الاسلامية تتردى فيه قبل ذلك بقرون ، ولشروع الدول الأوروبية فى تنفيذ مخططاتها الاستعمارية وعجز المغرب وسائر الشعوب المتخلفة عن مواجهة تفوقها الصناعى وتقديمها العلمى ،

ومما يسجله التاريخ بمداد الفخر للملوك العلويين أنهم كانوا دوماً مخلصين لشعبهم محافظين على الأمانة الموضوعية بين أيديهم ، ولم يثبت أنهم فكروا في ساعات العسرة في أنفسهم أو تأمروا - كما حدث لملوك آخرين بأفطار أخرى - على مصير بلادهم ، بل كانوا يعملون على توقي الأخطار وتخفيف الأضرار ما استطاعوا واغتنام الفرص لتقوية كيان بلادهم ووضع الآصار عن شعبهم كلما بدرت بادرة موالية أو لاحت لهم بارقة ملائمة ، ولقد عملوا منذ هزيمة يسلى ( 1844 ) على ادخال عدد من الإصلاحات على الحكومة والادارة والجيش والمالية ، كما عملوا على افادة الأمة المغربية من مزايا التقدم المادى وساروا قدماً فى ذلك ، ولكن أوربا الطاغية بتفوقها الصناعى والمندفة بدافع التعصب المسيحى كانت تجهض بمؤامراتها وتدخلاتها وافتياتها على السيادة المغربية جميع الأعمال الإصلاحية التى قام بها الملوك العلويون حتى تم لها ما أرادت من احتلال المغرب وتقسيمه الى مناطق نفوذ واقتطاع أجزاء هامة منه ، ذلك الاحتلال الذى لم تلبث الأمة المغربية أن خلعت نيره تحت قيادة الملك الشعبى المجاهد محمد الخامس رحمه الله .

### دول المغرب الأوسط :

## الدولة الرستمية

776 = 909

هى أول دولة مستقلة أسست فى الجزائر بعد الاسلام ، أسسها القاضى عبد الرحمان بن رستم الفارسى الأصل بمدينة تيهرت سنة 776 ( 160 هـ ) لتكون موئلا للخوارج الأباضييين ، فوجدوا فيها الطمانينة والامن وأشبعوا نهمهم الى اقامة دولة على قواعدهم مذهبهم . ولما توفى القاضى عبد الرحمان الذى أصبح بعد مبايعته يلقب بالامام سنة 787 ( 171 هـ ) خلفه ابنه الامام عبد الوهاب ، وكان مثل والده متضلعا فى علوم الشريعة والفقه ،

كما كان على جانب كبير من الدهاء والحزم ، وقد واكب تربعه على كرسى  
الإمامة ظهور الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى وانبساط سلطتها على تلمسان  
وغرب الجزائر الى نهر شلف ، ولما توفى سنة 805 ( 190 هـ ) خلفه ابنه أفلح  
بن عبد الوهاب الذى طالت أيامه خمسين سنة ، وكانت كلها أيام رخاء ويسر ،  
إلا ما كان من تضيق أغالبة تونس عليه وتأسيسهم لمدينة العباسية بقرب  
تيهرت ، الشيء الذى اضطره الى مصادنة المروانيين فى الأندلس ، ولما توفى  
سنة 854 ( 240 هـ ) تولى الإمامة ابنه أبو بكر بن أفلح الذى كان جواداً كريماً  
سهل الخلق ميالاً الى الدعة والرفاهية مهملًا للنظر فى الأمور ، فقامت الفتن  
والثورات فى وجهه حتى اضطر الى الهروب من تيهرت سنة 855 ( 241 هـ )  
فتولى زعامة الأباضيين ببعض جهاتها أخوه أبو اليقظان بن أفلح وبقي يتجول  
بهم سنين الى ان أعانته اباضية نفوسة على الرجوع اليها فاستقر بها اماماً الى  
أن وافته المنية سنة 894 ( 281 هـ ) وفى هاتيك الأثناء كانت البلاد المغربية  
تضطرم فتنه . كما كانت الحالة الاجتماعية سيئة لاشتداد المجاعة وفتك  
الوبئة بالناس ، ولما خلفه ابنه أبو حاتم كانت الامامة مشرفة على الانهيار ،  
فقد ثار عليه عمه يعقوب وأخرجه من تيهرت ، ولم يتغلب عليه أبو حاتم الا بعد  
سنين ، ولكن منافسيه من أسرته بقوا يتربصون به الدوائر السيئة حتى  
اغتالوه سنة 906 ( 294 هـ ) فخلفه أخوه اليقظان الذى قتله أبو عبيد الله  
الشيعى فى يونيو سنة 909 ( شوال 296 هـ ) وانتهت بموته الامارة الرستمىة .

كانت الدولة الرستمىة امارة أو امامة صغيرة لا يتعدى نفوذها أسوار  
تيهرت فى غالب الأحيان ، والمنطقة المحيطة بها فى أقل الأحيان ، فقد كان  
يزاحمها أدارسة المغرب الأقصى وأغالبة تونس من كل جانب ، ولكن نفوذها  
الروحى كان يعم جميع الطائفة الاباضية المتفرقة جماعاتها بين تيهرت  
والصحراء وجبل نفوسة ، فكانت هذه الجماعات تمدداً بالزكاة الشرعية  
ومختلف الاعانات . وقد خرج الأئمة الرستميون فى بعض ايام قوتهم لنجدتها  
وتفقدتها كما التجأوا اليها كلما حزبهم أمر فوجدوا لديها ما يبغون من عون  
ومدد ، وما يسجل للرستميين بمداد الفخر أنهم كانوا على جانب كبير من  
العلم والأدب والميل الى العدل والرفق بالرعية، ولكن كان ينقصهم الحزم والدهاء

والأخذ بوسائل السياسة التي تكون في غالب الأحيان غير شريفة ، فلذلك قصرت مدة امامتهم ولم تستقم لهم الأمور .

## الدولة الحمادية الصنهاجية

1014 - 1153

هي ثاني اماراة نظامية تنشأ بالمغرب الأوسط أنشأها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي الذي كان في بداية أمره عاملاً من قبل ابن أخيه باديس بن المنصور بن بلكين أمير المغرب الأدنى - على مدينة أشير ونواحيها منذ سنة 997 ( 387 هـ ) ثم طمحت نفسه الى الاستقلال بجهته ، فبنى القلعة المنسوبة الى أسرته ( قلعة بني حماد ) سنة 1007 ( 398 هـ ) وأتم تحصينها في عامين ، وبعد منازعات بينه وبين السلطة الشرعية بالقيروان أعلن حماد انفصاله عنها سنة 1014 ( 405 ) فانقسم بنو زيري يومئذ الى فرقة بني باديس بالقيروان ، وفرقة بني حماد بالقلعة ، وقد حدثت بين الفريقين حروب تلتها المصالحة والمهادنة .

وفي سنة 1028 ( 419 هـ ) مات حماد فخلفه ابنه المسمى القائد وكان مثل أبيه حصيف الرأي حسن التدبير ، اشتغل عنه بنو عمه باديس بزحف الاعراب الهلاليين بينما زحف عليه حمادة بن المعز بن عطية المغراوي أمير فاس فهزمه ورجع خائباً ، وفي سنة 1041 ( 432 هـ ) خلع القائد دعوة بني عبيد ، ودعا لبني العباس ، ولكنه عاد الى اظهارها بعد ستة أعوام ، فانعم عليه الفاطميون بلقب شرف الدولة . ثم عاد فنقض بيعتهم وبايع العباسيين واستمر على ذلك الى ان توفي سنة 1054 ( 446 هـ ) فخلفه ابنه محسن بن القائد وكان شديداً قاسياً ، ثارت الفتنة بينه وبين أعمامه ، ولاسيما عمه يوسف الذي خرب مدينة أشير واستباح أموالها ، وبعد سنة من ولايته قتله عمه بلكين بن محمد بن حماد الذي احتل القلعة ليلاً ودعا لنفسه فبايعه الناس وكان شجاعاً فاتكاً سفاكاً للدماء حتى ملته الرعية لكثرة حروبه وكرهته الخاصة فقتله ابن عمه الناصر بن علناس سنة 1062 ( 454 هـ ) الذي بويع اميراً على القلعة ، وكان



جواداً كريماً وفانكاً كميّاً ، بنى المباني العجيبة ، وشيد المدائن العظيمة ،  
وفى أيامه استولى المرابطون على تلمسان ووهران وتونس وجبال ونشريس  
ومدائن شلف وصارت حدودهم تمتد من مدينة الجزائر الى الغرب ، ودخل  
الاعراب الهلاليون الى المغرب الأوسط وزاحموه فى موطن عزه ودار امارته  
حتى اضطر الى الالتجاء الى مكان حصين على ساحل البحر بتراب قبيلة بجاية  
فبنى فيه مدينة سماها ( المحمدية ) واستمر الناس يسمونها باسم القبيلة  
المذكورة ( بجاية ) وجعلها عاصمة امارته ، ولم يزل مقيماً بقصره خارجها حتى  
توفى سنة 1088 ( 481 هـ ) فخلفه ابنه المنصور بن الناصر وكان أديباً  
شريف النفس عالى الهمة ساس الرعية بحكمة وحصافة ، وأتم ما بدأه  
والده من أعمال عمرانية ، ومن أعظم مآثره بالقلعة قصر الملك وقصر المنار  
وقصر الكوكب وقصر دار السلام ، وببجاية قصر اللؤلؤة وقصر اميون ، وهو  
الذى أقطع دلس لبنى صمادح أمراء المرية بعد جلائهم عنها لما استولى عليها  
المرابطون ، وقد حدثت بينه وبين المرابطين حروب ملكوا عليه فيها مدينة  
أشير وأغار هو عليهم فى مدينة تلمسان ، وبعد ما تم الصلح بين الطرفين عاد  
الى بجاية فأقام بها حتى توفى سنة 1104 ( 498 هـ ) فتولى بعده ولده باديس  
وكان قوى الشكيمة سريع الغضب سفاكاً للدماء ، وارتكب خلال أيامه القسيرة  
أعمالاً شنيعة من قتل واضطهاد وتمثيل ، ومات بعد ثمانية أشهر من توليه ،  
فخلفه أخوه العزيز بالله بن المنصور ، وكان سياسياً حازماً استعان على تثبيت  
ملكه بالتزوج من بيوتات خصومه فأمن ثوراتهم وعداوتهم ، وكانت وفاته  
سنة 1121 ( 515 هـ ) فخلفه ابنه يحيى بن العزيز وكان أديباً فصيحاً مفرماً  
بالصيد والتهو وهو أول من ضرب السكة باسمه من الأمراء الحماديين ، وفى  
أيامه هاجم النصارى النورمانديون السواحل التونسية والجزائرية واستولوا  
على بعض مراسيها فهب الحماديون للدفاع عنها ولكن كيف يمكنهم أن ينقذوها  
والسلطان منهمك فى ملذاته ، فكاتب وزيره ميمون بن حمدون الخليفة عبد  
المومن بن على سرّاً يرغبه فى انقاذ المسلمين ، فخرج عبد المومن من مراکش  
سنة 1151 ( 546 هـ ) وسار مشرقاً حتى بلغ الجزائر واحتلها ثم نازل بجاية  
وحاصرها يومين واستولى عليها فى يبرابر سنة 1153 ( ذو القعدة 547 هـ )

ففر يحيى بجرأ الى عنابة ثم قسنطينة . وواصل عبد المومن زحفه على المملكة الحمادية فاحتل القلعة وحاصر قسنطينة . فلم يجد يحيى مندوحة من الاستئمان والاستسلام ، فأمنه عبد المومن وأرسله الى المغرب الأقصى وأسكنه قصر بني عشرة بسلا ، وعاش في كنفه عزيزاً مكرماً وكان ذلك آخر العهد بملك بني حماد .

كانت أيام بني حماد على ما صاحبها من فتن واضطرابات أياماً لم تخل من أعمال عمرانية وحركة ثقافية ومناعة حربية ، وقد كان ملوك بني حماد أنفسهم على جانب كبير من العلم والأدب يعتقدون حلقات الدروس ومجالس المناظرة بين أيديهم ويشاركون فيها ، كما كانوا مولعين بالبناء والتشييد والغرس ، والنصوص الأدبية والتاريخية الباقية تدل على مدى ما بلغته الحواضر التي كانت تحت حكمهم من رقي وتقدم وازدهار . ولو أن الدول والامارات المجاورة لهم سألتمهم لشاهدت مملكتهم على أيديهم رقياً أعظم وتقدماً أكبر ، لكنهم ابتلوا في الأول بمخاصمة بني عمهم ملوك تونس ، ثم بعيث الاعراب الهلاليين ومزاحمة المرابطين وأخيراً بزحف الموحيدين ، فلم يكن لهم طاقة بمواجهة كل هذه الأخطار ، فانهارت دولتهم ، وعفت آثارهم التي كانت من اعظم ما يؤثر من أعمال الحضارة والعمران .

## الدولة الزيانية العبد-الوادية

1235 - 1554

هي أكبر دول المغرب الأوسط وأطولها أياماً وأحفلها أعمالاً أسسها فريق من قبيلة زناتة يدعى بني عبد الواد ، وهم اخوة فريقة الثاني بنى مرين ملوك فاس وتلوهم في قوة الجانب وكثرة العدد .

كانت مواطن بني عبد الواد بين جبال سعيدة شرقاً ووادي ملوية غرباً وكانوا بدواً رحلاً ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيمهم ويترددون على المدن للامتياز ، ولما كانت الدولة الموحدية في عنفوان شببيتها صدقوا لها

الخدمة ومحضوا النصيحة ، فأقطعهم ناحية غليزان فاستقروا بها ، حتى اذا دب الهرم اليها تطلعو الى الاستقلال عنها والتفرد بحكم احد أقاليمها ، وقد نم لهم ذلك سنة 1235 ( 633 هـ ) عندما استولوا على تلمسان وصاروا أصحاب النفوذ الحقيقى فيها .

وكانت زعامة بنى عبد الواد فى هذه الفترة آلت الى بطلهم الشهير وقائدهم المغوار يغمراسن بن زيان . وقد اكتفى فى البداية بالاستبداد بتلمسان وما جاورها وأبقى الدعوة الموحدية قائمة والخطبة على المنابر باسم ملوكها ، ولكن الموحدين لم يقنعوا منه بذلك ، وخرج اليه الخليفة أبو الحسن السعيد الملقب بالمعتصم من مراکش فى جيش ضخم فأفرج عنها يغمراسن واعتصم بقلعة تمززدكت جنوبى وجدة وبعث الى الخليفة يبدى أعذاره ويطلب الصفح فلم يقبل منه ، وعندما نشب القتال بين الفريقين ( 1248 - 646 هـ ) انهزم الموحدون وقتل الخليفة السعيد واستولى العبدالواديون على خبائه وغنموا غنائم لا تقدر بثمان منها مصحف عثمان ، ونقلوا شلو الخليفة الهالك الى تلمسان فدفنوه بالعباد .

وأقبل يغمراسن بعد هذا الانتصار على شؤون دولته الجديدة ينظمها وكان يكفيه أن يكون صاحب السلطان الحقيقى دون اهتمام بالدعاء لمن يكون على المنابر والسكة باسم من تضرب ، فلذلك كان ينضوى تارة تحت الحفصيين وتارة تحت الموحدين ، وكانت امارته لا تستريح من غزو آتى من الشرق الا لتواجه غزواً آخر آتياً من الغرب ، ولم يكن ينقذها من السقوط النهائى بين أيدي خصومها الا قوة شكيمة القبيل العبدالوادى وشجاعة يغمراسن على الخصوص ، ولهذا لا يمكن لمؤرخ أن يثبت لهذه الدولة - سواء فى أيام يغمراسن بن زيان أو فى أيام خلفائه من بعده - حدوداً معروفة لأنها كانت دائماً بين مد وجزر ، فقد كانت تتسع حيناً حتى تبلغ قرية تاويريرت غرباً وعمالة قسنطينة شرقاً . كما كانت تضيق أحياناً حتى لا تشتمل الا على منطقة تلمسان .

ولما توفي يغمراسن سنة 1283 ( 681 هـ ) تولى ابنه أبو سعيد عثمان الذى أوصاه أبوه قبل مماته بمسألة بنى مريـن ليتفرغ لفتح البلاد التى يملكها الحفصيون ، وقد عمل الأمير عثمان بوصية والده وصرف اهتمامه الى الأيالة الشرقية فانتزع كثيراً من مدن عمالة وهران وعمالة الجزائر من أيدي رؤساء زناتة المتغلبين ، ولكن لم تلبث الحالة ان ساءت بينه وبين بنى مريـن الذين استأنفوا غزو تلمسان ومحاضرتها عدة مرات ، من أشهرها الحصار الطويل الذى دام ثمانية أعوام ( 1299 - 1307 ) ومات خلاله الأمير عثمان سنة 1304 ( 703 هـ ) فخلفه ابنه محمد الملقب بأبى زيان الأول ، وبعد ثلاثة أعوام من ولايته اغتيل السلطان يوسف المرينى بدينته المنصورة التى بناها بظاهر تلمسان فارتفع الحصار عنها فى الوقت الذى كان العبدالواديون يستعدون لذبح نسائهم وخوض المعركة الأخيرة مع بنى مريـن فخرجوا من الأسوار وكانما نشروا من القبور ، وكان أول عمل بدعوا به هو تخريب مدينة المنصورة التى كانت من أجمل حواضر المغرب العربى قاطبة ، ثم ضربوا سكتهم ونقشوا عليها عبارة ( ما أقرب فرج الله ) تعجباً واستبشاراً ، وبعد ذلك تولى السلطان أبو حمو الأول الذى اغتاله ابنه أبو تاشفين الأول فساءت العلاقات بين بنى عبد الواد وبين جيرانهم الحفصيين والمرينيين ، ونهض هؤلاء بتحريض من أولئك لمحاربة تلمسان تحت قيادة السلطان أبى الحسن المرينى ، فغزوا المغرب الأوسط براً وبحراً واستولوا على تلمسان يوم 29 أبريل 1337 ( 27 رمضان 737 ) وقتلوا ملكها فكان ذلك آخر العهد بالدور الأول من دولة بنى عبد الواد .

وحكم بنو مريـن تلمسان وسائر المغرب الأوسط حكماً متواصلًا الى سنة 1348 ( 749 هـ ) ، وفى هذه السنة انهزم السلطان أبو الحسن المرينى بالقيروان وغرق أسطوله بساحل بجاية ، فبويع ابنه أبو عنان الذى كان خليفة له بتلمسان ، ولما عاد أبو الحسن الى الظهور بعد ما ظن انه غرق ثارت بينه وبين ابنه أبى عنان فتنة استمرت ثلاثة أعوام اغتنمها العبدالواديون للعودة الى تلمسان ، لكن أباً عنان عاد اليها بعد ما فرغ من أمر أبيه فاستولى عليها

سنة 1352 ( 753 ) وضمها الى سلطنته ، فبقيت هي وجميع بلاد المغرب الأوسط بيده الى ان توفي سنة 1358 ( 759 هـ ) فعاد اليها العبد الواديون في السنة الموالية واستولوا عليها وبايعوا أبا حمو الثاني سلطاناً بها وصارت دولتهم منذ هذا التاريخ تعرف بالدولة الزيانية ، وكان أبو حمو هذا شجاعاً وأديباً كبيراً اشتهر باحتفالاته الفخيمة بعيد المولد النبوي وباجتماع عدد كبير من العلماء والأدباء ببلاطه ، ولكنه ظل في المقيم المقعد من الغزو المريني وثورة الأمراء ، فكان لا يستقر تلمسان حتى يتخلى عنها لبنى مرين واستمر على تلك الحالة الى ان اغتاله ولده أبو تاشفين الثاني سنة 1389 ( 791 هـ ) فتولى مكانه وضرب السكة تحت رعاية بنى مرين وحمايتهم ، وبعده توالى الملوك من أسرته على عرش تلمسان كما تواصلت الفتن بين الأمراء وتتابع الغزو المريني . وزاد الطين بلة ظهور الحفصيين من جديد على مسرح الغزو والاستيلاء بعد أن كان بنو مرين منفردين وحدهم في هذا الميدان ، وقد استغل الاسبانيون ضعف الزيانيين وانحلال دولتهم فشرعوا في الاستيلاء على سواحل المغرب الأوسط مثلما استغلوا ضعف بنى مرين لاحتلال سواحل المغرب الأقصى ، فاستولوا على المرسى الكبير ووهران وبجاية ودلس وشرشال وهنين وحجرة الجزائر وعنابة وشرع ولاتهم في التضريب بين الأمراء الزيانيين واعانة بعضهم على بعض حتى صاروا جميعاً يعترفون بحمايتهم ويؤدون الجزية اليهم ، بل بلغ الأمر بأولئك الأمراء الى ادخال الاسبانيين الى تلمسان نفسها وفي هذه الأثناء الذي بلغت فيها الدولة الزيانية منتهى الضعف والانحلال وصارت الدولة الوطاسية المرينية المجاورة عاجزة هي نفسها عن الدفاع عن نفسها وبالأحرى عن غيرها ظهرت في غرب البحر المتوسط السفن الجهادية العثمانية فاستغاث المسلمون الجزائريون بقوادها فنزلوا الى بر المغرب الأوسط وشرعوا في بسط سلطانهم عليه حتى احتلوا تلمسان وجعلوا ملوكها تحت حمايتهم ، ثم بدا لهم فعزلوا آخر ملوكها الزيانيين مولاى الحسن بن عبد الله الثاني سنة 1554 ( 962 هـ ) فانتهت بذلك الأيام المضطربة لهذه الدولة التي استمرت في الحكم أزيد من ثلاثة قرون .

ان المتتبع لايام بنى عبدالواد يجدها اياماً مضطربة تسودها الفتن والحروب وتطبعها الدسائس والمؤامرات ، واذا حاول المؤرخ أن يجد تعليلاً لهذه الحالة ، ويقارن بينها وبين أحوال من تقدم من الدول الأخرى كالدولة المرابطية الموحدية فسيعتقد ان السبب الرئيسى فى ذلك راجع الى ان الدولة الزيانية العبدالوادية قامت على أساس قبلى بحث ، فبينما كانت الدولة الادريسية تحوطها هالة القداسة لقرب ملوكها من رسول الله ( ص ) ، وبينما قامت الدولتان الموحدية والمرابطية على أسس دعوة دينية وزعامات قبلية لا منافس لها اعتمد العبدالواديون على قوة قبيلهم وحدها حتى انهم أنكروا فى الأول على بعض متعلقهم أن ينسبوهم الى آل البيت ، وما كانت قوتهم لتكون وحدها كل ما يحتاج اليه الملك من ادوات ومؤهلات ، سيما وانها كانت قوة مزاحمة بقوة اخوانهم بنى مرين الذين هم اكثر منهم عدداً وأقوى مدداً ، فلذلك اضطروا الى انتحال النسب النبوى فى الدور الثانى من تملكهم فصاروا زيانيين بعد ان كانوا عبدالواديين ، ووجدوا من بعض متعلقة الفقهاء من يصنع لهم عمود نسب ، ويؤلف فى بيان شرفهم كتاباً ( 28 ) .

وهناك سبب آخر لتلك الحروب القاسية التى صاحبت أيام دولة بنى عبد الواد أو بنى زيان ، وهو اتخاذ تلمسان عاصمة للدولة ، فهذه المدينة العظيمة كانت منذ الفتح الاسلامى جزءاً من مملكة المغرب الأقصى ، ولم يكن ملوك المغرب ليتدخلوا عنها لدولة أخرى سيما وهى باب المغرب الذى يمر منه الصادر والوارد . وهذا هو السبب فى ان الملوك المغاربة لم تفتقر لهم همة لاسترجاعها مع ما كلفهم ذلك من ضياع فى الأنفس والأموال .

ومهما يكن الأمر فان حرب ( الثلاثمئة سنة ) التى دامت بين الأسرتين الشقيقتين بنى عبد الواد وبنى مرين كانت السبب الأول فى انحلال الاقطار المغربية كلها وتقهقر الثقافة والحضارة فيها ، وتملك الأجانب لسواحلها

---

( 28 ) هو الفقيه المؤرخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسى التلمسانى المتوفى سنة 1493 ( 899 هـ ) أما الكتاب المشار اليه فاسمه ( نظم الدرر والعقيان ) فى بيان شرف بنى زيان ، ومن ملك من سلفهم الأعيان ، فيما مضى من الأزمان .

وتدخلهم فى شؤونها الداخلية ، وضياح الأندلس التى كان أهلها لا يحيون ولا يصمدون فى وجه أعدائهم إلا بما يرد عليهم من الاقوات والغزاة وسائر أنواع المدد الذى يوجهه اليهم اخوانهم المغاربة من وراء البحر .

على أن أيام الدولة العبدالوادية - الزيانية التى تتداخل مع أيام بنى مرين سيما طيلة القرن الثامن - لم تكن شؤماً كلها ، فقد نعمت فيها تلمسان والبلدان التابعة لها بفترات هدوء انصرف فيها السلاطين الى البناء والتشييد ونسمة الصناعة والتجارة والفلاحة وتشجيع الفقهاء والأدباء والعلماء ، واشتهرت تلمسان على الخصوص بمابنى فيها فى هذا العصر من قصور سلطانية ، ودور رفيعة ومساجد فخيمة ومدارس أنيقة ما زالت بقيتها التى سلمت من التخريب والخراب تذكر اليوم بعظمة الماضى ، كما اشتهرت تلمسان بانتشار العلم فيها واقبال طلبة الآفاق عليها للتعلم بها وظهور شخصيات علمية وأدبية عظيمة كانت زينة المجالس وبغية المؤانس ، وكان من بين ملوك بنى عبد الواد أنفسهم من أخذ نفسه بالتأليف وجادت قريحته بالشعر البليغ .

وفى العصر العبد الوادى - المرينى لم يبق المغرب الأوسط وطن زناتة وحدها فقد خالطتهم فيه القبائل العربية التى قطعت به أشواطاً فى طريق التعريب وصارت صاحبة الكلمة فى سهوله ، كما طرات فى هذا العصر عليه عناصر جديدة من غر وأندلسيين ، وهؤلاء على الخصوص كان لهم تأثير لا يزال الى اليوم ظاهراً على المجتمع فى بعض المدن .

## الحكم التركي

1516 - 1830

ظهر فى بداية القرن السادس عشر قائدان بحريان مسلمان بالبحر الأبيض المتوسط يعملان لحسابهما الخاص مع جماعة من الغزاة الأقوياء ، فكانا يعترضان بسفنهما الجهادية السفن النصرانية ويغنمان ما فيها من ناس ومتاع ، كما كانا يعرجان على سواحل اسبانيا الجنوبية فينتقلان مسلمى الأندلس

المضطهدين الى السواحل الاسلامية ، وقد طارت شهرة هذين القائدين الأخوين ( عروج - خير الدين ) بسبب ذلك وبعد صيتهما حتى تشوفت اليهما أنظار أهل المغرب الأوسط الذين كانوا يعيشون من جراء الاحتلال الاسباني لمراسيهم في ذلة وهوان .

وكان أول اتصال بينهم وبينهما على يد أهل بجاية الذين أرسلوا اليهما وفداً يطلب مساعدتهما على انقاذ مدينتهم من أيدي الاسبانيين ، فلبى عروج الطلب وجاء لمهاجمة بجاية سنة 1512 ولم يمنعه من احتلالها الا اصابته بقذيفة اسبانية نتج عنها بتر ذراعه ، فانسحب وعاد الى مهاجمتها مرة ثانية بعد سنتين ، ولما لم يحصل هذه المرة على طائل قرر الانسحاب الى مرسى جيجل والاستقرار به لمراقبة الحالة وانتظار الفرص المواتية ، وهناك جاء وفد عن سكان مدينة الجزائر يستنجد به لهدم الحصن الذي بناه الاسبانيون بأحدى الجزر الصغيرة الواقعة في مدخل المرسى فجاء لنصرتهم ، ولكنه عجز عن احتلال الحصن ، فاحتل مدينة الجزائر بدله ، وقتل أميرها وأعلن نفسه سلطاناً عليها ، وحاول الاسبانيون أن يقصوه بكل قواهم فاندحروا أمامه شر اندحار ، واثّر ذلك شرع عروج في توسيع حدود سلطنته ، وتمكن بسهولة من احتلال تلمسان ( 1517 - 923 هـ ) والوصول الى الحدود المغربية ، ولكن الزيانيين ملوك تلمسان طردوه منها باعانة الاسبانيين الذين نصبوا له كميناً بمكان قريب من الوادي المالح جنوبى غربى وهران فقتلوه ( 1518 ) واحتجزوا رأسه وأرسلوه الى اسبانيا فطيف به فى مدينتها تسكيناً للرعية التى كانت ترتعد فرائصها من ذكره ، وسمى المكان الذى قتل فيه بشعبة اللحم لكثرة ما تناثر فيه من أشلاء وجثث المتقاتلين .

ولكن هذه المصيبة لم تثن عزم جماعة عروج عن مواصلة العمل الذى بدأته فى المغرب الأوسط ، فاعلنت خير الدين الملقب فى كتب التاريخ ببارباروشا - أى ذو اللحية الشقراء - أميراً بالجزائر ، وكان خير الدين رجلاً عاقلاً رأى أنه لا يستقيم له أمر ان يقى يعتمد على جماعته وحدها ، فكتب الى السلطان سليم الأول العثماني يعلن له ولاءه ، ويضع الأراضى التى فتحها هو



وأخوه بالشمال الإفريقي تحت سلطته ، فابتهج لذلك السلطان سليم وبعث إليه يشكره على صنيعه ، ورقاه إلى رتبة بايلارباى أى باى البايات . وأمدّه بالفيين من الجنود النظاميين المزودين بالمدفعية ، وأربعة آلاف من المتطوعين الأناضوليين ، فغوى بذلك جانب خير الدين الذى أصبح والياً عثمانياً وليس أميراً مستقلاً كما كان أخوه عروج . ودل ذلك على بعد نظره ومهارته السياسية .

وواجهت خير الدين فى البداية مصاعب كثيرة من الداخل والخارج ، فقد شدد عليه الأسبانيون الحصار ووالوا الغارات بدون طائل ، وثار ضده بالداخل زعيم من أهل البلاد يدعى أحمد بن القاضى فاضطره إلى الانسحاب من مدينة الجزائر إلى جزيرة جربة ولكنه عاد سنة 1525 إلى مهاجمة سواحل المغرب الأوسط فاستولى على مدينة الجزائر وعدد من المدن الأخرى ، ودك بالمدافع الحصن الأسباني على رأس حاميته يوم 27 مايو 1529 واجتنباً لما عسى أن يحدث من عودة الأسبانيين إليه قرر بناء رصيف يصل الساحل بالجزر المتناثرة أمامه (29) فكان ذلك الرصيف أصل مرسى الجزائر الحالى ، ثم ذهب خير الدين إلى تونس سنة 1533 ففتحها وقضى على سلاطينها الحفصيين الموحدين ، وفى العام التالى جاء كارلوس الخامس ( شرلكان ) ملك إسبانيا فاستولى عليها فذهب خير الدين إلى جزر البليار وأمعن فيها قتلاً وأسرّاً وتخريباً ، فكانت هذه بتلك .

وآثر هذه الانتصار عظم خير الدين فى عين السلطان العثمانى فاستدعاه إلى اسطنبول سنة 1536 ورقاه إلى رتبة قبطان باشا وعينه قائداً عاماً للأسطول العثمانى تقديراً لأعماله ، فخلفه حسن آغا ( 36 - 1543 ) الذى هزم الأمبراطور كارلوس الخامس ( شرلكان ) وجيشه أمام أبواب الجزائر يوم 23 أكتوبر سنة 1541 هزيمة شنيعة ، وغنم الجنود الأتراك جميع أسلحته وأمتعته ، فلم تمد دولة أوربية تحدث نفسها منذ ذلك التاريخ بالاستيلاء على المغرب الأوسط ، وإزادات محبة السكان للأتراك لأنهم رأوا فيهم المنقذين الحقيقيين ، وفى سنة

---

(29) هذه الجزر التى ادغمت فى رصيف المرسى هى أصل تسمية الجزائر بالجزائر .

1544 عين حسن باشا بن خير الدين والياً على المغرب الأوسط ، فصرف عنايته الى الناحية الغربية ، وهاجم الاسبانيين فى وهران واستولى على تلمسان ثم تخلى عنها ( 1547 ) وذهب لانقاذ مستغانم التى كان يحاصرها الخنرال الاسباني الكونت دالكاوديتى الشهير حاكم قلعة وهران ، وخلال ذلك استنجد التلمسانيون بالشرفاء السعديين الذين صفا لهم ملك المغرب فجاء سلطانهم محمد الشيخ الملقب بالمهدى واحتل تلمسان فى 9 يونيو 1550 ( 23 جمادى الاولى 957 هـ ) ومن هناك توجهت محلة مغربية تحت قيادة أحد أبنائه فاستولت على مستغانم ، وبسطة الحكم المغربى على جميع مدن شلف. ولكن حسن باشا أرسل جيشاً عظيماً تحت قيادة قائد أوربى الأصل يدعى حسن قورصو فاستعاد مستغانم وطارد الجيش المغربى الى سهول أنكاد ، ولما عاد الى تلمسان قتل عدداً كبيراً من أهلها واستولى على جميع ما بها من ذخائر وامتعة ، ونصب على عرشها سلطاناً زيانياً اسمه مولاى الحسن بن عبد الله الثانى وأقام بجانبه حامية عسكرية دائمة ، ثم بدأ للأتراك فخلعوا هذا السلطان سنة 1554 ( 962 هـ ) فكان ذلك آخر العهد بسلاطين بنى زيان العبدالواديين .

وجاء بعد حسن باشا صالح رايسى أحد أعوان أبيه خير الدين ، فاتجه بفتوحاته نحو الغرب والجنوب ، وحدثت بينه وبين الملوك السعديين حروب كثيرة ، واسترد سنة 1555 مدينة بجاية من الاسبانيين ، وطردهم من المهديّة فى العام التالى واستولى على طرابلس ، وبعد موته حدث خلاف بين فرق الجيش التركى ، وبلغ الأمر بقواده الى رفض قبول الوالى الجديد الذى عينه السلطان ، ولم يعد المياف الى مجاريها الا عودة حسن باشا بن خير الدين الى الولاية فى شهر يونيو 1557 فوطد دعائم السلطة ، ثم هب لانقاذ الحامية التركية التى كانت تحاصرها القوات المغربية بمشور تلمسان ، وفى سنة 1558 ألحق بالاسبانيين هزيمة شنعاء بمستغانم قتل فيها الكونت دالكاوديتى حاكم وهران وقتل فيها وأسر من جنودهم أكثر من عشرة آلاف ، كما أباد اسطوله الذى كان يقوده درغوث باشا الاسطول الاسباني ( الأرمادا ) بساحل جربة ، وبعد محاولات عديدة لفتح وهران استدعى الى اسطمبول ( 1567 ) حيث عينه

السلطان قائداً عاماً ( قبطان باشا ) للأسطول التركي وهو المنصب الذي تولاه أبوه من قبله ، فخلفه علج على الايطالى أصلاً وهو آخر الولاة العثمانيين الذين كانوا يحملون لقب بايلارباى . احتل تونس وقضى على بقايا الدولة الحفصية ، ونظم الأسطول وقواه فأصبح يبعث الرهبة فى قلوب الأوربيين ، واشترك بنفسه فى عدة وقائع بحرية بين الأسطول العثمانى والأساطيل الأوربية . ثم استندعى الى اسطمبول واسندت اليه قيادة الأسطول وبقي يحكم الجزائر من هناك بواسطة أعوانه الى ان توفى سنة 1587 .

وبموت علج على رأى سلاطين آل عثمان أن الوقت قد حان لتنظيم الأقطار المغربية المفتوحة ( طرابلس - تونس - الجزائر ) على أسس ادارية جديدة ، فقد استتب الأمر للدولة التركية ، وكفت الدول الأوربية عن محاولاتها لاحتلال الشواطىء المغربية بعد الهزائم المتتالية التى لحقتها منذ ظهور الأتراك بغرب البحر المتوسط واستقرارهم بصفته الجنوبية ، فألغوا منصب البايلاى واخذوا يرسلون الى الجزائر والياً يحمل لقب باشا يحكمها مدة ثلاثة أعوام ثم يرجع الى تركيا ويخلفه وال جديد . وقد أدى هذا التنظيم الى اقبال الباشوات على الاستغناء وجمع الأموال لحسابهم الشخصى سواء عن طريق القرصنة البحرية أو فرض الضرائب وجمع الهدايا بمناسبة وغير مناسبة . كما أدى أيضاً الى حدوث استياء فى أوساط الجيش والأسطول التى كانت ترى نفسها أحق بحكم البلاد من الباشوات الآتين من اسطمبول ، وقد تفاحش هذا الاستياء الى درجة فقد معها الباشا بالتدريج كل سلطة على ولايته حتى أصبح مجرد ممثل شرفى للسلطان ابتداء من سنة 1659 عندما اجتمع الانكشارية وقرروا أن تكون السلطة التنفيذية بين أيدي الاغوات ( رؤساء الجند ) على أن يتولاها أحدهم كل شهرين على التعاقب ، فكان من نتيجة هذا النظام الفوضى العجيب أنه لم ينج من نعمتهم أى واحد من رؤسائهم الذين تعاقبوا على الحكم ما بين سنة 1659 وسنة 1671 بل قتلوا جميعهم بأيدي جنودهم من غير استثناء ، واذ ذاك استولى على الحكم رؤساء الأسطول ( الرياس ) ووضعوا للحكم نظاماً يقتضى أن يتولى واحد منهم الحكم مدى الحياة ويلقب بلقب ( الداى ) ولما رأى السلاطين

العثمانيون أنهم لا يطيقون فرض ارادتهم كفروا عن ارسال الباشوات الى الجزائر ، واكتفوا بارسال الخلع والفرمانات لكل داي يوليه الديوان ، على ان انتخاب الديوان ومصادقة السلطان ( الباب العالي ) لم يكونا كافيين لحماية الدايات من بطش الجنود الذين تعودوا الفوضى والثورة لادنى سبب ، وكان هؤلاء الجنود اذا عزموا على الثورة خرجوا من معسكراتهم وبين ايديهم قدور الطبخ مقلوبة على وجوهها ، وقصدوا قصر الداي فيقبضونه ويطردونه او يقتلونه وينصبون غيره فى مكانه الى أن يجيىء دوره .

ورغم كل هذا الخلل والفوضى فقد امتاز بعض الدايات بشدة الحزم وقوة الارادة وحسن السياسة ، كالداي محمد بكداش الذى طرد الاسبانيين من المرسى الكبير وهران سنة 1708 ، والداي محمد بن عثمان الذى طردهم منها مرة ثانية سنة 1791 بعدما كانوا رجعوا لاحتلالها سنة 1732 .

وخلال تلك السنين كانت الحروب لا تخدم ناراها بين بايات تونس ودايات الجزائر ، وبين هؤلاء وسلاطين المغرب الأقصى ، وقد تقدمت قوات السلطان مولاى اسماعيل داخل التراب الجزائرى مرتين سنة 1691 وسنة 1701 وكان قصد مولاى اسماعيل رفع الضرر عن المسلمين بطرد الاسبانيين من وهران ، ولكن مولاى اسماعيل تراجع الى داخل حدود مملكته تحت ضغط قوات الداي شعبان فى المرة الأولى وضغط الداي الحاج مصطفى فى المرة الثانية من جهة ، واحتراماً للأوفاق المعقودة مع سلفه من قبل والتي تجعل نهر تافنا حداً فاصلاً بين الأيالتين من جهة أخرى .

اما العلاقات مع الدول الأوربية فكانت سيئة فى أغلب الأحوال بسبب مطاردة أسطول الدايات للسفن الأوربية ووجود عدد كبير من الأوربيين أسارى بالجزائر ، وقد كانت تحدث بسبب ذلك اصطدامات بحرية وهجومات برية اشتركت الولايات المتحدة نفسها مرة فى بعضها سنة 1815 .

وفى بداية القرن التاسع عشر كانت فرنسا ثملة بخمر ثورتها على ملوكها وانتصارات قواتها بقيادة نابليون ، فعزمت على احتلال الجزائر رغم أن

الدايات ساعدوا ثوار فرنسا بالميرة وأقرضوا حكومة الديريكتوار (30) مبلغ مليون فرنك من غير فائدة ، وقد اغتنمت فرنسا فرصة مطالبة الداي حسين ( 1818 - 1830 ) لقنصل فرنسا ديفال Deval بالديون التي بدّمت دولته ولطمه اباه بمروحة كانت بيده ثلاث مرات بعدما أساء الرد عليه ، فقطعت علاقاتها مع الجزائر وأرسلت تجريدة عسكرية تطلب من الداي أن يعتذر فرفض ، فضربت حصاراً على الجزائر رد عليه الداي بتخريب مركزها التجارى بالقالة ، واذا ذلك قررت فرنسا غزو ايالته فخرج أسطولها من مرسى طولون يوم 25 مايو 1830 متجهاً نحو الجزائر ، فوصلها يوم 31 منه ، ثم تحول عنها الى شبه جزيرة سبلى فرج التي تبعد عنها 25 كلم غرباً ، ونزل الجنود الفرنسيون الى البر يوم 14 يونيو ، ثم تقدموا نحو الجزائر حتى استولوا على الكدى المشرفة عليها ، وأرسلوا الى الداي صك الاستسلام ليوقة ، فوقعه يوم 5 يوليوز بعد ان اشترط على الفرنسيين حفظ أمواله والاذن له بمغادرة البلاد الى حيث يشاء ، واحترام الشعائر الدينية للمسلمين ، فقبلوا شروطه ، وأمر جنوده بالكف عن المقاومة فاحتل الفرنسيون الجزائر بغير قتال .

انتهى الحكم التركى للجزائر بعدما استمر أزيد من ثلاثة قرون ، واذا ذكرت محاسنه فمن أعظمها أنه أنقذ مراسيها من الاحتلال الاسبانى واعطاها كياناً جغرافياً محدداً واسماً دولياً مميزاً ، ولفت اليها أنظار العالم وجعلها حديث كل لسان لما كان يقوم به أسطولها من مغامرات جريئة . وتعيج به مدنها الساحلية من أسارى ، وقد نظم العثمانيون البلاد الجزائرية تنظيماً حكومياً وإدارياً لا عهد لها به من قبل ، فكانت السلطة التنفيذية بيد الوالى الذى ينتخبه قواد القوات البرية ( الانكشارية ) وقواد القوات البحرية ( طائفة الرياس ) يساعده ديوان لا يبرم أمراً أو ينقضه بدون استشارته وموافقته ، أما الادارة الاقليمية فكانت تحت سلطة بايات يعينهم الوالى على مقاطعات فسنطينة وتيطرى ( المدية ) ووهران بينما كان هو يحكم مقاطعة الجزائر

---

(30) نظام حكومى قام فى فرنسا من 27 أكتوبر سنة 1795 الى 9 نونبر سنة 1799 وقد نلب نابليون هذا النظام الى نظام يعرف بالنظام القنصل .

بنفسه ، وكانت القوة العسكرية تتركب من الجند العثماني المشتمل على التركي والأرمني واليوناني والسلافي والأرناؤوطى وحتى الايطالى والكورسيكى والاسبانى ، ومن قوات مساعدة تشتمل على عرب وبربر من أهل البلاد يقودها ضباط عثمانيون .

أما مساوىء هذا الحكم فانها تجل عن الحصر ، ومن أعظمها انه كان حكماً طاعياً عنصرياً لا يختلف فى شىء عن الحكم السائد الآن ببعض الأقطار الافريقية ، تجرع أهل البلاد فى ظله الصاب والعلقم ، اذ أقصاهم عن الوظائف والحياة العمومية باستثناء بعض الوظائف الدينية فى حين كان المتظاهرون بالاسلام من طليان ويونان وأرمن يرتقون بسهولة الى منصب الوالى وقائد الجند ورئيس الأسطول وأمين المال ، وحوربت اللغة العربية وحلت محلها فى الدواوين اللغة التركية وضعف التعليم ففاض معين الثقافة وصوح نبت الترسل والشعر والتأليف ، وفى العصر التركى دخلت الى الجزائر عناصر بشرية جديدة مشتملة على كل الأجناس التى كانت خاضعة للحكم التركى بأوروبا وآسيا وافريقيا ، وقد تزوج بعض هؤلاء الطارئین على البلاد من نساها فولدوا جيل ( الكورغليين ) الذين لم يسلموا هم أيضاً من احتقار الأتراك الأقحاح واستصغارهم بسبب الدماء العربية التى تجرى فى عروقهم من جهة أمهاتهم كما دخل اليها المذهب الحنفى وبعض الطرق الصوفية الواردة معهم من الشرق ، أما الآثار العمرانية فأكثرها كان منشآت حربية وأقلها كان قصوراً ومساجد وحدائق وحمامات .

### دول المغرب الأدنى :

## الدولة الأغلبيّة

800 - 909

كان ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي عاملاً على مدينة طبنة عندما ثار الناس بالقيروان على والى افريقية من قبل بنى العباس محمد بن مقاتل

المكي رضيع هارون الرشيد سنة 799 ( 183 هـ ) فاستنجد الوالي بالعامل فخرج معه لقمع الثائرين فعاد الوالي منتصراً الى مقر ولايته ، ولكن الرعية بقيت على كراهيتها له ، وعملت على خلعه بمداخلة العامل ابراهيم بن الأغلب ، فكتب ابراهيم في ذلك الى الخليفة ملتزماً بدفع 40.000 دينار مساهمة الى بيت مال الخلافة ببغداد ، واسقاط 100.000 دينار التي كانت خزينة الخلفاء تمد بها الامارة بالقيروان ليستعين بها الوالي على تدبير امور افريقية وسائر المغرب وينفقها في المصالح العمومية ، وبعدما استشار الخليفة أهل شوره أشاروا عليه بقبول ذلك تخفيفاً عن كامل الخلافة الذي أعياه تدبير امبراطورية تترامي أطرافها ما بين الهند والصين شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً ، ودفعاً للدعوتين العلوية والمروانية اللتين أقامهما بالمغرب الأقصى والأندلس ادريس بن عبد الله الكامل الحسنى . وعبد الرحمان الداخل الأموى ، وصدر أمر هارون الرشيد وسط جمادى الثانية عام 184 هـ ( يوليو 800 م ) بأقالة محمد بن مقاتل العمكى عن ولاية افريقية واسنادها الى ابراهيم بن الأغلب وجعلها وراثية فى عقبه مع منحه سلطات واسعة فى التصرف ، فكان ذلك اعترافاً ضمناً من الخلافة باستقلال المغرب الذى كانت بعض أقطاره وجهاته استقلت فعلاً من غير ان تنتظر من خلفاء بغداد ان ينعموا عليها بالاستقلال .

وأقام ابراهيم أميراً اثنى عشرة سنة نظم فيها امارته ، وبنى القصر الكبير ( العباسية ) على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، ونقل اليه سلاحه وسكنه بحاشيته ، وكان فقيهاً أدبياً حسن السيرة رؤوفاً بالرعية ، ولما توفى سنة 811 ( 196 هـ ) خلفه ابنه عبد الله المكنى بابى العباس ، فأحدث عدداً من الضرائب نفرت منه الرعية ، وبعد خمسة أعوام وبضعة أشهر من ولايته توفى ( 817 - 201 هـ ) فخلفه أخوه زيادة الله الذى كان عالماً أدبياً ضم اليه العلماء وادنى منه أهل المعارف ، وهو الذى أغزى أسطوله وجيشه صقلية سنة 827 ( 212 هـ ) تحت قيادة القاضي الشهير أسد بن الفرات ، ولما أراد منه الخليفة المأمون العباسى ان يدعو لعبد الله بن طاهر بن الحسين والى مصر رفض ذلك بشم ، وناول رسول الخليفة كيساً فيه ألف دينار أكثرها مضروب باسم الأدارسة ملوك المغرب الأقصى ففهم الخليفة أنه تلويح بتحويل الدعوة اليهم

إذا ألح عليه في ذلك فغض عنه الطرف ، وكانت وفاة زيادة الله سنة 838 ( 223 هـ ) فتوالى الأمراء من آل الأغلب بعده ، من أشهرهم تاسعهم ابراهيم بن أحمد ( 875 - 902 ) الذي اشتهر بكثرة سفكه للدماء . قتل حتى بناته وخاصة جنده فكان ذلك سبب انحلال دولته . وهو الذي نقل العاصمة الى تونس وبني قصبتها واتخذ بها القصور والمباني ، وأبو مضر زيادة الله بن عبد الله الذي هزمه الداعية العبيدي أبو عبد الله الصنعاني سنة 908 ( 296 هـ ) فلم ير بعدما بدأ من اسلام البلاد اليه . وجمع آله وماله وغادر افريقية متوجهاً الى طرابلس ومصر فمنعه عاملها من الدخول اليها ثم أذن له الخليفة العباسي بالاقامة بالرملة فاقام بها الى ان توفي سنة 915 ( 303 هـ ) على أسوأ حال . وانقضت بخروجه من المغرب الأدنى دولة الأمراء من بني الأغلب بعد ان دامت III سنة .

كانت الامارة الأغلبية دولة عربية دماً ولحماً ، ظلت تعترف بالتبعية للخلافة العباسية ولكنها كانت في الحقيقة تتمتع بكامل الاستقلال ، وقد أفادتها العلاقات الطيبة مع بغداد فوائد كثيرة سواء في التنظيم أو التحضير أو التعريب ، اذ كانت الوفود السياسية لا تفترغ غادية رانحة بين القيروان وبغداد ، كما كان طلبة العلم من أهل افريقية يقابلون بترحاب في مدارس العراق ثم يعودون الى بلدهم مملوئي الوطاب علماً وأدباً ، وقد كاد المذهب الحنفي يستتب في افريقية بسبب ذلك لولا أن أنصار المذهب المالكي بالمغرب الأقصى والأندلس والقيروان نفسها بذلوا مجهودات قوية لنشره وتعميمه حتى اختفت أمامه سائر المذاهب .

وكانت حدود الامارة الأغلبية تمتد من طرابلس شرقاً الى الزاب وجبال كتامة ( زواوة ) غرباً ، وبقيت القيروان وما بني بضواحيها عاصمة للامارة الى ان انتقل أحد الأمراء الى تونس فاستقر بها ، وكان الأمراء يستعينون على الحكم بموظفين ساميين ، فكان لهم وزير وحاجب وصاحب شرطة وبريد وجباة للزكاة والضرائب ، وقواد للجيش والأسطول ، أما القضاء فكان مقدساً وقضاة افريقية في ذلك العصر نوادر في العدل والتسوية في الأحكام بين



الأمير والناظر ، وقد بلغ من أهمية القضاء أن أسد بن الفرات لما ولاه زيادة الله بن الأغلب قيادة الجيش والأسطول عند غزو صقلية عد ذلك خطأ لمرتبته ، وقال لزيادة الله : أصلح الله الأمير : أبعد القضاء والنظر في الحلال والحرام نزلنى وتولينى الامارة ؟ ولم تطب نفسه حتى أخبره زيادة الله انه قاض وأمير ؟

وكان أمراء بنى الأغلب على ولوعهم بالخمير والغناء والصيد مولعين بالبناء والتشييد ، فقد أصلحوا مسجد عقبة بالقيروان وبنوا القصر القديم ورقادة بضواحيها ، وجددوا بغاية وبلمزة ، وعمرؤا تونس وبنوا قصبتها وجامعها الكبير ( الزيتونة ) وعددأ كثيراً من المساجد والحصون والمحارس والربط ، وكانت مجالسهم فى نطاقها الضيق تشبه مجالس خلفاء بغداد فى نطاقها الواسع ، يكثر فيها انشاد الشعر ولحن الغناء ويجتمع فيها الشعراء والأدباء ، وكان لهم جيش قوى وأسطول كبير استطاعوا به غزو صقلية ، ولم يسء الاغلبة الى دولتهم بشئ كما أساءوا اليها بظلم الرعية وتكثير الضرائب والغاء الزكاة الشرعية التى كانت تطيب بها النفوس ، وامعان بعضهم فى سفك الدماء حتى ان منهم من قتل بناته وبطانته وحرسه الخاص . فلم تطق دولتهم بسبب ذلك الصمود فى وجه بنى عبيد .

## الدولة العبيدية

909 - 972

ولد عبيد الله الملقب بالمهدى الذى تنتسب اليه الدولة العبيدية ببلاد المشرق سنة 873 ( 260 هـ ) وهو من نسل الحسين بن الامام على بن أبى طالب على ما أكده ابن خلدون فى تاريخه ، ولما كبر بدأ حركته فى مدينة السلمية الصغيرة الواقعة قرب حماة بسوريا ، وبنى خطته السياسية على فكرة القول بظهور الامام المهدى الذى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وهى فكرة طالما استعملها الشيعة لجمع الناس حول آل البيت واثارتهم على ملوكهم بنى امية ثم بنى العباس .

وكان من جملة الدعاة الذين أرسلهم عبيد الله إلى الأقطار الإسلامية لبث دعوته الداعي أبو عبد الله الصنعاني الذي كان المغرب من حظه ، فجاء مع حجاج لقيهم بمكة سنة 893 ونزل معهم بحصن ايكجان بتراب قبيلة كنانة المستقرة بشرق جبال الباهور بين مدن جيغل وسطيف وقسنطينة ، وهناك شرع يبيث دعوته التي وجدت من البربر آذاناً صاغية وقلوباً واعية لشدة تعظيمهم لآل البيت ، ولما استوثق له الأمر جهر بالدعوة وأعلن الثورة على بني الأغلب وأرسل إلى عبيد الله المهدي يستقدمه وكان يومئذ مختفياً بمصر بعدما فر إليها من الشام لما طلبه الخليفة العباسي المكتفي ، وشرع في احتلال مراكز حكم ولاية بني الأغلب فاستولى على ميله أولاً سنة 902 ثم على سطيف سنة 904 وعلى طينة وبلزمة في السنة التالية . وأثناء ذلك خرج عبيد الله المهدي إلى المغرب صحبة ابنه أبي القاسم وأبي العباس أحمد الصنعاني أخى داعيته وكانوا جميعاً في زى التجار ، وطارده ولاية بني العباس وجواسيسهم فلم ينته به المطاف إلا في سجلماسة بأقصى المغرب ، فأكرمه أميرها اليسع بن مدرار ، ثم اعتقله وابنه في غرفة داخل داره بعدما وردت عليه كتب الخليفة العباسي والأمير الأغلبى بالقبض عليه .

وواصل أبو عبد الله الصنعاني حروبه ضد بني الأغلب ، ودارت المعركة الفاصلة بينه وبين آخرهم زيادة الله الثالث بالأربص سنة 909 ( 296 هـ ) ثم احتل رقادة يوم 27 مارس سنة 909 ( 26 جمادى الثانية 296 هـ ) بعد أن تخلى عنها زيادة الله وفر إلى المشرق ليموت فيه بئيساً .

وكان أول عمل بدأ به الداعية بعد قضائه على بني الأغلب هو السعي في تخليص عبيد الله من الأسر ، فخرج في جيش كثيف متوجهاً إلى المغرب ، وعرج في طريقه على تيهرت فمحاربتها دولة بني رستم ، ثم واصل زحفه نحو المغرب وكتب إلى اليسع بن مدرار متلطفاً مخافة على عبيد الله وابنه المحبيين بداره ، فقتل اليسع الرسل وخرج للقاءه ، فانهزم وقتل ، ودخل أبو عبد الله الداعي إلى سجلماسة ، واستخرج عبيد الله من مكان ثقافته ، فلما رآه ترجل وبكى ، ومشى بين يديه حتى أوصله لمحلته وسلم الأمر إليه ثم رجع معه إلى القيروان وأنزله برقادة في شهر يناير 910 ( ربيع الثاني 297 هـ ) .

وأمسك عبيد الله مقاليد الدولة في الحين ، وجمع الفقهاء في رقادة  
ثاني يوم دخوله اليها ، فتلقب بالمهدي وتسمى بأمير المؤمنين وأخذ العهد  
لولده أبي القاسم وألف حرساً خاصاً من العبيد يبلغ عدده 12.000 مملوك ما بين  
رومي وحبشي ، وجيشاً قوياً من رجال كتامة ، واستفاد كثيراً من الجهاز الإداري  
الأغلب الذي بقي قائماً ، فاستقر الولاة الجدد بالمدن والقرى دون صعوبة ،  
رواصلت الدواوين والمكاتب الإدارية أعمالها العادية ، وبدأت الجبايات تتدفق  
من مختلف أنحاء البلاد على بيت المال كذى قبل ، وبالجملية برهن عبيد الله  
المهدي من الساعات الأولى على أنه رجل دولة ممتاز حتى أنه لم يستعص عليه  
قتل داعيته أبي عبد الله الصنعاني وأخيه أبي العباس سنة 911 ( 298 هـ ) لما  
رأى الاستبداد عليه وبدأ يستنقصانه .

وبعد ما أخمد المهدي بعض الفتن أنشأ عاصمة جديدة بالساحل  
سماها باسمه ( المهدي ) وانتقل لسكنائها سنة 921 ( 304 هـ ) واثّر ذلك  
شرع في تحقيق الحلم الذي كان يستبد دائماً بفكره . وهو أن يصبح خليفة  
على المسلمين قاطبة ، فأرسل حباسة بن يوسف إلى المشرق فاستولى على كثير  
من البلدان ، ثم وجه ابنه أبا القاسم مرتين إلى مصر فاستولى على الاسكندرية  
وبلغ الفيوم ورجع ، ولم يزل عبيد الله المهدي آمناً مظفراً إلى أن توفي سنة  
934 ( 322 هـ ) فقام بالأمر ولّى عهده ابنه أبو القاسم محمد الملقب بالقائم بأمر  
الله الذي كان على سنن أبيه نجدة وحزماً وتورعاً ، فقوى الجيش والأسطول ،  
واستولى على مدينة جنوة بإيطاليا ، وبنى مدينة المسيلة التي يسميها الشيعة  
( المحمدية ) ، وثار عليه مخلد بن كيداد اليفرنى المعروف بصاحب الحمار ،  
وكان خارجياً نكاريّاً يسب علياً وشيعته ، فاستولى على القيروان وتونس  
واستباحهما ، وتوفي القائم بأمر الله سنة 946 ( 334 هـ ) ومخلد صاحب الحمار  
على حصار سوسة ، فخلفه ابنه أبو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ، ولكنه  
كتم موت أبيه حتى قضى على الناصر الخارجي ( 947 - 336 ) واثّر وفاته أعلن  
المنصور للناس موت أبيه . وأمر ببناء مدينة صبرة على بعد ميل من القيروان  
وسماها المنصورية وانتقل لسكنائها سنة 948 ( 337 هـ ) وشرع بعد ذلك في  
تجهيز الأساطيل لغزو أوربا فأتاحت له مغنم وفتوحات لم ينعم بها طويلاً لأنه

توفي سنة 953 ( 341 هـ ) متأثراً من علة الأرق التي ابتلى بها ، فخلفه ابنه معد بن اسماعيل المكنى بأبي تميم والملقب بالمعز لدين الله ، وكان سياسياً كيساً يتحلى بما يجب أن يتحلى به الملوك من صفات تجتذب القلوب وتضطلع الناس ، وهو الذي وجه قائده جوهر الصقلي الى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى سنة 958 ( 347 هـ ) فسار مدوخاً قبائلهما حتى وصل الى فاس فاستولى عليها ، ثم توجه الى تطاون (تطوان) ومنها الى سبتة فتعسر عليه فتحها فقصده سبجلماسة واستولى عليها وقتل محمد بن الفتح الشاكر لله أميرها واتناء وجهته هذه فر الحسن بن كنون الادريسي أمامه والتجأ الى قرطبة ، وبعد سنة عاد جوهر الى افريقية .

وفي شهر غشت سنة 972 ( شوال 361 هـ ) خرج المعز لدين الله من المنصورية راحلاً الى المشرق ونقل معه جميع أمتعته وذخائره ، واستخلف على افريقية وسائر أملاك العبيديين بالمغرب بلكين بن زيري الصنهاجي ، فكان ذلك بداية ملك الصنهاجيين من آل زيري بالمغرب الأدنى .

لم تكن أيام بني عبيد الذين أصبحوا بعد انتقالهم الى مصر يسمون بالفاطميين طويلة بالبلاد المغربية ، لأن غايتهم كانت من الساعة الأولى هي الاستيلاء على الشرق واقتعاد كرسى الخلافة ببغداد . فلم يكن المغرب الا مرحلة أولى لقطع المراحل التالية ووسيلة لبلوغ غايتهم النهائية ، ولما عزم المعز عن الرحيل ضمن على البلاد التي آوت أسرته ونصرتها حتى بجثت آبائه التي اصطحبها معه في توابيب كما اصطحب جميع آل عبيد الله جده لأن البلاد المغربية بالنسبة لهم وله بلاد أجنبية ، ونظراً لقصر مدتهم فسي المغرب واشتغالهم بتنميد أقطاره فان الآثار التي خلفوها به قليلة وأعظمها مرسى المهدية ومدينة المسيلة ، اما الفكرة الشيعية التي جعلوها محور دعوتهم فانها لم تلق قبولا كبيراً من طرف السكان الذين كانوا يتخلصون أيضاً من المذاهب الخارجية ليستمسكوا بمذهب أهل السنة ، والحقيقة أن الناظر في سيرة ملوك بني عبيد وقوادهم في طور دولتهم الأول بالمغرب يجدها تنسم بالتناقض مثلما يجدها تنسم به في طورها الثاني بالمشرق ، ولكن شيئاً واحداً كان يطبع

سلوكهم هنا وهناك أكثر مما عداه ، هو شدة البطش وقسوة الأخذ وكثرة ارافقهم للدماء وازهاقهم للأرواح .

## الدولة الزيرية الصنهاجية

972 - 1160

ينتسب ملوك هذه الدولة الى صنهاجة احدى قبائل البربر البرانس التي سيأتي التعريف بها ، وكان الفريق الذي ينتمي اليه منشئها يسكن ما بين زواوة شرقاً وزناتة غرباً ، وأكبر معاقلم جبل تيطرى الشهير الواقع جنوب مدينة الجزائر .

ولما عزم المعز لدين الله أبو تميم معد العبيدي على نقل ملك بني عبيد الى الشرق فكر فيمن يكفيه لاستبقاء ما حازه من ملك المغرب ودفع من يخشاه من ملوك المغرب الأقصى وأمراء زناتة المعقودة أيديهم بملوك بني أمية بالأندلس ، فدلّه بعد نظره على اختيار رجل من قبيلة صنهاجة التي كان بينها وبين زناتة عداوة عظيمة وحسائف ظاهرة وكامنة ، كما كان لها تشيع كبير وولاء مكين لبني عبيد .

وكانت رئاسة صنهاجة للأمير زيري بن مناد باني مدينة أشير (31) وهو أول من ظهر منهم بالمغرب الأقصى وعقد الألوية وقاد الجيوش ، وأبلى البلاء الحسن في قتال مخلد بن كيداد الخارجي صاحب الحمار مع المنصور العبيدي ، فصار من أعيان شيعتهم وعظماء دولتهم ، فلما قرر المعز الرحيل الى مصر أسند ولاية المغرب الى ابنه بلكين بن زيري ، وفوض اليه في أموره ما عدى صقلية وطرابلس ، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه بسيف العزيز ، وكتب الى جميع الولاة بطاعته .

---

(31) تقع هذه المدينة الى الجنوب الشرقي من مدينة البرواقية ولا تزال أطلالها باقية الى اليوم عند الكاف الأخضر على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبال تيطرى ، وكان انشاؤها سنة 324 ( 936 ) .

وارتحل المعز من المنصورية يوم الاثنين 6 غشت سنة 972 ( 22 شوال 361 هـ ) ورجع بلكين بن زيرى - بعد ما شيعه - الى مقر عمله ، فاتخذ وزيراً وفوض له ، واعاد تنظيم ادارة الولاية ، وكان أهم ما يقلقه مزاحمة المروانيين والادارسة وأمراء زناتة للدعوة العبيدية وتحالفهم ضدها ، وقد اضطر الى الذهاب بنفسه الى المغرب من افريقية يوم 28 مارس سنة 979 ( 25 شعبان 368 هـ ) بجيوش ضخمة ، فسار حتى وصل الى فاس فاستولى عليها وأطاعه المغرب كله ولم تستعص عليه الا سبتة التى أيقن - لما شاهد مناعتها - انها لا تنال الا بالمراكب البحرية ، وأقام أبو الفتح بالمغرب الأقصى يدير منه أمور ولايته من سنة 979 الى سنة 984 وكانت الرسائل والسجلات ترد عليه لفاس وغيرها مع البريد من مصر والأقاليم فيدرسها ويبعث أجوبته عنها الى القيروان بعد مدة قصيرة من تاريخ وصولها اليه ، ولما بلغه قيام الناصر خزرون الزناتى بسجلماسة رحل اليه واعتل فى طريقه بقولنج مات منه بعدما انفصل عن سجلماسة فى موضع بينها وبين تلمسان فى 25 مايو 984 ( 21 ذى الحجة 373 هـ ) فبويع بعده ابنه أبو الفتح الملقب بالمنصور بمدينة أشير وبقي أميراً الى ان توفى يوم 26 مارس 996 ( 3 ربيع الأول 386 هـ ) وقد حافظ خلال هذه المدة على ولائه للفاطميين ، وسعى فى إعادة المغرب الأقصى والمغرب الأوسط الى سلطانه بعدما انفصلا عنه اثر وفاة أبيه وأرسل لهذا الغرض أخاه يطوفت ولكن زيرى بن عطية المغراوى أجلاه عن فاس وهزم جنوده فلم يقفوا الا بتيهرت ، وكان أبو الفتح المنصور سياسياً وديعاً يقابل الثائرين عليه بالصفح ويستميل الناس اليه بالاحسان ، لا يستثنى من ذلك الا بطشه بوزيره عبد الله الكاتب وابنه يوسف لأمور نقمها ( 986 - 376 هـ ) ولما توفى تولى الامارة ابنه وولى عهده باديس المكنى بأبى مناد والملقب فيما بعد بنصير الدولة ، فكثرت فى أيامه الطويلة الفتن والثورات والحروب وضيق عليه زيرى بن عطية المغراوى ملك فاس حتى آذاه الحال الى تولية عمه حماداً وتمليكه على ما يفتحه من الأراضي الغربية فانقسم ملك بنى زيرى الصنهاجيين الى قسمين : قسم بالقيروان ، وقسم بالقلعة التى بنها حماد ونسبت اليه ، وكانت وفاته سنة 1016 ( 406 هـ ) فتولى بعده ابنه المعز بن باديس الذى خلع دعوة

الفاطميين وأنكر المذهب الشيعي وسائر المذاهب الأخرى وحمل الناس على مذهب الامام مالك بن أنس ، فأشار الوزير على اليازورى على المستنصر الفاطمي أن يسرح إليه عرب **هلال** و **سليم** ليكفوه مخالفته ، فأباح لهم عبور النيل ودخول برقة والمغرب ، فجاز منهم ما لا يقل عن نصف مليون نسمة ، وتقدموا الى المغرب ناهبين مخربين واشتدت وطأتهم على البلاد وسكانها حتى اضطر المعز الى التخلي لهم عن القيروان ( 1057 - 449 ) والالتجاء الى المهديّة حيث توفي سنة 1062 ( 454 هـ ) فخلفه ابنه تميم بن المعز ، فأبنه يحيى بن تميم ( 1108 - 501 هـ ) ثم على بن يحيى ( 1116 - 509 هـ ) ثم الحسن بن على ( 1121 - 515 هـ ) الذى كثر عيث النورمانديين فى شواطئ المغرب الأدنى على عهده ، ولم ينقذ البلاد التونسية من الغوضى والوهن الا استيلاء القوات المغربية عليها سنة 1160 ( 555 هـ ) بقيادة عبد المومن بن على الذى أبقى الحسن المذكور والياً على المهديّة حتى استقدمه يوسف بن عبد المومن الى المغرب فتوفى فى الطريق سنة 1171 ( 566 هـ ) .

كانت أيام بنى زيرى الصنهاجيين فى بدايتها امتداداً لآيام بنى عبيد الذين أسندوا اليهم الأمر ورحلوا الى المشرق . ولكن بنى زيرى بدؤوا يشعرون مع مرور الزمان بأنهم فى حاجة الى اعلان استقلالهم ، ولم يكن يؤخرهم عن الجهر بذلك الا اشتداد الصراع بينهم وبين أقتالهم الزناتيين ملوك فاس ، ذلك الصراع الذى كان فى حقيقته قبلياً بين صنهاجة وزناتة أكثر منه دينياً بين الشيعيين والسننيين وسياسياً بين العبيديين والمروانيين ، حتى جاء المعز بن باديس فنبد الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للقائم بأمر الله العباسى وأتاه التقليد منه ، ومع أن حفيده يحيى بن تميم راجع طاعة بنى عبيد واعاد الدعاء لهم على المنابر فان ذلك لم يكن سوى أمر شكلى ، لأن فاطمىي القاهرة وعباسىي بغداد لم يبق لهم أى سلطان حقيقى على المغرب ، على أن ارتباط آل زيرى الأسمى بالخلافة فى المشرق أفاد المغرب كثيراً ، اذ استمرت الوفود تتنقل بسهولة ما بين المشرق والمغرب العربيين ، كما ظلت معاهد القاهرة وبغداد والحرمين الشريفين مفتوحة فى وجه الطلاب المغاربة ، وأتيح للحضارة العربية أن ترسخ سبما بعدما هاجر الاعراب الهلاليون والسليميون الى هذه البلاد التى أخذت بهم

طابعها العربى النهائى رغم ما كلفتها هجرتهم من تضحيات وسببت لها من خسارات .

وقد حاول الملوك الصنهاجيون أن يؤسسوا إمبراطورية ونجحوا فى لحظات معينة من توحيد أقطار المغرب وجمع شمل سكانه ، ولكنها كانت لحظات قصيرة تلتها الفرقة والخلاف ، كما نعمت البلاد المغربية بفترات مدوء ازدهرت فيها الفلاحة ونمت الصناعة وكثرت الأموال ، ولكن الشعب لم يكن يستفيد كثيراً من خيرات بلاده لأن أفرادهم كانوا يرهقون بكثرة ما يؤخذ منهم من مال برسم الضرائب أو الهدايا الموجهة إلى خلفاء المشرق . وكانت الحركة العمرانية بين مد وجزر فبينما كان بنو زيرى يبنون مدناً مهمة وقصوراً فخيمة كانوا يخربون أخرى كما فعلوا بالبصرة فى المغرب الأقصى وميلة فى المغرب الأوسط ، ومثل ذلك معاملة رجال الدولة من أمراء ووزراء وعمال للريعية كانت تتصف حيناً بالعدل والرفق ، وأحياناً بالجور والقسوة التى ليس لها مثيل .

## الدولة الحفصية

1224 - 1573

كان الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى جد الحفصيين ملوك تونس كبير قبيلة هنتانة البربرية وأحد العشرة السابقين إلى الاستجابة لدعوة الفقيه محمد بن تومرت مهدى الموحدين ومنشئ دولتهم ، وقد أبلى البلاء الحسن فى تثبيت دعوتهم وقاد جيوشهم المنطلقة لحرب أعدائهم بالمغرب والأندلس ، ولما توفى سنة 1181 ( 571 هـ ) رعى الخلفاء من بنى عبد المومن لبنيه سابقة أسرته فى الدعوة ، وحميتها فى النصرة ، فكانوا يقلدونهم الولايات ويسندون اليهم قيادة الجيوش ، ولما نهض الخليفة الناصر بن المنصور الموحدى إلى إفريقية سنة 1204 ( 601 هـ ) للنظر فى أمورها بعد ظهور الثائر ابن غانية كان فى صحبته أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص ، فاطلع الخليفة الناصر على الأحوال ودرس الأمور عن كتب ، ورأى أنه لابد من رجل قوى يسد فى إفريقية مسد



الخليفة ويكون له منها التفويض نظراً لبعده مراکش عن الصريخ ، فاختار أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي امتنع من الولاية في الأول ثم قبلها بشروط ، فأعلن الخليفة ولايته ورحل إلى المغرب ، وشيعه أبو محمد عبد الواحد الوالي الجديد إلى باجة ، ثم عاد إلى تونس فاستقر بقصبتها يوم 10 مايو 1207 ( 10 شوال 603 هـ ) فكان ذلك بداية عهد الحفصيين بولاية تونس ، وبعدها وقع بالشائر ابن غانية وقائع مشهورة ومهد الأمن وسدل رداء العافية التمس من الخليفة أن يعيده إلى المغرب ، لأنه كان اشترط عليه ألا يقيم بالولاية أكثر من ثلاث سنين ، ولكن الخليفة أجابه بشكر صنيعة وسوفه واعتذر عن استدامه . فأقام بتونس محمود المقاصد إلى أن توفي سنة 1221 ( 618 هـ ) فقام بالأمر ابنه عبد الرحمان ريثما جاء الوالي الجديد وهو عم الخليفة المستنصر أبو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المومن فحارب ابن غانية حتى شرده وتوفي سنة 1223 ( 620 هـ ) فقام بأمر الولاية بعده ابنه عبد الرحمان بن ادريس فبسط في الناس يد الجور ، ولما بلغت أخبار مظالمه إلى العادل بن المنصور الموحدى بادره بالعزل وبدأ يجيل فكره فيمن يوليه على المغرب الأدنى فوقع بصره على عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص فاستدعاه وسأله عن حاله فأجابه متمثلاً بقول الشاعر :

حال متى علم ابن منصور بها \* جاء الزمان إلى منها تائباً

فاستحسن الخليفة الجواب واستظرف التشكى ، وولاه مكان أبيه ، فخرج إلى تونس ووصلها سنة 1224 ( شعبان 621 هـ ) ومعه أخوته ، وقعد بها يعاني حروب ابن غانية ، وسامت الحالة بينه وبين أخيه أبي زكرياء واشباخ الموحدين ، فلم ير بداً من التدخل عن الولاية ، فقدم الأشياخ ورؤساء الجيش أخاه أبا زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ( 1228 - 625 هـ ) ناظر الخليفة اختيارهم ، وقام أبو زكرياء بالأمر ، وأقبل على حرب ابن غانية حتى شنت جموعه ، ونمت إليه أنباء انحلال الخلافة في مراکش فبدأ يتشوف إلى الاستبداد بالولاية حتى بلغ به الحال إلى صرف بعض العمال الذين بعثهم إليها الخليفة المأمون ، ثم أمر سنة 1237 ( 634 هـ ) بذكر اسمه على المنابر في الخطبة مقتصراً على لقب الأمير .

ويعتبر أبو زكرياء المشيد الحقيقي لدولة بني حفص فقد قوى أمره حتى جاءت البيعات من المغرب والأندلس ، وأصبحت تونس قبلة الأنظار لما أقر فيها من سلطة ونشر من أمن وبني من مساجد وقصور ونسق من حدائق وغروس ، وفي سنة 1249 ( 647 هـ ) توفي أبو زكرياء فتولى ابنه المستنصر الذي ازدادت في عهده الدولة قوة ومهابة والرعية رفاحية وهناء ، لكنه كان شديد البطش غير متوقف في سفك الدماء ، ومن ضحاياه الكاتب الكبير أبو عبد الله بن الأبار القضاعي صاحب المؤلفات الأدبية النفيسة ، وفي أيامه غزا ملك فرنسا سان لويس تونس ( 1269 - 668 هـ ) فمات وكثير من جنده بالوباء والسحب الفرنسيون منها بعد أربعة أشهر على أسوأ حال ، وتوالى على عرش المملكة الحفصية بعد وفاته ( 1277 - 675 هـ ) أربعة وعشرون ملكاً وأميراً من أسرته إلا في فترات قصيرة خرج فيها الملك من بين أيديهم كفترة الدعي ابن أبي عمارة ( 82 - 1284 ) وفترة استيلاء بنى مرين على تونس ( 1347 - 748 هـ ) ومن أشهر ملوكهم بعد المستنصر أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ( 1370 - 1394 ) وابنه أبو فارس عبد العزيز ( 1394 - 1433 ) وحفيده عثمان بن المنصور بن عبد العزيز ( 1435 - 1488 ) وختم ملكهم بالسلطان محمد بن الحسن ( 1572 - 1573 ) الذي قضى الرياس الأتراك على دولته وعلى حماته الإيبانيين ونقلوه إلى السلطان سليم العثماني بأسطمبول فاعتقله بها خشية رجوعه إلى تونس حتى هلك في اعتقاله .

وانتهى باستيلاء الأتراك العثمانيين على المغرب الأدنى حكم بني حفص بعد أن دام أزيد من ثلاثة قرون ونصف عاشت خلاله تونس عصراً من أحفل عصورها التاريخية بالوقائع والأحداث التي تسر وتسوء ، ولقد كان من بين ملوك الأسرة الحفصية ملوك امتازوا بحسن السياسة وقوة الشخصية فاطاعتهم الرعية وسعد بهم الناس وكثرت في أيامهم الأعمال العمرانية ونشطت الحركة الثقافية وانبسط نفوذهم على جميع المغرب الأدنى وجل المغرب الأوسط ، كما كان منهم ملوك وأمراء ضعفاء أخذوا إلى ملذاتهم وشهواتهم ووضعوا مقاليد الدولة بين أيدي موظفين انتهازيين أرهقوا الرعية بالمفسارم وساموها ذلاً وخسفاً ، وأقطعوا البادية مشايخ الأعراب فأضرموها حرباً وعاثوا

فيها فساداً ونسفا ، وكانت دولتهم في شكلها النظامي صورة مصفرة لدولة الموحدين الأصلية ذات وزراء وحجاب وأصحاب أشغال وقضاة وكتاب وجبة أموال وقواد جيوش وأساطيل ، وقد تخلوا عن القول ( بالامام المعصوم المهدي المعلوم ) بعدما تخلى عن ذلك الخلفاء أنفسهم بمراكش ، فازداد مذهب أهل السنة تثبيتاً واختفت من البلاد جميع المعتقدات والأفكار المنافية له ، ولكن انتشرت بدلها الزوايا الصوفية وقوى حسن الاعتقاد في الأولياء والصلحاء والبله والمخرقين الذين أصبح لهم تأثير على الدولة وتدخل في شؤونها .

ويعد العصر الحفصي بتونس عصراً خصيباً من الوجهة الفقهية العلمية لكثرة من ظهر فيه من الفقهاء والعلماء ، وما ألفت فيه من التأليف النفيسة التي ضاع أكثرها في الثورات والحروب سيما أيام الاحتلال الإسباني ، وكان لجامع الزيتونة أثر كبير في تكوين أولئك العلماء والفقهاء لما كان يلقي فيه من دروس في مختلف الفنون والعلوم ، وقد استفادت تونس كثيراً ممن انحاز إلى ملوكها في البداية من علماء الأندلس وأدباؤها ، كما استفادت في النهاية ممن استقر بضواحيها من مهاجري الأندلس الذين جددوا فلاحتها وحملوا إليها صنوفاً من المدنية وأعرافاً اجتماعية جديدة ، أما من الوجهة السلالية واللغوية فإن العنصر العربي والمتعرب أصبح هو السيد ، ولم يبق للغة البربرية سبيل إلى الحياة إلا ببعض الجهات المنعزلة ، وحتى موظفو الدولة وجنود القوات العسكرية التي جاءت من المغرب الأقصى مع بنى حفص أو خلفها الموحدون بتونس - وجلهم ينتمي إلى قبائل **المصامدة البربرية** - انصهروا في بوتقة العروبة مسح من كان يسكنهم من العرب والمتعربين فأصبحوا عرباً وكسان استقرارهم بتونس والتحامهم مع أهلها بالصهر عاملاً قوياً في تقوية الروابط السلالية بين سكان المغرب قاطبة . وكان اختلال نظام ولاية العهد وميل رجال الدولة ومشايخ الأعراب إلى هذا أو ذاك من الأمراء أكبر أسباب الفتن والحروب التي أوغمت عظم الدولة الحفصية وجرأت عليها الأجانب وسهلت في النهاية وقوعها بين أيدي الأتراك العثمانيين .

## الحكم التركي

1573 - 1881

جعل القائدان الأخوان عروج وخير الدين من جزيرة جربة الواقعة أمام ساحل تونس الشرقي مقراً لقيادة أسطولهما الجهادي ، فكانا ينطلقان منها للاغارة على السفن النصرانية والسواحل الأوربية ، ولم يستقرا بها حتى اتفقا على ذلك مع أمير البلاد محمد بن الحسن الحفصي ، فكانا يرسلان اليه خمس الغنائم ، ويختاران له هدايا من أنفس ما يقع بين أيديهما من أسلاب ، ودام الحال كذلك فترة من الزمان الى أن أوجس منهما السلطان الحفصي خيفة ، فامتنع من تزويدهما بالبارود لما نفذ ما عندهما منه وهما يحاصران الاسبانيين ببجاية ، وبدأ يؤكد لهما عند ملوك تلمسان ومشايخ الأعراب بالمغربيين الأدنى والأوسط ، ولقد كان هذا التحول من السلطان الحفصي سبباً في تحول الأخوين عروج وخير الدين عنه الى السلطان العثماني بعد ان كانا يعملان لحسابهما الخاص ، بل كان سبباً في بسط الحكم التركي على تونس والجزائر ، وهكذا توجه خير الدين اثر رجوعه من إحدى رحلاته الجهادية الى المشرق - نحو بنزرت فاستولى عليها ولما علم بغراز السلطان الحفصي توجه الى حلق الوادي باسطوله ، فاحتل تونس ( 18 غشت 1534 ) دون مقاومة تذكر ، وبعدما سكن الروعة أعلن نهاية حكم الحفصيين وشمل الناس بعفوه ، وأقام حامية عسكرية بالقيروان ، وبسط حكمه على جميع مراسي الساحل ، وهبت لاعائته القبائل القوية الساكنة بجنوب اقليم قسنطينة .

وحاول السلطان الحفصي الحسن بن محمد استرجاع ملكه ولكنه فشل ، فتوجه الى الامبراطور كارلوس الخامس ملك اسبانيا يستنجد به ، وصادف هذا الاستنجد استحقاقاً من البابا كما اقترن بعودة فكرة الجهاد الصليبي الى أذهان الأوربيين ، لذلك ارسلت اسبانيا حملة الى تونس تتركب من 30.000 جندي تحملهم 400 سفينة ، فاستولوا على حلق الوادي ( 14 يوليوز 1535 ) ثم

دخلوا تونس بعد ستة أيام فأمنعوا في أهلها قتلا ونهباً ، وأعادوا الى عرشها السلطان المستنجد بهم ، اما خير الدين فانه بعدما انسحب الى عنابة توجه باسطوله الى مرسى ماهون بجزر الباليار فخربه وأسر 6000 من أهله ، وكانت واحدة بواحدة .

وبعد أخذ ورد خرج أسطول تركي من اسطنبول تحت قيادة الوزير سنان باشا ، وقلج على قبطان باشا فوصل أمام تونس يوم 24 يوليوز 1573 ( 24 ربيع الأول 981 هـ ) ونزل العسكر العثماني الى البر ، وجاء لنجدته جيش طرابلس بقيادة مصطفى باشا ، وجيش القيروان بقيادة حيدر باشا فحاصروا حلق الوادي الذي اعتصم به الجيش الاسباني حتى فتحوه يوم 3 شتنبر ( 6 جمادى الأولى ) ثم حاصروا بتونس محمد بن الحسن الحفصى ومن معه من الاسبانيين ففتحوها وتملكوا قصبته ، وفر السلطان الى البستيون ( البرج ) الذي بناه الاسبانيون فتبعوهم اليه ولم يزالوا يضيقون عليه حتى دخلوه عنوة يوم 22 شتنبر ( 25 جمادى الأولى ) واستأصلوا من فيه قتلا وأسراً ، واعتقلوا محمد بن الحسن الحفصى وأرسلوه للحبس بتركيا فكان آخر الملوك الحفصيين .

واستقر سنان باشا بالحضرة التونسية يتلافى ما بقي من رمقها ويرتب الأمور ويتألف الناس ، وكانت البلاد وصلت الى حال من الفوضى والوهن والفقر لا أعظم منه الا الفناء ، فكان أول ما بدأ به تنظيم الفرق العسكرية المكلفة بحفظ الأمن في العاصمة والأقاليم ، وتعيين الموظفين السامين ، ووضع مجموعة من القوانين يرجع اليها الناس لمعرفة ما لهم وما عليهم ، وأمر بحضور أعيان أهل البلاد في اجتماعات ديوان العسكر تأليفاً للقلوب ، ورجع الوزير سنان باشا وقلج على القائد العام للأسطول ( قبطان باشا ) بعد ذلك الى اسطنبول فاستمر الترتيب الذي تركه على حاله الى ان فتك الجند بكبار الديوان في وقعة تعرف بوقعة البلكباشية سنة 1591 ( 999 هـ ) وصار قادة الوحدات العسكرية ينتخبون ( داياً ) منهم للنظر في أمور الجيش وحفظ العاصمة ، ومن أشهر هؤلاء الدايات الذين صاروا هم أصحاب السلطة الحقيقية الداى عثمان ( 1591 - 1670 ) الذي مهد الأمن وقوى الأسطول ووضع للولاية شبه دستور ، وفي أيامه

وصلت الى تونس طوائف جديدة من مهاجري الأندلس المسلمين فاكرم مشواهم وأنس غربتهم وأقطعهم ما اختاروا من الأرض فحييت بهم الصناعة وازدهرت الفلاحة ، والداى يوسف ( 1610 - 1637 ) الذى أنجز فى عهده أعمالا عمرانية عظيمة وازدادت عنايته بالاسطول وحارب أترك الجزائر على الحدود ، وعاش البايات الذين هم أكبر من الدايات رتبة وأوسع اختصاصاً وكذلك الباشوات الذين هم أصحاب الولاية بدون سلطة ولا نفوذ ، الى أن استطاع واحد من البايات اسمه مراد ( 1612 - 1631 ) أن يرقى الى رتبة باشا ويحرز على موافقة السلطان بتوارث ذريته لتلك الرتبة ، ومن ذلك الوقت بدأ أمر الأسرة المرادية يعظم حتى غطى أمر الدايات ، فقد استطاع الباي حمودة باشا ( 1631 - 1659 ) بن الباي مراد ان يدوخ القبائل العربية ويلحق جزيرة جربة بباشوية تونس ، ويصلح ما أحدثه من خسائر هجوم فرسان مالطة على الاسطول بحلق الوادى ( 1640 ) ، أما ابنه الباي مراد ( 1659 - 1675 ) فانه خضد شوكة الجند وألقى فى السجن أحد داياته ، وانتقل الى سكنى قصر باردو وأقام به عاهلاً محترماً ، ولكن تلت موته فتنة بين أفراد أسرته دامت عشرين سنة أتاحت لأترك الجزائر أن يتدخلوا منتصرين فى القضايا التونسية ، وانتهت أيام المراديين على يد آغا ابراهيم الشريف قائد صبايحية الترك الذى قضى على جميع أفراد أسرته سنة 1702 ( 1114 هـ ) وتولى الامارة وجاءه التفويض من السلطان بعد ذلك ، ولكن لم يكد يستتب له الأمر حتى بسط فى الرعية يد الجور ، وأظهر ما يكنه فى صدره من حقد للعرب وسكان البلاد الأصليين ، ومن حسن الحظ ان أيامه لم تطل ، لأنه دخل فى نضال مع أترك طرابلس وأترك الجزائر خرج منه مهزوماً أسيراً ( 1705 ) وفر من ساحة العراك أحد قواد جيشه حسين بن على آغا الصبايحية الى زاوية الشيخ حسين السيجومى خارج تونس وأرسل من يأتيه بأهله وما خف من متاعه ليذهب بهم الى مكان يأمنون فيه ، ولكن أترك تونس خرجوا اليه واستعطفوه والخوا عليه أن يبقى بين ظهرانهم ، ولما قبل دخلوا به الى العاصمة وأعطوه صفقة ايديهم بالامارة يوم الأحد 12 يوليوز 1705 ( 20 ربيع الأول 1117 هـ ) فاعتصم بالقصبة ، وشرع يجمع فلول الجيش المنهزم وينظم الدفاع عن

العاصمة ، فنجح في ذلك ولم يسع أتراك الجزائر الا أن يرتدوا على أعقابهم خاسرين بعدما حاصروا تونس 40 يوماً ، واذ ذاك التفت الباي حسين الى تنظيم شؤون الولاية الداخلية ، وكان عليه أن يخضد قبل كل شيء شوكة بعض الرؤساء العسكريين الذين لم يكونوا يطيعون أميراً في يوم الاليعصوه في غده ، ثم جمع مجلساً لتنظيم وراثه السلطة ( ولاية العهد ) ونجح في جعل الامارة وراثية في عقبه ( 1710 ) وفي عهد هذا الباي عرفت تونس ازدهاراً اقتصادياً وتوسعاً عمرانياً وأمنت الطرق وانتعش السكان ولكن الباي حسين ابتلى بثورة قام بها ابن أخيه علي باشا بمساعدة أتراك الجزائر ( 1729 ) فعادت الفوضى الى سابق عهدها ولم تنته الا بانتصار الباشا الثائر وقتل عمه حسين ( 1740 ) على يده ، فجلس علي باشا على كرسي الامارة ووضع حسداً لتدخل الفناصل الأوربيين فيما لا يعنيهم من شؤون البلاد الداخلية ، وشيد كثيراً من البنايات ذات المنفعة الخاصة والعامة ، وحدثت في آخر سنوات حكمه ثورة قام بها أحد أبنائه واغتتمها أتراك الجزائر للهجوم على ولايته ، فتمكنوا بسهولة من احتلال العاصمة التونسية واعتقلوه وقتلوه ( 1756 ) ونصبوا محمداً ابن الباي السابق حسين والياً واشترطوا عليه أن يؤدي لهم جزية سنوية ، ولكن الباي الجديد لم يحكم الا ثلاثة أعوام ( 56 - 1759 ) استطاع خلالها أن يثبت الأمن ويفرض النظام ، فخلفه أخوه علي باي ( 59 - 1782 ) الذي أظهر مهارة في تسيير شؤون الدولة وحسن علاقة حكومته بالحكومات الأوربية وفتح المراسي والسواحل التونسية في وجه التجارة الدولية مستعيناً على ذلك كله بصهره ووزيره مصطفى خوجة الذي كان بدوره ادارياً ماهراً ، وبعد مماته خلفه ابنه الباي حمودة بن علي ( 1782 - 1813 ) وكان شاباً ذكياً حازماً قاوم التدخل الأوربي وخلق نير التبعية للجزائر واغتتم ثورة قام بها الأنكشارية ( 1811 ) فأخمد نائرتهم وحل بمساعدة السكان هذه القوة المتعسفة التي سببت كثيراً من المآسى منذ استقرارها بتونس في أول سنوات الاحتلال التركي ، وخلال السنين الطويلة التي حكم فيها هذا الباي بنى عدداً من القصور والمباني الفخمة من أعظمها قصر دار الباي القريب من القصبة ، وقصر منوبة الذي عمل فيه صناع مغاربة ، كما بنى وزيره القوي يوسف صاحب الطابع مباني مهمة كالمسجد الواقع برحبة الحلفاوين .

وبعد موت حمودة باي تملك أخوه عثمان باي ، ولكنه لم يبق في  
الإمارة إلا ثلاثة أشهر وقتل ، فخلفه ابن عمه محمود باشا بن محمد بن حسين  
يوم الأربعاء 21 دجنبر 1814 ( 9 محرم 1230 ) الذي ألغى تجارة الرقيق ( 1819 )  
وشعر بضرورة الاتفاق مع **وجاق** الجزائر لتستطيع كلتا الولايتين مقاومة  
التدخل الأوربي في شؤونها ، فتم عقد صلح نهائي بين الاليتين تحت اشراف  
مفوض عثماني مبعوث من اسطنبول يوم الثلاثاء 20 مارس 1821 ( 15 جمادى  
الثانية 1236 ) وبعد وفاته ( 1824 ) تولى الإمارة ابنه الباي حسين باشا فكثرت  
في أيامه التنافس بين الدول الأوربية على الاستئثار بأسواق الإيالة التونسية  
وسائر الاقطار المغربية ، وهذا الباي هو الذي وجه الأسطول التونسي ( الاثنى  
7 غشت 1826 - 3 محرم 1242 ) تحت قيادة الأميرال كاشك محمد لاعانة الدولة  
العثمانية في حربها ضد اليونانيين . فسحقه الأسطول الفرنسي في معركة  
نافارين في السنة التالية ، وبعد ثلاثة أعوام احتل الفرنسيون الجزائر وأرسلوا  
الى تونس أسطولا حربياً لتعديل الاتفاقات المعقودة من قبل بين فرنسا وتونس  
وفرض أوافق جديدة ، فأمضى الباي الأوافق ، وتدخل بعد ذلك لصالح الاحتلال  
الفرنسي للجزائر ، فنفر ذلك منه قلوب الرعية ، وفي سنة 1835 ( 1251 )  
توفي الباي فتولى مكانه الباي مصطفى بن الباي محمود وتوفي بعد سنتين  
فخلفه ابنه أحمد الذي قوى الجيش ، وسوى بين علماء المذهبين الحنفي  
والمالكي ، وأدخل اصلاحات كثيرة على الدولة وسن قوانين تضبط التصرف  
والتعامل ، وكانت له رحلة الى فرنسا سنة 1846 ( 1263 هـ ) ولما توفي  
سنة 1855 ( 1271 هـ ) خلفه ابن عمه الباي محمد بن حسين بن محمود  
فواصل سن القوانين وادخل اصلاحات التي بدأها سلفه ، ومن أعظم  
اصلاحاته اعلان الدستور ( عهد الامان ) في يوم الأربعاء 9 شتنبر 1957 ( 20  
محرم 1274 ) ، وبعد سنتين توفي ( 1859 ) فتولى بعده أخو محمد الصادق باي  
الذي دخلت تونس على عهده في طور التحضر والتقدم وكثرت التدخل الأوربي  
في شؤونها الداخلية حتى أفضى ذلك الى فرض الحماية الفرنسية عليها سنة  
1881 فاستمر البايات من آل حسين بن علي على عرش الإمارة الى استعادت البلاد  
التونسية استقلالها سنة 1956 واعلنت النظام الجمهوري في السنة التي تليها  
وفرض على الباي محمد الأمين آخر أمراء الأسرة الحسينية الإقامة الجبرية وظل  
معتقلا حتى توفي بعد ذلك ببضع سنين .



## العصر الحديث

1830

هذا العصر هو ثالث العصور الكبرى للتاريخ المغربى ، وهو فى الحقيقة جزء من العصر الذى قبله باعتبار أن الأمة المغربية بقيت فيه متمسكة بعقيدتها الاسلامية ، ولكن ينبغى فى نظرى أن يعتبر عصرًا متميزاً عما سبقه ، لأن الآثار التى خلفها فى حياتها والتطورات التى شاهدها اثناءه فى جميع المجالات لا تقل أهمية عن الآثار والتطورات التى طبعتها فى العصور التى قبله .

ويبتدىء هذا العصر بالاحتلال الفرنسى للجزائر سنة 1830 ، وإذا كانت تبعات هذا الاحتلال لم تشمل فى الحين سائر أقطار المغرب العربى فإنها شملتها بالتدريج حتى لم يبق منها شبر الا وأصابته بالطل والوابل ، ومثل ذلك حدث اثناء الفتح العربى - والقياس مع الفارق - فان العرب لم يستولوا على المغرب فى سنة واحدة ، ولم يطبعوه بطابع الدين الذى حملوه اليه فى عقد أو عقدين من السنين ، وانما تمكنوا منه بعد سنين طويلة عانوا خلالها المشاق واصطلوا بنيران الحروب .

وبالنظر الى ان التطورات التى فرضت نفسها على أقطار المغرب العربى إنما لحقت كل واحد منها على حدة ، وفى فترات معينة ، ولأسباب خاصة ، رأينا أن نتحدث عن هذه الأقطار واحداً واحداً كما فعلنا فى العصر الماضى .

### الجزائر فى العصر الحديث

كانت الدولة الفرنسية تنتظر بفارغ الصبر سنوح فرصة للاستيلاء على الجزائر ، وقد سنحت لها يوم 27 أبريل سنة 1827 عندما لطم الداي حسين قنصلها على وجهه وهو يذكره بالدين الجزائرى المترتب بذمتها ، فقطعت علاقاتها مع الجزائر وحاصرتها بحراً ، ثم أرسلت اليها حملة عسكرية تحت قيادة الجنرال دى بورمون وزير الحرب فاحتلها يوم الاثنين 5 يوليوز 1830 ( 13 محرم 1246 هـ ) .

ووجد الجزائريون أنفسهم وجهاً لوجه مع الفرنسيين ، لأن الداي الذى كان من الواجب عليه أن ينسحب الى داخل البلاد لتنظيم المقاومة رحل بأهله ومتاعه الى الخارج بعدما تعهد له الفرنسيون بذلك فى وثيقة الاستسلام ، ولما كان الحكم التركى حال بين أهل البلاد وبين ادارتها ثلاثة قرون وقضى على كل زعامة وطنية - لم يبق للجزائريين أمل الا فى سلطان المغرب الاقصى بعد ما رأوا باى تونس التركى يؤيد المحتلين ، وبالفعل استجاب السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام لرغبة الوفود التى حملت اليه بيعة سكان الجزائر الغربية ، فانشأ خلافة سلطانية بتلمسان ، ووجه اليها ابن عمه الأمير مولاي على معزراً بوحدات من الجيش النظامى ، ولكنه اضطر بعد قليل الى سحب خليفته وجيشه منها تحت ضغط الفرنسيين وتهديد أسطولهم للمراسى المغربية، واذ ذاك اختير الشريف عبد القادر بن محيى الدين الادريسي المعسكرى ليقود المقاومة الشعبية تحت نظر السلطان ، فقام بأمر الجهاد حق القيام ، وظهر مهارة فائقة فى التنظيم والتدبير والقيادة ، وصدق فيه جميع الظنون وحقق كل ما علق عليه من آمال ، وكانت له مع الفرنسيين وقائع كثيرة انتصر عليهم فى كثير منها حتى اضطروا الى الاعتراف به وبسلطته ، ولكنه تراجع فى النهاية أمام نحو قواتهم المتصاعدة - الى داخل التراب المغربى ، فتبعه الفرنسيون حتى تجاوزوا وادى تافنا ، فعاد سلطان المغرب ذلك انتهاكاً لحرمة مملكته ، وأرسل لصددهم جيشاً كبيراً عزموه بوادى يسلى قرب وجدة فى معركة عنيفة قاتل فيها المغاربة والجزائريون جنباً الى جنب فى سبيل القضية المشتركة ( 1844 ) .

وساءت حالة الأمير عبد القادر اثر ذلك بعدما اكراه المغرب على التخلي عنه ، ولكنه واصل كفاحه رغم سوء حاله ، واستطاع ان يلحق بالفرنسيين هزيمة كبيرة فى معركة دارت قرب ضريح سيدي ابراهيم غير بعيد عن ندرومة، واذ ذاك عبأ الفرنسيون قوات كبيرة وأرسلوها الى حدود المغرب الجديدة تترصد به ، فلم يكن له مناص فى النهاية من الرضا بالقضاء المحتوم ، فاستسلم للجنرال لاموريسير يوم 28 نونبر سنة 1847 .

على ان مقاومة الأمير عبد القادر لم تكن هى المقاومة الوحيدة التى واجهت جيش الاحتلال فى الجزائر ، فقد قاوم أهل قسنطينة تحت قيادة الباي الحاج أحمد ، وأهل **زواوة** تحت قيادة بومعزة المغربى ، كما أن استسلامه لم يكن يعنى نهاية المقاومة كلها ، فقد واصل الشعب الجزائرى نضاله ضد جيش الاحتلال ولم تكن تسنح له فرصة دون ان ينتهزها للانقضاض عليه والتسكيل بجنوده ، ففى سنة 1849 تزعم القائد بوزيان ثورة قبيلة **الزعاطشة** الساكنة قرب بسكرة ، وبعدها ثارت قبائل جرجرة وجرت بينها وبين الفرنسيين معارك كثيرة من أشهرها معركة **بنى هنكلات** ، وما كاد الجيش الفرنسى يتغلب على تلك القبائل حتى واجهته ثورة **أولاد سيدى الشيخ** بالحدود المغربية الجزائرية ، واستمر القتال بين الفريقين عنيفاً قاسياً خمسة أعوام تمكن فى نهايتها الجيش الفرنسى من قهر المجاهدين ( 1869 ) .

وكان الفرنسيون بدأوا من الساعات الأولى لاحتلالهم ينظمون الجزائر تنظيم من يستهدف استعمارها الدائم ولا ينوى الرحيل عنها ، ففى 22 يوليو 1834 قرر البرلمان الفرنسى اعتبار الأراضى الجزائرية المفتوحة أرضاً فرنسية واعتبار أهلها مواطنين فرنسيين ، وأثناء هذه التنظيمات وضعت السلطات المحتلة يدها على أراضى سهل متيجة الغنية ووزعتها على أوربيين ممن رافقوا جيش الاحتلال للقيام بالأعمال الزراعية، ولما حدثت الثورة فى فرنسا سنة 1848 أرسلت حكومتها 20.000 من العاطلين الباريسيين الى المستعمرات الزراعية بالجزائر بعد ما تم طرد سكانها العرب منها ، ولكن هؤلاء القادمين فشلوا فى المهمة التى أنيطت بهم اذ لم تكن لهم خبرة بالفلاحة ، واذ ذاك بدأت فرنسا تستدعى معمرين أوربيين من مختلف الأجناس لتضايق بهم أهل البلاد الأصليين.

وبينما كانت فرنسا منهكة فى القضاء على المقاومة وتكثير سواد الأوربيين شرعت فى تطبيق سياسة ادماج الجزائر فيها ، ففى 18 ابريل 1845 صدر مرسوم يقضى بتقسيم المنطقة الشمالية الى ثلاثة أقاليم ( الجزائر - فسنطينة - وهران ) وآخر يقضى بتطبيق قانون البلديات الجارى به العمل فى فرنسا ، ثم صدر قانون 4 مارس 1848 الذى يؤكد ان الجزائر جزء متمم

للتراب الفرنسى ، وينص على حق الفرنسيين القاطنين بها فى ارسال نوابهم الى البرلمان بباريس وتمتعهم بكافة الحقوق المخولة لآخوانهم القاطنين بفرنسا ، ثم صدر قانون 16 غشت الذى يلحق القضاء والتعليم والمالية بالوزارات الفرنسية ذات الاختصاص ، ومن البديهي ان ثمار هذه التنظيمات انما كان يجنيها المستعمرون الفرنسيون ، اما المواطنون الجزائريون او ( الأهالى Les Indigènes ) كما كانوا يسمونهم فانهم بقوا محرومين منها .

ولما اعتلا الامبراطور نابليون الثالث عرش فرنسا سنة 1852 اولى الجزائر وافر الاهتمام ، وانهج حيال أهلها سياسة رشيدة لا تتجاهل حقوقهم كما وقع منذ الاحتلال ، ورغم ان المستعمرين ناروا ضد هذه السياسة وانتقدوها بشدة مضى الامبراطور قدما فى تنفيذها ، ومن أعظم أعماله اصدار قانون السيناتوس كونسولت يوم 22 ابريل سنة 1863 بعدما شارك فى تحريره مجلس شورى الدولة ووافق عليه مجلس الشيوخ ، فحطم هذا القانون الذى يعترف للمسلمين بملكيتهن للأراضى المشاعة آمال المستعمرين الذين كانوا ينوون مواصلة الاستيلاء عليها ، ثم جمع الامبراطور يوم 5 مايو 1869 لجنة لتحرير قانون أساسى للجزائر وقدمه الى مجلس شورى الدولة ، وبينما هو يدرس فصوله فوجئت فرنسا باعلان ألمانيا الحرب عليها ، فانهار صرح النظام الامبراطورى الفرنسى . واستسلم نابليون الثالث للأسر ، فانطوت باختفائه صفحة سياسة معتدلة دام تطبيقها عدة سنوات .

وقبل قيام تلك الحرب شهدت الجزائر سنوات جفاف هلك فيها الحرث والنسل ، وعمت الفاقة وانتشرت الأوبئة ، فاغتتم الفرصة الكاردينال لافيجرى أسقف الجزائر ، وخرج الى القرى والدواوير العربية حاملا الصليب فى يد والخبز والدواء فى أخرى ، والتقط منها عدداً كبيراً من اليتامى وأرسلهم الى الكنائس ليتربوا فى أحضانها ، فكانت تلك محاولة من الكنيسة لتنصير المسلمين بعد ما تمكن العسكريون والسياسيون من احتلال بلادهم وادماجها فى فرنسا .

وبعد سقوط الأباطورية وإعلان الجمهورية الثالثة اضطربت الإدارة في الجزائر ، وكان اليهودي كريميو يمثل الجزائر في لجنة الدفاع الفرنسي ، فاستصدر قانون 24 أكتوبر 1870 الذي يعتبر يهود الجزائر مواطنين فرنسيين ، فاحتفاظ المسلمون لهذا الميز العنصري ، واحتقروا حكومة يستطيع أن يفعل فيها يهودي ما يشاء ، وأعلن الباشاغا الحاج محمد المقراني الثورة في جبال زواوة ، واكتسح الثائرون كثيراً من المراكز الفرنسية باقليم قسنطينة وإقليم الجزائر ، فأمرع بسمارك مستشار ألمانيا إلى تسريح الجيش الفرنسي المعتقل لديه ، فجاء هذا الجيش وكنل بالمجاهدين تنكيلا تقشعر منه الأبدان ، واستشهد الحاج محمد المقراني قائد الثورة في ساحة الشرف يوم 5 مايو 1871 وبعد خمود الثورة حكمت فرنسا على 6.000 جزائري بالاعدام ، ونفت 500 من أحرار الجزائر إلى جزيرة خاليدونيا الجديدة بوسط المحيط الهادي فبقوا بها معتقلين حتى هلكوا جميعاً ، وفرضت على أهل الجهات التي ثارت ضدهم خطيئة مبلغها 26.000.000 فرنك ، ولما عجزوا عن أدائها صادرت أملاكهم وأجلتهم عنها ، وأحلت محلهم فيها مشردى مقاطعتي الألزاس واللورين .

ووجهت فرنسا عنايتها بعد إخماد الثورة إلى طرد العرب من أراضيهم وإعطائها للمعمرين أوريبيين من كل جنس ، وهو نفس العمل الذي يقوم به الصهيونيون اليوم في أرض فلسطين ، وكمثال لهذا المجهود الاستعماري نذكر أن الفرنسيين أنشأوا خلال ست سنوات فقط ( 71 - 1877 ) 198 مستعمرة فلاحية أسكنوا فيها 30.000 من المعمرين ، وأن عدد الفرنسيين انتقل خلال عشر سنوات ( 71 - 1881 ) من 30.000 إلى 195.000 كما ارتفع عدد الأجانب الآخرين خلال المدة نفسها من 115.000 إلى 181.000 أما السكان المسلمون فإن عددهم لم يسجل زيادة تذكر .

ولم يكن المرسوم المتعلق بتجنيس اليهود الجزائريين هو كل ما استصدره اليهودي كريميو ، بل أصدرت لجنة ( الدفاع الوطني ) التي كان عضواً فيها 57 قراراً آخر تتعلق بالجزائريين بناء على توصياته ، ومن

هذه القرارات ما طبق فوراً ومنها ما لم يطبق البتة ، وكان أهم ما تضمنته هذه القرارات : إلغاء الحكم العسكرى واقامة حكم مدنى يعمل بالتدرج على ادماج الجزائر فى فرنسا ادماجاً كلياً ، وتعيين حاكم عام مدنى للجزائر كلها ملحق بوزارة الداخلية ، يكون مرجعاً للسلطتين المدنية والعسكرية وترتبط به جميع المصالح الحكومية باستثناء التعليم والمالية والقضاء ( غير الاسلامى ) والمواصلات المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالوزارات المختصة فى باريس .

وفى سنة 1882 اشتركت القبائل بالحدود المغربية الجزائرية فى الثورة على الفرنسيين ، وكان يقودها الشيخ بوعمامة ، فلم يتمكن الفرنسيون من اخمادها الا بعد ثلاث سنوات ، واضطر زعيم الثورة الى الانسحاب الى داخل المغرب الأقصى كما التجأ اليه - فراراً من التكنيل الفرنسى عدد من قبائل الحدود مثل **المهاية وحميان واولاد سيدى الشيخ و العمور** .

وقد اغتنمت فرنسا فرصة اخماد هذه الثورة فألحقت فى 30 نونبر 1882 بلاد **مزاب** بالأراضى الفرنسية فاكنت بذلك معاهدة الحماية التى فرضتها سنة 1853 على ذلك الطرف من الوطن الجزائرى .

وثناء ذلك وبعده بدأت سلطات الاحتلال توفد بعثات استطلاعية الى داخلية الصحراء الجزائرية والمغربية تمهيداً لاحتلالها . فلقبت من أهلها مقاومة عنيفة ، وفتك **الطوارق** ببعثة فلاثير سنة 1881 وبعثة بلات سنة 1886 ، وبعثة دولس سنة 1889 وبعثة موريس سنة 1895 .

والى جانب هذه المقاومة المسلحة ظهرت حركات عديدة للمقاومة السياسية السلمية ، وكانت هذه الحركات تنتظم وتتطور حسبما تقتضيه الأحوال ، وأول حركة جزائرية من هذا النوع هى الحركة التى نظمها السيد احمد البدوى أحد مثقفي مدينة الجزائر ، فقد انتهر فرصة ثورة العموم بباريس سنة 1871 فنظم حياة للمطالبة بمنح حقوق كاملة للمسلمين الجزائريين ، ولكن هذه الحركة لم تستمر الا بقدر ما استمرت ثورة العموم الباريسية .

وفي سنة 1892 أحس الفرنسيون بمظهر الاستياء العام في الشعب الجزائري فحاولوا التمويه عليه باصلاحات جزئية ، وأسسوا النيابات المالية على أن يكون ثلثاً أعضائها من المستوطنين الفرنسيين ، والثلث الباقي من الوطنيين الجزائريين .

ولما أعلنت فرنسا فصل الدين عن الدولة سنة 1901 استولت على الاحباس ( الأوقاف ) الاسلامية وضمتها الى أملاك الدولة ، فكان ذلك مظهراً آخر من مظاهر الاستعباد الروحي بعد الاستعباد الجسدي .

وواصل الفرنسيون سياسة ادماج الجزائر وفرنستها ، وأصبح شغلهم الشاغل اضعاف الشخصية الجزائرية شيئاً فشيئاً كخطوة في طريق محوها ، ولم يتركوا وسيلة لتقوية عدد الأوربيين وتسهيل مقامهم بالجزائر الا لجارا اليها فأصدروا سنة 1881 قانوناً يمنح الجنسية الفرنسية لأبناء الأجانب المولودين بالجزائر ، وواصلوا انشاء القرى الاستعمارية حتى تجاوز عددها 800 قرية قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، وخلقوا الفكرة البربرية للتضريب بين المسلمين من أصل عربي والمسلمين من أصل بربري ، وحرموا التعليم الحر وضائقوا التعليم الديني ، وأطلقوا على المدن والقرى الجزائرية أسماء فرنسية ، ولكن الشعب الجزائري واصل في مقابل ذلك مقاومته ، وأظهر تجلداً عجبياً في الاستمسك بقوميته ، وعبر عنها بمختلف الوسائل ، وانبعثت حركته الاحتجاجية في شكل جديد هو الهجرة الجماعية الى الأمبراطورية التركية والمغرب الأقصى ، وفي سنة 1910 بدأت الأقلام الجزائرية تتحرك للمطالبة بالمساواة ، وشرع الرعيل الأول من المثقفين الجزائريين المتخرجين من كليات فرنسا يطالب بتحسين حالة الشعب الجزائري وادارته من الظلم الذي يعانيه ، ومن هؤلاء المثقفين المحامي أحمد بودربة ، والصحافي الصادق دندان ، والنائب المالي الحاج عمار .

وفي سنة 1912 فرضت فرنسا قانون التجنيد الاجباري على المسلمين فازداد الاستياء وفضل كثير من الأسر الاسلامية الهجرة الى الشام والتضحية بكل المصالح الشخصية على الامتنال لذلك القانون .

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 جندت فرنسا 400.000 جندي من الجزائر وساقتهم الى مختلف ميادين الحرب ، كما عبأت 80.000 من المدنيين وأرسلتهم الى فرنسا للعمل في مصانعها ، وبذل المسؤولون الفرنسيون للجزائريين وعوداً لا حصر لها بتحسين حالهم ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها لم تزد مكافاتهم على اصدار قوانين 4 يبرابر 1919 التي تلغى قانون الأنديجينا l'Indigénat الجزري وتوسع حقوق الانتخاب وتسوى في الضرائب بين المسلمين والفرنسيين ، وهي مكافأة لا تتناسب مع تضحياتهم الكبيرة التي بلغت 100.000 قتيل في تلك الحرب ، واذ ذاك تشكل وفد من الضباط الجزائريين يترأسه القبطان خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر وتقدم الى الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وهو في فرنسا يطالبه بتطبيق مبادئه على الأمة الجزائرية ، وبعد ذلك أحيل القبطان خالد على التقاعد ، فجاء الى الجزائر وشكل هيئة للدفاع عن حقوق الجزائريين سماها ( كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين ) وأصدر جريدة ( الاقدام ) باللغتين العربية والفرنسية لنشر أفكاره ، فارتاع المستعمرون من هذه الحركة التي نجحت في زعزعة النفوذ الفرنسي من نفوس الأهالي ، وكونوا حركة مضادة شارك فيها عدد من المتعاونين المسلمين ، نجحت في حمل الوالي العام ستيخ على ابعاد الأمير خالد عن الجزائر فالتجأ الى الاسكندرية ، ثم سمح له بالعودة الى فرنسا بعدما سقطت وزارة بوانكري سنة 1924 وانتصرت كتلة اليسار بزعمامة ليون بلوم وهيريو فأسس هيئة ثانية من أبناء الشمال الافريقي ، ثم سافر الى مصر بعدما اشتد القتال بين المغاربة والفرنسيين والاسبانيين باقليم الريف سنة 1925 واتهمه الفرنسيون بالتآمر على فرنسا وأقنعوا البوليس الانكليزي بتسليمه اليهم ، فأخرجوه من مصر مكبولا بالحديد وأرسلوه الى سوريا حيث بقي الى ان مات سنة 1936 .

وعينت فرنسا السيد مورييس فيوليت حاكماً عاماً للجزائر ، وكان رجلاً متحرراً أظهر نيته في انصاف أهلها الأصليين ، فشن عليه المستعمرون حملة اضطرتهم الى ترك منصبه مأسوفاً عليه من طرف المسلمين ، وحلت بعد ذلك الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي ( 1930 ) فأمل المسلمون أن تكون



فاتجة عهد ينصفون فيه من المظالم التي توالى عليهم طوال قرن كامل ، ولكن آمالهم خابت عندما رأوا تلك الذكرى تكتسى مظهراً كنسياً الى جانب مظهرها الاستعماري ، ولم يعمل الفرنسيون شيئاً أكثر من الغاء المحاكم الزحرية الابتدائية التي كانت ترهق المسلمين .

وفي شهر أبريل 1931 قدمت الى الجزائر لجنة برلمانية تحت رئاسة السيد موريس فيوليت الحاكم العام السابق ، فقابل المسلمون مقدمها بحفاوة ، وخرج لاستقبالها لما وصلت الى قسنطينة عشرون ألفاً ، وأسمعوها شكايات حارة من الحالة التي يعيشون فيها ، ثم رجعت ومعها تقرير مفصل عن أحوالهم ومطالبهم الكلية والجزئية .

وفي فرنسا حيث تكاثرت عدد الجزائريين بعد نهاية الحرب أسس شاب تلمساني الأصل سرح حديثاً من الجندية اسمه الحاج أحمد بن مصلى المعروف بمصالى الحاج جمعية ( نجم الشمال الافريقي ) التي كانت في طورها الأول جمعية خيرية لاعانة المغاربة ، ثم تحولت في مارس سنة 1926 الى جمعية سياسية للدفاع عن كيان المغرب العربي ، وأسست لها جريدة ( الأمة ) باللغة الفرنسية ، وبذلت مجهوداً كبيراً في لم شعث العمال المغاربة وتربيتهم نزية سياسية واجتماعية وطنية ، ولما أحس المستعمرون بخطرهما عليهم عبأوا كل أبواق دعاياتهم لتشويه سمعتها وتصورها في صورة هيئة شيعية متطرفة وعميلة ، كما أقام وكيل الجمهورية بمحكمة السين دعوى ضدها فحكمت المحكمة بحلها في 20 نونبر 1929 ولما لم ينفذ الحكم بصفة رسمية استأنفت الجمعية بعد ستة أشهر نشاطها أقوى من ذي قبل ، وشد عضدها في تلك الأثناء بتأسيس جمعية مغربية أخرى بباريس ذات طابع ثقافي اسمها ( جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين ) ، وفي 22 مايو 1933 عقدت جمعية ( نجم شمال افريقيا ) مؤتمراً قرر برنامجاً للعمل يتضمن استقلال الجزائر وجلاء القوات الفرنسية عنها وانشاء برلمان جزائري ونزع أملاك المستعمرين ، ولكن محكمة السين عادت لمتابعة الجمعية دون نجاح في شهر مارس سنة 1934 وواصلت الجمعية نشاطها حتى اصطدمت مع الحزب الشيوعي

الفرنسي اصطداماً عنيفاً أدى الى تظافر الجبهة الشعبية الفرنسية عليها ، وانتهى الأمر بأن أصدر ليون بلوم قراراً مؤرخاً في 26 مارس 1937 يقضى بحلها.

ومن جهة أخرى فقد أسس الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية دينية سنة 1928 سماها ( جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ) التفت حولها البقية الباقية من رجال العلم والدين في الجزائر كالأساتذة البشير الابراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي ، فقامت لتنتشر في الظاهر المبادئ السلفية القوية ، ولتعمل في الباطن على دعم جانب الحركات السياسية ببعث مقومات القومية الجزائرية من دين ولغة وتاريخ ، وجعل لسانها مجلته ( الشهاب ) التي كان أنشأها من قبل وكانت لها مواقف شريفة في الدفاع عن القضايا المغربية ، ثم أنشأت الجمعية جرائد أسبوعية كان الاستعمار يصادرها الواحدة تلو الأخرى كجرائد ( الشريعة ) و ( السنة ) ثم ( البصائر ) بعد نهاية الحرب العظمى الثانية ، كما أنشأت في طول الجزائر وعرضها مدارس لتعليم الناشئة الجزائرية أحكام دينها وقواعد لغتها وأمجاد ماضيها والحقيقة ان هذه الجمعية كانت - في العمق - أخطر من كل خطر على فرنسا ومستقبلها بالجزائر ، وأن فضلها على الجزائر قبل ثورتها التحريرية وأثناءها وبعدها فوق كل تقدير .

وكمثال على نمو الشعور الديني والقومي الذي بثته الجمعية المذكورة في نفوس الجزائريين نذكر رد الفعل الذي قابل به مسلمو مدينة قسنطينة بول جندي يهودي يدعى الياهو خليفة على جدار مسجد من مساجدها وسبه المسلمين جهاراً مساء يوم 3 غشت 1934 فقد هاجوا وحدثت بينهم وبين اليهود مشادة تجراً فيها هؤلاء الآخرون على ضربهم بالرصاص ، وقمت الليلة بسقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف الجانبين ، وفي الغد أرسلت الحكومة فرقاً من الجيش لحفظ الأمن بزعمها وكان بينهم عدد من اليهود بدأوا يتحرشون بالمسلمين فتجدد القتال بين الجيش والأهالي ، وبين الأهالي والمدنيين اليهود الذين جاءوا من أحيائهم لمواصلة الانتقام من المسلمين ، ولم يخمد القتال الا بعد ما سقط عدة مئات من القتلى والجرحى واستدعيت الى قسنطينة قوات مسلحة كبيرة .

وقد خلف هذا الحادث أثراً عميقاً في فرنسا حتى طالب بعض المسؤولين فيها بارسال خمسمئة طائرة حربية لتعزيز القوات الموجودة في الجزائر ، كما تمخص عن ظهور شخصيات جديدة على المسرح السياسي الوطني كالدكتور ابن جلول ، والصيدلي عباس فرحات الذي أصبح رئيساً للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بعد .

وواكب تأسيس جمعية العلماء تأسيس عدد من المنظمات الجزائرية القومية ، كالفرق الرياضية والكشفية ، والأندية الثقافية والأجواق الموسيقية والفرق التمثيلية وصدر عدد من الصحف والمجلات ذات اتجاهات واختصاصات متعددة ، فكان لكل ذلك أثر قوى في بروز الشخصية الجزائرية.

وبعد انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا انعقد في الجزائر يوم 7 يونيو 1937 مؤتمر اسلامي تحت رئاسة الدكتور ابن جلول ومشاركة جميع الهيئات الجزائرية ما عدى جمعية نجم الشمال الافريقي ، وبعد مداوات وضع المؤتمر لائحة من المطالب من أهمها مشاركة المسلمين في الانتخابات النيابية مع احتفاظهم بحالتهم المدنية والغاء بعض القوانين الجائرة والاعتراف باللغة العربية لغة قومية في الجزائر ، وعين المؤتمر وفداً للذهاب الى باريس ودعته الأمة في مظاهرات عظيمة، واستقبله ليون بلوم رئيس الحكومة الفرنسية يوم 23 يوليو وأخبره ان حكومته ستدرس المطالب بكل عناية ، وانها تستعد لادخال عدة اصلاحات في الجزائر . وكان لهذا الاستقبال صدى ابتهاج لدى الشعب الجزائري الذي راح يعبر عن فرحته بمختلف التعابير ، ولكن ادارة الجزائر ومستعمرها أعادوا تمثيل الدور الذي مثلوه عند ظهور حركة الأمير خالد عقب نهاية الحرب الاولى، فجمعوا مؤتمراً ضم شيوخ البلديات الفرنسيين، وشيوخ الطرق الصوفية المسلمين وعارضوا تلك المطالب على تفاهتها بدعوى انها تؤدي الى القضاء على الشخصية الفرنسية ، واغتنمت الادارة الفرنسية اغتيال مفتي الجزائر كحول ابن دالي أحد كبار المتعاونين معها فقامت بحركة قمع وقدمت بعض أعضاء المؤتمر الى المحاكمة .

أما أنصار جمعية نجم الشمال الإفريقي الذين لم يشتركوا في المؤتمر فانهم ظلوا يمثلون الفكرة القومية الصحيحة ويعارضون كل خطة لا تستهدف الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادة شعبها ، وأسسوا في مارس 1937 هيئة جديدة سموها ( حزب الشعب الجزائري ) جعلوا نظمها وخططها موازية لنظم وخطط الحزب الوطني بالمغرب والحزب الدستوري بتونس ، ولكن الإدارة الفرنسية اعتقلت هيئة الحزب الجديد في 17 غشت من نفس السنة ، وحكمت على زعيمه مصالي الحاج وآخرين بالسجن لمدة سنتين ، ولما أطلق سراحه سنة 1939 كانت جميع الطبقات الجزائرية الحية تشعر شعوراً واحداً ، غير أن الوضع الدولي كان بلغ نهاية التأزم ، وأخذت بوادر الحرب العالمية تلوح في الأفق ، ولذلك ما كاد مصالي الحاج يعود الى استئناف نشاطه حتى اعيد هو وثلة من المخلصين الى السجن في 4 أكتوبر 1939 وبعد ما قضى 17 شهراً في الحبس الاحتياطي حكم عليه يوم 28 مارس سنة 1941 بالسجن 16 سنة مع الأشغال الشاقة ، وبالنفي 20 سنة ، وبثلاثين مليون فرنك خطيئة .

وفى 3 مارس 1943 - والحرب العالمية الثانية حامية الوطيس وفرنسا تروّج تحت نير الاحتلال الألماني أنشأ عباس فرحات حزب هيئة أصدقاء البيان ، مطالبة بتأسيس جمهورية جزائرية وبرلمان منتخب انتخاباً حراً ، فلم يزد جواب الجنرال دو كول رئيس لجنة التحرير الفرنسية على اعلان قبوله لفئات من المثقفين الجزائريين في حظيرة الأسيرة الفرنسية ، وكان لهذا الجواب صدى اشمئزاز في نفوس المثقفين الذين يعنيههم القرار ، وجيء بمصالي الحاج من منفاه بالصحراء بقصد التفاوض معه فأبى التفاوض الا على أساس المبادئ والمطالب التي سجن من أجلها فأعيد الى منفاه السحيق بالصحراء ، ثم دعى عباس فرحات وعبد القادر السانح للحضور في اجتماعات بدار الحاكم العام ولما امتنعا من الحضور ارسلوا الى السجن فوراً .

وبعد ما استسلمت ألمانيا النازية للحلفاء سنة 1945 تقرر الاحتفال بالنصر يوم 8 مايو في بلدان جميع الدول التي شاركت في قهرها ، واستعد الشعب الجزائري بدوره للتظاهر احتفالاً بنصر شارك في احرازه بـ 300.000

من أبنائه ، وضحي بعشرات الألوف منهم ، ولكن الادارة الاستعمارية دبرت  
مكيدة لقلب الأفراح الى أتراح ، فأرسلت في ذلك اليوم جيشها المدجج بأحدث  
الأسلحة وأشدها فتكاً للبطش بالمتظاهرين المسلمين في عمالة قسنطينة  
ولاسيما في مدينة سطيف ، واشترك في الفتك سلاح الطيران وسلاح البحرية ،  
ودمرت قرى برمتها وحرقت أخرى على سكانها وانجلت المذابيح عن استشهاد  
45.000 جزائري لا ذنب لهم الا أنهم حرروا فرنسا نفسها من مهانة الاحتلال  
ورجوا أن تمنحهم حريتهم احتراماً للمبادئ التي كان الحلفاء يبشرون بها .

وفي شهر غشت 1945 عندما كانت شعوب كثيرة تنفض عنها غبار  
الاستعمار والاحتلال وتستنشق ملاً رثيها نسيمات الحرية استجابت فرنسا  
لمطلب قديم تقدم به (لوطنيون الجزائريون سنة 1920 ! فقرر برلمانها أن  
يسوى في العدد بين النواب الذين يبعثهم اليه المسلمون والآخريين الذين  
يبعثهم اليه المستوطنون الفرنسيون .

وفي شتاء سنة 1946 وافق المجلس التأسيسي الفرنسي الأول على  
قانون العفو فسمح من السجون وأعيد من المنافي 5000 جزائري فيهم عباس  
فرحات ومصالي الحاج . وأعاد الأول تأسيس حركته تحت اسم ( الاتحاد  
الديمقراطي للبيان الجزائري ) وأعاد الثاني تأسيس حزبه تحت اسم ( حركة  
انتصار الحريات الديمقراطية ) واتجهت المنظمتان اتجاهاً ايجابياً فشاركتا  
في الانتخابات البلدية والاقليمية والبرلمانية ونجحتا بذلك في اسمعاع صوت  
الجزائر المسلمة العربية من فوق منابر مؤسسات شرعية لا يستطيع أحد  
أن يظعن فيها ، كما نجحتا في تنمية الشعور الوطني في الجزائر وتعبئة  
كافة قواها الحية ليوم موعود ، أما فرنسا فانها لجت في عتوها وواصلت  
تجاهلها لارادة الشعب الجزائري ووضع مجلسها التأسيسي الثاني في  
20 شتنبر 1947 قانوناً أساسياً للجزائر لا يخرجها من الجامعة الفرنسية  
ولكنه يعترف بشخصيتها المدنية واستقلالها المالي ونظامها الخاص ، وحتى  
الفوائد الهزيلة الصورية التي تضمنها القانون الجديد لم يكن للمسلمين أن  
يجنوا ثمارها ، لأن ارادة الهيئة الحاكمة والجالية الفرنسية في الجزائر كانت

أكبر من القانون نفسه وهكذا زورت الانتخابات التي جرت في مارس 1949 تزويراً فظيعاً وصارت كلمة ( الانتخاب على الطريقة الجزائرية ) تدل في فرنسا وغيرها من البلدان على تدخل الحكومة المكشوف في التزييف والتزوير ، وظهر الى الوجود من جديد جماعة من « المنتخبين » المتعاونين الذين سماهم الوطنيون ( بنى وى وى Les Beni Oui Oui ) لأنهم كانوا يسمعون فيطيعون .

وبذلك سدت الأبواب جميعها في وجه الشعب الجزائري وخاب خيبة مريرة ورأى ان الأحزاب السياسية أتمت تمثيل الأدوار التي عهد اليها بتمثيلها ، وأن اقناع فرنسا وجاليتها القاطنة في الجزائر والمستحوذة على خيراتها لا يكون الا عن طريق القوة ، واقترب هذا الشعور الجديد بانشقاق حصل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في يبرابر سنة 1954 وظهر لجنة ثورية للاتحاد والعمل ( C. R. U. A. ) تضم اطراراً للتنظيم السياسي والتنظيم الخاص ( O. S. ) وشرعت هذه اللجنة منذ صيف سنة 1954 تعد العدة لاعلان ثورة مسلحة ، فأحصت الشبان القادرين على حمل السلاح ، وجمعت أسلحة وذخائر من مختلف الأحجام ، ونظرت في مشاكل التموين والمواصلات ، ومع ان الشرطة الفرنسية نجحت في القضاء على حياة التنظيم الخاص فان لجنة من ستة أعضاء واصلت اجتماعاتها اليومية في الجزائر ، فقسمت البلاد الى مناطق ونواحي وجهات وعينت المسؤولين عنها ، ووزعت الأسلحة الأتوماتيكية ، وانطلق المسؤولون الى الأماكن التي حددت لاقامتهم لاحكام التنظيم ، وعندما تمت الترتيبات كلها تقرر تأسيس جبهة للتحرير الوطنى تنصهر فيها جميع المنظمات القومية الجزائرية ، وحدد اعلان الثورة المسلحة في الدقيقة الأولى من صباح يوم 1 نونبر 1954 وأخبر السادة أحمد بن بلة ، ومحمد الخيضر ، والحسين آيت أحمد الذين كانوا يمثلون الجزائر في مكتب تحرير المغرب العربى بالقاهرة بكل ذلك ، وطلب منهم تبليغه الى الحكومة المصرية في الوقت المناسب .

وفى ساعة ( الصفر ) من ليلة الاثنين 1 نونبر 1954 ( 5 ربيع الأول 1374 ) اندلعت الثورة المسلحة التي لم يجد الجزائريون وسيلة غيرها لنيل

حقوقهم واسترجاع حريتهم ، فكان ذلك بداية ما عرف فيما بعد بحرب الجزائر وايداناً أيضاً بميلاد الدولة الجزائرية الحرة المستقلة ، وأقبل التسبان والشيوخ والنساء والفتيات على التطوع في صفوف جيش التحرير بينما بدأت الحكومة الفرنسية تتورط شيئاً فشيئاً في معركة لا مخرج لها منها الا بالهزيمة فأرسلت القوات تلو القوات الى الجزائر حتى ارتفع عددها من 80.000 جندي سنة 1954 الى 500.000 جندي سنة 1957 ولم يسبق لفرنسا أن جردت حملة استعمارية بهذه الضخامة أو رصدت من المال أو أعدت من الاسلحة والذخائر الخفيفة والثقيلة ما رصدت وأعدت لمواجهة ثورة الشعب الجزائري .

وقامت فرنسا في جميع انحاء القطر الجزائري بحملات ارهاب واسعة النطاق ، وأنشأت معسكرات للاعتقال في طول البلاد وعرضها وتفننت في تعذيب الأهالي وانتهاك حرماهم وبنيت سدوداً من الأسلاك الشائكة المكهربة على طول الحدود الممتدة شرقاً وغرباً مئات الأميال ، ولكن ذلك لم يفت في عضد الشعب الجزائري الذي ضاعف ضرباته للفرنسيين وألف قادة الثورة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 شتنبر 1958 جعلوا مقرها أولاً في القاهرة واعترفت بها دول الجامعة العربية والدول الأخرى المؤيدة للحرية وفبلت المملكة المغربية والمملكة الليبية والجمهورية التونسية التي استعادت حديثاً حريتها أن تقاسم الجزائر المصير ، فجعلت من ترابها الوطني مراكز لتدريب جنود جيش التحرير وخزن أسلحتهم وتكوين أطهرهم الادارية ، ومنطلقاً لشن الغارات على الفرنسيين والتسرب الى داخل الجزائر ، الشيء الذي كان يعرض على الدوام المدن والقرى الواقعة بحدود تلك الدول الثلاث وسكانها للانتقام من طرف الطائرات والمدافع الفرنسية .

وبعد حرب قاسية دامت أزيد من سبع سنين ، واللجوء الى عدد من التجارب والحلول ، وانقلابات كادت تعصف بالكيان الفرنسي نفسه لم تر فرنسا مناصاً من التفاوض مع الممثلين الشرعيين للشعب الجزائري على أساس الحل الوحيد الذي لا يقبلون غيره ، وهو الاعتراف باستقلال الجزائر ، ففي شهر يوليوز 1961 اجتمع ممثلو جبهة التحرير الوطني مع ممثلي

الحكومة الفرنسية في لوكراين Lugrain على الحدود الفرنسية - السويسرية ، ولكن الاجتماع انتهى الى فشل ، وفي 11 يراير 1962 استؤنفت المفاوضات بايفيان EVIAN وانتهت يوم 18 مارس بالتوقيع على اتفاقيات تتعلق بايقاف الحرب ، والاستقلال ، والتعاون ، ولبلوغ هذه الغاية اتفق على تأليف هيئة تنفيذية مؤقتة لتسيير الادارة الداخلية واعداد الأجواء لاجراء استفتاء حول تقرير المصير ، وبالفعل جرى الاستفتاء يوم 1 يوليو فاختار الشعب الجزائري الاستقلال بأغلبية 72 ، 99 ٪ ( 5.975.581 صوتاً ضد 16.537 صوتاً ) ، ونتيجة لذلك اعترف الجنرال دو كول رئيس الجمهورية الفرنسية باسم فرنسا باستقلال الجزائر وفي نفس اللحظة سلم مندوب فرنسا السامي جميع سلطات السيادة الى رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة .

واستقر بعض أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في العاصمة لتسيير دفة الشؤون الخارجية في حين احتفظت الهيئة التنفيذية بتسيير الشؤون الداخلية ، وشرعت وحدات جيش التحرير التي كانت معسكرة في المغرب وتونس تدخل الى الجزائر .

وفي 6 يوليو صدر العدد الأول من الجريدة الرسمية للدولة الجزائرية ، وعين عمال مسلمون على اقليمي وهران والجزائر ، وحدد يوم 12 غشت لانتخاب مجلس وطني .

وبعد خلاف بين الحكومة المؤقتة وقيادة جيش التحرير النف العسكريون حول السيد أحمد بن بلة ، وألفوا يوم 22 يوليو في تلمسان مكتباً سياسياً لجهة التحرير تمكن من الاستمرار بقلب العاصمة يوم 3 يوليو ، وتلت استقراره اضطرابات في صفوف الجيش والهيئات السياسية أدت الى تأخير الانتخاب عن الموعد المحدد له في الأول ، فلم يجر الا يوم 20 شتنبر ، ولما جرى فازت قوائم النواب المرشحين من طرف المكتب السياسي ، وفي يوم 25 اجتمع المجلس الوطني وتسلم السلط التي كانت بين أيدي الهيئة التنفيذية المؤقتة وسمى الدولة باسم ( الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ) وانتخب السيد فرحات عباس رئيساً له ، وكلف في يوم الغد



السيد احمد بن بلة بتأليف أول حكومة وطنية في وطن محرر ، فألفها وقدمها الى البرلمان يوم 28 وألقى بمناسبة تنصيبها خطاباً شرح فيه سياستها .

وشرع السيد أحمد بن بلة يدير دفة السفينة وسط بحر عاصف الأمواج ، ويحاول تطبيق سياسة اقتصادية قوامها التأميم والتسيير الذاتي ، وأسّرت الأقطار المغربية والعربية والاشتراكية الى مساعدة الدولة الناشئة كي تغلب على مصاعبها ، وزار الملك الحسن الثاني الجزائر يوم الأربعاء 13 مارس 1963 ( 17 شوال 1382 ) وحمل الى الجيش الجزائري عتاداً ثقيلاً هدية من الجيش المغربي ، وأبرمت أثناء وجوده في الجزائر أوافق عديدة للتعاون بين القطرين المتجاورين في مختلف الميادين ، ولكنه لم يكذ يرفع الى مملكته حتى ظهرت حالة توتر بالحدود وشرع في اضطهاد المغاربة القاطنين بالجزائر ، ومع أن وفداً مغربياً (32) وفداً جزائرياً اجتمعا بوجدة يوم السبت 5 أكتوبر 1963 ( 16 جمادى الأولى 1383 ) لتصفية الجو وتفريج الأزمة واتفقا على عدد من النقاط الكفيلة بذلك صدر بها بلاغ مشترك هاجم الجيش الجزائري يوم الثلاثاء بعده ( 8 أكتوبر - 19 جمادى الأولى ) عناصر الأمن المغربي المتمركزة في مركزي حاسي البيضاء وحاسي تينجوب داخل التراب المغربي وفتك بها فتكاً ذريعاً ، ثم وسع مناطق العمليات الى جهات أخرى ولكن الجيش المغربي كر عليه وأجلاه عن المراكز المحتلة وأسر مئات من رجاله كما أسر بعض ضباط الجيش المصري الذي جاء لنجدة ، وكادت العمليات تتطور الى حرب عامة بين البلدين لولا ان تدخل بعض الرؤساء الأفارقة قصد تسوية المشكل فانعقد اجتماع بباماكو عاصمة مالي أسفر عن صدور بلاغ مشترك يوم الأربعاء 30 أكتوبر ( 12 جمادى الثانية ) .

واستمر السيد أحمد بن بلة في الحكم يحاول تطبيق التجربة الاشتراكية من جهة والتغلب على معارضيه من جهة ثانية ، ولكن هؤلاء تغلبوا عليه في النهاية وأقصوه عن الحكم يوم 19 يونيو 1965 فحل محله فيه الكولونيل بومدين الهواري وزير الدفاع الوطني الذي أصبح يحكم الجزائر منذ ذلك الحين باعتباره رئيساً لمجلس الثورة

---

(32) تراس وفد المغرب الأقصى في هذا الاجتماع السيد أحمد رضا فديرة المدير العام للديوان الملكي . وتولى مؤلف الكتاب الذي كان عضواً في الوفد تلاوة البلاغ المشترك . أما الوفد الجزائري فكان يرأسه السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرية .

## تونس في العصر الحديث

بدأ التدخل الفرنسي في تونس بمجرد ما ثبتت فرنسا أقدامها في مدينة الجزائر ، فبعد شهر واحد من احتلالها لعاصمة المغرب الأوسط أرسلت قطعاً من أسطولها الحربي الى تونس ( 17 غشت 1830 - 27 صفر 1246 ) طالبة تعديل شروط المعاهدات المعقودة معها من قبل والتي كانت ترى فيها اجحافاً ، ولم يكتف الباي حسين باشا بقبول التعديلات المقترحة ، بل قبل فصول ذلك أن يتعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي ، وكان الحامل له على ذلك حب الانتقام من أتراك الجزائر الذين كان أتراك تونس يحقدون عليهم والطمع في نيل حظ من الغنيمة الجزائرية ، وهكذا وجه الباي رسائل الى علماء الجزائر وأعيانها يدعوهم الى الاستسلام للجيش الفرنسي ، ثم اتفق مع المرشال كلوزيل قائد الجيش الفرنسي بالجزائر على ارسال أحد أفراد أسرته على رأس قوة عسكرية الى وهران لضبطها ، فارسل خير الدين آغا على ظهر سفينة فرنسية يوم 19 يناير 1831 ( 5 شعبان 1246 ) رغم معارضة أكثرية رجال أسرته وأعضاء حكومته ، وبعد وصوله الى وهران أمده بثلاثمائة من المخازنية وعسكر زواوة ، ولكن خير الدين عجز عن ضبط المدينة وصد الاعراب الذين كانوا شمروا عن ساق المقاومة والجهاد ، فاضطر بعد ثمانية أشهر الى العودة الى تونس وقد كان شاع فيها نبأ غضب الخليفة العثماني على الباي الذي منع أحد مبعوثيه من النزول الى البر التونسي وتجاهر بالتعاون مع الفرنسيين .

وكانت البلاد التونسية تعيش تحت نظام عسكري قاهر ، وأهلها مرهقين بكثرة الضرائب والمغارم ، والولاة يتلاعبون بأموال الدولة ولا يدعون فرصة للاستغناء ولو على افقار الناس واجاعتهم الا انتهبوها ، وقد بلغ الأمر ببعضهم الى القيام بمضاربات تجارية - ولا سيما في شراء الزيت وتصديره - لم تكن تدفع الفلاحين ومتوسطي التجار الى رفع العقيرة بالشكوى فقط ، بل وتيسر الأسباب أيضاً لتدخل القناصل الأجانب في الشؤون التونسية الداخلية والنيل من هيبة الدولة وكرامتها .

وقد أصبح من المألوف أن تبعت الدول الأوروبية بما فيها الدول الصغيرة كدولة سردينيا ودولة نابولي - سفنها الحربية الى تونس لأنفسه الأسباب فتملئ شروطها وترجع مزهوة فخورة والمدافع التونسية تحبس بطلقاتها أعلامها القومية ، وبلغ الحال ببعض القناصل الى التدخل حتى فى ناديب الباي لخداع قصره الداخليين ، والتهديد باعلان الحرب لمجرد طلبه نفي بعض رعاياهم المجرمين .

وكان البايات ورجال دولتهم وأعضاء حاشيتهم نهباً لعاملين عاطفيين : عامل الاحتفاظ بالتبعية الاسمية للسلطنة العثمانية مع ما يسببه ذلك من العزلة لهم وازدياد الطمع الأوربي فى الاستيلاء على اياهم ، وعامل قبول التبعية الفعلية لها مع ما يجره ذلك من القضاء على حريتهم الواسعة فى التصرف ، وازاء الحاج الحكومات العثمانية المتتالية عليهم بقبول التبعية المطلقة كانوا يتخلصون بأصناف الهدايا وأنواع المراوغات والاعتذارات ، وأخيراً حددت العلاقات بين تونس وتركيا بمقتضى مرسوم ( فرمان ) سلطاني صدر سنة 1288 ( 1871 م ) يجعل تونس ولاية عثمانية لواليتها الحق فى تولية المناصب العسكرية والشرعية والمالية لمن يكون أهلاً لها وفى اجراء المعاملات العادية مع الدول الأجنبية ما عدا أمور السياسة والحرب ، وسعت الحكومة التركية ( الباب العالي ) فى موافقة الدول الأجنبية على مضمون هذا المرسوم فوافق أكثرها وأبت فرنسا لأنه يعاكس نياتها المبيتة لاحتلال تونس ، ورغم الخبوط الواهية التى كانت تربط البايات بسلاطين آل عثمان استفاد القطر التونسي كثيراً من التجارب الإصلاحية والتنظيمات العصرية التى كانت تركيا شرعت فى ممارستها وتطبيقها ، وقد اعتدت حكومة البايات أخيراً - بنوجيه الوزير المصلح خير الدين الى أن أحسن وسيلة لمقاومة التدخل الأوربي هو اصلاح أنظمة الدولة العتيقة ، والأخذ بأسباب العلم والحضارة والتنظيم التى جعلت دول أوربا وشعوبها تتفوق على غيرها من الدول والشعوب ، وأصدر الباي محمد باشا - تحت تهديد القناصل الأوربيين - دستوراً ( عهد الامان ) يوم الأربعاء 9 شتنبر 1857 ( 20 محرم 1274 ) وأنشأ ( المجلس الأكبر ) لشرح مواد العهد ودراسة القضايا وعرضها عليه .

وكان من الممكن أن يبدشن ( عهد الأمان ) عهداً جديداً من التعاون بين الحكومة والشعب في تونس ، ولكن الدول الأوروبية التي وضعت نصب عينها احتلال الأقطار الإسلامية والاستحواذ على خيراتها لم يكن ليرضيها أن تقتبس تونس من النظم أو تدخل من الإصلاحات ما يقيها الكارثة ، ولذلك سعت جهدها في التنفير من الإصلاحات العصرية بدعوى أنها تتنافى مع الدين، ووجدت من العلماء والفقهاء الجامدين خير معين لها على بلوغ مآربها فكانوا هم أيضاً يثيرون العامة ضد كل اصلاح ، والحقيقة أن الباي ورجال حكومته وحاشيته لم يكونوا راضين عن وجود قانون ومؤسسات تحد من سلطتهم ، وكانوا يتجاهلون عهد الأمان والمجلس الأكبر كلما ظهر لهم أن يقررو أمراً فيه مصلحة خاصة بهم ولو كان فيه ألف مضره بالشعب عملاً بالمثل التركي الذي كان شعاراً لهم : ( **العربي خذ ماله واقطع راسه** ) وقد عمدوا سنة 1863 الى مضاعفة الضرائب المفروضة على الشعب قثار النامى ضد هذا القرار تحت رئاسة البطل على بن غدام المساهلي الماجرى في فاتح مايو 1864 ( 24 ذى القعدة 1280 ) وكان حضر أسطول فرنسي الى تونس قبل ذلك بيومين ونزل قائده وضباطه الى البر وتوجهوا صحبة قنصلهم شارل دوبوفال الى الباي وطلبوا منه تعطيل الدستور فعمله في فاتح مايو ( 24 ذى القعدة 1280 ) .

وساءت الحالة المالية بعد ذلك سوءاً كبيراً نتيجة التبذير والاختلاس وسوء التصرف فبدأت حكومة البايات تستدين من المؤسسات الأوروبية والتجار الأجانب بربا مرتفع لمواجهة التكاليف ، ولما عجزت عن الاداء استغاث أرباب الديون بدولهم ، ففرضت هذه على الباي تأسيس لجنة ( كوميسيون ) قتركب من تونسيين وفرنسيين وانكليز وإيطاليين لمراقبة المالية التونسية ( 6 يوليوز 1869 ~ 26 ربيع الأول 1286 ) ، فكان ذلك علامة على وقوع تونس تحت سيطرة الاستعمار المالى وتهيئها للاستعمار السياسى .

ومع ان الوزير خير الدين كان من كبار المصلحين المسلمين في القرن الماضى فانه لم يكن رجلاً نزيهاً ، وانما كان من الاقطاعيين الكبار الذين لا يحول بينهم وبين قضاء مآربهم وازع من ديسن ولا عاطفة

وطنية ، ولذلك هيج بتصرفاته الرأى العام وأغضب الباي حتى أخره عن الوزارة يوم 21 يوليوز 1877 وقبل خروجه من تونس والتجائه الى تركيا باع عقاراته للشركة المرسيلية الفرنسية ، فرفض الباي الاعتراف بهذا البيع واضطربت الحالة فى داخلية البلاد ، وأدى الأمر الى طلب قنصل فرنسا من الباي قبول الحماية الفرنسية فرفض واستعد الشعب للمقاومة ، واغتنمت فرنسا حدوث بعض الوقائع فى حدود الجزائر وامتناع الباي من معاقبة سكان جبال خمير المتهمين فيها فقررت حينئذ غسزو تونس وأرسلت اليها جيشاً يشتمل على 30.000 جندي مزودين بأحدث الأسلحة وأقواها ، فاضطر الباي محمد الصادق الى التوقيع تحت الاكراه على معاهدة يضع بمقتضاها ايالته تحت الحماية الفرنسية ، وكان ذلك بقصر باردو يوم 12 مايو سنة 1881 .

وما كاد نبأ توقيع المعاهدة المفروضة يشيع حتى هاج الشعب التونسي وهبت طوائف منه بوسط البلاد وجنوبها للمقاومة ، وكان حامل لواء الثورة هو على بن خليفة أحد رجالات الدولة البارزين ، فأرسلت فرنسا أسطول البحر المتوسط فى أوائل يوليوز 1881 الى صفاقس فأصلى تلك المدينة الباسلة نيران مدافعه ، ثم نزل جنوده الى البر يوم 16 يوليوز فاحتلوا المدينة بعد قتال عنيف وفتكوا بالمقاومين والسكان المدنيين وأوجبوا عليهم دفع غرامة حربية كبيرة ، ثم احتل الجيش الفرنسى القيروان فصعب على الوطنيين مواصلة المقاومة بعد ما اشترك جيش الباي نفسه فى محاربتهم الى جانب الجيش الفرنسى ، فالتجأ على بن خليفة الى طرابلس وانفض من حوله جل رجاله بعدما بذل لهم الباي الامان بطلب من المقيم الفرنسى ، وبعد ذلك عرض الفرنسيون معاهدة أخرى على الباي تلزمه بإدخال الإصلاحات الادارية والعدلية والمالية التى تقترحها الحكومة الفرنسية، فوقعها بالمرسى يوم 8 يونيو سنة 1883 ، ومنذ ذلك التاريخ شرع المستوطنون الفرنسيون والأوربيون يفدون على تونس ويستحوذون على خيراتها الاقتصادية، وأخذت الإقامة الفرنسية تسن من القوانين وتدخل من التنظيمات ما يكفل مصالحهم ومصالح فرنسا بالدرجة الاولى ، وانتصب الحكام الفرنسيون فى طول تونس وعرضها يحكمون البلاد حكماً مباشراً متسترين بستار المراقبة .

واستتب الأمر في تونس للفرنسيين ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المخلصين من أبنائها ، فتكونت حركة قومية بزعامة الشيخ محمد السنوسي أحد علماء جامع الزيتونة المتنورين ، ولكن السلطات الفرنسية نفتته الى قابس وسجنحت عدداً من أنصار الحركة . ثم ظهر الشيخ المكي بن عزوز وأخذ ينشر الحركة السلفية ويدعو الى الإصلاح ، فتأثر بأفكاره عدد من الشبان أصدروا بعد هجرته الى الشرق جريدة ( المستقبل التونسي ) باللغة الفرنسية ، وجريدة ( حبيب الأمة ) باللغة العربية للدفاع عن مصالح التونسيين .

وفي سنة 1905 كان الرعيل الأول من الطلبة الذين ذهبوا الى فرنسا للدراسة عادوا الى تونس مشبعين بالأفكار التحررية ، وتقدموا لتنوير الرأي العام التونسي وقيادته ، وكان من أبرزهم وأقواهم شخصيسة السيد علي أبوشوشة الذي أنشأ جريدة ( الحاضرة ) وجمع حولها كتلة قوية من أصدقائه وغيرهم من خريجي المعاهد الدينية والعصرية ، وقاموا بحركة قومية ودينية ترمي الى تقوية روابط تونس بحركة الجامعة الاسلامية وتطلب تنفيذ الدستور التونسي الذي لم تلغه الأوقاف المعقودة مع فرنسا ، وكانت هذه الحركة تتغذى بالأفكار الدينية والقومية التي دعا اليها زعماء الإصلاح الديني وقادة النضال السياسي في الشرق كالشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والاستاذ محمد فريد والزعيم مصطفى كامل .

وقد أثمرت هذه الحركة حدوث ثورة في القصارين تحت زعامة عمر بن عثمان أحد شيوخ القبائل سنة 1907 قام بها الأهالي احتجاجاً على اغتصاب الأراضي التونسية وتسليمها الى المتمردين الفلاحيين الفرنسيين ، فسأقت فرنسا حملة عسكرية على الناحية أخذت ثورتها واعتقلت زعيم الثورة وأعدمته رمياً بالرصاص .

وحاولت فرنسا أثناء تلك السنوات تطبيق السياسة الرامية الى اضعاف الشعب التونسي وتكثير عدد الفرنسيين الأصلاء والمتجنسين ، وهي سياسة نفذتها في الجزائر منذ بداية احتلالها ، ولما كانت هي نفسها مزاحمة في تونس بعشرات الألوف من المستوطنين الايطاليين والمالطيين وكان هؤلاء لا رغبة لهم في التخلي عن جنسيتهم الأصلية فقد كثرت مخاوفها وخشيت أن يتفوقوا في يوم من الأيام مع سكان البلاد الأصليين ويصبحوا وبالا عليها ،

فلم تر أمامها الا الطائفة اليهودية الوطنية فلوحت لأعيانها ومتقفى شبانها بالفوائد والمزايا التي حصل عليها اخوانهم المتجنسون في الجزائر ، وربطت بين الفريقين حبل الاتصال ، فشنت - في آن واحد سنة 1907 حملة قوية في تونس وفرنسا ومستعمراتها مطالبة بمنح الجنسية الفرنسية لليهود التونسيين وفك رقابهم من المواطنة الاهلية ! وكان رد الفعل من طرف المسلمين عنيفاً ، وتصدت ثلة من الشبان المتحمسين تحت زعامة المرحوم علي باش حانية لمقاومة هذا التيار الدعائي وفضح مقاصد الحماة الفرنسيين وتبيين ان كل عمل من هذا النوع يعد خرقاً للأوقاف المعقودة واعتداء على السيادة التونسية وسلطة ملكها ، فلم تر الحماية بدأ من التراجع عن السياسة المرسومة ، وجنى اليهود في مقابل ذلك ازدياد احتقار المسلمين لهم ومقاطعتهم لمتاجرهم .

وقد شجع هذا الظفر جماعة السيد علي باش حانية ، فكونوا حزباً وطنياً سنة 1908 أطلقوا عليه حزب ( تونس الفتاة ) وأنشأوا جريدة ( التونسي ) باللغة الفرنسية وأصدروا طبعة منها بالعربية كان يتولى تحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، كما حفزت مقاطعة المؤسسات التجارية اليهودية جماعة من التجار المسلمين على انشاء مؤسسات تجارية واقتصادية تونسية لحماً ودماً ، وعدم ترك اليهود مستأثرين بالأعمال التجارية الكبرى .

ولما اعتدت إيطاليا على طرابلس الغرب سنة 1911 قام علي باش حانية وجماعة ( تونس الفتاة ) بدور كبير في تأليب الرأي العام في المغرب العربي على الايطاليين ، وكان هو وأنصاره صلة بين السفارة التركية ببافيس والقيادة التركية بطرابلس الغرب ، وصارت تونس بسبب ذلك ممراً سرياً يحتاز منه الضباط والاختصاصيون القادمون من تركيا عن طريق اوربا الى ميادين القتال في ليبيا .

وقد كان من نتيجة الحقد الذي بثته جماعة ( تونس الفتاة ) فسي صدور التونسيين على الايطاليين اثر اعتدائهم على طرابلس حدوث اصطدام عنيف بالجلاز بين الطرفين في نفس السنة أسفر عن سقوط عدد عديد من القتلى والجرحى ، واثّر ذلك قرر المقيم العام الفرنسي حل حزب ( تونس الفتاة )

ونفى مسيريه الى الجنوب وابعاد على باش حانية وأخيه محمد وعبد العزيز الثعالبي الى خارج البلاد ، فلهق الاولان باسطمبول وقاما بدور كبير فى التشغيب على المستعمرين الفرنسيين والاطاليين والانكليز بالشمال الافريقى خلال الحرب العظمى ، وأقام الأخير بفرنسا .

والحقيقة ان الوطنية التونسية - بمعناها التنظيمى السياسى - انما ولدت فى بداية هذا القرن على يد على باش حانية وجماعة ( تونس الفتاة ) وان هذا الحزب الذى كان متأثراً الى حد بعيد بالأفكار الثورية المقتبسة من حزب ( تركيا الفتاة ) والأفكار الاسلامية الاصلاحية المقتبسة من دعوات الزعماء المصلحين بالشرق دق المسمار الاول - الذى توالى بعده المسامير اثر نهاية الحرب العظمى الاولى - فى نعش الاستعمار الفرنسى بتونس .

وواصلت جماعة ( تونس الفتاة ) العمل فى الخفاء رغم رقابة الفرنسيين الشديدة ، وكانت تجتمع أحياناً داخل منزل الأمير محمد الحبيب الذى أصبح بانياً فيما بعد ، وفى بداية الحرب تمكّن الفرنسيون من اكتشاف جمع من أنصارها واعتقاله ، وظلت تلك الجماعة فى غيابات السجون حتى وضعت الحرب أوزارها .

ولما كان الحلفاء يهيئون معاهدات الصلح مع الدول المهزومة ، ومشروع تأسيس جمعية الأمم تقدم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وصديقه السيد أحمد السقا الى الرئيس ويلسون بذاكرة يطالبان فيها باستقلال تونس ، ولكن تلك المذكرة ألقى بها فى سلة المهملات كما ألقى بمذكرات أخرى تقدمت بها وفود وطنية أخرى ، فقرر الثعالبي اثر ذلك انتهاج خطة جديدة هى الاتجاه نحو الشعب الفرنسى نفسه لتكوين رأيه وفضح الموبقات التى ترتكب فى تونس باسمه ، فاصدر فى سنة 1920 كتابه المسمى ( تونس الشهيدة ) باللغة الفرنسية شرح فيه أعمال الاستعمار الفرنسى وما ارتكبه من أمور تتنافى مع الاعراف الدولية والحقوق الانسانية . متخلصاً فى النهاية الى المطالبة بتأسيس حكومة تونسية مسؤولة أمام مجلس يمثل الأمة التمثيل الصحيح ليتمكن الشعب من تدبير أموره والاطمئنان على مصيره .



وحينما كان الثعالبى ورفاقه يوالون جهودهم بفرنسا لصالح القضية التونسية بدأ زملاؤهم الذين لفظتهم السجون يتحركون ولكن فى حذر شديد مراعاة للظروف التى كانت تحيط بهم والتى تختلف تمام الاختلاف عن ظروف أصدقائهم الموجودين فى باريس ، ولما أحسوا بمظف الباي عليهم أسسوا حزباً جديداً سموه ( حزب المستور ) ، وشرحوا فى بيان نشره على الشعب أهدافه التى تتلخص فى تبليغ الوطن رشده ، وتحريره من الاستعباد كى يصبح الشعب التونسى حراً متمتعاً بكامل الحقوق ، والسعى لبلوغ هذه الغاية عن طريق نظام دستورى يسمح للشعب بحكم نفسه بنفسه .

ومن البديهي ان هذه الأهداف هى أقل بكثير من أهداف حركة ( تونس الفتاة ) السابقة التى كانت تنادى بالاستقلال التام ، كما أنها أقل بكثير من الإنكار التى كان ينادى بها أعضاء الحزب الموجودون فى باريس ، ولكن هؤلاء - وفى مقدمتهم الثعالبى - اضطروا الى مسامرة الحركة وهم يؤمنون فى قرارة أنفسهم بأن الحل الوحيد هو الاستقلال، ايماناً منهم بأن ما ذهب اليه أصدقائهم بتونس انما هو احتيال سياسى .

وواصلت هيئة الحزب الجديد العمل على أساس المبادئ التى أعلنت عنها ، وكانت تستغل كل فرصة للفت الأنظار اليها وجع الصفوف من حولها ، وحدث ان الإقامة الفرنسية العامة حاولت الاستيلاء على الأحباس ( الأوقاف ) الخاصة التى تتصرف فيها بعض الأسر التونسية تمهيداً لاعطائها للمعمرين الفرنسيين ، واستقرض 250.000.000 فرنك لتكميل عجز الميزانية فثار الجمهور ضد ذلك ، وألف الحزب وفداً ذهب الى باريس نجح فى إلغاء مشروع الاستيلاء على الاحباس وطلب القرض ، وقدم للحكومة الفرنسية مطالب معتدلة جداً ، ثم تألف وفد جديد ذهب الى باريس سنة 1920 ولكنه عاد كالوفد الأول دون الحصول على طائل .

اما الثعالبى فانه واصل عمله الدعائى والتنويرى بباريس ، ولكن الشرطة الفرنسية نفذ صبرها أمام عمله الدؤوب فاعتقلته بتهمة بالتآمر على أمن الدولة ، وسلمته الى السلطات الاستعمارية التى زجت به وبشلة من

أصدقائه في السجن العسكري ، وبعد تسعة أشهر أطلق سراحهم ، فقاموا بتنظيم الحزب الدستوري على أسس جديدة ، وانتخب الثعالبي رئيساً له ، واحمد الصافي أميناً عاماً وأنشئت خلاياه وتشكيلاته في جميع النواحي ، فاضطرت فرنسا لتعديل موقفها وبعثت لوسيان سان مقيماً جديداً الى تونس .

ولم يكد المقيم العام لوسيان سان يصل الى تونس يوم 6 يونيو 1921 حتى كان الحزب الدستوري هياً وفداً من أربعين شخصاً يمثلون مختلف طبقات الشعب - قدم اليه لائحة من المطالب التي سبق للوفود الأخرى أن قدمتها الى المسؤولين في باريس ، فأجابهم بأنه مستعد لتنفيذ المطالب التي لا تتنافى مع معاهدة الحماية . وكان المقيم لا يقصد الا بعض الإصلاحات الجزئية التي لا علاقة لها باعلان دستور ولا بتأسيس حكومة مسؤولة أمام برلمان منتخب ، ثم توجه الوفد عند الباي محمد الناصر فاقتبلهم بحفاوة واستمع الى مطالبهم وأعلن تأييده لها واستعداده لتأليف حكومة دستورية .

وكان السيد مليران رئيس الجمهورية الفرنسية يستعد لزيارة تونس ، فوعدت فرنسا الباي بعزمها على تنفيذ الإصلاحات ان مرت الزيارة في هدوء ، وطلبت منه أن يستعمل نفوذه لدى الحزب لاقتناعه بضرورة مجاملة رئيس الجمهورية اثناء زيارته لتونس .

وزار مليران تونس وقوبل بالحفاوة المناسبة ، ولكنه أغضب شعبها لما خطب وأعلن أنها ستظل مرتبطة بفرنسا الى الأبد ، وتقدم لوسيان سان الى الباي ببعض الإصلاحات البسيطة والمشوهة فرفضها ، واثناء هذا التوتر والغليان نشرت صحيفة فرنسية حديثاً نسبتها الى الباي زعمت فيه أنه غضبان على رجال الحركة الوطنية لأنهم شيوعيون ، ولما اطلع عليه الباي ثارت ثائرتة وأمر رئيس وزارته ومدير تشريفاته بتكذيب مزاعم الصحيفة ، ولما لم يفعل ذلك خوفاً على أنفسهما من الفرنسيين عقد الباي ندوة صحفية كذب أثناءها ما نشر ، وأعلن عزمه على اعفاء وزيره الأول ومدير تشريفاته .

وحاول الباي تنفيذ عزمه ، وهو حق من حقوقه التي لا غبار عليها ، ولكن الفرنسيين تمسكوا ببقاء الشخصين المفضوب عليهما ، فقابل الباي هذا التحدي باعلان تنازله على العرش ، واذ ذاك ثار الشعب تأييداً لملكه ،

واستنكاراً لسياسة الحماية ، ووقعت مظاهرة كبرى يوم 5 أبريل 1922 أدت الى اعتقال عدد كبير من الوطنيين والوجهاء ، فتراجع الباي ازاء هذا التأييد عن فرار التنازل ، ولكن المقيم الفرنسى توجه الى القصر على رأس فرقة من جند افريقيا ، وقدم الى الباي لائحة تشتمل على أسماء 36 من زعماء الحركة الوطنية طالباً المصادقة على قرار ابعادهم فرفض الباي ذلك بشم ، وبعد قليل فوجئ الناس بموته فى ظروف غامضة ، فخلفه الباي محمد الحبيب الذى صادق على الاصلاحات المرفوضة وبدأ الفرنسيون ينفذون سياسة القمع من جديد .

وكان أهم هذه الاصلاحات تأسيس مجلس كبير يشتمل على أعضاء نونسين وآخرين فرنسيين وانشاء غرفتين تجارية وفلاحية ! ولما ظهر الباي محمد الحبيب بمظهر الملك المتعاون بعد ما كان قبل اعتلائه على العرش بنظام بمظهر الأمير المخلص قرر الحزب أن يسافر الشعبى الى الشرق للتعريف بالقضية التونسية ، فسافر سنة 1923 وزار عدداً كبيراً من الاقطار العربية والاسلامية وقام بدعاية قوية جعلته من زعماء المسلمين المشهورين ولم يرجع الا سنة 1936 ، اما فى داخل تونس فقد واصل الحزب الدستورى السبر فى خطته تحت زعامة أمينه العام السيد احمد الصافى ، وقد ظهرت قوته من جديد اثناء المظاهرات التى نظمها سنة 1925 احتجاجاً على اقامة تمثال للكردينال لافيجرى اسقف الجزائر، وازداد الشعور الوطنى التهاباً اثناء الحرب التى كان يقودها السيد محمد بن عبد الكريم الخطابى فى منطقة الريف من المغرب الأقصى والتى تكبد فيها المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون خسارات كبيرة فوقت السلطات الفرنسية بالمرصاد للوطنيين التونسيين، ومنعتهم حتى من نميل بعض الروايات التى تذكر بالماضى المجيد ، واستولت على الاموال التى جمعت بقصد معاونة جرحى المجاهدين بالريف ، وحكمت على بعض الشباب الذين قاموا بهذا العمل الانسانى بالسجن خمسة أعوام مع الأشغال الشاقة وأبعدت الى الجزائر الاستاذ احمد توفيق المدنى من أجل كتابته مقالات حماسية ، ثم وقعت مظاهرات واضرابات سنة 1926 احتجاجاً على محاولة فرنسا تعيين قضاة فرنسيين بالمحاكم التونسية ، ولما أعلن الباي محمد

الحبيب تضامنه مع شعبه فى هذا الاحتجاج تراجعت فرنسا عن مشروعها ، ولكنها قررت عرض القضايا السياسية على المحاكم الفرنسية انتقاماً من القضاة التونسيين الذين أعلنوا تضامنهم مع الوطنيين .

والذى شد عضد الحركة الوطنية وزاد تغلغلها فى كل الأوساط صدور أكثر من 20 صحيفة ومجلة باللغة العربية ، وواحدة ( **الحجر** ) باللغة الفرنسية لبث الدعاية وترويج المبادئ الدستورية ، وظهور حركة نقابية اسلامية ابتداء من سنة 1924 تحت زعامة البطل السيد محمد على الذى أبدى الفرنسيون فيما بعد الى خاج تونس هو وثلة من أصدقائه فماتوا جميعاً فى الغرب .

وخلال تلك الفترة ظهر على المسرح السياسى عدد من الشبان المتنورين فسح لهم الحزب مجال العمل ، وانضم واحد منهم وهو السيد الشاذلى خير الله الى اللجنة التنفيذية ، ولما أوقفت السلطات الفرنسية جريدة الحزب أصدر السيد الشاذلى جريدة ( **العلم التونسى** ) باللغة الفرنسية سنة 1927 ، ومع ان الجريدة الجديدة لم تكن تعبر — رسمياً — عن آراء الحزب استطاعت ان تجمع حولها الشبان الدستوريين المثقفين ، ولما أوقفتها السلطات الفرنسية سنة 1929 صمد الشبان الدستوريون وأصدروا جريدة ( **صوت التونسى** ) وكونوا لجنة لتحريرها وتوجيهها كان من بين أعضائها السيد الحبيب بورقيبة ، وبذلت هذه اللجنة جهوداً قوية فى الدفاع عن الأمانى القومية للشعب التونسى وفضح المكاييد الفرنسية ، ثم استقل الشبان الدستوريون عن السيد الشاذلى خير الله وأصدروا جريدة ( **العمل التونسى** ) فى فاتح نونبر سنة 1932 مسندين رئاسة تحريرها الى السيد الحبيب بورقيبة بينما أصدر الحزب الدستورى جريدته الرسمية ( **صوت الشعب** ) باللغة الفرنسية .

وبينما كان الوطنيون التونسيون — كهولا وشبابا — يخوضون معركة التوعية السياسية خطرت للاستعماريين الفرنسيين فكرة الاحتفال بذكرى مرور 50 سنة على فرض الحماية الفرنسية واضفاء حلة نصرانية على هذا الاحتفال بعقد مؤتمر مسيحي كبير يقترن به .

وكان هذا الخاطر الجهنمي مظهرًا لسياسة جديدة قررت فرنسا تنفيذها في مستعمراتها ، فقد صرح وزير خارجيتها أمام مجلس النواب أثناء درس فصل من الميزانية يتعلق بإعانة الجمعيات التبشيرية : ( ان فرنسا اذا كانت لادينية في داخل حدودها فانها دينية في الخارج ) ، اما أسقف تونس فانه صرح بدون ادنى تحفظ بأن المؤتمر المنوي عقده يعد حملة صليبية على تونس وان كان ملؤها المحبة والسلام !

وعرضت الإقامة الفرنسية العامة على المجلس التونسي شروع تخصيص اعتماد مالي لتنظيم المؤتمر ، ولما عارض النواب المسلمون المشروع منعوا من المناقشة ، وأقرت السلطة مشروعها كما تشاء ، وازاء هذا التحدى بدا الشعب التونسي يحتج ويتظاهر ، ووقعت اضطرابات واصطدامات ، وحملت الصحافة الوطنية حملات عنيفة على السياسة الجديدة كان من نتائجها اخفاق المؤتمر وعدول الاستعماريين عن الاحتفال بالذكرى الخمسينية لفرض الحماية .

وفي سنة 1933 اتخذت الحكومة الفرنسية عدداً من الترتيبات لفتح باب التجنس بالجنسية الفرنسية في وجه التونسيين ، واستصدرت سلطات الحماية فتوى من رجال الشرع تجيز للمسلم التجنس بالجنسية الفرنسية دون أن ينسلخ عن الاسلام ، ففضحت الصحف الوطنية المؤامرة وشنت حملات عنيفة على رجال الشرع والحماية معا ، وقرر الأهالي مقاطعة المتجنسين ومنعهم من الدفن بالمقابر الاسلامية ، وحدثت بسبب هذه السياسة الجديدة الخرقاء وقائع دامية واضطرابات استصدرت بعدها الإقامة العامة يوم 6 مايو ( أواخر عليه ) من الباي أحمد تبيح للمقيم الفرنسي أن ينفي كل شخص يقوم بعمل أو دعاية ضد نظام الحماية ، كما قررت السلطات الفرنسية تخصيص أماكن لدفن أموات المتجنسين ، فكان هذا القرار نصراً للقومية التونسية من حيث لم يحتسب الاستعماريون .

واثر ذلك عقد الحزب الدستوري مؤتمراً فوق العادة أسفرت أشغاله عن ميثاق يعلن ( أن عمل الحزب في الميدان السياسي انما يرمى الى تحرير الشعب التونسي وتمكين البلاد من نظام بات وقار في شكل دستور يصون

الذاتية التونسية ويقرر سيادة الشعب ) كما قرر المؤتمر ضم أعضاء أسرة ( العمل التونسي ) الى اللجنة التنفيذية ، فما كان جواب فرنسا عن هذا الميثاق الا حل الحزب وتعطيل صحفه وتعيين السيد مرسيل بيروتون المشهور بصرامته مقيماً عاماً جديداً .

ولم يحصل انسجام بين المسيرين القدامى والمحدثين للحزب ، فاستقال من اللجنة التنفيذية السيد الحبيب بورقيبة وطرد منها الآخرون ، وارتبط منذ ذلك الحين تاريخ الكفاح السياسى التونسى بـ ( الديوان السياسى ) الذى ألفوه .

وشرعت الهيئة الجديدة تطبق النظرية البورقيبية الرامية الى ابلاغ تونس مطامحها القومية على مراحل وبواسطة الحوار مع الفرنسيين ، وتمكنت من التغلغل فى جميع الأوساط وخاصة فى الأرياف ، فقلق ذلك الفرنسيين واعتقلوا أعضاء الديوان السياسى وعدداً من الوطنيين البارزين يوم الاثنين 3 شتنبر 1934 ولم يسرحوهم الا فى 23 مايو 1936 بعدما عمت المظاهرات تونس وسادها توتر كبير .

وكانت أحزاب اليسار الفرنسية المؤلفة للجبهة الشعبية تسلمت مقاليد الحكم بفرنسا ، فسافر السيد الحبيب بورقيبة الى باريس لفتح الحوار والتعريف بقضية بلاده وتنسيق العمل التحريرى مع ممثلى الحركات الوطنية الأخرى فى المغرب العربى ، ولاحت بوارق أمل لم تلبث الجالية الفرنسية أن عملت على اطفائها بما لها من جاه ونفوذ ، ولما سقطت وزارة ليون بلوم استسلمت الوزارة التى تلتها لتأثير الاستعمارين والرجعيين ، فاشتد الضغط على الوطنيين وقتلوا بالعشرات ، فيئس زعماء الديوان السياسى من كل حوار وبدءوا يستعدون لخوض معركة جديدة ، وجربوا قوتهم يوم 17 دجنبر عندما قرروا شن اضراب عام تضامناً مع وطنيى الجزائر والمغرب الأقصى ، فاكثرت السلطات الاستعمارية من الاعتقالات واوصلت المتابعات .

وتوالى المظاهرات الشعبية ابتداء من شهر يناير 1938 كما توالى سقوط المناضلين فى ميادين الشرف فاضطر المقيم الفرنسى العام الى استصدار ( أمر على ) يوم 9 أبريل يعلن حالة الحصار ويفوض السلسط لقائد جيش

الاحتلال ، وفي فجر يوم 10 أبريل شرع الجيش والشرطة في اعتقال زعماء الديوان السياسي وأعضاء الحزب البارزين ، وتوالى الاعتقالات طيلة الشهر ، وأصبحت المنافي والسجون غاصة بمئات الوطنيين .

واستمر الحزب يعمل في الخفاء ، ولما أعلنت الحرب العظمى الثانية نقل الوطنيون الى السجون العسكرية في الجزائر ونفذ في بعضهم حكم الاعدام ، ثم نقل زعماء الديوان السياسي الى سجون فرنسا وظلوا بها حتى احتل الالمان منطقتها الحرة وسلموا السيد بورقيبة الى الايطاليين ، فحاول ماؤلاء استغلاله ولكنه استعصى عليهم ، وأخيراً أعادوه الى تونس يوم 7 أبريل 1943 فوجد أعضاء الحزب ما بين ضالع الالمان ومتحفظ مترقب ، ولما احتل الحلفاء تونس عين الفرنسيون الجنرال جوان المشهور بتهوره وحقده وعنفه مقيماً عاماً بالنبابة ، فنفى الباي محمد المنصف الى الجزائر وشن حملة انتقامية قتل فيها كثير من التونسيين ومثل بهم ، واختفى السيد بورقيبة عن الأنظار حتى توسط لمصلحته الأمريكيون الذين كان على اتصال بهم ، واثّر خروجه قدم للجنرال ماست المقيم الفرنسي الجديد مشروع اصلاحات يرمى لتطوير نظام الحماية ، ولكن الفرنسيين قرروا في مارس 1944 ويبرابر 1945 ادخال ( اصلاحات ) قضت على قسم عظيم مما بقى من مظاهر السيادة التونسية ، فأدرك الوطنيون ان لا خير يرجى من ( فرنسا الحرة ) ولا من ( الجمهورية الرابعة ) التي أنشأتها وقرروا البحث عن التأييد الخارجى لقضية بلادهم .

وغادر السيد بورقيبة تونس متنكراً يوم 26 مارس 1945 فوصل القاهرة في 28 أبريل بعد ما تكبد مشاق وعانى أهوالا ، وضم جهوده الى جهود الوطنيين المغاربة والجزائريين المقيمين بها ، وأسسوا ( مكتب المغرب العربى ) في شهر مايو سنة 1946 واتخذوه قاعدة للتبشير بقضايا الشمال الافريقى ، ثم سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية وشرع يتجول في بعض الأقطار العربية ، وعاد أخيراً الى تونس في 8 شتنبر 1949 فاستأنف الديوان السياسى تحت رئاسته الاتصال المباشر بالشعب ، ثم سافر في 12 أبريل 1950 الى فرنسا وعرض مشروع اصلاحات فى سبع نقط يرمى مجموعها الى تحقيق الاستقلال الداخلى وعاد الى تونس يوم 3 غشت بعد ما خلفت اتصالاته وخطبه وتصريحاته

أنراً عظيماً في الرأي العام الفرنسي ، وبعد 13 يوماً تألفت وزارة برئاسة السيد محمد شنيق شارك فيها الحزب على أساس التفاوض مع فرنسا لانجاز الحكم الذاتي ، ولكن المفاوضات تعثرت نتيجة الضغط السني قامت به الجالية الفرنسية ، ثم هدد الحزب بالانسحاب من الحكومة على اثر المجزرة التي دبرتها تلك الجالية ضد عمال النفيضة يوم 22 نونبر ، وغادر السيد الحبيب بورقيبة تونس يوم 2 يبرابر 1951 للقيام بجولة طويلة حول العالم أوصلته الى جاكارتا شرقاً وسكندينايا شمالاً والولايات المتحدة غرباً وأجرى اتصالات مع كثير من المؤسسات السياسية والوطنية والنقابية ، وبعد ما اشتد الضغط على الوطنيين في تونس بعثت الحكومة التفاوضية رسالة الى الحكومة الفرنسية في 31 أكتوبر ذكرتها فيها بالغاية التي فتحت المفاوضات من أجلها ، وطالبتها بتحديد موقفها من وعدها القاضي بمنح تونس استقلالها الداخلي ، ولكن فرنسا ردت في 15 دجنبر بأن الاستقلال الداخلي يعني في الواقع اقرار السيادة المزدوجة ، وانه لا بد أن يكون للفرنسيين وجود في الحكومة والهيئات النيابية ، وان بين تونس وفرنسا روابط أبدية لا تنفصم عراها ، فاضطربت تونس بعد ورود هذا الرد واضرب الشعب عن العمل ثلاثة أيام متوالية . ثم ازدادت الحالة تخرجاً عند ما قدمت الوزارة التونسية يوم 14 يناير 1952 شكوى ضد فرنسا الى الامانة العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، فاهتزت فرنسا للمباغطة وما انطوت عليه من تحد ، وتجددت في تونس المظاهرات .

وبلغت الأزمة اشدها يوم 18 يناير حينما اعتقلت السلطات الاستعمارية السيد الحبيب بورقيبة من جديد ، ونفت عدداً كبيراً من مسيري الحزب الى الصحراء ، ويوم 26 مارس حينما اعتقلت رئيس الحكومة السيد محمد شنيق وأعضاء حكومته ، فتشككت لجان الارهاب ، وتمطلت دواليب الادارة ، وتدهورت الحياة الاقتصادية ، فازداد حقد الاستعماريين على الحركة الثورية ، وتعاونت القوات ( النظامية ) مع منظمة ( اليد الحمراء ) التي ألفتها الجالية الفرنسية على الفتك بالتونسيين وانتهاك حرمااتهم . ومن أشهر ضحايا الهيئة الأخيرة الزعيم النقابي السيد فرحات حشاد والمرحوم الهادي شاكر الذي اخرج من معتقله تحت انظار حراسه وأعدم وألقيت جثته على قارعة الطريق .



ونصبت فرنسا حكومة عميلة برئاسة صلاح الدين البكوش ، ثم حكومة عميلة أخرى برئاسة محمد الصالح المزالي ، وأدخلت في مايو 1953 ومارس 1954 إصلاحات رفضها الشعب لأنها لا تستجيب لرغائبه في وحدة السيادة واستكمال مقوماتها الأساسية ، وازداد لهيب الثورة اشتعالا ، ودرست القضية التونسية مرتين في منظمة الأمم المتحدة ، وفي هاتيك الظروف الحالكة انهزمت القوات الفرنسية في ديان بيان فو بالهند الصيني ، وأمسك السيد مانديس فرانس بمقاليد الحكم في فرنسا يوم 18 يونيو 1954 فسافر الى تونس يوم 31 يوليو وأعلن في خطاب رسمي أمام الباي بقصر قرطاجنة استقلال تونس الداخلي ، وتألقت يوم 2 غشت حكومة تفاوضية شارك فيها الحزب الدستوري .

وبدأت المفاوضات بين الجانبين التونسي والفرنسي يوم 4 شتنبر بتونس ، وانتقلت الى باريس في الثالث عشر منه ، وتعثرت مرات عديدة نتيجة الجو السياسي المخيم على البرلمان الفرنسي ، وموقف غلاة الاستعمار بتونس الذين لم يسلموا بالأمر الواقع ، وأخيراً تم تحرير نصوص الاتفاقيات الضابطة للحكم الذاتي ووقعها المفاوضون بالحروف الأولى ، وعاد السيد الحبيب بورقيبة الى تونس في فاتح يونيو 1955 وقوبل بحفاوة كبيرة ، واستطاع خلال جولاته الدعاية أن يفهم معارضيه ، وكانت فرنسا قد أعادت جلالة الملك المرحوم **محمد الخامس** من منفاه السحيق بمدغشقر ، واتفقت معه يوم 7 نونبر على تمكين المغرب من السير نحو الاستقلال في دائرة التكافل، وائرها صرح السيد كمي مولي رئيس الوزارة الفرنسية أمام البرلمان الفرنسي يوم 31 يناير 1956 ان اتفاقيات سنة 1955 لا تحول دون تمتيع تونس بالاستقلال على غرار المغرب الأقصى في نطاق التكافل .

وفي يوم 13 يبرابر 1956 طلبت الحكومة التونسية فتح مفاوضات جديدة مع الحكومة الفرنسية فقبلت فرنسا ذلك وابتدأت المفاوضات بوزارة الخارجية الفرنسية يوم 29 يبرابر ، ووقع يوم 20 مارس على اتفاق تعترف فيه فرنسا علنا باستقلال تونس وبطلان معاهدة 12 مايو 1881 التي لم يعد في إمكانها ضبط العلاقات الفرنسية التونسية .

ودخلت تونس منذ ذلك التاريخ فى عهد جديد من حياتها القومية ، وعهد الى السيد الحبيب بورقيبة يوم 11 أبريل بتأليف حكومة جديدة بعد ما كان انتخب رئيساً للمجلس القومى التأسيسى ، فعمل فى البداية على تصفية مخلفات الاستعمار والامساك بمقاليد البلاد ، وسمى فى الحصول على اعتراف الدول باستقلال بلاده فتم له ما أراد ، وفى يوم 12 نونبر صادقت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة على قبول تونس فى عضويتها .

ومنذ ذلك الحين شرعت الهيئة الحاكمة فى تجديد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكان من أكبر منجزاتها اعلان النظام الجمهورى يوم 25 يوليوز 1957 وعلان الدستور يوم 1 يونيو 1959 واجلاء القوات الفرنسية فى أكتوبر 1963 واسترجاع املاك الاستعمار فى مايو 1964 وتصفية املاك الكنيسة فى 27 يونيو من نفس السنة .

### ليبيا فى العصر الحديث

افتك سنان باشا قائد الأسطول التركى مدينة طرابلس من أيدي فرسان القديس يوحنا يوم 16 غشت 1551 ( 13 شعبان 958 هـ ) وجعلها قاعدة ولاية عثمانية جديدة ، وخلال قرنين عانت البلاد من الفوضى ما لا يمكن وصفه ، فكانت مسرحاً لثورات الأجناد ومؤامرات الولاة ودسائس القناصل الأوربيين ، حتى نادى الديوان بأحمد القرمانلى والياً عليها فى 27 يوليوز سنة 1711 ففضى على الفتن ووطد الأمن ، واعتمد على العنصر الوطنى فى الجيش واعتنى بالاقتصاد واهتم بالمران .

ولما توفى سنة 1745 ( 1158 هـ ) بعد حكم دام 34 سنة بقى حكم الولاية فى عقبه الى سنة 1835 التى خلع فيها السلطان على باشا الثانى آخرهم فأصبحت الولاية منذ ذلك الحين تحكم من قبل العثمانيين حكماً مباشراً .

وبدا الولاة الأتراك يبعثون لحكم الولاية من اسطنبول ، ولم يكن بعضهم يستقر فى الولاية أكثر من عام ، حتى بلغ عدد من حكم منهم خلال سبع وسبعين سنة ( 1835 - 1911 ) ثلاثة وثلاثين والياً ، وقد نتج عن ذلك

اهمال شؤون البلاد وضعف الاهتمام بمصالح السكان بالاضافة الى ما اثر عن الحكم التركي فى جميع أطراف الأبراطورية العثمانية من قسوة واستبداد ، فانتشرت الأوبئة وساءت الأحوال الاقتصادية وخرب العمران وهاجر السكان الى الأقطار الاسلامية المجاورة وحتى الى جزر البحر الأبيض المتوسط وأقطاره النصرانية ، ولم يعتن الا قليل من الولاة بشؤون الإصلاح والتنظيم والتجديد كالوالى محمد نديم باشا الذى مدت فى أيامه ( 1862 - 1869 ) أسلاك التلغراف بين طرابلس وبرقة ، وخلفه على رضا باشا الذى ألح سنة 1869 على حكومة اسطنبول فى انشاء محاكم عصرية وسن قوانين ملائمة لها فأغضب ذلك القناصل الأوربيين الذين كانوا يعتقدون ان تحسين أحوال ليبيا يحول بينهم وبين الاستيلاء عليها ، واحمد عزت باشا ( 1879 - 1880 ) الذى أنشأ مدرسة ومستشفى وسوقاً ورمم قسماً من سور طرابلس وبنى فناً بمرساها ، وكذلك احمد راسم باشا الذى طالت مدة ولايته 15 سنة ( 1883 - 1898 ) انجز اثناءها عدداً كبيراً من الاعمال العمرانية .

وكانت ليبيا العثمانية منقسمة فى البداية الى ثلاث مقاطعات : طرابلس ومصراته ، وبنغازى ، ثم صارت مقسمة ابتداء من سنة 1843 الى قسمين فقط : ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازى ، وكانت المتصرفية الأخيرة تدار رأساً من قبل الحكومة المركزية ما عدى مسائل الجيش والبريد والديوانة والقضاء ، فكانت تخضع للسلطات العليا فى طرابلس .

ولما صدر قانون البلديات التركى سنة 1871 أصبح فى كل مدينة من مدن الولاية مجلس بلدى يتركب من عشرة أشخاص منتخبين ، يجتمع مرتين فى الأسبوع للنظر فى الشؤون البلدية كالنظافة والانارة واطفاء الحريق وتنظيم الأسواق ومراقبة الأماكئ العمومية وايواء اليتامى والضعفاء وكانت موارد البلديات تاتى من الضرائب المحلية المفروضة على الأسواق والمجازر والمكاييل والسوازين .

أما القضاء العصرى فقد ابتدأ تطبيقه فى المناطق الساحلية والأخرى الأهلة من ليبيا سنة 1869 ، وكانت تقوم به محاكم للمصلح وأخرى للجنايات وثالثة شرعية ومحكمة اجراء ، وكانت المحاكم العثمانية تنظر فى القضايا التى

يكون أجنبى طرفاً فيها ، ولا تنظر المحاكم القنصلية الا فى القضايا المدنية الخاصة بالأجانب من جنسية واحدة ، وكان جميع القضاة وحكام الصلح الذين تولوا مناصب عالية فى القضاء يرسلون الى ليبيا من تركيا .

وكان الأتراك يمسون بمقاليد الإدارة والجيش وأهل ليبيا يحترفون الفلاحة والصناعة ويمارسون التجارة الصغيرة ، أما التجارة الكبرى فكانت تقوم بها الطائفة اليهودية المتجنسة والجوالى الأجنبية التى كانت غالبيتها تتألف من طليان وانجليز وفرنسيين ، وقد بلغ مجموع الصادرات 9.000.000 فرنك سنة 1898 ومجموع الواردات نفس المبلغ ، وكانت انكلترا وإيطاليا وفرنسا وتركيا أهم الدول المستوردة والمصدرة الى ليبيا فى هذا العصر ، فكانت ليبيا تصدر اليها الشعير والحصر والحناء والسمن والفواكه الحمضية والحلقة والمواشى ، وتستورد منها المصنوعات الحديدية والشاى والسكر والمواد الصيدلية .

وكانت إيطاليا أكثر الدول الأوربية اهتماماً بولاية ليبيا ، فمنذ استكملت هذه الدولة وحدتها ( 1870 ) وقضت فترة من الزمان فى اصلاح شؤونها الداخلية بدأت تتطلع الى انشاء مستعمرات لها فى القارة الافريقية تأسيساً بفرنسا وانكلترا وغيرهما ، وكانت أنظارها تتجه على الخصوص الى ولايتى تونس وليبيا العثمانيتين ، ولكن فرنسا فوتت عليها الفرصة باحتلالها تونس سنة 1881 فلم يبق أمامها الا ليبيا ، ولذلك أخذت تمهد لبسط سلطانها بشكل واضح ، فأكثرت من فتح المدارس المجانية بطرابلس وبنغازى لنشر ثقافتها وشجعت هجرة الأسر والأفراد من مواطنيها الى ليبيا حتى بلغ عددهم 1.100 شخصاً سنة 1900 كما واصلت ارسال البعثات لأغراض علمية فى الظاهر ورسم الخرائط والتعرف على القبائل وشيوخها فى الباطن ، ثم أسست سنة 1905 فرعاً لبنك روما الذى أخذ يشتري الأراضى الزراعية من المواطنين بأثمان مغرية ويغذى بأمواله الخاصة نشاط الدعاية الإيطالية بين السكان ويصرف الرواتب للجواسيس والعملاء ، وأخير فأتحت إيطاليا الدول التى سبقتها الى الاستعمار فى شأن احتلالها لليبيا فحصلت على موافقة انكلترا وفرنسا مقابل سكوتها عن تصرفات الأولى فى مصر والثانية فى المغرب الأقصى .

وفى سنة 1909 عين ابراهيم باشا والياً على طرابلس ، وكان من رجال تركيا الحازمين ، ولما وصل أحس بخطر النفوذ الإيطالي وسعى فى درئه ، وسافر بنفسه الى اسطنبول لطلب نجدات عسكرية تحمى الولاية من الكارثة التى أوشكت أن تلم بها ، فاعتنمت إيطاليا فرصة غيابه ووجهت فجأة وبدون ادنى موجب انذاراً الى الحكومة التركية يوم 27 سبتمبر 1911 تخبرها فيه بعزمها على احتلال طرابلس وتطلب منها مساعدتها عليه متعللة بسوء النظام فى طرابلس وبنغازى ، وتهديد الولاية لمصالح إيطاليا الحربية ، وتجاهل الدولة العثمانية لرغبات إيطاليا ومصالحها الاقتصادية واضطهاد الرعايا الإيطاليين ، وحددت مدة الانذار فى 24 ساعة تعلن بعدها الحرب بين البلدين ان كان الرد التركى سلبياً.

ومع ان العلل التى تذرعت بها إيطاليا كانت واهية فقد ردت الحكومة التركية رداً متخاذلاً وطلبت من إيطاليا تقديم لائحة مفصلة لمطالبها وأبدت استعدادها لاعطاء جميع الضمانات لرؤس الأموال الإيطالية ووعدت بعدم احدث أى تغيير عسكرى فى الولاية اثناء المفاوضات ، ولكن إيطاليا لم يقنعها هذا الرد ، وأعلنت الحرب على تركيا يوم 29 سبتمبر ، وأرسلت أساطيلها وقوات برية عددها 34.000 من المشاة ، و 6300 من الفرسان مزودين بأشد الأسلحة فتكاً لاحتلال طرابلس والخمس وبنغازى ودرنة ، فقاوم الجيش التركى الذى لم يكن عدده يتجاوز 7.000 جندى - المعتدين ببسالة ، ودفع الإيطاليون ثمن عدوانهم غالياً .

وأرسلت تركيا بعض القوات الى برقة لتنظيم القتال ضد العدو ، كما ظهر السيد عمر المختار شيخ زاوية القصور فى الميدان، ودارت بين العرب والطلليان معارك أظهر فيها الأولون استماتة وصبراً ، منها معركة الضبط بقرب درنة التى لم يكن فيها النصر حاسماً لطرف على آخر، وأخيراً أحست تركيا انها لا تستطيع الاستمرار فى القتال نظراً لقلة جنودها وضعف بحريتها وبعد ميادين القتال عن ترابها الوطنى ، وتمالء الدول العظمى عليها ، فاضطرت الى عقد الصلح مع إيطاليا فى أكتوبر سنة 1912 وانسحب الجيش التركى من ليبيا ولم يبق منه الا جزء صغير ببرقة تحت قيادة الجنرال عزيز المصرى ، وقبل

السحاب الادارة والقوات التركية قام مندوب تركيا بزيارة السيد احمد الشريف السنوسي شيخ الطريقة السنوسية بزوايته في واحة جغبوب ، وأبلغه ( اسناد أمر الأمة الليبية الى سيادته ، ومنح الخليفة الأمة الطرابلسية استقلالها تاركاً لها الحق في تقرير مصيرها والدفاع عن نفسها ) ، فكان ذلك بداية ظهور الأسرة السنوسية على المسرح السياسي والحربي بعد ان كان نشاطها دينياً محضاً .

أما ملك ايطاليا فقد أصدر منشوراً أخبر فيه أهل ليبيا أن بلادهم أصبحت خاضعة للسيادة الايطالية ، وانه عفا عنهم ، ووعدهم بالمحافظة على الشعائر الدينية ، وسمح لهم بذكر اسم السلطان العثماني في صلواتهم باعتباره خليفة للمسلمين .

وواصل الليبيون وحدهم القتال ، وازداد عطف العالم الاسلامي عليهم وتضامنه معهم ، ودارت بينهم وبين الغزاة معارك طاحنة ، وكان هاؤلاء كلما خاضوا معركة - غلبوا فيها أو غلبوا - صبوا جسام غضبهم وأصلتوا سيف نقيمتهم على سكان المناطق الخاضعة لنفوذهم حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة الى تونس ومصر وما وراء الصحراء من سوادين .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى تخرجت حالة ايطاليا وازداد بطرابلس نشاط الوطنيين الذين كانوا يعملون بارشاد الضباط الأتراك ، وقد هزموا القوات الايطالية سنة 1915 في موقعة القرضابية بفزان فتراجعت الى الشمال ، وانتهز الليبيون فرصة انسحابها فبدأوا يستعدون لمهاجمة الجهات الشرقية من اقليم طرابلس ، وظهر في هذه الأثناء رمضان السويحلي من أهل مصراتة كزعيم للمقاومة الشعبية ، كما ظهر سليمان البارونى كممثل للخليفة العثماني .

وبعد خروج تركيا من الحرب مهزومة اجتمع زعماء المقاومة في مسلاتة ، وقرروا في نونبر 1918 اعلان الجمهورية الطرابلسية لمواصلة الجهاد ، واختاروا أربعة أشخاص لادارتها وألغوا مجلساً استشارياً من 24 عضواً ومجلساً شريعياً للنظر في المسائل القضائية ، ثم طلبوا من الدول الأجنبية الاعتراف بالجمهورية الجديدة ، واتصلوا بممثلي ايطاليا للوصول الى اتفاق مقبول ، وبعد التفاوض

وضع مندوبو الفريقين في 21 أبريل سنة 1919 قانوناً أساسياً ووقعوا ميثاقاً بقبوله عرف بصلح بنيادم ، ولكن الايطاليين لم يلبثوا ان نقضوا الميثاق فاستؤنف القتال .

اما في اقليم برقة فان الأتراك والألمان حملوا السيد احمد الشريف السنوسي على مهاجمة الانجليز بمصر سنة 1915 ولما فشل سلم قيادة الحركة الى السيد محمد ادريس السنوسي ( ملك ليبيا الحالي ) وغادر البلاد الى تركيا على متن غواصة ألمانية ، وكانت مهمة السيد محمد ادريس شاقسة نظراً للخطر الذي كانت تعاني منه البلاد بالاضافة الى تفشي الأوبئة والأمراض ، فرأى من الحكمة أن يسالم العدو مؤقتاً ويعقد معه اتفاقاً يمكن أهل برقة من تحسين حالتهم ، وقد عقد اجتماع أول سنة 1916 بالزويتينة بين ممثليه وممثلي إيطاليا وانكلترا لم يسفر عن نتيجة مرضية ، ثم استؤنفت المفاوضات سنة 1917 في عكرمة واسفرت عن عقد اتفاق ، فانصرف السيد محمد ادريس الى تنظيم المناطق التي ظلت تحت نفوذه وجعل مقره في أجداية ، واهتم بتنظيم الجيش ونشر التعليم ، ثم عقدت بينه وبين إيطاليا سنة 1920 اتفاقية الترجمة التي اعترفت فيها إيطاليا بأمارته ، وصدر قانون أساسي لبرقة على غرار القانون الأساسي الذي صدر في طرابلس وانتخب مجلس نيابي في أبريل 1920 وعقد زعماء الحركة الوطنية في طرابلس مؤتمراً بغيران سنة 1920 نادوا فيه بالسيد محمد ادريس أميراً عليهم ، وأرسلوا الى أجداية وفداً حمل اليه بيعتهم في شهر غشت 1922 .

ولكن الأحوال تبدلت فجأة بعد استيلاء موسوليني زعيم الحزب الفاشيستي على مقاليد الحكم في إيطاليا في أكتوبر سنة 1922 اذ اتخذ القادة الايطاليون الجدد الذين كانوا يحملون أفكاراً استعمارية متطرفة خطوات عملية لاحتلال ليبيا بأجمعها ، ولم تنته سنة 1923 حتى آتمت القوات الإيطالية احتلال جميع المدن الساحلية وأخذت تتوغل في داخلية البلاد ، فقاوم السكان ما استطاعوا سبيلاً الى المقاومة ، وأخيراً التجأ الأمير محمد ادريس الى مصر في دجنبر 1923 تاركاً أخاه محمد الرضا يدير الحركة السنوسية ، والزعيم عمر المختار يدير حركة المقاومة والجهاد ، وقد استمات البرقاويون تحت قيادة

هذا الأخير في الدفاع عن وطنهم وألحقوا بالعدو خسارات فادحة ، ولكن إيطاليا أرسلت الى حربه القائد كرازياني المشهور بفتكه وبطشه فضيق الخناق على المجاهدين ، ومد على طول الحدود المصرية أسلاكاً شائكة جعلت التنقل من جهة لأخرى عبرها متعذراً ، وارتكبت إيطاليا من أعمال القمع والتنكيل ما تقشعر لذكره الجلود ، وكانت تلقى بالمجاهدين من الطائرات الى الأرض فتتمزق أشلاؤهم في الفضاء ، وأخيراً أسرت الزعيم عمر المختار سنة 1931 وحاكمته في سلوق ، وأعدمته شنقاً رغم شيخوخته ، فانتهت بموته حركة المقاومة المسلحة وثم اخضاع ليبيا للسيادة الإيطالية بعد نضال استمر 20 سنة.

وآخر ذلك انصرف المستعمرون الفاشيستيون الى تطبيق مخططهم الجهنمي الذي يتخلص في القضاء على العنصر العربي واحلال العنصر الإيطالي محله وطلينة البلاد ، ولبلوغ هذه الغاية أمعنوا في التنكيل بالأهالي وشنق الأسرى وسجن البرءاء حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة الى تونس ومصر وسوريا أو الهيام على وجوههم في الصحراء ، كما أغروا الإيطاليين بالمجبيء الى ليبيا للاستقرار بها ، وقد بلغ عدد الوافدين منهم على اقليم طرابلس وحده 20.000 سنة 1938 ومن جهة أخرى حاربوا اللغة العربية ومنعوا تعلمها وتدخلوا في الشؤون الدينية وأغلقوا الزوايا الصوفية وصادروا أملاكها العقارية كما صادروا الأملاك المحبسة على المساجد واجبروا قبائل برمتها على التنازل عن أراضيها مقابل أثمان رمزية وسلموا الجميع الى شركات إيطالية تستصلحها وتوزعها على الفلاحين القادمين من إيطاليا ، وفي سنة 1938 أجبروا العرب على التجنس بالجنسية الإيطالية ، فلم يقبل على التجنس الا قلة من صغار الموظفين خابت آمالهم في النهاية لأن المستعمرين ظلوا يعاملونهم معاملة سيئة .

أما الحريات والحقوق فلم يكن يتمتع بها في العهد الفاشيستي الإيطالي الاصيل فأحرى العربي المستعبد ، وقد كان ممنوعاً على الليبيين أن يجلسوا في مقهى إيطالي ، أو يركبوا عربة يسوقها إيطالي أو في الدرجة الأولى بسيارة عمومية ، كما لم يكن في مقدورهم أن يعلموا أبناءهم ، وكانت المدارس الابتدائية القليلة التي أنشأوها مشوهة البرامج ، وكانت الجغرافيا قاصرة على



إيطاليا ومستعمراتها ، أما التاريخ الليبي فقد بتروه واختصروه فكان التلميذ ينتقل فجأة من نهاية الحكم الروماني لليبيا في أوائل القرن الخامس الى بداية الحكم الإيطالي في أوائل القرن العشرين ، وكانت جميع القوانين الإيطالية نافذة في ليبيا كما كانت اللغة الإيطالية هي وحدها لغة التعامل في المؤسسات الرسمية وغيرها .

وقد شاءت العناية الربانية أن تضع حداً لآلام الشعب الليبي عندما أعلنت الحرب العظمى الثانية وانضمت إيطاليا رسمياً الى المعسكر الألماني في يونيو سنة 1940 فقد جند الليبيون المقيمون بالخارج قوة تتركب من 14.000 جندي قاتلت الى جانب الحلفاء تحت قيادة الأمير محمد إدريس السنوسي ، ولما دخلت سنة 1943 كانت جميع الأراضي الليبية قد طهرت تماماً من قوات المحور ( ألمانيا - إيطاليا ) وأصبحت القوات الانجليزية مهيمنة على اقليم طرابلس وبرقة ، والقوات الفرنسية مهيمنة على اقليم فزان ، وحل الحكام العسكريون الانكليز والفرنسيون في الادارة مستعينين ببعض الموظفين الإيطاليين والليبيين ، فتنفس أهل البلاد الصعداء ، وعاد الى ليبيا كثير من أبنائها المهاجرين وبدعوا يسهمون في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعاد الى القومية العربية شيء من الاعتبار .

وفي سنة 1948 تألف حزب المؤتمر الوطني وقدم الى الدول الأربعة الكبيرة التي كسبت الحرب ( الولايات المتحدة - الاتحاد السوفياتي - انكلترا - فرنسا ) مذكرة باسم الأمة الليبية يطالب فيها بتنفيذ وعودها المبذولة أثناء الحرب بمنح ليبيا حريتها واستقلالها ، ولما أحس الشعب الليبي بأن الحلفاء لا يهتمون بقضيته كثيراً قامت مظاهرات صاخبة في طول البلاد وعرضها ، وفي سنة 1947 قرر وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع المجتمعون ببافيس للنظر في مصير المستعمرات الإيطالية إرسال لجنة تحقيق لمعرفة أمانى أهل تلك المستعمرات ، ووصلت هذه اللجنة الى طرابلس يوم 8 مارس 1948 وزارت أقاليم ليبيا الثلاثة واستمعت الى القادة وممثل الأحزاب الوطنية ، ثم قدمت تقريرها في شهر يوليو الى مجلس الوكلاء الذي فشل في إيجاد حل فتقرر إحالة الموضوع الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكانت مفاوضات سرية

تدور يومئذ بين بريطانيا وإيطاليا صدر على أثرها مشروع بيفن - سفورزا الذي يقضى بوضع إقليم طرابلس تحت وصاية إيطاليا وإقليم فزان تحت وصاية فرنسا ومنح إقليم برقة حكماً ذاتياً تحت الوصاية الانكليزية ، ولكن شعب ليبيا عبر عن سخطه على هذا المشروع بمظاهرات صاخبة ، وأرسل وفداً الى منظمة الأمم المتحدة للدفاع عن وجهة نظره ، فرفضت هذه المشروع يوم 15 شتنبر 1948 وقررت تأليف مجلس استشارى لمساعدة أهل ليبيا على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة تنقل السلط اليها .

ورغم موقف بريطانيا وفرنسا المشين من قرار الأمم المتحدة الخاص باستقلال ليبيا ووحدة ترابها عينت الأمم المتحدة السيد أدريان بلت الهولاندى مندوباً عنها فى ليبيا ، فتسلم منصبه رسمياً يوم فاتح يناير 1950 وبدأ اتصالاته بالهيئات السياسية فى طرابلس وبرقة وفزان وزار مقر الجامعة العربية بالقاهرة وممثلى المهاجرين الليبيين بالخارج ، ثم قرر المجلس الليبى الدولى اجراء انتخابات محلية فى برقة وطرابلس وانتخاب مجلس وطنى عام 1950 وتأليف حكومة مؤقتة وإعلان الدستور فى سنة 1951 وتسليم السلط التى تمسك بها فرنسا وبريطانيا الى الحكومة الجديدة قبل فاتح سنة 1952 ، وفى صباح يوم 24 دجنبر أعلن الملك محمد ادريس السنوسى استقلال المملكة الليبية المتحدة ، كما قابل رئيس الوزراء فى مساء ذلك اليوم مندوب الأمم المتحدة وسلمه رسالة تتضمن اخبار الأمم المتحدة بأن ليبيا أصبحت مملكة مستقلة وطلب قبولها فى حضيرتها وحضيرة الهيئات الدولية الأخرى .

وأقبلت الدولة الجديدة على نفسها تضمد جروحها وتستعيد قوتها بعد ما قضت قروناً فى محن تتواصل وعذاب لا ينقطع ، ولقيت فى البداية صعوبات لا حصر لها اذ كان عليها أن تبدأ كل شئ من العدم ، فلم تكن لها ثروات طبيعية مهمة تسدد منها نفقاتها ولا لأبنائها خبرة واسعة بشؤون الادارة ومتطلبات الحياة الجديدة ، يضاف الى ذلك انها بقيت عرضة للتهديد الاستعمارى اذ احتفظت بريطانيا والولايات المتحدة ببعض القواعد والمطارات كما أن الدول التى تتاخها جنوباً وغرباً لم تكن تحررت من السيطرة الاستعمارية، ولكن ليبيا عرفت كيف تصمد للأعاصير تحت قيادة ملكها وبفضل حكمة

شعبها ، وقد انفرجت ضائقها المالية بعد اكتشاف البترول بها والشروع فى استغلاله تجارياً ابتداء من سنة 1959 (33) فامتلاً بيت مالها وارتفع دخل أهلها ودبت فيها حركة جديدة وهى الآن بصدد انجاز عدد من المشاريع العمرانية والصناعية والثقافية ستعود عليها بالخير الوفير والرخاء العميم ، وقد جنحت فى السنين الأخيرة الى تقوية روابطها السياسية والاقتصادية بدول المغرب العربى التى تتمتع بالاستقرار بعد ما عاينت التقلبات التى لم تفتأ تتعرض لها النظم والسياسة فى أقطار المشرق العربى ، وهى فى كل حالة تقف الى جانب الحق وتدافع بحرارة عن قضايا العرب والمسلمين فى كل مكان وتتمسك بمبادئ الشرف والاخلاق .

### المغرب الأقصى فى العصر الحديث

لم يستفد المغرب كثيراً من مزايا التقدم المادى الذى حققته أوروبا فى عصر نهضتها رغم أن المسافة الفاصلة بينه وبينها لا تتجاوز فى أضيق مكان 17 كلم ، ويرجع السبب فى ذلك الى جسد الريبة والحذر الذى كان يسود علاقاتهما باستمرار ، فقد دام الصراع بينه وبين بعض دولها قروناً طوالاً فوق الميادين الأندلسية أولاً ، ثم فوق التراب المغربى ثانياً بعد ما استصفى النصرارى مملكة غرناطة فى نهاية القرن الخامس عشر ونقلوا الحرب الى الشواطىء المغربية ، الأمر الذى كان يجعل أى تعاون فى العلم أو تبادل فى الخبرة بين المغرب المسلم وأوروبا النصرانية من قبيل المستحيل .

وقد قبض الله للمغرب فى النصف الثانى من القرن السابع عشر هلك الدولة العلوية ليجمعوا شتاته ويحفظوا وحدته ويستردوا مراسيه ، وهم شرفاء من آل البيت الطاهر هاجروا الى المغرب من ينبوع النخل واستقروا بسجلماسة وعاشوا معززين مكرمين أربعة قرون قبل أن يقتعدوا أريكة الملك ، وقد نجح

---

(33) احتلت ليبيا سنة 1967 المرتبة السابعة فى العالم بين البلدان المنتجة للبترول ، إذ بلغ إنتاجها منه فى تلك السنة 5 83 مليون طن ، كما قفز إنتاجها من الغاز الطبيعى من 120 مليون متر مكعب سنة 1961 الى 10 ملايين و 429 مليون متر مكعب سنة 1969 ومن المقدّر أن يتجاوز إنتاج البترول فى ليبيا 100 مليون طن سنة 1968 .

منهم السلطان الجليل مولاي اسماعيل ابن الشريف في استرجاع المعمورة ( 1681 ) وطنجة ( 1684 ) والعرائش ( 1689 ) وأصيلة ( 1691 ) كما نجح حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله في استرجاع الجديدة ( 1769 ) وكادا معا يوفقان في استرجاع بقية المراسى والجيوب لولا شروع الدولة الاسبانية المحتلة في ادخال التنظيمات المصرية على قواتها وتزويدها بأحدث الأسلحة المصنوعة في بلادها او المستوردة من الدول التي سبقتها في مجالات العلم والاختراع .

ولما شرعت فرنسا في احتلال الجزائر ( 1830 - 1246 هـ ) وقف المغرب موقفاً مشرفاً وهب لنجدة جازته والدفاع عن حريتها ، وأرسل قوات عسكرية الى تلمسان وأنشأ ادارة في أقاليم الجزائر الغربية خلفت الادارة التركية المنهارة ، ثم اضطر الى سحب قواته وادارته تحت ضغط فرنسا الحربي والديبلوماسي ولكنه ساعد على تكوين حركة المقاومة في الجهات الغربية تحت قيادة الأمير عبد القادر بن محيي الدين الادريسي وأمدّها بالمال والرجال والسلاح والميرة ، كما تزعم واحد من أبنائه ( يومعزة ) حركة المقاومة بجبال زواوة التي عملت في البداية مستقلة عن حركة الأمير عبد القادر ثم بالاتفاق معه فسي النهاية ، وكان الأمير عبد القادر يدين بالطاعة لسلطان المغرب ويخطب باسمه على جميع منابر المناطق الخاضعة له ، واستمر التعاون ونيقاً بين المفاربة والجزائريين على قتال الفرنسيين حتى استولى هؤلاء على معسكر الأمير عبد القادر سنة 1843 فاضطر الأمير الى نقل حركته الى داخل المغرب والهجوم منه على قواعد جيش الاحتلال بالمغرب الأوسط .

واتصل المرشال بيجو الوالي الفرنسي والقائد العام للقوات الفرنسية بعامل وجدة وطلب منه ابلاغ الحكومة المغربية رغبة فرنسا في طرد الأمير عبد القادر واحترام خط الحدود التقليدي الذي هو مجرى نهر تافنا ، ولكن السلطان مولاي عبد الرحمان رفض التخلي عن حركة المقاومة الجزائرية ، فاجتاز المرشال بيجو وادى تافنا على رأس جنوده واحتل مدينة وجدة ثم انسحب منها ولكنه خلف حاميتين فرنسيتين داخل التراب المغربي احدهما

بالغزوات والأخرى قرب ضريح الحاجة للا مغنية ، وبدأ الجنود الفرنسيون بتحرشون بالقبائل والقوات المغربية النظامية ، فعند السلطان تصرفات الفرنسيين انتهاكاً لحرمة مملكته وتعدياً على سيادتها وشرع يعبى قواه لمحاربة العدوان الفرنسي ، وبينما بدأت جيوش المغرب تسير نحو الشرق جاء الأسطول الفرنسي الى شواطئه الغربية تحت قيادة الأمير دوجوانفيل وقبيل مرسى طنجة ومرسى الصويرة واحتل الجزيرة الواقعة أمامها ، وعلى مقربة من وجدة في وادي يسلي هزم الجيش الفرنسي القوات المغربية خلال معركة قصيرة استمرت من الساعة الثامنة صباحاً الى الزوال من يوم 13 غشت 1844 فاضطر المغرب الى التوقيع على معاهدة صلح بطنجة يوم 10 شتنبر ، ثم الى عقد اتفاقية حدود بللا مغنية يوم 18 مارس 1845 أفقدته طرفاً مهماً من أراضيها الشرقية .

كان لهزيمة يسلي عواقب وخيمة تكبدها المغرب في الحين وما زال يتجرع مرارتها حتى الآن ، فقد ذهبت بهيئته وأطمعت فيه من جديد دولا كانت تحذره منذ هزم البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة 1578 فأمسكت الدول البحرية عن دفع الاتاوة التي كانت تؤديها له سنوياً تأميناً لخطوط ملاحتها وسارعت اسبانيا الى احتلال جزائر ملوية الواقعة أمام ساحله المتوسطي ، أما فرنسا التي أحرزت النصر في المعركة فقد أصبحت لا تدع فرصة نمر دون أن تفتنمها لتوسيع مستعمراتها الجزائرية على حساب أقاليمه ، ولكن الهزيمة فتحت أعين طائفة من مفكري المغرب على مدى التقدم الذي أحرزته الدول الأوربية في مضمار العلم والاختراع ، وجدوى الضبط والنظام ، ونمت شعورها بضرورة الأخذ بالأساليب الحديثة في الادارة والجيش ، فتعالت صيحاتها بتجديد النظم الاقتصادية والمالية والعسكرية واصلاح الجهاز الاداري حتى يمكن مواجهة الغزو الأوربي وتحسين حالة الأمة المغربية ، ومن الانصاف الاقرار بأن تلك الصيحات لم يكن لها صدى كبير في المغرب السذي كان اهله يغطون يومئذ في سبات عميق ، ويرون طريق النجاة في الاتباع والتقليد ، ويشكون بالتالي في كل شيء يرد من أوربا ويحسبون التشبه بالنصارى كفرأ ولو كانت الأمور المتشبه فيها بعيدة عن الدين .

ولم يكد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كان التنافس على المغرب بلغ أشده بين فرنسا واسبانيا سواء في الشمال حيث الجزائر ومليية وسبتة ، أو في أقصى الجنوب الغربي حيث الجزر الخالدات والمراكز الفرنسية بالسنيغال ، بينما كانت إنجلترا تقف موقف اليقظ الحذر ، لأن كل تغيير في وضعية الضفة الافريقية لمضييق جبل طارق كان يهمها كثيراً .

ولما توفي السلطان مولاى عبد الرحمان سنة 1859 ( 1276 ) شرعت اسبانيا في تنفيذ مخططها الخاص بالمغرب ، فاتخذت من وقوع حادثة بسيطة بحدود مدينة سبتة التي تحتلها ذريعة لتوجيه حملة تجريدية الى المغرب تحت قيادة الخنرال أودونيل ، والخنرال بريم ، وقد نجحت الحملة التي كانت تشتمل على 50.000 جندي والتي كانت معززة بالأسطول في احتلال مدينة تطوان يوم 5 يراير 1860 وبدأت تستعد للزحف على طنجة ، فاضطر المغرب - بعد توسط انكلترا - الى قبول شروط صلح مهينة فرضت عليه أن يتخلى لاسبانيا عن بعض أراضيها المجاورة لسبتة وأراضي أخرى بالجنوب تنشيء بها مصايد أسماك (34) وأداء غرامة حربية مبلغها 20.000.000 ريال ، والسماح لمندوبين اسبانيين بمراقبة المراسي المغربية مع شروط وامتيازات اقتصادية وسياسية أخرى لصالح اسبانيا ، وكانت هزيمة تطوان نكبة لا تقل فداحة ووخامة عواقب عن نكبة يسلي .

ولم يكن للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ( محمد الرابع ) بد بعد النكبات المتوالية من تجديد الادارة واعادة تنظيم الجيش وفسح المجال أمام الشبان المغاربة ليتعلموا من العلوم والفنون ما انمحا عينه واثره بالمملكة منذ امد طويل ، وكانت له محاولات في هذا الموضوع أيام خلافته عن والده بفاس ، فأنشأ مدرسة المهندسين بفاس لتدريس العلوم العقلية كالحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وأخرى للترجمة ، ووجه أولى البعثات العلمية الى أوروبا والشرق ، وشرع في تنظيم الجيش على الطرق الحديثة وأمر بتأليف الكتب العسكرية وترجمتها لافادة ضباطه منها ، وأسس مطبعة حجرية وجلب

---

(34) هي أصل مستعمرة يغنى العالية .

كثيراً من الآلات الحديثة من أوروبا الى المغرب ، ولكن تلك الجهود كانت تبذل من جهة فى حذر وبطء نظراً لتخلف المغاربة الفكرى وضائقة الدولة المالية ، وكان من المستحيل عليها - من جهة ثانية - أن تختصر الابعاد وتقرب المسافات بين أوروبا منطلقة كالعلاقات فى طريق النمو الصناعى والعلمى وبين مغرب يحبو فى مجال التطور حبو الرضيع ، وهكذا أضعفت الدولتان المجاورتان للمغرب - فرنسا واسبانيا - فى غلوائهما وسارتا أشواطاً أخرى فى احتلال أجزاء مهمة من شرق المغرب وجنوبه الشرقى وجنوبه الغربى ، بينما أعطتا للمعاهدات السياسية المعقودة مع الدول الأوربية تأويلات تناسب منطق القوى ، فمن محاكم تنشأ بالقنصليات الى « حمايات » تمنح بغير حساب لكل مارق من الوطنيين ، ومن عقارات تشترى بكل حرية الى بعثات تبشيرية تستفيد وكنايس تشاد بالرغم عن عواطف المسلمين ، ولم تشذ انكلترا هذه المرة عن القاعدة ، فقد امتدت يداها الى جزيرة المعدنوس المحاذية لشاطئ المغرب بمضيق جبل طارق وجزيرة طرفاية الواقعة بإقليم الساقية الحمراء (35) جنوبى وادى درعة ، وهكذا لم يمت السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان حتى كان المغرب يرزح تحت نير ( الامتيازات الأجنبية ) ويرسف فى أغلال نظام الاستسلام Le Régime de Capitulation .

وواصل السلطان مولاى الحسن الأول ( 1873 - 1894 ) الإصلاحات التى بدأها والده السلطان محمد الرابع ، فبعدما قمع المتمردين ومهد الأمن فى طول البلاد وعرضها وأرجع للدولة هيبتها اهتم بتنظيم الدولة وادخال الإصلاحات الكفيلة بإيقاظ المغرب من سباته واقالته من عثرته ، فأسس تحت رئاسة الصدر الأعظم حكومة ذات وزارات متعددة تختص كل واحدة منها بمرفق من مرافق الدولة ، ووجه البعثات تلو الأخرى الى الدول الأوربية لتعلم مختلف العلوم والتدرب على الفنون العسكرية ، وأسس قوات حربية جلب لتنظيمها وتدريبها عدداً من الضباط ( الحرايين ) الأوربيين وجهازها

---

(35) أخلا الانكليز طرناية عقب حركة السلطان مولاى الحسن الأول لسوس سنة 1886 ثم عقدوا معه اتفاقية سلموها له بموجبها رسمياً ، فتمت استعادتها بعد وفاته بقليل على عهد خلفه السلطان مولاى عبد العزيز ، وفى الاتفاقية المذكورة النص على ان حدود المغرب لنبدى من رأس برشادور الواقع اليوم فى تراب إقليم وادى الذهب الذى تحتله اسبانيا .

بمختلف أنواع الأسلحة وحسن الثغور وجدد الأسطول وأنشأ مصنعاً حريباً ( دار السلاح ) بفاس لصنع المدافع والبنادق والذخيرة ، وأحدث البريد وضرب السكة وسأوى بين الدول فى التعامل وقوى الروابط التى تصل المغرب بها بإيفاد السفراء اليها وقبول السفراء المعتمدين من طرفها لديه ، كما نعى التبادل التجارى معها وسأهم فى معارضها بعرض الانتاج المغربى فيها ، والحقيقة ان هذا السلطان كان من كبار ملوك الاسلام المصلحين ، وان حزمه وسياسته الحكيمة واصلاحاته أخرت الاحتلال الأوروبى للمغرب عشرات السنين.

وبفضل سياسة الاعتدال وعدم الانحياز التى كان يسلكها حيال الدول أمكن للسلطان مولاى الحسن الأول أن يجمع فى مدريد 1880 مؤتمراً دولياً حضرته كل من ألمانيا والنمسا وبلجيكا والدانمرك واسبانيا وانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا وهولاندا والبرتغال والسويد والنرويج رغم معارضة فرنسا الشديدة ومتاوراتها العديدة ، وكان الغرض منه وضع ضابط للحماية التى يمنحها القناصل الأجانب للمغاربة والمحاكم التى ينشؤونها بقنصلياتهم ، وبمقتضى الاتفاقية التى أمضيت فى يوليوز بالعاصمة الاسبانية ، والاتفاقية الأخرى التى وقعت بطنجة فى مايو سنة 1881 وضع ضابط تسير الدول الأجنبية وفقه وتساوى اذائه ، وبذلك لم تبق فرنسا واسبانيا وانكلترا وحدها فى الميدان .

على ان اتفاقية مدريد لسنة 1880 اذا ضببطت قضايا الحماية والمحاكم القنصلية فانها لم تضبط اطماع فرنسا فى احتلال المغرب ولم تضع حداً لتوغلها التدريجى فيه ، فبعد ما قضت فترة من الزمن فى تضييد جروحها واصلاح أحوالها عقب هزيمتها فى حرب السبعين أمام القوات الألمانية رسمت خطة لاحتلال أقاليم توات وتيديكلت وبشار وشنكيط ( موريطا ) كخطوة تمهيدية لاحتلال المملكة المغربية بأجمعها ، وقد وجدت فى البداية تشجيعاً من الدولة الألمانية التى كانت تريد صرفها عن الميادين الأوربية الى الميادين الافريقية والآسيوية وتلهيته بأراض تستلکها فى الخارج عن الأراضى التى فقدتها فى الداخل ، كما ألهب فيها جذوة الحماس الاستعمارى نجاحها فى



احتلال تونس سنة 1881 فتاقت لتكميل احتلال الشمال الافريقي كله ووصله بمستعمراتها في افريقيا الغربية التي ما فتئت تتسع ، وهكذا تأزم الوضع بين المغرب وفرنسا بشأن توات وبشار. وتيديكلت في آخر أيام السلطان مولاي الحسن الأول الى ان تمكنت فرنسا من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية على عهد السلطان مولاي عبد العزيز عند ما احتل جنودها قرية عين صالح يوم 30 دجنبر 1899 ( 26 شعبان 1317 هـ ) وتيميمون يوم 26 يناير 1900 وبقية قصور توات وقراه في الشهور الموالية ، والحقت قبائل **العمور** الغرابة و **حميان** الجنبية و بني **ونيف** وجبال بني **سمير** بمقاطعة عين الصفراء ، وأصبح خط الحدود ملاصقاً لاسوار فكيك وايش .

ومن الطبيعي أن يلفت هذا الاحتلال أنظار الدول التي تنافس فرنسا في المغرب ، وهي اسبانيا وانكلترا بالدرجة الأولى والمانيا وايطاليا بالدرجة الثانية ، ولكي تتجنب فرنسا أي ضغط دولي يحول دون تحقيق ما تريد قررت انتهاز سياسة ذات شعبتين احدهما خاصة بالمغرب نفسه ، والثانية تتعلق بالدول التي تنافسها فيه .

اما خططها حيال المغرب فكانت تتلخص في انشاء جهاز دعاية قوي لها داخله وشراء الضمائر ونشر الفوضى فيه ، ولهذا الغرض أنشأت بطنجة عدداً من الجرائد والمجلات من أشهرها جريدة ( **السعادة** ) باللغة العربية وجريدة ( **الدبش مروكان** ) باللغة الفرنسية استقدمت لتخريبها عدداً من أبنائها المستعربين واجرائها اللبنانيين والجزائريين ، كما منحت حمايتها القنصلية بدون حساب لكل من طلبها من الرعايا المغاربة من غير احترام لاتفاقية مدريد ، وبدأت تستدرج الوزراء والعمال والاعيان الى خدمة مصالحها بتقديم الهدايا النفيسة والمخترعات الغربية اليهم ، وأصبح كل ثائر على المخزن يحصل بسهولة لدى باعة السلاح بالجزائر وضباط الجيش الفرنسي فيها على كل ما يرغب في الحصول عليه من سلاح وذخيرة ، ومن أشهر هاؤلاء الثوار الجيلالي اليوسفي الزرهوني المعروف ببوحماره الذي تلقى توجيهاته بجنوب الجزائر قبل أن يثور على السلطة الشرعية ويتخذ له حكومة وزير خارجيتها فرنسي ووزير حريتها ضابط صف جزائري !

وأما خططها حيال الدول المنافسة لها فكانت تتلخص في التفاهم معها على توزيع الغنائم الاستعمارية ، وقد أجرى وزير خارجيتها ديلكاسي مفاوضات سرية مع تلك الدول كلل جلها بالنجاح ، ففي سنة 1900 أمضت فرنسا وإيطاليا اتفاقاً سرياً أطلقت بموجبه يد الأولى في المغرب ويد الثانية في طرابلس الغرب ، وفي 8 أبريل 1904 أمضت فرنسا وانكلترا ( الاتفاق الودي ) المتعلق بالمغرب ومصر ، وفي 3 أكتوبر 1904 أمضيت بين فرنسا وإسبانيا الاتفاقية السرية المتعلقة بتقسيم المغرب .

وقد أثمرت سياستها الخاصة بالمغرب ثمراتها المنشودة ، فبالإضافة إلى ثورة ( أبي حمارة ) المتسار إليها آنفاً كثر الثوار بالمغرب والاعتداءات الفرنسية بالحدود الشرقية ، فأوفد السلطان وزير خارجيته السيد عبد الكريم بن سليمان إلى باريس لمفاوضة الفرنسيين بشأن تنظيم البوليس والديوانة والأسواق المشتركة بالحدود ، وعقد معهم اتفاقاً في 20 يوليو 1901 كمل باتفاق 20 أبريل واتفاق 7 مايو 1902 وفي الحين أولت فرنسا الأوفاق تأويلاً سيئاً فألحقت بمستعمراتها الجزائرية قبيلتي أولاد جرير و ذوى منيع المغربيين ، ثم ضمت إليها مدينة بشار وناحيتها خرقاً لنصوص الاتفاقيات الصريحة ، وبأمر ضباطها فسموا تلك الناحية ( كولومب - بشار ) تخليداً لاسم أحد ضباطهم الاستعماريين ولما قامت ضجة في البرلمان الفرنسي ضد هذا العمل أجابت الحكومة الفرنسية أنها إنما احتلت ( كولومب ) ولم تحتل بشار ! وفي أقصى الجنوب عبرت قوات فرنسية بقيادة الضابط كسافيي كابولاني نهر السنيغال وأخذت تتقدم نحو الشمال ، ومع أنها تغلبت في البداية على مقاومة قبيلة البراكنة واحتلت قرية تيجيكجة فإن أهل تلك المنطقة النائية كروا عليها في النهاية وفتكوا بها وقتلوا قائدها سنة 1905 وأوقفوا الزحف الفرنسي إلى حين .

وزدادت الحالة ارتباكاً إثر هذه الاتفاقيات والاعتداءات ، وأصبح الحرق أكبر من أن يرتقه المخزن ، وقلت موارد بيت المال نتيجة الفوضى السائدة فاضطر المغرب إلى استسلاف 62.500.000 فرنك من فرنسا فاشتطرت هذه وضع المراسي المغربية تحت مراقبتها فقبل المغرب ذلك كما قبل اسناد تدريب الجيش المغربي إلى ضباط فرنسيين وتنظيم البريد والتلغراف الس

فنيين فرنسيين ، ففاظ هذا النمو المطرد للنفوذ الفرنسى فى المغرب شعبه كما غاظ الدولة الألمانية ، فزار امبراطورها غليوم الثانى طنجة يوم 31 مارس 1905 وصرح بتصريحات شجعت الحكومة المغربية على الدعوة الى عقد مؤتمر دولى لتحديد علاقات الدول الأجنبية بالمغرب والنظر فى ادخال الاصلاحات اللازمة اليه ، ورغم اعتراض فرنسا فى الاول على عقد هذا المؤتمر قبلت أخيراً أن تحضره ، وانهقد المؤتمر بمدينة الجزيرة الخضراء من أرض اسبانيا يوم 15 يناير 1906 بحضور ممثل السلطان وممثل 15 دولة أجنبية وأسفرت مداولاته عن توقيع عقد يوم 7 أبريل 1906 يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

(1) استقلال السلطان .

(2) وحدة تراب مملكته .

(3) تساوى الدول فى التعامل الاقتصادى معه ، وينص على عدد من الاصلاحات كاحداث بنك مغربى ، وتنظيم الشرطة الخ .

ومن الواضح ان عقد الجزيرة الخضراء قضى على استئثار فرنسا بالشؤون المغربية ووضع حداً للامتيازات التى حصلت عليها فيه ، وأنه كان يصلح - فى ذلك الوقت - لأن يكون نقطة انطلاق نحو ادخال اصلاحات نافعة وتنظيمات عصرية تحسن الأوضاع وتقضى على الكثير من الفساد ، ولكن ندماً قوياً ساد جميع الأوساط ضده وكثر التعدى على الأوربيين ، فاغتنمت فرنسا قتل بعض رعاياها بمراكش والدار البيضاء فاحتلت منفردة وجدة يوم 29 مارس 1907 واحتلت بالاشتراك مع اسبانيا الدار البيضاء يوم 5 غشت من نفس السنة ، بينما توغلت قواتها المرابطة بافريقيا الغربية فى جنوب المغرب تحت قيادة الكولونيل كورو فاحتلت أدرار سنة 1908 .

ومما زاد الطين بلة ثورة المولى عبد الحفيظ بن الحسن الخليفة الملكى بمراكش على أخيه السلطان عبد العزيز بعد مرور اسبوع على احتلال الدار البيضاء (16 غشت) ونشوب حرب أهلية بين الأخوين دامت سنة ونصفاً وانتهت بانتصار المولى عبد الحفيظ ، ولكن الدول الأجنبية لم تعترف به يوم 5 يناير 1909 حتى اعترف بجميع التزامات أخيه السابقة وتعهد بتنفيذها مع أنها كانت

احدى اسباب ثورته ، وهكذا وجد السلطان الجديد فى وضع أسوأ من وضع سلفه ، اذ كانت الجيوش الفرنسية استولت على شرق المغرب الى نهر ملوية ، ووسعت مناطق احتلالها فى الشاوية حتى بلغت نهر أم الربيع ووادى الشراط كما شرعت اسبانيا فى احتلال المناطق المحيطة بحليبية ، ومع ان السلطان المولى عبد الحفيظ تمكن من اخمد ثورة أبى حمارة فان قبائل قوية قريبة من العاصمة ثارت عليه بسعائيات بعض شيوخ الطرق وتحريض عملاء فرنسا وحاصرته فى قصره ، فلم ير بداً من الاستنجد بجيش الاحتلال الذى سارع الى نجده بقيادة الجنرال موانىي واحتل فاس يوم 21 مايو سنة 1912 ثم اتفقت فرنسا والمانيا يوم 4 نونبر من نفس السنة على التسليم للأولى فى المغرب مقابل منح الثانية تعويضات ترابية فى الكونغو ، واذ ذاك اعلنت فرنسا على المغرب معاهدة حماية وقعتها السلطان المولى عبد الحفيظ والسفير الفرنسى رينيو يوم 30 مارس 1912 ( 11 ربيع الثانى 1330 هـ ) .

حافظت المعاهدة الممضاة على كيان المغرب الدولى ونفوذ السلطان الدينى والدينوى ، ولكنها انتقصت كثيراً من السلط التى كانت تمارسها حكومته من قبل كالديبلوماسية والأمن والدفاع ، وأباحت لفرنسا أن تحتل من التراب المغربى ما تشاء ووكلت اليها ادخال ما تراء مفيداً من الاصلاحات الادارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية ، كما أذنت لها بالتفاوض مع الحكومة الاسبانية فى شأن المصالح التى تخصها بسبب موقعها الجغرافى أو ممتلكاتها على الشاطئ المغربى ، والاحتفاظ لمدينة طنجة بصيغة خاصة ، وهكذا فقد المغرب بجرة قلم وبصورة ذات شكل قانونى استقلاله الذى حافظ عليه فى ظل الاسلام مدة ثلاثة عشر قرناً ، ولكن هيئات هيئات أن يعترف شعبه الأبى بالوضع المزرى الجديد ، فما كاد خبر توقيع معاهدة الحماية ينشيع حتى ثار الجيش الوطنى بالعاصمة يوم 17 ابريل 1912 على مدربيه الفرنسيين وفتك بهم بمساعدة الأهالى واضطرت فرنسا لتجريد حملة عسكرية قوية لآخاد الثورة ، وعينت الجنرال ليوطى المشهور بمهارته العسكرية والديبلوماسية مندوباً مقيماً عاماً بالمغرب ، فجاء وشرع ضباط الحماية وموظفوها فى التصرف تصرف الغالب المنتصر ، فلم ير السلطان المولى عبد الحفيظ بداً من التنازل عن

العرش ، فبويع أخوه السلطان مولاي يوسف يوم 14 غشت 1912 ( 29 شعبان 1330 ) وانتقلت فرنسا من فاس العاصمة الثائرة فنقلت المصالح الحكومية والإدارية منها إلى الرباط .

وشرعت فرنسا اثر قمع ثورة الجيش الوطني في تنظيم المغرب على الطريقة التونسية مستعينة بضباطها وخبرائها الأفارقة الذين سبق لهم العمل بالمستعمرات ولاسيما بالجزائر وتونس ، فعقدت مع اسبانيا اتفاقية 27 نونبر 1912 التي أصبحت المغرب بمقتضاها مقسماً إلى منطقة حماية فرنسية ومنطقة حماية اسبانية (36) ومنطقة إدارة دولية (37) وأحدثت حكومة صورية تتركب تحت مراقبة مستشار فرنسي من صدر أعظم ووزيرين للعدلية والأوقاف ، وحكومة حقيقية تتركب تحت نظر المقيم الفرنسي العام من مديرين فرنسيين ، وقسمت البلاد تقسيماً إدارياً غريباً ، إلى نواحي مدنية وأخرى عسكرية ، ومناطق أمن ومناطق خوف ، وانتصب المراقبون والضباط الفرنسيون في كل مكان تمكنوا من احتلاله يحكمون البلاد يساعدهم فيما يخص شؤون الأهالي باشاوات بالمدن وقواد بالأرياف ، وطبقت القوانين والنظم الفرنسية على نطاق واسع ، واحتكر المستوطنون الفرنسيون التجارة والصناعة وسائر مرافق الاقتصاد ، بينما سلمت لطائفة منهم يسمون المعمرين أجود الأراضي الفلاحية بعد استصلاحها لاستثمارها .

وحذت اسبانيا حذو فرنسا فيما يخص تنظيم وسبئلة منطقتها .

أما الشعب المغربي فإنه استمات بكل مكان في الدفاع عن حريته ومقاومة الغاصب المحتل ، وبهر الفرنسيين والاسبانيين والعالم أجمع بإيمانه وصبره وشجاعته وما حقق من الانتصارات العظيمة رغم ضعفه المادي ولاسيما أثناء حرب الريف مما يستدعي الكلام عليه بتفصيل مجلدات طويلة ، ولم يلق السلاح إلا سنة 1934 عندما احتلت فرنسا واسبانيا أقاليمه الجنوبية بعدما قضى 27 سنة في كفاح مرير متواصل كلغه عشرات الألوف من الضحايا والشهداء .

---

(36) كانت منطقة الحماية الإسبانية تشتمل على قسم بسند من نهر ملوية إلى المحيط الأطلسي على شاطئ البحر المتوسط ، وقسم جنوبي يمتد جنوبي وادي درعة من الدرجة الطولية 11 غربي كريثونش إلى المحيط الأطلسي ، أما إقليم المسافية الحمراء والداخلية ( وادي الذهب ) وفطاح سبدي يفني فقد وافقت فرنسا إسبانيا على اعتبارها مستعمرات إسبانية .

(37) هي منطقة طنجة التي حل محلها إقليم طنجة الحال البالغة مساحته 334 كلم مربع .

ولكن قبل ان تتمكن فرنسا من اخماد انفاس النضال المسلح نشأت في البلاد حركة وطنية سياسية تشكلت في البداية بشكل دينسى سلفى ، وكانت تقوم على اكتاف جماعة من العلماء المخلصين والأعيان المتنورين والشبان المثقفين المتحمسين الذين تأثروا كثيراً بالأفكار الاصلاحية التي كان ييئها كبار المصلحين المسلمين المعاصرين أمثال الأمير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا والشيخ عبد القادر المغربي ، وقد عبرت هذه الحركة عن وجودها وقوة تأثيرها اكبر تعبير حين قامت مظاهرات عنيفة في كثير من مدن المغرب وأديافه اثر استصدار فرنسا للظهير المؤرخ في 16 مايو 1930 الذي يمنع الحكم بالتشريعة الاسلامية في القبائل المسلمة التي يتكلم أهلها اللهجات البربرية ، وينشئ لها محاكم عرفية تستأنف احكامها لدى المحاكم الفرنسية ، وتحولت الحركة الوطنية بعد تلك المظاهرات من شكلها الدينى السلفى المحض الى شكلها الجديد ذى الطابع السياسى - الدينى المزدوج .

وكان من حسن حظ المغرب يومئذ أن تولى ملكه ( 18 نونبر 1927 ) أمير شاب ممتلئ ايماناً وحمية واخلاصاً ، هو صاحب الجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف الذى أصبح يعرف بعد استرجاع الاستقلال بالملك محمد الخامس ، فقد أخذ بضبع الحركة السيامية وشجع مسيرها وقدم لهم مختلف المساعدات ، كما عمل جاهدأ في النطاق الذى كانت الحماية تسمح بالعمل فيه على تنمية الوعي وتيسير سبل العلم والثقافة على الشبان ، فأسست المدارس العربية الحرة وجددت نظم جامعة القرويين والمعاهد الدينية وحوربت الطرق الصوفية المنحرفة ومنعت من ممارسة بدعها ، وأنشئت المطابع ونشرت الكتب التاريخية والدواوين الشعرية التى تذكر بأمجاد الماضى وتعبر عن مطامح المستقبل ، ولم يمض الا وقت قصير على قضية الظهير البربرى حتى أصبح الوطنيون السياسيون يعملون داخل اطار حزب سياسى أطلق عليه اسم ( كتلة العمل الوطنى ) أنشئت له شعب في مختلف اطراف البلاد وانضم اليه كل غيور مخلص من الشبان الناهضين والكهول والشيوخ التائقين الى رؤية وطنهم يكسر أغلال العبودية ويعود سيرته الاولى قوياً عزيزاً مكرماً .

ولما كان محرماً على المغاربة اصدار الصحف قررت كتلة العمل الوطنى اصدار مجلة بباريس لتنوير الراى العام الفرنسى وتعريفه بما يجرى

فى المغرب من مظالم ومآثم ، فصدت مجلة ( مغرب ) التى جمعت حولها ثلة من احرار فرنسا اليساريين ، ثم احتالت الكتلة حتى اصدت بفاس جريدة ( عمل الشعب ) باللغة الفرنسية باسم سيدة فرنسية الجنسية متزوجة بمواطن مغربى ، ولما تأسست بالمنطقة الخاضعة لحماية اسبانيا كتلة عمل وطنى اتفق رجال الكتلتين على اصدار مجلة وجريدة باللغة العربية فصدت بتطوان مجلة ( السلام ) وجريدة ( الحياة ) ، وكان لصدور تلك المجلات والجرائد الأثر المرغوب والصدى المطلوب فى الداخل والخارج .

وفى الوقت نفسه شهدت البلاد تأسيس جمعيات ثقافية ورياضية وفنية وتقرير الاحتفال بذكرى جلوس الملك على العرش وقيام عدد من العلماء بالقاء دروس دينية ومحاضرات علمية بالمساجد والنوادي ، وقد كانت السلطات الفرنسية تضيق ذرعاً بهذه الجمعيات والدروس والمحاضرات والجرائد والمجلات فتمنعها ، ولم تقر منها الا الاحتفال بذكرى التتويج المسمى ( عيد العرش ) رعيّاً لشخص المحتفى به ومقامه :

ولما ظهر لكثير من الفرنسيين ان الانتقادات التى تشنها كتلة العمل الوطنى بواسطة صحفها وعرائضها ونداوتها انما هى عمل سلبي يسدل على الاستياء من نظام الحكم المباشر ولا يعبر عن الرغبات الحقيقية التى يراد تعويضه بها ، وبدأت الصحافة الاستعمارية تتهم الوطنيين المغاربة بالتهيج من أجل اشياء لا يستطيعون هم أيضاً تحديدها قررت الكتلة تحدى السلطات الفرنسية بوضع برنامج للاصلاحات عرضته فى سر على الطبقات الحية فى البلاد للملاحظة والموافقة ، ثم قدمته فى نونبر 1934 الى القصر السلطانى والمندوبية الفرنسية بالمغرب ووزارة الخارجية بباريس باسم ( مطالب الشعب المغربى ) .

وكان برنامج الاصلاحات أو مطالب الشعب المغربى يشتمل على خمسة عشر فصلاً تتعلق بالاصلاحات السياسية والقضائية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والحريات العمومية والفردية الخ التى تستهدف الفاء جميع مظاهر الحكم المباشر وتوحيد النظامين الادارى والقضائى لجميع البلاد وتقديم المغاربة فى جميع فروع الادارة والفصل بين السلطات التى يقوم بها الباشوات والقواد واحداث مجالس بلدية واقليمية وغرف تجارية ومجلس وطنى .

وقد كان لتقديم هذه المطالب صدى عميق في الأوساط الفرنسية والمغربية وأمرت الحكومة الفرنسية مندوبيتها بالرباط بدراستها وتوجيه تقرير عنها ، فطبعتها هذه ووزعتها على الإدارات المختصة ، وألفت لجائاً لدراسة كل فصل منها ، ونالت بعض الفصول استحساناً كاملاً ، ولكن الفرنسيين ترددوا في تنفيذها رغم القبول الحسن الذي حظيت به في الجملة. لأنهم كانوا يتصورون ما يؤول إليه تنفيذها ، وقد عبر عن ذلك السيد جيراردان مستشار جلالة السلطان اذ قال : ( ان تلك المطالب تشتمل على ثلاثة أقسام : قسم يمكن تنفيذه من الآن ، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين ، اما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء عن المغرب من تلقاء أنفسنا ) !

والحقيقة ان سلطات الحماية لم تنفذ من تلك المطالب شيئاً في العاجل ولا في الآجل ، بل بلغ الغرور بالمستوطنين الفرنسيين الى المطالبة بتمثيل برلماني لهم في المغرب على اثر اصطدام وقع بين ممثليهم وبين المقيم العام في شهر نونبر سنة 1935 وقد فضحت كتلة العمل الوطني المكيدة بكل ما أوتيت من قوة وجهد ، ووجدت تعضيداً كبيراً من جلالة السلطان وحكومته ، وأدى الحال الى دراسة القضية في البرلمان الفرنسي ، ولما عجز المقيم العام السيد بونصو عن ارضاء مستوطنيه وقمع المغاربة عزلته حكومته في يناير 1936 واستبدلت به شخصية استعمارية شهيرة برعوتها وقسوتها ، هي شخصية مارسيل بيرتون الذي صرح وهو يتأهب للسفر من مرسيليا الى الدار البيضاء في شهر ابريل أنه فخور بقضائه على الحزب الدستوري التونسي ، وانه ينوى القضاء على الكتلة الوطنية في المغرب ، وان القوة والعنف هما الشعار الذي يجب أن يتبع في سياسة الأهالي بشمال افريقيا ، ولكنه لم يكد يصل الى المغرب حتى نجحت الجبهة الشعبية في الانتخابات بفرنسا وألف ليون بلوم حكومته اليسارية الشهيرة ، ولما جرت أولى المقابلات بين المقيم الجديد وممثلي كتلة العمل الوطني اعرب خلال ثلاث ساعات من الكلام عن كل ما تكنه نفسه من حقد على الوطنيين التونسيين واليساريين الفرنسيين، فلما انقضت المقابلة اذاعت الكتلة فحواها فكانت عواقبها وخيمة عليه .

وفي تلك الاثناء حل دور انعقاد مؤتمر الطلبة المنتمين لـ ( جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا ) وكان مقررأ أن ينعقد في تلك الدورة



بالمغرب خلال شهر شتبر 1936 وحاول بيرتون أن يستغل فرصة انعقاده لبضرحفلة الافتتاحية ويلقى فيها خطاباً يضمه برنامج عمله فى التعليم ، ولكن المؤتمر رفض حضوره وخطابه ، فغضب وقرر منع المؤتمر ، فعقدت بدله مؤتمرات سياسية احتجاجية لم تر الحكومة الفرنسية بعدها بداً من اقصائه عن مندوبيتها المامية بالمغرب وتعيين الجنرال نو كيسى مقيماً باماً بدله .

وحدث فى صيف تلك السنة حادث مهم كانت له تبعات سياسية عاجلة واخرى آجلة ، هو ثورة الجنرال الاسبانى فرانسيسكو فرانكو على الحكم الجمهورى واستيلاء حركته على منطقة الحماية الاسبانية بالمغرب ، وقد سلك الثوار الاسبانىون فى البداية مسلك الحذر حيال كتلة العمل الوطنى فى تلك المنطقة ، ثم عدلوا سياستهم بعد ما رأوا وقوف اليساريين الفرنسيين الى جانب النظام الجمهورى فعينوا فى منصب المندوب السامى الكولونيل بيكيدير الذى كان يفتخر بانه من تلاميذ المرشال ليوطى ، فدشن فى تطوان عهداً من التعاون نال به المغاربة هناك بعض الحقوق وحققوا بعض المنافع ، وان كانت سياسته قسمت الكتلة الى حزبين سياسيين أحدهما سمي حزب الإصلاح الوطنى ، والآخر دعى حزب الوحدة المغربية .

أما فى منطقة الحماية الفرنسية فان كتلة العمل الوطنى والت اتصالاتها بالمسؤولين عن الجبهة الشعبية ، وبعثت وفداً الى باريس للاتصال برجال حكومتها ولكنه عاد دون طائل لا يحمل معه الا الوعود والأمانى ، وفى الحين شرعت الكتلة فى عقد تجمعات فى مختلف المدن المغربية لشرح المبادئ التى ندعو اليها وتبيين الغايات التى تسعى فى الوصول اليها ، وعقدت مؤتمراً خارجاً للعادة يوم 25 اكتوبر 1936 وضعت خلاله مطالب مستعجلة وتقرر طواف الزعماء الوطنيين بمختلف مدن المغرب وأريافه لتنوير الراى العام واستكثاب عراض التأييد ، ولما وصل المقيم العام الجديد الجنرال نو كيسى فى نفس الشهر الى الرباط قدمت له تلك المطالب صحيفة كتاب تقديم فوعد بالنظر فيها ونحقيق ما يمكنه من رغبات الشعب المغربى بعد رجوعه من سفر يعتزم القيام به الى باريس ، ولكنه أمر - بدل ذلك - بمنع مؤتمر كانت تعتزم كتلة العمل الوطنى عقده بالدار البيضاء يوم 17 نونبر 1936 للمطالبة بحق المغاربة فى اصدار الصحف والمجلات ، ثم أمر باعتقال المسادة علال الفاسى ومحمد بن الحسن

الوزانى ومحمد اليزيدى ، فوقعت مظاهرات صاخبة بمدن عديدة اصطدم فيها الوطنيون بالقوات الاستعمارية التى اعتقلت مئات منهم ، ثم اضطر بتدخل السلطان وتعليمات حكومة الجبهة الشعبية الى تسريح الجميع قبل ان يمضى شهر على اعتقالهم ، واذن بأصدار بعض الصحف فتنفس الوطنيون الصعداء وشرعوا ينظمون صفوفهم ، وهال المندوبية الفرنسية اقبال المواطنين على الانخراط فى الكتلة وعدم تأثرها بانسحاب الاستاذ محمد بن الحسن الوزانى منها وتأسيسه لحركة قومية منفردة ، فاستصدرت يوم 17 مارس 1937 قراراً بحل الكتلة بدعوى أنها تتآمر على الملك ، ولكن رجال الكتلة واصلوا العمل معطين لحركتهم اسم ( الحركة الوطنية لتحقيق المطالب ) ثم عقدوا اجتماعاً فى شهر ابريل بالرباط وقرروا تأسيس ( الحزب الوطنى لتحقيق المطالب ) وفتحوا له مراكز فى جميع جهات المملكة وشرعوا فى تسجيل المنخرطين واسسوا عدداً من اللجان الفرعية استطاعت فى امد قصير أن تنجز عدداً من المشاريع التقدمية ولاسيما فى ميدان التعليم ، فتحركت السلطات الاستعمارية للعمل ، واعتبرت الحزب الجديد امتداداً للكتلة الممنوعة ، واغتصمت الإقامة العامة قيام مظاهرات بمكناس فى شهر غشت احتجاجاً على اغتصاب ماء وادى أبى فكران لفائدة المعمرين الفرنسيين ، فأطلقت جنود الليف الأجنبى وفرق المستعمرات على الأهالى يفتكون بهم فتكاً ، ولكن المظاهرات امتدت الى جميع الجهات ، وشاركت فيها القبائل البربرية التى كانت فرنسا تعلق على ولائها كبير الآمال فقابلها الفرنسيون بقمع شديد قتل خلاله العشرات من الوطنيين واعتقل المئات ، وائر ذلك عقد الحزب بالرباط يوم الأربعاء 13 أكتوبر 1937 ( 7 شعبان 1356 هـ ) مؤتمراً حضره نواب شعبه بجميع بلاد المغرب لدراسة الحالة الراهنة وتقرير الخطة التى يجب انتهاجها ازاء سلطات الحماية ، وقد وافق المؤتمر على سيثاق وطنى بلغ فى الحين الى المندوبية الفرنسية فارتفعت له ، وأصدر المقيم العام يوم 25 أكتوبر قراراً باعتقال السادة : علل الفاسى ، وبعض رفقائه فى الكفاح ، فثارت البلاد وسقط الضحايا بالعشرات ، واعتقل الوطنيون بالآلوف ونقلوا الى الصحراء والسجون المعدة لكبار المجرمين ، ونفى الاستاذ علل الفاسى الى مستعمرة الكايون بأفريقيا الاستوائية ، واعتقل أيضاً الاستاذ محمد بن الحسن الوزانى ونفى الى الصحراء وظلا منفيين حتى

وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وعاشت البلاد منذ ذلك التاريخ تحت وطأة حصار عسكري شديد .

ولم تغد حركة الاحتجاج التي قام بها العالم الاسلامي وبعض أقطار أوروبا شيئاً في حل الأزمة ، فقد كان الجو في أوروبا ينذر بقرب نشوب الحرب ، وانصرفت أفكار المسؤولين الفرنسيين الى التახب والاستعداد لمواجهة الخطر الفاشيستي - النازي المتصاعد ، فلما أوقدت نار الحرب العالمية الثانية في خريف سنة 1939 أعلن جلالة السلطان تأييده للحلفاء وتضامن معه الوطنيين في هذا التأييد ، وكانت سياسة رشيدة منه رحمه الله درأت عن المغرب كثيراً من الأخطار والمكاره في تلك الظروف العصيبة ، ومع أن جلالته وقادة الوطنية رفضوا التعاون مع المحور بعد انهزام فرنسا ولم يلتفتسوا الى عروضة فان الفرنسيين لم يحددوا عن خطتهم ولم يخطر ببالهم ان يكافئوا المغاربة على مساهمتهم في المجهود الحربي وتضحياتهم الكبيرة في ميادين القتال ، ولذلك لم يكن من المعقول أن يظل المغاربة لائذين بالصمت الى ما لا نهاية له ، سيما وأن الحلفاء الانكليز والأمريكيين الذين نزلوا بالشمال الافريقي يوم 8 نونبر سنة 1942 كانوا يملأون الدنيا دعاية لحرية الشعوب واستقلالها ، وكان المنطق الطبيعي ان ينبذ المغرب سياسة الاصلاحات الجزئية ويطلب الاستقلال الكامل الناجز ليتمكن أن يصلح نفسه بأيدي ابنائه وفق ما يبتغون هم لأنفسهم لا ما يبتغى لهم الغير ، ولما بدأت العناصر الوطنية تتحرك في الخفاء أوحى اليها جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف أن تطالب بالاستقلال ، فأعدت وثيقة بهذا المعنى رفعها يوم 11 يناير سنة 1944 الى جلالة السلطان وممثلي فرنسا وحلفائها نواب حزب الاستقلال الذي أسس في نفس اليوم ، وقد لقيت الوثيقة تأييداً كاملاً من القصر الملكي ، واستدعى جلالة السلطان مجلساً وزارياً لدراستها يوم 13 يناير وعين وزيرين للاتصال بشأنها مع ممثلي فرنسا ومع اللجنة التنفيذية للحزب الجديد ، في حين كانت الوفود والعرائض ترد على القصر الملكي من جميع نواحي المغرب مؤيدة متضامنة .

أما الفرنسيون فقد ذهلوا من مضمّن الوثيقة ولكنهم لم يحركوا ساكناً خشية من ان تتدخل قوات الحلفاء لفائدة الوطنيين المغاربة كما تدخلت من

قبل فى سوريا ولبنان ، حتى اذا تأكدوا من عدم تدخلهم طلب كابريال بيو مقيم فرنسا العام مقابلة السلطان يوم 18 يناير وأبلغه رفض اللجنة الوطنية للتحرير الوطنى تغيير نظام الحماية واستعدادها فقط لادخال اصلاحات ، ثم نشرت الاقامة العامة بلاغاً بذلك وصار الجميع يتوقع قيام السلطات الفرنسية بحركة قمع ، وفى مساء يوم 28 يناير حينما كان السيد ماسيكلى المفوض الوطنى فى الخارجية الفرنسية يعلن قبول فرنسا مشروع اصلاح مستعجل بالمغرب كان الولاة العسكريون يعتقلون مسيرى حزب الاستقبال بتهمة الاتصال بالعدو ! ولم يكد نبأ اعتقالهم يشيع صباح اليوم التالى حتى أضربت البلاد واحتاجت الأفكار وبدأت السلطات الفرنسية تتحرش بالناس وتستفزهم ف وقعت مظاهرات واشتباكات بين الوطنيين والقوات الفرنسية استشهد فيها عشرات من الوطنيين الأبرار واعتقل الآلاف وأبعدوا الى السجون والمنافى وبدأت المحاكم العسكرية تصدر أحكامها بالاعدام الذى نفذ فى البعض منهم .

وبعد مرور بضعة أيام أعلن المقيم العام عزمه على ادخال الاصلاحات ثم جاء السيد ماسيكلى يؤكد للسلطان قبول فرنسا لادخالها ، ولما بدأ المقيم يوم 22 مارس يترأس اللجان الاستشارية التى تدرسها ظهرت تفاقتها وأيقن المغاربة أن فرنسا تسخر من نفسها لا منهم ، ومع ذلك لم ينفذ منها شئ يلفت النظر ويحس المغاربة أن فيه نوعاً من الترضية لهم ، بل زادت الحالة سوءاً عند ما منح المستوطنون الفرنسيون حق المشاركة فى انتخاب المجلس التأسيسى الفرنسى ، وتوالت الاحتجاجات من السلطان والهيآت الوطنية على ذلك .

وانتصر الحلفاء فى الحرب واستردت شعوب كثيرة حريتها وسيادتها ، ووضع ميثاق الأمم المتحدة كدستور يضمن للبشرية جمعاء حياة حرة كريمة مثلى ، فكان لزاماً على فرنسا أن تبدل مندوبها المقيم الذى فشل فى فرض ( اصلاحات ) مزيفة سواء بطريق الرفق أو بطريق العنف وان تفعل شيئاً ما تظهر به للدول أنها وفية لميثاق الأمم المتحدة سائرة بمستعمراتها وبلدان حمايتها نحو الحرية والتقدم ، فعزلت كابريال بيو ، وعينت السيد اريك لابون مندوباً مقيماً عاماً ، وهو أحد ديبلوماسييه المشهورين الذين سبقت لهم الخدمة بالمغرب ومن يهتمون كثيراً بالتنمية الاقتصادية ، فكان من أعماله

الأولى ارجاع الأستاذ غلال الفاسي وغيره من الزعماء الوطنيين من منافيتهم والسماح للمغاربة باصدار الصحف ولكن مع خضوعها للرقابة المفروضة على المطبوعات ، فاستبشر الناس خيراً بهذا الانفراج ، وحسبوا ان المقيم العام الجديد جاء بسياسة متحررة ، ولكن الخيبة عادت تساور النفوس بمجرد ما بدأت اتصالاته بالوطنيين ، اذ ظهر ان الرجل لا يحمل في حقيبتة الا برامج تنمية اقتصادية لفائدة دولته ، وبرامج ( اصلاحات ) موجهة بمقتضى العقلية الاستعمارية ، فقد كانت الخطة التي اهتمت اليها الفرنسيون لحل مشاكلهم بالمستعمرات وبلدان الحماية هي اشراك ( الأهالي ) في التدبير والتقرير مع المستوطنين الفرنسيين ، ولكن بعد الاعتراف مسبقاً لهاؤلاء بكافة الحقوق السياسية ، ومعنى ذلك الاشتراك في السيادة (38) على تلك الاوطان مع أهلها ، وهذا أقصى ما طرأ على العقلية الاستعمارية الفرنسية من تطور بعد الحرب العالمية الثانية !

ولقد كان من المقرر ان يزور جلالة السلطان في ربيع سنة 1947 طنجة بعدما انسحبت منها الجيوش الاسبانية التي احتلتها اثناء الحرب وعاد اليها نظامها الدولي السابق . ولم يكن الفرنسيون يجهلون أهمية هذه الزيارة وعواقبها الوخيمة على سياستهم ، ولكنهم لم يجدوا بداً من الموافقة عليها ، بيد أنهم دبروا مكيده وحشية للحيلولة دونها يوم 7 أبريل ، فقد أطلقوا الجنود السنغاليين على الأحياء العربية بالدار البيضاء يقتلون النفوس وينهبون الأمتعة ، ولم يعيدوهم الى معسكراتهم بعد عشر ساعات حتى قتلوا أكثر من 2000 مغربي فيهم المرأة المحجبة والمعجوز المسن والولد الرضيع ، ومع ما خلفه هذا الاعتداء من شعور الأسى والسخط في النفوس سافر جلالة السلطان يوم الأربعاء 9 أبريل سنة 1947 الى طنجة صحبة ولي عهده صاحب السمو الملكي أمير الأطلس **مولاي الحسن** وسائر أفراد أسرته وحاشيته ، وبعد ما تغذى جلالتهم بظواهر أصيلة مع ابن عمه وخليفته بمنطقة الحماية الاسبانية صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن تابع سيره الى طنجة فدخلها في العشية واستقبل من أهلها استقبالا حماسياً ، ثم قابل السلك الديبلوماسي والقنصلي صباح يوم الخميس 10 أبريل وألقى خطابه التاريخي الشهير الذي أكد فيه

سبغة المغرب العربية ، وضرورة تحقيق وحدته الترابية وتحقيق أمانى شعبه وتأسيس نظام حكم ديمقراطى ، كما خطب المومنين وأم بهم يوم الجمعة بعده ، بينما كان صاحب السمو الملكى الأمير مولاي الحسن وشقيقته الأميرة للا عائشة يلقيان فى تلك الأيام خطبا شبيهة المعنى بخطب والدهما ، ثم عاد جلالتة الى الرباط يوم الأحد 13 أبريل .

وقد كان للنجاح الذى أحرزته هذه الزيارة الملكية وقع اليم فى نفوس الفرنسيين ، الشىء الذى جعل السيد رمادى رئيس الحكومة الفرنسية يهنئ فى التعليق عليها هديان المحموم ، ويقرر اعفاء المقيم العام السيد اريك لا بون من منصبه ولما تمض على رجوع السلطان الالبضعة أيام .

واختارت الحكومة الفرنسية الجنرال الفونس جوان مندوباً مقيماً عاماً ، وهو ابن دركى ومن مواليد الجزائر ، حاد الطبع عصبى المزاج ، يتشبع فى منتصف القرن العشرين بأفكار رواد الاستعمار الاولين أمثال بيجو ولاموريسير وبليسى وكافينياك ، لا يحس بالتطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى طرأ على العالم فى هذا القرن ، وأقل ما يصفه به المؤرخ المتجرد النزيه أنه نذل لثيم ، وكانت الخطة التى جاء لتنفيذها تستهدف فرض اصلاحات على أساس اقتسام السيادة ولو أدى الحال الى تنازل اختيارى من السلطان عن العرش أو خلع تأمر به السلطات الفرنسية (39) ومن الاتصالات الأولى التى أجراها المقيم العام الجديد تبين جلالة السلطان وشعبه أن المغرب مقبل على أعمال عنف ، فقد بسات المقيم يجادل حتى فى حضور السلطان حفلات تدشين المدارس وتلقيب صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بأمير الأطلس وولى العهد ، وبلغت به العجرفة الى التناول على السلطات التى يستمسك بها الملك التى لم يخطر بهال أى مقيم سبقه أن يتناول عليها ، كنسمية الموظفين المغاربة واعفائهم ، وكانت نشاطات الوطنيين بالخارج وحملات الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة على سياسة فرنسا وبوادر تدويل القضية الوطنية لا تزيد الجنرال الا كلباً وسعاعراً ، واستمر الوضع يتازم حتى استدعى السلطان لزيارة فرنسا

في خريف سنة 1950 ولكن سيدي محمد بن يوسف لم يقبل الدعوة حتى أكد له أن مستقبل المغرب سيكون من بين القضايا التي يتذكر فيها مع المسؤولين الفرنسيين أثناء تلك الزيارة ، وسافر السلطان على ظهر سفينة حربية وبعد إقامة قصيرة ببوردو توجه الى باريس يوم الثلاثاء 11 أكتوبر ، وقوبل في كل مكان حل به بحفاوة كبيرة ، ولما قدم مذكرته الأولى الى الحكومة الفرنسية جاء الجواب عنها يوم 31 أكتوبر خاليا من أية إشارة الى مستقبل المغرب ، أما المذكرة الثانية التي أرسلها بعد ذلك فانه لم يتلق عنها في فرنسا أي جواب ، وعاد سيدي محمد بن يوسف الى المغرب فوصل الدار البيضاء يوم 9 نونبر واستقبل من طرف شعبه استقبال الفاتحين .

وقد لوحظ باستغراب شديد تخلف باشا مراكش الحاج التهامي الكلاوي وقائد آخر من اقطاعيي الجنوب بفرنسا واجراؤهما محادثات مع المسؤولين الفرنسيين ، وان الكلاوي لم يحضر لتحية ملكه عند رجوعه الى الدار البيضاء كما لم يشارك في حفلات عيد العرش الشيء الذي دل على أن هناك مؤامرة تدبر في الخفاء .

وفعلا توالى الاحداث المزعجة بسرعة ، ففي شهر دجنبر طرد المقيم العام نواب حزب الاستقلال من مجلس شوري الحكومة لمجرد انهم حللوا فصول الميزانية تحليلا موضوعياً عده المقيم ماساً بكرامة فرنسا ، وبعد ذلك بفيل طرد السلطان سيدي محمد بن يوسف باشا مراكش من القصر لما طلب منه في قبة أن يتخلى عن الوطنيين ويخلى بينه وبينهم في ابالته ، واذ ذاك أنشأ الكلاوي بايعاز من السلطات الفرنسية حركة انضم اليها صنائع فرنسا من باشوات وقواد ، وعبا المراقبون والضباط الفرنسيون فرسان القبائل لهذه الحركة وامروهم بالمrapطة حول فاس والرباط ، ثم اذاعت الدعاية الفرنسية أن أرياف المغرب ( تحركت ) ضد السلطان الذي يعرقل الاصلاحات وفي يوم الجمعة 26 يناير قدم المقيم العام للسلطان لائحة مطالب يرى من الضروري الاستجابة لها ، وبعد مداوات واتصالات برئيس الجمهورية الفرنسية قدم الى السلطان انذار ثان بقبول مطالب المقيم ينتهي اجله في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد 25 يبرابر 1951 ولم يكن لسيدي محمد بن يوسف أي خيار

فاما أن يقبل المطالب واما أن تخلى فرنسا بينه وبين شعبه الناقم منه بزعمهم ، فوافق جلالته عليها اجتناباً لكارثة كان متأكداً انها ستحل بشعبه قبل أن تحل بشخصه وعرشه :

وأحاطت الدعاية الفرنسية قبول السلطان مطالب المقيم الفرنسي بهالة من التزييف والتبجح وأعطته صورة انتصار ما كان ليفخر به في الحقيقة جندي بسيط فأحرى ضابط عظيم ، ولكن نشاط الوطنيين المغاربة بالخارج ووقوف الدول العربية والاسلامية الى جانب المغرب فى تلك المحنة كشف الستار عن حقيقة الوضع فى المغرب والطريقة التى انتزع بها المقيم موافقة السلطان ، ومهما يكن فان ضغط الفرنسيين بذلك الشكل السافل على ملك كريم وشعب يريد الانعتاق والتحرر جعل الشعب المغربى يفكر جدياً فى ركوب متن العنف لطرد المحتلين ، كما جعل الحكومة الفرنسية تفكر جدياً فى أن تبعد عن المغرب الجنرال جوان الذى كانت له صلاحيات عسكرية واسعة فى الشمال الافريقى والذى كان نفوذه المتصاعد لدى غلاة المستعمرين - عسكريين ومدنيين - بالمغرب العربى بدأ يثير الخوف فى نفوس رجال الحكومة فى باريس .

وبالفعل أعلن بباريس يوم 28 غشت 1951 بعد مخاتلات ومراوغات - عن ابقاء الجنرال جوان وتعيين الجنرال كيوم خلفاً له فى الإقامة العامة ، والمقيم الجديد هو أحد ضباط الأمور الأهلية المشهورين الذين اتسعت آفاق معرفتهم بالمغرب حتى صاروا لا يعرفون عنه شيئاً ، وقد تقلب فيه فى مناصب كثيرة سياسية وعسكرية وإدارية ، ونظرته اليه والى أهله لا تختلف عن نظرة سلفه الذى اقترح تعيينه على حكومته فاستجابت له استعجالاً لخروجه منه ، وقبل أن يصل الى المغرب كانت القضية المغربية تسير قدماً فى طريق التدويل ، فقد قررت الجامعة المغربية فى دورتها المنعقدة بالاسكندرية يوم 27 غشت رفعها الى منظمة الأمم المتحدة ، ولما وصل المقيم الجديد يوم 2 أكتوبر ظهر من التصريح الذى أدلى به فى ذلك اليوم ومن تصريحاته الأخرى وهو يزور المدن والارياف المغربية أنه نسخة طبق الاصل لسلفه ، فقد كان يندد بالوطنيين فى كل مكان ويرميهم بالتعصب الدينى والسلالى ، ويدعى انهم



لا يمثلون المغاربة ، وآلى على نفسه أن ( يوكلهم التبن ) وسعى جاهداً فى اناره العصبية السلالية بين البربر والعرب جاهلاً أو متجاهلاً انهم جميعاً يشتركون فى بغض المستعمرين ، ولما كانت القضية المغربية تعرض على انظار الأمم المتحدة نظمت سلطات الحماية يوم 1 نونبر انتخابات الغرف التجارية على طريقتها فقاطعها التجار مقاطعة أذهلتها ، وائسر ذلك اجتمع القسم الفرنسى من مجلس شورى الحكومة للنظر فى مشروع الميزانية فأعاد ممثلو الجالية الفرنسية المطالبة بتأسيس تمثيل برلمانى لهم فى المغرب يكون لهم فيه الى جانب المغاربة حق التقرير ، ومن أغرب حوادث تلك الظروف ان السلطات الاستعمارية اعتقلت خطباء المساجد بالمغرب وأرسلتهم الى السجون لا لذنوب سوى دعائهم فى خطبة جمعية لدولة ليبيا بمناسبة ارتقاؤها الى مصاف الدول الحرة ، كما اعتقلت الآلاف من المواطنين الذين تظاهروا يوم 30 مارس 1952 بمناسبة حلول الذكرى الأربعينية لغرض الحماية ، وازاء ازدياد الضغط والقمع عاد جلالة السلطان يوم 14 مارس فبعث الى رئيس الجمهورية الفرنسية مذكرة يطلب فيها إعادة النظر فى معاهدة سنة 1912 فكان الجواب الفرنسى هذه المرة سلبياً أيضاً ، وسارت الأمور وهى تتأزم أكثر فأكثر ، وبدأ الاستقلاليون يقومون ببعض الأعمال الفدائية ضد الخونة والمارقين ، وبلغت الأزمة ذروتها عندما اذيع صبيحة يوم 5 دجنبر 1952 نبأ اغتيال الزعيم التونسى فرحات حشاد على أيدي عصابة فرنسية ، فقرر حزب الاستقلال شن اضراب عام يوم 8 دجنبر تضامناً مع الشعب التونسى فى مصابه الأليم ، ولكن العواطف انفجرت فى ليلة ذلك اليوم ونهاره من الجانبين ، اذ جرت بين الوطنيين والاستعماريين اشتباكات قتل فيها بعض الأوربيين واستشهد أكثر من 500 وطنى فى حى الكارير سانتال بالدار البيضاء وحده ، واعتقل الزعماء النقابيون المغاربة واتباعهم فى نفس اليوم اثناء تجمع عقدوه بالدار البيضاء وسلم عدد منهم الى المستوطنين الفرنسيين فمزقوا آراهم فى الشوارع تمزيقاً (40) ، وقد وجد الجنرال كيوم فى هذه الحوادث الفرصة التى كان ينتظرها ، فعمل الصحف الوطنية ، وأمر باعتقال الاستقلاليين البارزين

فى جميع المغرب وارسالهم الى المنافى والسجون ، وأوعز الى أبواق دعايته بالمغرب وفرنسا بشن حملة على ملك المغرب وولى عهده اعتقاداً منه ( أن الأفى لا تموت الا بقطع رأسها ) فكانت الصحف الاستعمارية تنادى بنفى محمد بن يوسف واعداد ولى عهده الأمير مولاي الحسن ، ثم شرع فى تنفيذ مخطط يستهدف نفى السلطان وأسرته ونصب دمية طيعة على العرش مستعيناً بباشا مراكش وعبد الحى الكتانى شيخ الطريقة المعروف ، فتم له ما أراد ظهيرة يوم 20 غشت 1953 فنفى السلطان وأسرته الى كورسيكا وأجلس محمد بن عرفة على العرش ، فكان يوم ذلك الحادث الجلل يوم بداية ( ثورة الملك والشعب ) التى استمات فيها المغاربة دفاعاً عن ملكهم ووطنهم متحملين ما يطول الحديث عنه من التضحيات ، واضطرت فرنسا أن تعزل بعد ذلك الجنرال كيوم وتعين مقيماً بعد مقيم كان كل واحد منهم يفشل فى مهمته لأن الشعب المغربى لم يكن يريد بملكه الشرعى وحرته بديلا ، ولما اشدت عليها سخط الراى العام الدولى وضافت بها السبل فى المغرب سيما بعد انشاء جيش التحرير الوطنى الذى شرع فى مهاجمة المراكز الفرنسية بالأرياف تعزيزاً لحركة المقاومة فى المدن لم تر بداً من الازعان للحق وأنفها راغم ، فأعادت الى المغرب السلطان سيدى محمد بن يوسف يوم الأربعاء 16 نونبر 1955 ( 1 ربيع الثانى 1375 ) من منفاه الثانى بجزيرة مدكسكر على أساس الاعتراف بحرية المغرب وسيادته ، فكان يوم وصوله الى الرباط والأيام التى تلتها أياماً خالدة مشهودة .

وشرع السلطان الذى أصبح منذ ذلك التاريخ يدعى بصاحب الجلالة الملك فى اتخاذ التدابير العملية لجعل الاستقلال المستعاد حقيقة ملموسة ، وكان عليه أن يبدأ من الصفر ويعمل فى حذر بالغ ، فألف حكومة وطنية يوم السبت 17 دجنبر ( 2 جمادى الأولى ) جعل لها ثلاث مهمات : تدبير الشؤون العامة ، ووضع أنظمة ديموقراطية على أساس الانتخاب وفصل السلط ، والتفاوض لتحديد نظام الاستقلال ، ثم عين عمال الأقاليم بعد يومين ، وتسلم الموظفون المغاربة السلط من الفرنسيين الذين لم يبقوا محتفظين الا بالشرطة والجيش والديبلوماسية ، وبعد ذلك جرت مفاوضات بباريس اسفرت يوم الجمعة 2 مارس 1956 ( 19 رجب ) عن صدور تصريح مغربى - فرنسى مشترك

يلغى عقد الحماية ويعلن استقلال المغرب ووحدة ترابه ، كما جرت مفاوضات أخرى بمديرية اسفرت يوم السبت 7 أبريل (25 شعبان ) عن صدور تصريح مغربي - اسباني مشترك بنفس المعنى ، واذ ذاك أنشأ جلالة الملك وزارتي الخارجية والدفاع وأنشأ جيشاً وطنياً ( 14 مايو ) ووضع مغربياً على رأس مصالح الشرطة .

ولكن المغرب المستقل الجديد وجد نفسه منذ تلك الساعات السعيدة أمام مشاكل لا حصر لها ، وقد أثبت الدولتان الحاميتان أن تعيدا اليه أجزاء واسعة من ترابه الوطني اغتصبتها في ظروف خاصة ولأسباب معينة وضداً على جميع المعاهدات الدولية ، فاسبانيا احتفظت باقليم طرفاية ولم تسلمه الا سنة 1958 كما احتفظت بالساقية الحمراء ووادي الذهب وقطاع يفنى وجميع الجيوب الواقعة في الشمال (41) وفرنسا لم تكتف بالاحتفاظ بما اقتطعته شرقاً وجنوباً والحقت بمستعمراتها بل دفعت خط الحدود الى الشمال امتثالاً لمقتضيات استراتيجية أملت عليها الحرب التي كانت تخوضها يومئذ في الجزائر ، فكان هذا العمل سبب النفرة التي حدثت بين المغرب وبين جارتها الجزائرية فيما بعد ، ومع كل العراقيل والصعاب سار المغرب تحت قيادة ملكه يحقق المكاسب تلو المكاسب ، فقد نظم الحكم فيه على أساس دستور ، وأجليت الجيوش الفرنسية والاسبانية والأمريكية عن القواعد التي كانت تحتلها ، وحرر الاقتصاد من التبعية ، وأقيمت العدالة على أسس عصرية ، وانتشر التعليم على تعدد أقسامه ، واعترف للشعب بكافة الحقوق والحريات ، وقويت التجهيزات المادية ، وصار للمغرب صوت مسموع على الصعيد الدولي ، وكان الفضل في كل ذلك يرجع الى شدة الالتحام وقوة التجاوب بين جلالة الملك محمد الخامس والشعب المغربي ، حتى اذا توفاه الله عشية يوم الأحد 26 يراير 1961 ( 10 رمضان 1380 ) سار ولى عهده صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على هديه ، جاداً مجتهداً في تحقيق التقدم المادي والرقى المعنوي لأمته ، صارفاً زهرة شبابه وئسرات ثقافته وتجربته في سبيل اعزازها واسعادها ، وجعل في السنين الأخيرة التنمية شعاره ، وهو دائم على تعهد غروسها التي لن تلبث أن تؤتي أكلها في مستقبل قريب .

---

(41) سبنة ومليلية وجزر ملوية وحجرة نكور .

من مصادر هذا الفصل :

- اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - تأليف أحمد بن أبي الضياف - تونس 1963 .
- الانيس المطرب ، بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع - فاس 1303 .
- افريقيا الشمالية في العصر القديم - لمحيي الدين المشرفي - الدار البيضاء 1957 .
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري - الدار البيضاء 1956 .
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالي - بيروت 1965 .
- تاريخ الحركات الاستقلالية في الغرب العربي - تأليف الأستاذ محمد علال الفاسي - سطوان .
- تاريخ المغرب العربي - لمحمد علي دبور - القاهرة 1964 .
- تاريخ المغرب العربي - للدكتور سعد زغلول عبد الحميد - القاهرة 1965 .
- التطورات السياسية في المملكة المغربية - لدوكلاس آي . اشفورد - بيروت 1963 .
- تونس وفرنسا - لعبد المجيد المطوي - تونس 1957 .
- الجزائر العربية - للدكتور احسان حقي - بيروت 1961 .
- الحبيب بورقيبة : حياته وجهاده - لكتابة الدولة للأخبار والارشاد - تونس 1966 .
- كتاب الجزائر - لأحمد توفيق المدني - الجزائر 1350 .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من الملوك ذوى السلطان الأكبر ( تاريخ ابن خلدون ) - لعبد الرحمان بن خلدون الحضرمي - بيروت 1961 .

- ليبيا بين الماضي والحاضر - تأليف حسن سليمان محمود -  
القاهرة 1962 .
- مدنية المغرب العربي في التاريخ - لأحمد صفر - تونس 1959 .
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشي -  
سلا 1938 .
- المغرب في بداية العصور الحديثة - للدكتور صلاح العقاد -  
القاهرة 1963 .
- المسألة المغربية - لأحمد خير فارس - القاهرة 1961 .
- نضال ملك - لأحمد الرشيد ملين - الرباط 1957 .
- فتح العرب للمغرب - لحسين مؤنس - القاهرة 1947 .
- F. Weisgerber - au Seuil du Maroc Moderne - Rabat 1947 .
- H. Terrasse - Histoire du Maroc - Casablanca 1950 .
- Maréchal Juin - Le Maghreb en Feu - Paris 1957 .
- J. L. Meège - Le Maroc et l'Europe - Paris 1961 .
- G. Granval - Ma Mission au Maroc - Paris 1956 .
- P. B. de Latour - Vérité sur l'Afrique du Nord - Paris 1956 .



## المقاربة القدماء

كان الراى السائد بين المؤرخين الى وسط القرن الماضى ان البربر اول جنس بشرى سكن بلاد المغرب ، ولكن البحوث العلمية والاكتشافات الأركيولوجية اضعفت فى الوقت الراهن هذا الراى ، اذ صار العلماء يعتقدون ان هناك مقاربة قدماء عمروا المغرب قبل البربر وسبقوهم الى سكناه .

ومن المعروف أن المؤرخين اصطلاحوا على تقسيم العصور التى سبقت تدوين التاريخ الى عشرين :

- 1 ( عصر البليستوسين Pleistocene المسمى أيضاً بعصر الجليد .
- 2 ( والعصر الحجري المنسوب الى الحجر الذى كان الانسان البدائى يستعمله فى كل ما تتوقف عليه حياته من اداة وسلاح .

وهذا العصر يقسم بدوره عندهم الى ثلاثة أقسام :

- 1 ( عصر حجرى قديم كان الانسان فيه حديث عهد بالطبيعة جاهلا طرق الانتفاع بها ، لا يختلف فى مفاهيمه وتصرفاته عن الحيوان الأعجم .
- 2 ( عصر حجرى متوسط تهذب فيه الانسان قليلا فأخذ يسكن الكهوف ويدفن الموتى ويتخذ الأسلحة والأدوات من عظام الحيوانات كالفيلة والوعول والكركدن والنعام .

- 3 ( عصر حجرى حديث ازداد الانسان فيه معرفة بأسرار الطبيعة وفهماً لمظاهرها ، فاكتشف النار وحاك الملابس و اخترع الكتابة الهيروغليفية وصنع الآنية من الطين المجفف والمحروق .

ويأتى بعد هذه العصور الحجرية الثلاثة العصر المعدنى الذى اكتشف فيه الانسان الحديد والنحاس والقزدير والرصاص ، وهو يفصل بين عصر

التاريخ الذى صار فيه الانسان يدون وقائمه ويستعمل الوثائق المكتوبة ، وعصر ما قبل التاريخ الذى اضطربت أقوال العلماء فى تقدير مدته بين 5.000 و 240.000 سنة تبعاً لثقاتهم فى الاجتهاد والاستنتاج ، واعتماد بعضهم على الحكايات الأسطورية والروايات الدينية .

ولقد كانت حالة المغرب فى تلك العصور تختلف كل الاختلاف عن حالته فى الساعة الراهنة ، وتدل الأبحاث والدراسات التى أجراها العلماء المتأخرون على أن البلاد المغربية كانت متصلة بأوروبا من طرفيها الشمالى الشرقى والشمالى الغربى ، وأن البحر الأبيض المتوسط لم يكن سوى مجموعة من البحيرات متناثرة من الشرق الى الغرب دون أن يكون لها اتصال بالمحيط الأطلسى ، وأن الأراضى القاحلة الموجودة خلف جبال الأطلس كانت تتخللها فى تلك العصور السحابة الأنهار العظيمة والبحيرات العريضة ، أما الطقس فكان يشبه الى حد كبير الطقس الحالى لأراضى المنطقة الاستوائية حرارة ورطوبة ، فساعد ذلك على نمو النبات وتكاثر الشجر وتشابك الغاب ، الشيء الذى مكن لحيوانات بدينة ضارية أن تعيش فى أرجائه كالغيل والوعل والكركدن والزرافة .

وفى آخر العصر الحجري القديم الذى مضى بين سنتى 20.000 و 6.000 قبل الميلاد حدث الانقلاب الجيولوجى العظيم الذى كان من نتائجه تراجع الجليد الى المناطق القطبية ، فأخذ المغرب منذ ذلك الحين شكله الطبعى الحالى ، وأصابه الحر والجفاف ، وغاضت على الخصوص مياه أنهاره وبحيراته الجنوبية فلم يبق منها الا الأشباح .

وقد كان لهذا التغير المناخى تأثير كبير على حياة السكان الأولين للمغرب ، فالحر بعثهم على الانتشار وزيادة تعرف بعضهم على بعض واختلاط جماعاتهم ببعضها وأدى كل ذلك بالتالى الى وجود سلالات جنسية خليطة ، أما الجفاف فكانت له آثاره بعيدة المدى فى حياة النامس أيضا ، اذ صاروا يسكنون فى جوار الأنهار والآبار والعيون ، لأن الغذاء هو المطلب الأول للانسان فى كل يوم ، والماء جزء من الغذاء ، بل هو أكثر أجزائه أهمية .

ولقد اصطلح المؤرخون القدماء على ارجاع السلالات البشرية الى ثلاثة أصول اعتماداً على جدول الأنساب الوارد فى التوراة :

1 ( الأصل السامي المنسوب الى سام بن نوح .

2 ( الأصل الحامي المنسوب الى أخيه حام .

3 ( الأصل اليافثى ( الآرى ) المنسوب الى أخيهما يافث .

ويذكرون أن هاذلاء الاخوة الثلاثة هم الذرية التى تشير النصوص الدينية - ومنها القرآن الكريم - الى أنها هى التى بقيت بعد الطوفان فتناسل منها البشر ولما عددهم بعد أن كادوا ينقرضون فى ذلك الحادث ، وشك قليل من العلماء فى هذا التقسيم الثلاثى المترتب على أبناء نوح الثلاثة ، بينما جعلته طائفة منهم تقسيماً لغوياً لا سلالياً يدل على أصول اللغات لا على أصول المتكلمين بها ، ويرفضه العلماء المعاصرون كلية بدلايتيه السلالية واللغوية ، ويجعلون الناس ثلاث طبقات :

1 ( طبقة العصر الحجري .

2 ( طبقة العصر الحديدي .

3 ( طبقة عصر سكب الرمل ، ويعتمدون فى تقسيمهم من حيث السلالات والأصول على قواعد علمية وضعوها بعد البحث والدراسة والمقارنة والاستنتاج ، لا دخل فيها للأسطورة ولا لنصوص الدين ، كشكل الجمجمة وحجم الجسم ولون البشرة ونوع السحنة وحالة المزاج ، فأشكال البشر عندهم أربعة اعتماداً على تلك القواعد :

1 ( الشكل القوقاسى الذى يمثله سكان أوروبا وآسيا الغربية وسواحل البحر الأبيض المتوسط .

2 ( الشكل المغولى الذى يمثله سكان آسيا وأمريكا من السلالة الصفراء .

3 ( الشكل الزنجي .

4 ( الشكل الأمريكى القديم .

وكما اختلف العلماء وتعددت مذاهبهم فيما يتعلق بعمر الانسانية وأصول السلالات واللغات اختلفوا فى أصل المغاربة القدماء والطريق الذى سلكوه للوصول الى المغرب ، فمنهم من جعلهم أصل الجنس الأبيض كله ،



ذاكراً أن الانسان الأول لما هاجر من موطنه الاصلى فى جزائر الهند الشرقية  
أو موطنه الثانى الذى هو ما بين النهرين بأرض بابل بحثاً عن الصيد وانتجاعاً  
للرعى لم يكن أسهل عليه من النزوح الى شمال افريقيا (42) فوجد به ما تصبو  
اليه نفسه ويسد حاجته من وفرة مياه وكلاً واعتدال مناخ ، فكملت به عقليته  
وتكونت خصائصه العالية وتكيف بالشكلية البيضاء ، ومن الشمال الافريقى  
جاز الى أوربا على برازخ كانت تصل ما بين القارتين ، ومنها برزخ كان موجوداً  
فى محل مضيق جبل طارق لا يزال جبل طارق بأرض الأندلس وجبل موسى  
المطل على سبتة بأرض المغرب يمثلان طرفيه الشمالى والجنوبى ، ولقد أصبح  
من الأكيد بعد دراسة بقايا الحيوانات والانسان الاول الذى عاصرها وما تركه  
من المخلفات بأوربا أن الشمال الافريقى هو المهد الاول للانسان الأبيض ،  
ويؤيد هذه النظرية ما يشاهد على شواطئ البلاد المغربية من المحيط الأطلسى  
الى خليج سرت من الأبنية الحجرية التى تشبه كثيراً الأبنية الموجودة باسبانيا  
وفرنسا وايطاليا الشئ الذى يدل على ان شعباً واحداً بناها قبل العصر  
التارىخى ، يضاف الى ذلك الاجماع الواقع على انه لا يوجد فى العالم بلد سبق  
تونس الى استخدام الأدوات الحجرية ، وذكر جرجى زيدان فى كتابه ( **طبقات  
الأمم** ) أن مقابلة جمجمة انسان من بقايا العصر الجليدى بأوربا - وهى أقدم  
جمجمة متحجرة وجدت هناك - بجمجمة انسان العصر الحجري بشمال افريقيا تدل  
على أن أوربا عمرها قوم من أهل العصر الحجري نزحوا اليها من شمال افريقيا  
كما يظهر من آثارهم فى سكنى غربى أوربا ان المشابهة تامة بين هذه الآثار  
وآثار أجدادهم بالضفة الافريقية ، وان هذه الآثار البنائية أكثر عدداً منها فى  
سائر البلاد ، فقد وجدوا هناك نحو عشرة آلاف بناء مختلفة الأشكال والأقمار  
كلها يشبه ما بأوربا فتحققوا بذلك وأمثاله أن الانسان بعد ان ارتقى فى شمال  
افريقيا حيث تكيف بالشكلية البيضاء انتقل بأدواته وصناعاته الى أوربا فعمرها،  
وخلف أمما يطلق عليها العلماء **أورافريكان** Euraficans أى الأوربيين -

---

(42) اختلف المؤرخون والجغرافيون كثيراً فى معنى افريقيا وأشهر ناويلات العرب منهم  
انها سميت كذلك لأنها فرقت بين مصر والمغرب ، والغالب انها مشتقة من كلمة ( أفري ) التى  
أطلقها الفينيقيون قديماً على المخاربة الأصليين ، ومن ثم سميت المنطقة التى يقيمون أفريكان أى  
بلاد الأفري ، ويقال انها كانت قبل ذلك تعرف باسم لوبيا أو ليبيا .

الافريقيين ، ومنهم الايريون سكان اسبانيا القدماء ، ولا تزال ملامحهم ظاهرة في الباسك Bascones ، وما يؤيد هذه القضية انه ظهر أخيراً ان لغة الباسك ليست آرية ، وان فيها مشابهة واضحة للغات الشائعة عند برايرة افريقيا الى الآن ، ثم يقول « وان هؤلاء الأسلاف نزحوا من افريقيا الى أوروبا وليس من أوروبا الى افريقيا كما يظن بعض العلماء ، وقد أثبت ذلك الاستاذ م سرجى ، وقرر ان شمال افريقيا هو المهد الأول للجنس الأبيض » .

ويرجح المؤرخون العرب أن يكون المغاربة القدماء من أصل سامي ، مشيرين الى الهجرات المتتابة التي وقعت من الشرق الى الغرب بعد الطوفان وتصعد سد مارب ، مستدلين على ذلك بحجج علمية مقبولة ، كوجود عناصر مغربية قديمة سمراء اللون بارزة الجبهة محدبة الأنف مدببة الذقن ، غائرة الخدين جاحظة العينين ، وهذه كلها من ملامح وسمات السلالة السامية ، يضاف الى ذلك وجود حروف في اللغة البربرية التي هي وريثة اللغة المغربية القديمة قلما توجد في غير اللغات واللهجات السامية كالحاء والعين والضاد ، ولا ريب أن هذا الترجيح العربي لأصل المغاربة القدماء وجيه ، ولكنه لا يصدق عليهم جميعاً وانما ينطبق على بعضهم ، لوجود عناصر أخرى ليس لها من ملامح السلالات السامية وسماتها شيء .

ومن العلماء من ادعى أن المغاربة القدماء اخوة زنوج البوشمان الذين لا تزال بقية منهم بجنوب افريقيا ، والظاهر ان الباعث على هذه الدعوى باعث استعماري لا علمي ، يستهدف تشكيك المغاربة في ماضيهم وتحقير أمجادهم لتهون عليهم مقوماتهم ويسهل بالتالي استعمارهم واستغلالهم .

وأول سلالة بشرية معينة عزى اليها المغاربة هي السلالة اليافثية البيضاء ، فعندما ذكر ابن خلدون الأمم المتنسلة من قطوبال أحد أبناء يافث السبعة احتمل أن يكون سكان الشمال الافريقي قبل البربر منهم (43) .

والذى يقارن بين أقوال المؤرخين من جهة ، وينظر فى المقاييس التى وضعها العلماء المعاصرون لمعرفة السلالات البشرية من جهة ثانية يخرج بنتيجة حتمية وهى أن سكان المغرب الأولين لا ينتسبون الى سلالة واحدة ، وانما يرجعون الى سلالات عديدة نزحت اليه من طرق كثيرة وفى عصور مختلفة ، وامناز منها جيلان أحدهما فى الشمال يعرف **باللوبى** (44) يتميز أفراداه ببياض الجلد وزرقة العيون وشبهة الشعر ، والآخر فى الجنوب يعرف **بالافريقسى** تشبه سحن أفراداه سحن الزنوج الى حد كبير .

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن مجتمع المغاربة القدماء ، ولا شك أنه كان مجتمعاً بدائياً قبلياً تخضع فيه كل قبيلة لرئيسها ، وتتميز بعادات ولغة وعبادة خاصة بها ، والآثار التى عثر عليها ابتداء من القرن الماضى فى جهات كثيرة من البلاد المغربية تؤيد ذلك ، فليس فيها ما يدل على أن المغاربة القدماء كانوا متشابهين فى عيشتهم متقيدين بأساليب مدنية متميزة ، فأشكال القبور والأواني والأدوات والحلى والنقوش التى عثر عليها والراجعة الى العصور المتقدمة على التاريخ تختلف فى جهة عنها فى جهة أخرى ، كما أن دراستها ومقارنتها بآثار الشعوب الأخرى تبرز أن بعضها محلى محض تتفاوت درجة اتقان صنعه بتفاوت العصور التى صنع فيها ، وبعضها الآخر شديد الشبه بآثار قدماء أوروبا الغربية وجزر البحر المتوسط ومصر والحبشة على الخصوص ، الشيء الذى يدل قبل كل شئ على كثرة الهجرات وتوارد السلالات من المغرب واليه .

ولما كان موضوعنا الآن يتحدث عن السلالات والأنساب نرى أن نكتفى بما تقدم فى الحديث عن المغاربة القدماء الذين لا يعدو كلام المؤرخين القدامى والمحدثين عنهم حد الحدس والتخمين .

---

(44) نسبة الى لوبيا وهى لغة فى ليبيا التى كانت نطقن فى عصور قديمة جداً على جميع البلاد الممتدة من حدود مصر الى المحيط الأطلسى . وقد استحسن كلفة لوبيا للدلالة العامة على المغرب وتخصيص كلفة ليبيا باحدى دوله الحديثة .

## الهجرات إلى المغرب

إذا كانت البلاد المغربية هي مهد الانسان الأبيض على أرجح الأقوال فان ذلك لا يعنى أنها بقيت معمورة به وحده منذ العصور العتيقة أو أن المغاربة القدماء احتفظوا على الدوام بصفاء اللون ووحدة السلالة ، فالقرائن جميعها تدل على أن الشمال الإفريقي تعرض مثل سائر الأقطار في العصور الحجرية والتي تلتها لهجرات بشرية متتابة ، الشيء الذي جعل فيه السلالات تتلاقح والدماء تتخالط ليتولد عنها في النهاية الانسان المغربي الذي يجمع بحكم ذلك بين المحاسن والمساوىء لسلالات كثيرة .

ولا يستطيع أحد ان يجادل في هذه الحقيقة الا اذا استطاع أن يثبت بأدلة مقنعة الوحدة السلالية بين سكان جبال الريف و زواوة ذوى البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعور الشهباء وبين سكان واحات شنكيط وتوات ذوى البشرة الدكناء والعيون السوداء والشعور الجعداء .

ولكى نستطيع تكوين فكرة عن أصول القبائل المغربية وأنسابها لابد لنا من الحديث عن العناصر البشرية التي توالى ورودها على المغرب أما انتجاعاً للمرعى وطلباً للرزق وأما غزواً وغلبة وامتلاكاً .

وأولى هجرة نتحدث عنها النصوص التاريخية الصحيحة وقعت من المشرق الى المغرب منذ حوالى 7.000 سنة ، فحوالى سنة 5.000 قبل الميلاد قام بمصر الكاهن مينا أو ميناووس أحد الكهنة ( الحورشسو ) الذين كانت القبائل القبطية تخضع الى حكمهم الدينى ، وقد راودت هذا الكاهن فكرة توحيد مصر والاستقلال بملكها فلقى مقاومة شديدة من زملائه الكهنة ولكنه تغلب عليهم في النهاية ونزل الى مصر السفلى وبنى فيها مدينة ( منف ) وأنشأ بها أول دولة

منظمة عرفها التاريخ ، ثم خطر له أن يزين مدينته ويصلح أراضي مصر الزراعية فحول نهر النيل من مجراه الطبيعي في صحراء ليبيا الى مجراه الحالي ، فاغضب ذلك اللوبيين الذين هلكت انعامهم وجاحت فلاحتهم وثاروا عليه وشنوا الغارة ، ولكنه قهرهم كما قهر الكهنة قبلهم وألزمهم طاعته ، فأنف كثير من أشرفهم من الرضوخ لسلطان ملك متجبر ، وفضلوا الهجرة - بعد ما صارت أرضهم صحراء قاحلة - الى الجهات الغربية ، فساروا الى المغرب وشاركوا فيه سكانه الأصليين الذين عمره آبائهم وأجدادهم منذ زمن مجهول ، ثم كانت لهم حروب مع الجيتول (45) سكان الجنوب المغربي الأقدمين غلبوهم فيها وطردوهم الى مواطنهم الأولى بصحراء جيتولة خلف جبال الأطلس .

و اثر استيطان اللوبيين بالبلاد المغربية جرت بينهم وبين اخوانهم بالشرق وجيرانهم بالشمال اتصالات تجارية لم تفتأ تنمو مع الأيام ، وكانت البضائع تنقل من جهة الى أخرى على متون السفن أو فوق ظهور الدواب حسب الجهة التي توجه اليها ، وقد لفتت هذه الاتصالات أنظار كثير من الجماعات البشرية وحسب اليها المجيء الى المغرب جودة تربته واعتدال هوائه ووفرة خيراته وسعة أرضه فتدفقت عليه من جهات بعيدة وقريبة ، تارة محاربة غازية ، وتارة أخرى مهادنة مسالمة .

وخلال هذه العصور الموهلة في القدم كان للعرب القحطانيين أهل اليمن دولة ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع بلاد الهند وشواطئ افريقيا الشرقية ، وكانت السفن اليمنية تحمل البضائع الهندية الى أرض سبأ وحضرموت ، ومنها تنقل الى الحبشة ومصر وسوريا وحتى افريقيا الشمالية ، وكان القحطانيون لا يجدون صعوبة كبرى في التفاهم مع أهل الأقطار المذكورة وتنمية التبادل التجاري معهم ، لأنهم كانوا يتكلمون لغة تقرب من لغات أكثر الأمم المتعددة في هاتيك الأحقاب .

وفي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد غزا المغرب أبرهة بن الرائش أحد ملوك العرب البائدة الملقب بذى المنار والذي ترجع جماعة من المؤرخين انه ذو القرنين المذكور في القرآن ، وقبل رجوعه منه خلف به أقواما كثيرين يقال انهم جدود قبيلة **صنهاجة** وقبيلة **كتامة** .

---

(45) سكان صحراء جيتولة الواقعة بجنوب المغرب ، ويقال ان كلمة جزولة مشتقة منها .

ومنذ ذلك الحين بدأت الاتصالات تجرى بين دولة اليمن والبلاد المغربية بواسطة مصر ، خصوصاً بعد ما أتم الوزير حنو تمهيد الطريق بين البحر الأحمر وبين مدينة قفط المصرية بأمر الفرعون سنخ كارع أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وكان ذلك حوالى سنة 2851 ق. م فكانت السفن تأتي من اليمن محملة ببضائع الهند وشبه الجزيرة العربية الى المراسى المصرية الواقعة على البحر الأحمر وخليج السويس ، ومن هناك تنقلها القوافل الى داخل مصر أو تسير بها شطر المغرب ، ومع هذه الحركة التجارية والمواصلات البرية والبحرية دخلت عناصر بشرية جديدة على سكان مصر والمغرب معاً .

ولم تخدم نيران الحروب بين الأسر المصرية الحاكمة وبين اللوبيين طيلة المدة الواقعة بين بناء مدينة منف وانشاء طريق قفط - البحر الأحمر ، وكان النصر يحالف المصريين فى الغالب بسبب نظام جنودهم وحسن سلاحهم ومهارة قيادتهم ، وكان المصريون كلما انتصروا على قبيلة لوبية أجلوها الى المغرب ، واستمرت الحال كذلك الى أن دخل العرب الرعاة ( الهيكسوس ) أرض مصر وجلسوا على عرشها ، فهدأت تلك الحروب نوعاً ما وعاد الاتصال بين شبه الجزيرة العربية وبين مصر والمغرب أقوى مما كان فى الماضى ، واستمر حكم الهيكسوس لمصر من سنة 2214 الى سنة 1703 ق. م وكانوا يستعينون على حكم القبط بأعدائهم اللوبيين وغيرهم ومن أشهر ملوكهم الفرعون ( اياى اعاكنن ) الذى يسميه المؤرخون العرب الريان بن الوليد ، وفى أيامه نزح كثير من أهل الشام والجزيرة الى مصر واستوطنوها ، ووفدت السيارة الذين أنقذوا يوسف من الجب وباعوه الى عزيز مصر قطفير المسمى باللغة القبطية بوفير ومعناه هدية الشمس ، وبجلوس يوسف على عرش العزة تفتحت أبواب مصر أمام الفلسطينيين، فاستاء أهلها من مزاحمتهم لهم ومشاركتهم فى الكبيرة والصغيرة من أمور بلدهم ، ونظموا ثورتهم الاستقلالية بقيادة الفرعون ( أحسس ) أو ( اموزيس ) المتحالف مع صهره ملك الحبشة ، وقد انتهت هذه الثورة بطرد الهيكسوس من أرض مصر ومطاردة المصريين لهم الى العراق ، ولما تم لهم الاستقلال التفتوا الى الجماعات العربية التى بقيت بمصر والجماعات الأخرى التى لم تساهم فى الثورة فاضطهدوها وضيقوا عليها حتى

اضطروها الى الهجرة ، فهاجرت الى المغرب حاملة معها حضارة المصريين وثقافتهم وديانتهم ، وقد عثر في الزناكة بواحات فكيك وغيرها من صحراء المغرب على صور منحوتة في الجبال من صنع قدماء المغاربة تمثل ( عمون رع ) أحد آلهة قدماء المصريين .

وبعد سنة 1.600 ق . م غزا المغرب الفرعون ( توميس ) الملقب باسكندر التاريخ المصرى ووصلت جنوده الى حدود المغرب الأقصى ، ولكنه لقي مقاومة شديدة فارتد عنه مخلفا فيه جماعات من الجنود اندمجوا في أهله .

وحوالى سنة 1.500 ق . م اكتشف البحارة الفينيقيون سواحل الشمال الاфриقى فأنشئت بينه وبين بلدهم فنيقيا علاقات جديدة مباشرة ، وكان تعرفهم عليه وانشاؤهم متاجر على طول تلك السواحل سبباً في تدفق موجات بشرية أخرى عليه .

وفي هذا العصر بدأ أمر العبريين ينتظم تحت راية النبی يوشع فحاربوا الفلسطينيين وأجلوهم عن وطنهم ! ولما منع الفراعنة مهاجريهم من الإقامة بأرض مصر تابع هاؤلاء مسيرتهم الى المغرب حوالى سنة 1.300 ق . م وكانوا يتألفون من عناصر كثيرة اشتهر منها الكنعانيون و اليقشانيون (46) و العماليق (47) وبعد ذلك توالى اضطهاد الفلسطينيين من طرف العبريين، ومن أشهر الملوك الذين اضطهدوهم الملك طالوت ( شاوول ) الذى تولى العرش سنة 1.095 ق . م وهو أول ملك لبنى اسرائيل بعد عصر القضاة ، والملك داود الذى أخرج سنة 1.055 من بقى منهم بأرض شنعار فسار بعضهم الى مصر ومنها هاجر الى المغرب ، وقصد بعضهم الآخر فنيقيا ومنها هاجر اليه بحراً .

وقد سحب الكنعانيين خلال هجراتهم المتعددة الى المغرب طوائف مختلفة تنتمى الى سلالات أخرى ، بعضها افريقى رافقهم براً وهم يقطعون القفر

---

(46) ذكر ابن خلدون ( التاريخ 2 : 70 بيروت 1956 ) أن ابراهيم الخليل تزوج بعد سارة بنظورا بنت يقطان الكنعانية ، فولدت له ستة أولاد منهم يقشان فكان من نسله جبل من البربر .  
(47) أولاد عمليق بن لاوذ بن سام ، كان موطنهم بالصحراء النى بين العراق والمقبة ، وكانت لهم بها دولة عبدة وحضارة سامية .

اليه ، وبعضها أوربي صحبهم بحراً عندما عرجت السفن الفينيقية التي نقلتهم على الشواطئ الإيطالية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الطوائف الأتروسك والأوسز أهل إيطاليا ، والليفوريون ، والصيقال أهل جزيرة صقلية .

ولا شك في أن الهجرة الكنعانية هي أهم الهجرات التي عرفها المغرب بعد العصر الحجري وقبل مجيء الإسلام ، لأن الكنعانيين كانوا من الكثرة بحيث أثروا تأثيراً عظيماً على سكانه الأولين حتى صرح عدد من المؤرخين أنهم أصل البربر غافلين عن أهله القدماء والعناصر البشرية الأخرى التي سبقتهم اليه واستوطنته قبل مجيئهم بقرون .

وقد اضطربت أقوال المؤرخين في نسب هاؤلاء الكنعانيين ، وسبب اختلافهم اعتماد بعضهم على جدول الانساب الوارد في التوراة ، وشك بعضهم الآخر في صحته وسلامته من التحريف ، وهذا الجدول الوارد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين هو الذي قسم الأسرة البشرية الى آل سام ، وآل حام وآل يافث ، ومن المؤكد ان اليهود كانوا يحذفون من الفرع السامي الذي ينتسبون اليه الشعوب والقبائل التي تحاربهم كالكنعانيين ، والصيديونيين وكركاش وايمورى وغيرهم من أبناء سوريا وفلسطين ويلحقونهم بالفرع الحامي مع علمهم انهم اخوانهم وشركاؤهم في النسب تحقيراً لهم لأن حام بزعمهم ابن عاق لأبيه نوح ، بينما كانوا يضيفون اليه عوضاً عنهم قوماً آخرين لم يحاربوهم كآل عيلام وآل فارس وآل ليديا مع أنهم من الفرع اليافثي الآري ، ومن اعتمد جدول التوراة في الانساب العلامة ابن خلدون الذي يعتقد ان التحريف الذي وقع فيها انما هو بالتأويل لا بتبديل الألفاظ (48) ولهذا نجده يؤكد بقوة ان كنعان من ولد حام وليس من ولد سام بن نوح ، ومن شك في صحة الجدول المستشرق الألماني الكبير بروكلمان الذي ذكر صراحة ( أن اليهود هم الذين اقصوا الكنعانيين عن جدول بنى سام لأسباب سياسية ودينية ، مع انهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية المتينة (49) .

(48) تاريخ ابن خلدون 2 : 11 ط بيروت 1956 .

(49) تاريخ اللغات السامية ص 2 .



وقد دخل المغرب بعد هجرة الكنعانيين في حياة جديدة ارقى بكثير من حياته الأولى ، فالمهاجرون الجدد جاءوا معهم بصنوف من الثقافة والحضارة لم يكن للمغاربة القدماء بها عهد ، فشمل التطور القرى والمدائن بالسهول والجبال وأصبحت القبائل تلتحم وتتكامل وكأنها تتهيا لتصبح شعباً منسجماً ، ومع أنها لم تستطع تكوين دولة تجمع شتاتها تحت سلطان واحد فانها كانت بلغت من الوعي القومي درجة تجعل امتلاك الأجنبي لها أمراً عسيراً ، وقد اقتصر الفينيقيون (50) الذين تعرفوا على الشواطئ المغربية في الألف الثانية قبل الميلاد على اقامة متاجر بالساحل ليست لها صبغة سياسية ولا عسكرية ، مثل سوسة وبنزرت وصدادى ( بجاية ) وهبو ( عنابة ) وتينجيس ( طنجة ) وليكسوس ( العرائش ) وروسادير ( مليلية ) .

وفي سنة 814 أو 880 ق . م حدثت هجرة جديدة كان لها أثر سياسى وسلالى حاسم على البلاد المغربية ، فقد جاءت الأميرة الفينيقية جونو أو عليشة ديدون أرملة أسرباس رئيس كهنة مدينة صور الى الشواطئ المغربية فارة من ظلم أخيها بيغماليون المستبد دونها بالملك والمستأثر وحده بكنوز زوجها وتراثه ، وأنشأت بلطف ومهارة مدينة قرطاجنة قرب مدينة تونس الحالية ، ورافقها في فرارها الى المغرب أنصارها من أشرف الفينيقيين وعامتهم ، وماكاد خبر تأسيس المدينة الجديدة يشيع حتى قصدوا كثير من أهل الشام وأوروبا الجنوبية وجزر البحر المتوسط فعمرت بهم حتى قدر عدد الساكنين فيها بمليون نسمة ، وقد امتزج القرطاجنيون بأهل البلاد امتزاجاً وثيقاً عن طريق المصاهرة فكان أشرف الأهالي وأمرؤهم يتزوجون سيدات قرطاجنيات وفنيقيات وبالعكس ، فنشأ عن ذلك جيل مختلط يعرف بالفينيقيين - اللوبيين كانت له لغة خاصة وخط خاص يعرف بالمسند اللوبى ، وبفضل هذا التمازج وتأسيس حكومة وطنية فى قرطاجنة انفتحت طرق الصحراء فى وجه التجارة ، وصارت القوافل تغدو وتروح محملة بالبضائع بين المتاجر الساحلية ووحدات الصحراء

---

(50) الفينيقيون هم الكنعانيون أنفسهم ، وقد اخترنا أن ندعوا باسم الكنعانيين الجماعات التي هاجرت الى الشمال الاغريق بقصد الاستقرار ، وباسم الفينيقيين الآخرين الذى أسسوا بشواطئ مراكز للتجارة . والاغريق هم الذين سمو الكنعانيين فنيقيين . وكان ذلك حوالى 1200 قبل الميلاد .

ومشارف السودان ، وبسبب هذا الزواج أمكن لعدد من الأسر والقبائل الأفريقية أن تنسرب الى المغرب سالكة طرق القوافل التقليدية ، وتساكن المغاربة فى القرى والواحات الواقعة خلف جبال الأطلس وتمتزج بهم بعد ذلك .

وبتأسيس الدولة القرطاجنية يمكن أن يقال ان البلاد المغربية دخلت فى التاريخ ، اذ قبل ذلك لم تكن تتوفر لدى المؤرخ الا معلومات ضعيفة مبعثرة عنها خالية من الضبط والتدقيق أكثرها مقتبس من الأساطير الشائعة أو مستنتج من الأبحاث والآثار الأركيولوجية التى لا تصل الى حد الجزم واليقين ، ومن أخبار الهجرات والاستيطان التى لا يمكن تحديد زعمها ما رواه المؤرخ الرومانى سىلستس فى كتابه (حروب يوغورطة) عن هجرة المييد (SI) والأرمن والفرس الى المغرب واندماجهم فى أهله ، فقد ذكر أن الملك هيركوليس أحد ملوك بحر ايجى على ما يظهر استأجر منهم جنوداً وهجم بهم على ايبيريا ( اسبانيا ) ، ولكنه هلك بعد دخوله اليها ، فطارد الايبران جيوشه بعد هلاكه فتفرقت فى البلاد المجاورة ، وعبر المييد والأرمن بحر الزقاق الى شمال المغرب واستوطنوه واندمجوا فى سكانه اللوبيين ، أما الفرس فانهم أبحروا أيضاً اليه مقتفين اثر اخوانهم ، ولكن الريح حولت وجهه سفنهم الى المحيط الأطلسى وألقت بهم على شاطئ المغرب الجنوبى حيث وجدوا أهله الجيتول يحيون حياة بدائية أقرب الى الوحشية منها الى الانسانية ، ورغماً عن ذلك اختلطوا بهم بواسطة المصاهرة واندمجوا فيهم كما اندمج الأرمن والمييد باللوبيين فتولد عنهم جيل خلاسى كانت له صولة وسلطان فى تكوين دولة نوميديا بشرق الجزائر فيما بعد ذلك بعدة عصور .

وقريب من هذا ورد فى كتب أخرى ، مثل كتاب ( الجغرافيا الأفريقية القديمة ) الذى ذكر أن الفاروسيين ( يعنى الفرس ) استعمروا هذه الأرض واختلطوا بسكانها ثم عرفوا فيما بعد باسم نوميدا أو نوماد ومعناه بلغتهم الرمل .

ومع أن تاريخ هذه الهجرة غير معين ، والمسافات الفاصلة بين المغرب وبلاد الأرمن والفرس والمييد بعيدة جداً - يعيل عدد من المؤرخين

---

(SI) من شعوب الشرق الأوسط وهم أبناء عم الفرس .

الى تصديقها ، مستدلين على ذلك بتسمية مضيق جبل طارق الحالى بمجاز أعمدة هرقل فى التاريخ القديم ، وبوجود اسماء جغرافية مشتركة بين فارس والمغرب الشئ الذى يبعد أن يكون مجرد صدفة واتفاق .

أما بعد تأسيس قرطاجنة فان تاريخ المغرب أصبح معروفاً بتدقيق، وهو يحدثنا عن الجنود المرتزقة الذين كانت قرطاجنة تستأجرهم من أقطار أوربية ومن جزر البحر الأبيض المتوسط ليحموها ويثبتوا الأمن فى المناطق التى بسطت عليها سلطانتها ، كما يحدثنا عن الهجرات التى حدثت فى عهدهما ، ومن أعظمها الهجرات اليهودية التى ابتدأت سنة 586 قبل الميلاد عند ما فتح الملك البابلي بختنصر Nabuchadnezzar عاصمتهم اورشليم - بيت المقدس - وشردهم منها فجلوا عنها الجلاء الأول المعروف عند المؤرخين بجلاء بابل ، وسارت منهم جماعات مستضعفة الى الشمال الافريقى حيث نزلوا على اخوانهم الكنعانيين والفنيقيين ، ثم كان الجلاء الثانى سنة 70 م عند ما شقوا عصا الطاعة على الرومان فأخمد الامبراطور تيتوس نأقرتهم وخرّب بيت المقدس الحراب الثانى وهيكلمهم به وشتت شملهم ففرقوا فى العالم وقصدت منهم جماعات وفيرة العدد المغرب فى هذه المرة أيضاً كما توالى هجراتهم اليه فيما بعد ، ويقال ان بعض القبائل البربرية مثل جواوة (52) و نفوسة و مديونة انحدر من أصلاب هاؤلاء المهاجرين أو اعتنق فقط الدين اليهودى على أيديهم ، لأن الاسلام أدركه وهو على دين موسى .

وقد أشار هيردوتس المؤرخ اليونانى الذى زار المغرب فى القرن الخامس قبل الميلاد الى أن لوبيا ( ويعنى بها الشمال الافريقى كله ما عدى مصر ) كان يسكنها جنسان وطنيان :

---

(52) من هذه القبيلة أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى القاسى شاعر الدولة الموحدية ( 528 ؟ - 609 م ) وهو الذى استجداه شاعر بقصيدة فوجّه له فى أسفلها :

يا من بجنى لمن بجدى      أسرفت والله فى التصدى  
أنا أجدى الأقسام طراً      وأنت تبغى النوال عندى

قال أبو بحر صفوان بن ادريس مؤلف كتاب زاد المسافرين : فحدثنى الشاعر المذكور انه زاد بعد هذين البيتين :

نسبت للمسلمين آلسى      وكان شيخ اليهود جدى !

فلما وقف عليه الجراوى أجازاه ورغب أن لا يسمعه لأحد .

( ١ ) اللوبيون فى المناطق الساحلية وذكر أنهم من جنس البحر الأبيض المتوسط أكثر مما هم أفارقة .

( ٢ ) الزوج سكان المناطق الداخلية ، سواء كانوا زنجياً حقيقين ، أو سوداً من العنصر الأفريقى المميز .

وذكر هيردوت من قبائل الجنس الأول : الناسامونيون ، والماكاى ، والكارامنتيون ، والاوليبيديون ، والجيتول مبيناً أن بعض هذه القبائل كان يستعمل عربات تجرها أربع أفراس لصيد الزوج ساكنى الكهوف وتسخيرهم كالعبيد .

وبعد ذلك ازداد تفتح المغرب على الخارج وكثر ورود الناس من أجناس مختلفة عليه ، سيما اثناء الحروب البونيقية وأيام الحكم الرومانى التى أصبح فيها جزءاً من الأمبراطورية الرومانية ونعم بسلم ملحوظ ، ثم كان مرور الواندال به واستيلاء اليونانيين على طرف من سواحله فكثرت الاتصال وتواصل الامتزاج وقوى التأثير من طرف فى آخر رغم ما أثر عن الغزاة الفاتحين من تكبر واستعلاء .

وخلاصة القول ، أن الشمال الأفريقى غمرته خلال تاريخه القديم موجات بشرية تدفقت عليه من الشرق والشمال والجنوب ، وجميع الطوائف التى وردت عليه كانت تتخالط وتتكامل بالمصاهرة وطول الجوار ، مثله فى ذلك مثل سائر البلدان التى عرفت فى ماضيها وستعرف فى مستقبلها اختلاط السلالات وتلاقح الأجناس ، أما الشك فى ذلك أو التقليل من أهميته فلا باعث عليه الا ضيق الثقافة وسعة التعصب ، لأن العالم لم يوجد فيه يوم وجد النوع البشرى الا آدم واحد ما فتئت ذريته تنمو وتكثر وتمشى فى مناكب الأرض بحثاً عن الرزق والتماساً للسعادة مستعينة بالقرابة الوشيعة على تدليل الصعاب ودرء الأخطار مكونة فى البداية تجمعات أساسها القبيلة ومؤسسة فى النهاية دولا قوامها الأمم والشعوب .

## البربر

البربر أول أمة عرفت باسم متميز من سكان المغرب منذ بدأ تدوين التاريخ ، فهم سكان الشمال الافريقي من صحراء ليبيا الى المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط الى حوض السنغال والنيجر ، انحدروا من أصلاب المغاربة القدماء مختلطيين مع مرور الزمان بمن كان ينحاز الى بلادهم وينضاف اليهم من القبائل المهاجرة والشعوب الغازية حتى أصبحوا أمة متميزة بلغة وعادات ومزاج وأسلوب خاص في الحياة .

وصفهم ابن خلدون في فقرة بجامعة من تاريخه فقال : ( ان هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ، ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ، ويظعن أهل العز والغلبة منهم لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفرة الأمس ، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيول فى الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأطعان فى نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة ، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ، ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم فى الغالب حاسرة ، وربما يتعاهدونها بالحلقي ، ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها ، وهى التى اختصوا منها بهذا الاسم (53) .

وقبل الحديث عن نسب هذه الأمة وتفرعها الى شعوب وقبائل لابد من الحديث عن معنى كلمة بربر التى صارت علماً على سكان الشمال الافريقي الأصليين قبل ظهور الاسلام بقرون .

## معنى كلمة بربر

البربرية في اللغة تخليط في الكلام مع غضب ونفور ، يقال بربرت الدلو صوتت في الماء ، وبربر فلان أكثر الكلام في جلبة وصياح ، وبربر التيس أو الأسد علا صوته عند الهياج ، وسمى الأسد بربراً بسبب ذلك .

أورد ابن خلدون في صيغة الشك ان افريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقيا وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار - وباسمه زعموا سميت افريقيا - ورأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر (54) .

ويعتقد العلامة بوسكى ان كلمة بربر مشتقة من كلمة بارباروس Barbarus اللاتينية ، ومعناها الشخص الجاهل المنتمى الى الشعوب العديدة المتخلفة التي لم تخضع لسلطان روما .

ويقال ان الكلمة مشتقة من كلمة فارفاروس Varvaros اليونانية وهي أيضاً تدل على اللفظ واختلاط الأصوات ونطق الألسن ، ومن ثم أطلقها اليونانيون على كل من لا يتكلم لغتهم ، وسموا ايطاليا بارباريا لهذا السبب ، وقد حذا الرومان حذوهم في السنين الأولى من دولتهم وكذلك في العهد الجمهوري المتأخر فأطلقوا اسم بربرى على كل من لم يكن رومانيا ولا ايطاليا ، ولما أخضع اباطرة روما عديداً من الشعوب والقبائل سموا رومانياً كل من خضع لسلطنتهم وبربريا كل من لم يخضع لها ، وسموا البلاد التي لم يشملها نفوذهم أو عصمتهم بعد طاعة بارباريكوم أى بلاد الباربار ، ومنه جاء لفظ بارباريسى الذي كانوا يسمون به القبائل الساكنة خارج حدود ولاياتهم أو الساكنة داخلها برضا اباطرتهم ومعناه البربر اللطفاء ، كما جاءت منه كلمة بارباريسى و باربارجيا

الذى سميت به قبيلة بجزيرة سردينيا قاومت حكمهم وأبت الرضوخ لسلطانهم وما زالت تحمل هذا الاسم الى الآن ، وكان المحيط الهندى يسمى عندهم البحر البربرى وتبعهم العرب فى هذه التسمية على ما يظهر فسموا خليج عدن بالخليج البربرى ، وأطلقوا أيضاً بارباريكوم على فرضة بمصب نهر السند ، وباربادى على مدينة بمصر العليا ، وبربرة على مدينة أخرى بالصومال ، وبارباديس على سواحل المانيا وما على ضفاف نهر الدانوب بل انهم دعوا جميع الشعوب الجرمانية باربار لنفسوتهم من جهة وجهلهم باللغة الرومانية من جهة ثانية ، ووجد فى قوانين كنيسة افريقية قديمة ان الاسم فارفاريكوم يطلق أيضاً على الشعب الذى كان يسكن فى حدود بريطانيا .

ويدعى العلامة « فيفيه » ان هذه الألفاظ كلها مأخوذة من لفظة « واروارا » ومعناها باللغة السنسكريتية : غريب (55) .

وخلاصة القول ان لفظة بربر وباربار تدل فى جميع اللغات الحية اما على الرطانة والجلبة والضوضاء ، واما على الجهل والقسوة والهمجية ، ولم تكن فى العصور البدائية تطلق على جنس معين ، وانما كان الحكام والمؤرخون والرحالون يطلقونها على الأمم التى تخالفهم فى الجنس أو اللغة أو الدين وعلى الجماعات المتخلفة ولو كانت من جنسهم ، وعلى الشعوب المعادية ولو كانت أرقى منهم ، وقد ذكر المؤرخ الرحالة الاغريقى هيردوتس فى أول تاريخه ( أن الغرض من أبحاثه الدقيقة هو أن يحفظ من النسيان وقائع الأجيال الماضية والحاضرة وعظائم الاغريقين والبربر وأعمالهم العجيبة (56) فكلمة البربر تاتى عنده فى مقابل كلمة الاغريقى بدليل انه ابتداء كلامه بعد ذلك التعميم بذكر الفرس والفينيقيين ، وعثر فى هيكل الكرنك - بمصر العليا - على كتابة يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثانى أحد فراعنة مصر العظماء جاء فيها ( ان من أمم الجنوب (57) التى قهرها الفرعون المذكور وأخضعها الى حكمه أمة

(55) دائرة المعارف للبيستاني 5 : 276 و 277 .

(56) تاريخ هيردوتس ص II .

(57) يديد الحبشة والإفطار التى تجاورها .

**البربر** ، فدل كل ذلك على أن كلمة بربر كان لها مدلول عمومي ككلمة عجم التي تدل عند العرب على جميع الشعوب التي لا تتكلم اللغة العربية ، تلك الشعوب التي لكل منها اسم خاص يعرف به ويتميز بين أمم العالم .

أما متى وكيف صارت كلمة بربر علماً على المغاربة الأصليين فالراجح - إذا صرفنا النظر عن رواية ابن خلدون المتقدمة التي ساقها في صيغة الشك والاحتمال - أنها اسم أحد جدودهم ، أو أن اليهود أطلقوها على خصومهم الكنعانيين ، فلما هاجرت القبائل الكنعانية من أرض شنعار مارة في طريقها البحرى والبرى الى المغرب بعدد من شعوب البحر المتوسط حملت معها هذا الاسم الذى صار بعض الأمم القوية المتحضرة كاليونان والرومان يطلقه فيما بعد على جميع سكان المغرب ، ثم جاء العرب بعد قرون فأقروه لأنهم لم يجدوا اسماً جامعاً لأمة الشمال الأفريقى غيره .

أما البربر الذين يعنيههم الأمر قبل غيرهم فانهم لم يعرفوا هذا الاسم فى القديم كما انهم لا يعرفونه فى الحديث ، فقد كان آباؤهم الأقدمون يدعون باللويين والأفارقة والجيتول المشتقة من أسماء الجهات التي كانوا يقيمون بها ، ثم صار لكل قبيلة منهم اسمها الخاص الذى تتميز به ، وربما أطلق اسم **الشلوح** - واحده شلح - على مجموعة قبلية منهم أو عليهم جميعاً وفى المصدر الأول للإسلام لما حضر رسلهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر واستنسبوا قالوا انهم من اولاد **هازيغ** الذين كانوا أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب ( البحر الأحمر ) والبحر المحيط ، وهذا الاسم الذى معناه الحر الأبى هو الذى يفضلون أن يدعوا به وان لم يكن معروفاً عند جميع قبائلهم - على اسم البربر الذى أطلقه اليهود على احدى الجاليات التي هاجرت اليهم فى عصر قديم .





## أصول البربر

سلك العلماء والمؤرخون طريقتين لتحديد سلالات البربر ومعرفة انسابهم ، أحدهما يعتمد النصوص الواردة عن تلك الأنساب سواء كانت مستخلصة من أقوال النسابين البربر أنفسهم أو مستخلصة من أقوال غيرهم ، ويمكن تسمية هذا الطريق بطريق الرواية لأنه يعتمد عليها وحدها ولا يلتفت الى غيرها . أما الطريق الثاني فيمكن تسميته بطريق الدراية ، لأنه يعتمد على القواعد العلمية المقررة في الانتروبولوجيا لمعرفة الأجناس والسلالات وتحديد أصول الجماعات البشرية ، فهو يهتم بالألوان والسحن والذوات واللغات والعادات والطبائع والأمزجة والعوامل الجغرافية والتأثيرات المناخية أكثر مما يهتم بالنصوص الدينية والروايات التاريخية التي يستأنس بها فقط .

وسنسلك نحن الطريقتين معاً ونستعرض جميع الأقوال والنظريات والآراء التي يوجد من الحجج ما يثبتها حيناً وينفيها حيناً آخر لنستنتج في النهاية على ضوء كل ذلك رأينا الخاص في السلالات والانساب البربرية .

### طريق الرواية :

بحث المؤرخون والנסابون طويلاً في أرومات البربر وتحدثوا كثيراً عن انسابهم ، ولكنهم لم يتفقوا على رأى واحد ولم يصلوا الى نتيجة مقنعة ، فقد ذهبوا في أصل البربر كل مذهب ولم يتركوا سلالة من السلالات الحامية والمسامية والياقشية (58) الا جعلوهم متنسلين منها، ولا يمكن لأى باحث أن يطمئن الى رأى أو يثق بقول ، اذ جميع الروايات والنقول يكتنفها الغلق والاضطراب ، وتقبل النقض والاعتراض ، سواء كانت منسوبة الى علماء مبرزين ذوى شهرة واسعة كابن عبد البر وابن حزم وابن خلدون ، أو معزوة الى علماء آخرين يقلون عنهم سعة علم وذويع صيت .

---

(58) نحن هنا في طريق الرواية نعطي للنسبة الى سام وحام ويافت دلالة سلبية سبباً مع المذهب القديم وقد تقدم لنا في ص 248 أن علماء الانتروبولوجيا الحديثة لا يوافقون على ذلك بل منهم فقط من يعطى لتلك النسب دلالات لغوية فقط .

فمنهم طائفة مالت الى النسبة الحامية ودافعت عنها بحماس وعدتها  
اصدق واصح ما ورد في نسب البربر من اقوال ، ولكنها اختلفت فيمن هو جد  
البربر من أبناء حام ، فالصولي يذكر انهم من ولد بربر بن كسلوجيم بن  
مصرائيم بن حام ، وأبو عمر بن عبد البر يرجع انهم من ولد قبط بن حام ،  
والأكثر على انهم ولد مازيغ بن كنعان بن حام ، وعن هذه النسبة الأخيرة  
يجدر التذكير بالشبهات الحادثة حول بنوة كنعان لحام ، فقد كاد يكون من  
المحقق أن اليهود اقصوا عمداً الكنعانيين عن النسب السامي الذي ينتمون  
اليه والحقوهم بالنسب الحامي تحقيراً لهم لعداوة كانت بينهم مع علمهم انهم  
أبناء عمهم وأقرب الناس اليهم وحرفوا جدول الانساب الوارد في التوسرة  
لأجل ذلك .

وبخصوص هجرة الحاميين الى المغرب يروى عن الصولى وأبى عبيد  
البكرى ان خصومات وقعت بينهم وبين الساميين انجلوا اثرها اليه ونسلوا به ،  
ويروى عن البكرى وحده ان الذى هاجر اليه هو حام نفسه ، فرحبا لما اسود  
بدعاء أبيه عليه واتبعه بنوه وهلك عن أربعمئة سنة ، وكان من ولده بربر بن  
كسلوجيم فنسل بنوه به ، ويعطى ابن عبد البر تفصيلات أدق عن الهجرة  
الحامية ، فعنده ان أول من هاجر من الحاميين هم أبناء قبط بن حام ، فبعدها  
استقر أبوهم بمصر خرجوا منها متجهين غرباً فسكنوا عند آخر عملتها من  
برقة الى البحر الأخضر ( الأطلسي ) مع بحر الأندلس ( المتوسط ) الى منقطع  
الرميل متصلين بالسودان ، فمنهم لواتة أهلين بارض طرابلس ، ونزل قوم  
بقربها وهم نفزة ، ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها الى تاهرت  
وطنجة الى سجلماسة والسوس الأقصى ، وهم طوائف صنهاجة و دكالة من  
وركلاوة و فطواكة من هسكورة و مزطارة ( مستارة ) .

وعنهم طائفة أخرى ذهبت الى ان البربر يرجعون الى أصل سامي ولكنها  
لم تتفق على الفرع السامي الذي ينسبون اليه ، فعند ابن خلدون نقلا عن الطبرى  
ان أحد أجيالهم من ولد يقشان بن ابراهيم ، وعند غيره أنهم من العرب العاربة  
أو المستعربة ، ومن القبائل العربية التي ذكرت كأصل من أصولهم : حمير ،  
وغسان ، ولخم ، وجذام ، ومضر ، وقريش ، وادعى آخرون أنهم أوزاع من  
اليمن ، أو من ولد جالوت .

وتتشبه كيفية انتقال الساميين الى المغرب عند هذه الطائفة كيفية انتقال الحاميين عند الطائفة الأولى ، فالمسعودي روى أنهم تفرقوا عند سيل العرم ، وذكر غيره أن أبرهة ذا المنار غزا بهم المغرب وخلفهم به عند رجوعه ، وروى أيضاً أن منازلهم كانت بفلسطين حتى أخرجهم منها بعض ملوك فارس ، وذكر بعض أهل الآثار أن ساماً خرج الى المغرب بعد خلاف حدث بين بنييه وبين بني أخيه حام ، فقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه حتى بلغ السوس الأقصى وخرج بنوه في أثره يطلبونه ، فكانت كل جماعة منهم كلما بلغت موضعاً وانقطع عنها خبره أقامت به وتناسلت مختلطة بمن وصل اليها من الطوائف الأخرى فيما بعد .

ويعطى ابن عبد البر تفصيلات أدق مما رآه في كتاب الأسفنداد الحكيم ، فقد روى أن البربر من ولد النعمان بن حمير بن سبا الذي كان ملك زمانه في الفترة ، وقد خطر لهذا الملك ذات يوم أن يعمر المغرب فجمع بنييه وأعرب لهم عن نيته في توجيههم اليه ، فراجعوه ولكنهم لبوا رغبته في النهاية لما رأوا من عزمه ، فبعث منهم لست أبا لمتوتة ، ومسوف أبا مسوفة ، ومزطار أبا مزطارة ( مستارة ) وسكور أبا هسكورة ، وأصناك أبا صنهاجة ، وللط أبا لمطة ، وأيلان أبا هيلانة ، فنزل بعضهم بجبل درن ، وبعضهم بدرعة ، وبعضهم بالسوس ، ونزل لبط عند جزول وتزوج بابنته ، ونزل أجانا وهو أبو زفانة بوادي شلف ، ونزل بنو ورتجين ومقراوة أبناء ورتجين ومغراو بأطراف افريقية من جهة المغرب ، ونزل مصمود أبو مصمودة بمقربة من طنجة .

ورجحت طائفة ثالثة من العلماء أن يكون البربر منحدرين من سلالة باثنية آرية ، ومن هذه الطائفة العلامة دوبرا Duprat الذي ذكر أن البربر من جنس آري هاجر من نواحي الكنج بالهند .

وترى طائفة رابعة من المؤرخين والنسائيين أن البربر اخلاط من شعوب وقبائل كثيرة ، فعن مالك بن المرحل أنهم قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم ، وعن هانيء بن بكور الضريسي ، وسابق بن سليمان

المطماطي ، وكهلان بن أبي لؤي ، وأيوب بن أبي يزيد وغيرهم من نسابي البربر  
انهم فرقتان : البربر البتر ساميون من ذرية بر بن قيس عيلان المضري ،  
والبربر البرانس حاميون من ولد مازيع بن كنعان بن حام ، وقال الطبري :  
انهم أخلاط من كنعان والعماليق .

أما سبب هجرة هذه الجماعات الخليفة الى المغرب فالاكثر على أن  
افريقش استجاشهم من سواحل الشام ومشارف جزيرة العرب لغزو افريقية  
وينشدون من شعره في ذلك :

بربرت كنعان لما سقتها  
من بلاد الضنك للخصب العجيب  
أي أرض سكنوها ولقد فازت البربر بالعيش الخصيب

ولما قفل افريقش من غزوه ترك بالمغرب حوامي من الجيش الذي  
جاء معه وهم أصل قبيلتي **صنهاجة** و **كتامة** .

وذكر ابن الكلبي ان الناس اختلفوا فيمن أخرج البربر من الشام  
فقيل داود بالوحى ، قيل يا داود أخرج البربر من الشام فانهم جذام الأرض ا  
وقيل يوشع بن نون ، وقيل افريقش ، وقيل بعض ملوك التبابعة ، وعند  
البكري ان بني اسرائيل أخرجوهم بعد قتل جالوت ، وللمسعودي والبكري  
انهم فروا بعد موت جالوت الى المغرب وأرادوا مصر فأجلتهم القبط فسكنوا  
برقة وافريقية والمغرب على حرب مع الافرنج والأفارقة وأجازوهم على صقلية  
وسردانية وميورقة والأندلس ، ثم اصطلحوا على أن المدن للفرنجة وسكنوا  
القفار عصوراً في الخيام وانتجاع الأمصار من الاسكندرية الى البحر والى طنجة  
والسوس حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهود ومن تنصر وآخرون مجوساً  
يعبدون الشمس والقمر والأصنام ، ولهم ملوك ورؤساء .

هذه خلاصة ما ورد عن طريق الرواية من أقوال بشأن نسب البربر  
وهي أقوال متضاربة يناقض بعضها بعضاً وتعوزها الحجج القطعية والأدلة  
القوية ويظهر عليها حيناً الطابع الأسطوري الواضح وتشتم منها حيناً الرائحة  
العنصرية المقيتة ، وقد استعرضها المؤرخ الكبير عبد الرحمان بن خلدون في  
تاريخه وانتقدما قولاً قولاً وصرح أنها كافة مذاهب مرجوحة وبعيدة عن  
الصواب .

فأما نسبة البربر الى ابراهيم فقال عنه انه بعيد ، وحجته على ذلك ان داود الذى قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحاق بن ابراهيم أخى يقشمان الا عشرة آباء يبعد أن يتشعب النسل فيهم مثل هذا الشعب .

وأما نسبتهم الى جالوت أو العماليق والقول بانهم نقلوا من ديار الشام أو انتقلوا فانه يعد كل ذلك ساقطاً يكاد يكون من أحاديث خرافة ، وهو يستدل على ذلك بأن مثل هذه الأمة المشتعلة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور ، والبربر معروفون فى بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام متسائلين ما الذى يوجبنا الى التعلق بهذه الثرعات فى شأن أوليتهم ويحتاج الى مثله فى كل جيل وأمة من العجم والعرب . وموضحاً أن افريقش الذى يزعمون انه نقلهم قد ذكروا انه وجدهم بالمغرب وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال ما أكثر بربرتكم ، فكيف يكون هو الذى نقلهم وليس بينه وبين أبرهة ذى المنار من يتشعبون فيه الى مثل ذلك ان قالوا انه الذى نقلهم .

وأما القول بانهم من ولد النعمان من حمير ، أو من ولد قيس عيلان من مضر فعده أيضاً قولاً منكراً ناقلاً عن امام النسابين ابن حزم قوله فى كتاب **الجمهرة** : ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابناً اسمه بر أصلاً ، وما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مؤرخى اليمن (59) .

ثم التفت الى قول ابن قتيبة انهم من ولد جالوت بن قيس عيلان فعدها من غفلاته وأوهامه ، لأن معد والد جالوت بزعمه كان معاصراً لبختنصر ، وان النبى أرميا خلص به الى الشام حذراً عليه من بختنصر حين سلب على العرب ، وبختنصر هو الذى خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان آياه بأربعمئة وخمسين سنة ونحوها ، فيكون معد بعد داود بمثل هذا الأمد ، فكيف يكون ابنه قيس أباً لجالوت المعاصر لداود ؟

وبعد استعراضه لتلك الأقوال وانتقادها واحداً واحداً أصدر حكمه بشأن النسب البربرى قائلاً : والحق الذى لا ينبغى التعويل على غيره فى شأنهم

انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح ، وان اسم أبيهم مازيخ ، واخوتهم اركيش وفلسطين اخوانهم بنو كسلوجيم بن مصرايم بن حام ، وملكهم جالوت سمى معروفة له ، وكانت بين فلسطين هاؤلاء وبين بنى اسرائيل بالشام حروب مذكورة ، وكان بنو كنعان واركيش شيعاً لفلسطين ، فلا يقعن فى وهمك غير هذا فهو الصحيح الذى لا يعدل عنه !

ولكنه يستدرك اثر ذلك فيذكر انه لا خلاف بين نسابة العرب الا فى **صنهاجة وكتامة** اللتين ترجع الاكثرية انهم من بقايا القبائل اليمينية التى أنزلها افريقش بافريقية لما غزاها بهم ، وأن نسابة البربر يزعمون فى بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل **لواتة و غمارة و زواوة و مكلاثة** التى يزعمون أنهم من حمير ، و **هواة** التى يزعمون أنها من كندة من السكاسك ، و **زنانسة** التى يزعمون أنهم من العمالقة فروا أمام بنى اسرائيل أو من بقايا التباينة .

وعند ابن خلدون ان هذه كلها مزاعم ، ( فالحق الذى شهد به المواطن والعجمة انهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب فى صنهاجة وكتامة ، وعندى انهم من اخوانهم (60) .

### طريق الدراية :

أما طريق الدراية فان أصحابه لا يعتمدون النقول والروايات الضعيفة المتناقضة ، ولكنهم يستأنسون بالصحيح منها ، ولهم مقاييس ومعايير مدققة خاصة لمعرفة الأرومات والسلالات البشرية .

وقد أجمعوا على أن سكان البلاد المغربية ينتمون الى المجموعة القوقازية التى تسمى حيناً بالسلالة البيضاء ، وحيناً بالسلالة الأوربية ، وكلتا التسميتين بعيدة عن الصواب ، لأن اللون من جهة ليس أهم مميزات هذه المجموعة ، كما ان مواطنها من جهة أخرى ليست قاصرة على القارة الأوربية ، بل هى شاملة لشمال افريقيا وجنوب غربى آسيا ، ومنطقة الشرق الأوسط حتى حوض نهر السند ، كما تشمل حوض بحر قزوين وبحر آرال .

وفى جزء من هذه المنطقة الواسعة يمتد جنوباً من حوض النيل ،  
وبنتهى شمالاً ببلاد الاغريق ، شاملاً جزيرة العرب والهلال الخصيب ، وأرض  
سوريا وفنيقيا وفلسطين نشأت الحضارات والثقافات الكبرى ، فشعوب هذه  
المنطقة تتفق كلها فى أصول ثقافتها وحضاراتها المرتكزة على الديانات  
التوحيدية والفلسفة الاغريقية التى هى قيمها الروحية ، وعلى المدنيات التى  
نشأت فيها ثم انتقلت منها الى شواطئ البحر المتوسط والمحيط الاطلسى مما  
يسمى الآن بالمدينة الغربية .

وتتميز المجموعة القوقازية بمميزات عديدة تفرد بها عن المجموعة  
البشرية الكبرى كسلالة أصلية ، وليس اللون أهم هذه المميزات كما سبق  
القول ، لأن جزءاً كبيراً من سلالتها الفرعية بافريقيا الشمالية وآسيا الجنوبية  
الغربية لوحث الشمس المحرقة بشرته حتى صار أسمر أو أسود ، ولكن  
الميزة الكبرى هى شكل الشعر الذى يتموج تموجاً مختلف الدرجات من شعر  
سبط فى شمال أوروبا الى شعر جعد فى شمال افريقيا مع غزارته على الجسم  
واللحية ، واعتدال الفك وعدم بروزه ، وشكل الأنف الأقبى أو المرتفع ، بل  
ان بروز الأنف هو الصفة الثانية المهيمنة التى تميز هذه المجموعة مع الصفة  
الأولى التى هى شكل الشعر .

وتشتمل المجموعة القوقازية على عشر سلالات ، تعيش واحدة منها  
فى جزيرة سخالين بأقصى شرق آسيا وهى سلالة الاينو ، وتعيش السلالات  
الأخرى فى المنطقة التى سبق تحديدها ، ففى أوروبا توجد خمس سلالات ،  
هى : السلالة النوردية أو التيوتونية ، والسلالة الشرقية ، والسلالة الدينارية  
أو الأدرياتيكية ، والسلالة الألبية ، والسلالة المتوسطية ، وفى جنوب غرب آسيا  
توجد السلالات الأربع الباقية ، وهى السلالة الجنوبية الغربية (61) والسلالة  
الهندفغانية (62) والسلالة الأناضولية ، والسلالة الطورانية .

وهذه السلالات كافة لها مميزات يعرف بها كل واحدة منها وإن كان  
مردها جميعها الى أصل واحد ، وللعلماء كما تقدم - معايير ومقاييس دقيقة

---

(61) تدعى أيضاً حسب الاصطلاح القديم : السلالة السامية أو السلالة العربية .

(62) تركيب مزيجى مشتق من كلمتى هند وافغان .

يعرضون عليها السلالة فيعرفون أصلها والفروق التى تختلف بها عن غيرها من سلالات مجموعتها .

وقد عرضوا البربر الاقحاح من سكان الشمال الافريقى الذين بقوا فى عزلة ولم يختلطوا بالعرب الطارئين عليهم اثر ظهور الاسلام فوجدوا من يرد منهم الى السلالة المتوسطية المستوطنة بحوض البحر المتوسط ، ومن يرد الى السلالة الجنوبية الغربية المستقرة بجزيرة العرب وسوريا الداخلية والهلال الخصيب ، وكلتاهما من المجموعة القوقازية .

وقد كان للموقع الجغرافى اثر كبير فى اختلاط السلالات بالشمال الافريقى ، فهذا الجزء من افريقيا يشمل ثلاث مداخل الى القارة من الجنوب الشرقى ، والشمال الشرقى والشمال الغربى ، وهى على الترتيب : باب المندب ، وبرزخ السويس ، ومضيق جبل طارق ، يضاف الى ذلك تقارب شواطئ البحر المتوسط واشتماله على جزر عديدة مما يجعل الاتصال بين سكان ضفافه أمراً هيناً . فالمدخل الأول ( باب المندب ) لعب دوراً كبيراً فى تعمير القارة الافريقية منذ العصور القديمة السائقة للتاريخ ، فمنه دخلت قبائل البوشمان والهوتنتوت والأقزام ، ومنه دخلت السلالة الزنجية منذ الحجر القديم ، ثم دخلت منه احدى السلالات القوقازية آتية من اليمن واتجهت نحو شرق افريقيا ونحو شمالها موصوفة بالنسبة الحامية بسبب اللهجات المنتمية الى الأسرة الحامية التى كانت تتكلمها جماعاتها ، ثم تدفقت عن طريق باب المندب جماعات أخرى من العرب والساميين أتت من اليمن أيضاً ، وكان من شأن الهجرات الجديدة أن تدفع أمامها الهجرات القديمة دفعا ثم تستعبد من آثر منها البقاء ، وأخيراً كانت تلين قناة الفاتحين ويضعف كبرياؤهم ويقل استعلاؤهم فيبدأون التزوج من المحكومين .

اما برزخ السويس فقد عرف هجرات قديمة يرجع أقدمها الى الألف الثانية قبل الميلاد ، فهو المنفذ الآسيوى الوحيد المباشر نحو مصر وشمال افريقيا ، فمنه دخل المصريون واليهود والعرب بموجاتهم العديدة وسائر الشعوب السامية .



وأما مضيق جبل طارق فكان هو أيضاً طريقاً للهجرات من شمال إفريقيا إلى أوروبا في العصر الحجري القديم والحديث ، ثم أصبح طريقاً للهجرات منها إليه أثناء عصر الحديد ، ثم صار بعد ذلك ممراً للغزاة من إحدى الجهتين للأخرى فأدى ذلك إلى ارتباط تاريخ شبه جزيرة أيبيريا بتاريخ المغرب ارتباطاً وثيقاً واختلاط سكان العدوتين اختلاطاً قوياً .

وهكذا نرى أن بلاد المغرب أو شمال إفريقيا على العموم بقيت خلال تاريخ الإنسانية الطويل يستقبل هجرات من الشرق وأخرى من الغرب ، كما بقي ممراً للمهاجرين من جهة إلى أخرى الشيء الذي كانت له أبعد الآثار في تكوينه السلالي .

فالسلالة المتوسطية التي ينتمي إليها طرف من البربر سكان المغرب الأولين هي إحدى السلالات الأصلية في أوروبا بل هي أقدمها انتشاراً ، وتدخل في تكوين معظم الأوربيين كما تنتشر في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا ، ولذلك اختلطت بغيرها من السلالات وتطورت عدة تطورات محلية في مواطن انتشارها المختلفة ، فظهرت منها عدة أنواع محلية بقيت - رغم تنوعها - تشترك في صفتين أساسيتين : طول الرأس ، وسمرة الجلد وسواد العيون ، ومن أشهر أنواعها **النوع الصحراوي** الذي اختلط بالسلالات ( السامية ) و ( الحامية ) الآتية من جزيرة العرب ، كما اختلط بالسلالة الزنجية عبر الصحراء الكبرى ، ويمتاز هذا النوع الصحراوي بكل صفات السلالة المتوسطية كالفقامة المتوسطة النحيفة والرأس الطويل والجلد الأسمر ، إلا أن الشعر يقوى تجعده كلما امتدت الأرض جنوباً نحو بلاد السودان .

أما السلالة الجنوبية الشرقية الساكنة بآسيا والداخلية في تكوين سكان المغرب الأولين فهي التي كانت تدعى حسب الاصطلاح القديم بالسلالة السامية أو السلالة العربية ويدخل فيها كنوع ( سامي ) جميع القبائل التي كانت تنحدرت بلغات حامية في زمن بعيد كقبط مصر وبربر المغرب ، ومواطنها الأصلية هي صحراء جزيرة العرب ووسط العرب وبادية الشام وسوريا الداخلية ، وهي صاحبة الحضارات القديمة التي يطلق عليها الأركيولوجيون

اسم الحضارة الآسيانية Asianic ، وقد دخلت الى شرق افريقيا وانتشرت في شمالها عن طريق جنوب اليمن والقرن الافريقي ، وتحفظ بكثير من مميزات السلالة المتوسطية مما لا يبرر افرادها كسلالة فرعية خاصة ، وأهم مميزاتها كسلالة ان القامة تتراوح بين 165 - 167 سم وان القوام نحيف والرأس طويل بشكل واضح مرتفع ، والوجه مستطيل بيضاوي ، والأنف أقنى أشم ، والمنخار دقيق ، ويظهر الأنف احيانا معقوفاً كأنف الاغريق ، والشفاة دقيقة والشعر مموج مع سمرة البشرة وسواد العيون .

على ان هناك من الأوصاف ما يختص ببعض الفرق البربرية ويجعلها متميزة داخل نوعها وسلالتها ، فهناك صنف طويل القامة ، مستطيل الرأس والوجه ، حواجه ناتئة ، وأنفه طويل رقيق ، وشعر لحيته خفيف ، وكتفه عريض ، وخصره ضيق ، وبنيته ضعيفة .

وهناك صنف قصير القامة طويل الرأس مع عظام ناتئة فيه ، عريض الوجه ناتئ الوجهتين ، عريض الأنف واسع الفم ، غليظ الشفتين ناتئ الذقن ، كثير شعر اللحية ، عريض الصدر والرفع .

وهناك صنف ربعة الى القصر ، مستدير الرأس عريض الوجه ، مستدير الجبهة ، غليظ الحاجبين قصير الأنف واسع الفم ، مستدير الذقن ، واسع الصدر .

والصنفان الأران يوجدان في المغرب من قديم الأزمنة ، وثلاثها موجودة فيه ، والثالث منها مشهور بجزيرة جربة وناحية مزاب واقليم سوس .

ومما هو مشاهد الى اليوم وكان معروفاً في الزمن القديم وجود قبائل سوداء بجنوب المغرب لها كل مميزات السلالة الزنجية وخصائصها ، وقبائل شقراء في شمالها أيضاً جميع مميزات السلالة النوردية وخصائصها ، أما تعليل وجود الأولى فواضح جداً ، هو هجرتها من وسط افريقيا الى شمالها مثلما هاجرت قبائل بربرية من شمالها الى وسطها ولا تزال بقاياها تعيش الى اليوم في السنغال ومالي والنيجر والتشاد ، واما وجود الثانية فتعليله غير

واضح ، فقد تكون تلك القبائل الشقراء بقية الانسان الأبيض الأول الذى كانت هذه البلاد مهددة وانتقل منه الى أوروبا ، وقد تكون بقية القبائل والشعوب التى غزت المغرب من الشمال فى عصور متقدمة على التاريخ ، ويبدو على أى حال ربطها بالسلالة النوردية - التيوتونية من الأمور المسيرة ، لأن تاريخ دخول الشماليين الى بلاد المغرب غير معروف يفينا ، فهو يتمثل فى أحد نقوش الدولة الحديثة فى مصر لأحد الليبيين ، اذ تظهر البشرة صفراء والعينان خضراوين ، ويظهر ان شقرة التتمحو أو التحنو ( اللوبيين القدماء ) ترجع الى هجرة من جزر أرخبيل ايجيه ، فى عصر اضطراب شعوب البحر ، فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ولا ترجع صفات الشقرة كلها الى الواندال الذين هاجروا الى شبه جزيرة ايبيريا ثم اندفعوا منها الى الشمال الافريقى فى القرن الخامس الميلادى ، فقد كان عددهم ضئيلا ومدة عبورهم قصيرة بحيث لا يمكنهم أن يؤثروا مثل هذا التأثير السلالى فى سكانه ، يضاف الى ذلك ان البربر الشقر يوجدون فى جهات كثيرة من المغرب الأقصى وهو بلد لا يقوم أى دليل معتبر على ان الواندال حكموه أو اجتازوا به اثناء انسياحهم الى الشمال الافريقى .

ومن البديهي ان من القبائل البربرية قبائل تميل الى الشقرة من غير ان تكون شقراء ، أو الى السمرة دون أن تكون سمراء ، أو الى السواد وهى غير سوداء ، وسبب ذلك قوة تأثير جماعة فى جماعة أو ضعفه ، وهو أمر يحدث كثيراً بين أنواع السلالة الواحدة .

وبحث الأثروبولوجيون عن سلالة البربر من طرق أخرى غير طريق الشكل الجسمانى ، وأفضت بهم تلك الطرق الى تبين الصلات المتينة التى تجمع بين الشعب البربرى والشعوب التى سكنت اليمن أو مرت به فى طريق هجرتها الى القارة الافريقية ، مما يدعم بقوة دعاوى بعض علماء النسب المسلمين ان البربر كلا أو بعضاً يرجعون الى أصول يمنية .

فاللهجات التى يتكلمها البربر تنتمى الى الأسرة الحامية ، ومن الثابت ان اللغة أو اللهجات الحامية ترتبط بحكم جذورها الاولى باللغات السامية

نفسها ، وتظهر هذه العلاقة بأجلا مظاهرها في اللغة المصرية القديمة ، فهي لغة حامية متأثرة باللغة السامية ، وربما كانت تمثل إحدى مراحل الأسرة الواحدة - الحامية والسامية - قبل أن يحدث التخصص نحو السامية في جنوب غرب آسيا ، ونحو الحامية في شرق إفريقيا وشمالها ، ويدل على هذا أيضاً ان اليمن كان موطناً للحامية كما كان موطناً للسامية ، وان شرق إفريقيا موطن شعوب تتحدث الحامية ، وانتقلت اليه في نفس الوقت لغة سامية جنوبية قديمة ، هي لغة الجعز ولغة التيكري ، واللغة الامهرية التي يتكلمها طرف مهم من سكان الحبشة . وقد قامت أدلة قوية على قوة التشابه بين اللهجات البربرية واللغات السامية من أعظمها وجود جميع الحروف الأبجدية في اللغتين معا ، سيما حروف الحلق التي لا توجد مجتمعة في غير السامية ، ويشند التشابه على الخصوص بين الشلحة وبين لغة مهرة في غرب سلطنة مسقط ، وبينها وبين لهجة النوبيسي ( الأقباط ) في جنوب مصر ، واللغة الامهرية في الحبشة ، أقر بذلك التشابه المؤرخ الفرنسي الكبير كوتبي Gautier حين لمس تقارباً عجيباً بين لهجة لواتة ولهجة الأقباط .

ويوجد مثل هذا أيضاً في الموسيقى ، فالرنات والألحان في موسيقى وأغاني الجنوب العربي تشبه الرنات والألحان في موسيقى وأغاني القبائل البربرية بالجنوب المغربي ، وكذلك طريقة الأداء والأنشاد ، وقد درس ذلك دراسة مستفيضة العالم الألماني كارل ولهم لخمان ( 1793 - 1851 م ) والموسيقى النمساوي فون هورن جوستل ( 1877 - 1935 م ) وتفطن له الرحالة الألماني هانز هولفريتز وأشار اليه بإسهاب في كتابه ( اليمن من الباب الخلفي ) كما لاحظ أن الأبنية المرتفعة التي تقوم في اليمن يوجد لها نظير في قلب الحضارة البربرية في أعالي جبال الأطلس وتحمل نفس المظاهر المعمارية كالنتوءات والأنابيب الخشبية لصرف مياه الأمطار والكوات والنقوب ، ورأى في كل ذلك دليلاً على وجود علاقة بين قبائل البربر وسكان الجنوب العربي (63) .

هذا من جهة اللغة والموسيقى ، اما من جهة العادات والتقاليد فان منها ما يشبه تقاليد سكان حوض البحر المتوسط وعاداتهم ولاسيما سكان اسبانيا وجزر بحر ايجه ومنها ما يشبه عادات أهل العربية السعيدة وتقاليدهم ، على أن التشابه بين عادات المتوسطيين وتقاليدهم غير مستغرب ولا يلفت النظر بسبب قرب الشواطئ ، بعضها من بعض وكثرة الهجرات والتنقلات من جهة منها الى أخرى ، ولكن الذى أثار اهتمام الباحثين ونظروا اليه باستغراب هو وجود عادات لها ما يقابلها عند سكان اليمن ومهرة حضرموت ، من ذلك حلاقة الرأس بـ ( الكطاية ) و ( العرف ) فهي واحدة فى البلدين ، وقد لاحظ الألمانى هانز هولفريتز ان بنى جروى القاطنين فى منطقة حريب باليمن يخلقون رءوسهم باستثناء بقعة فى وسط الرأس ( كطاية ) وضفيرتين تمتد احدهما الى الأمام والأخرى الى الخلف ( العرف والقرن ) ، ومنها الاعتماد بالعمامة الدكناء المفتولة ، ولبس الثياب القصيرة ، وتقلد الخنجر القصير المعقوف ، والعناية بالسروج وسائر الأدوات اللازمة لركوب الخيل والقتال عليها ، وسكنى النوالات والأخصاص أو بناء دور حجرية ذات طوابع متعددة ونوافذ بيضاء ، وكثرة الأباذير فى الطعام واحتراف التجارة ، وحب التنقل والسفر واكتساب المال ، والايمان بالغيب والخوف من السحر والجن ، والمظاهر الاجتماعية الخارجية كالعاب الغروسية وحفلات الزواج والموت والحرق والحصاد (64) .

وهكذا نستخلص من طريق الدراية - وهى طريق تقوم على قواعد علمية لامراء فى صحتها - ان البربر ينتمون الى السلالتين المتوسطية ، والجنوبية الغربية من المجموعة القوقازية الكبرى ، وان البلاد المغربية تعرضت خلال ماضيها المتقدم على تدوين التاريخ لعدة هجرات من الشرق والغرب ، كما عرفت اتصالات جنسية عبر الصحراء مع زنوج افريقيا ، الشيء الذى لا ترى آثاره فى سجن أهلها فقط ، ولكنه يرى أيضاً فى عاداتهم وتقاليدهم التى يقوى التشابه بينها وبين عادات أهل اسبانيا وأرخيل ايجه ، وجنوب شبه الجزيرة العربية .

ونعود بعد هذا الى علامتنا ابن خلدون الذى هو أكبر من تحدث من المؤرخين والنسائين عن أصول البربر وعروقهم ، فنلاحظ عليه انه لم يتقيد مطلقاً فى تاريخه بالقواعد العلمية العجيبة التى أوردها فى مقدمته وكانت سبب شهرته وذيوخ صيته ، فقد سلك طريق الرواية مقتصراً فى عروضه التاريخية على النقول والسماعات دون نقدها وتمحيصها وعرضها على المعايير الصحيحة ، واننا لنجده فى مواضع من تاريخه الطويل يدرج روايات ونقولا ثم يدرج ما يناقضها فى مواضع أخرى ، ولا شك أن الكتب التى اعتمدها فى تدوين تاريخه كانت من الكثرة بحيث لم يستطع استيعاب جميع ما فيها من الروايات والنصوص والمقارنة بين المتناقض منها ، فكان اذا أراد تحرير فصل من كتابه اعتمد على مجموعة منها حتى اذا أراد تحرير فصل آخر اعتمد على مجموعة أخرى قد يكون ما فيها مناقضاً لما اعتمده فى الاول ، وقع له هذا على الخصوص لدى كلامه على البربر ، فقد أتى وهو يتحمس فى الدفاع عن نسبهم العامى بأشياء تخالف تمام المخالفة ما تقدم له ذكره فى أنساب الخليفة ، كما ناقض نفسه بنفسه فى النسبة العامية ذاتها ، فبينما نجده يراها الحق الذى لا يعول على غيره (65) نجده فى مواضع أخرى يثبت النسبة الحميرية للبربر قاطبة أو لبعض قبائلهم وكأنها لديه من الأمور المسلمة التى لا تقبل المناقشة لاجماع المؤرخين عليها (66) وبينما نراه ينكر نسبة البربر الى جالوت والعماليق وحمير ، ويرفض دعوى هجرتهم الى المغرب من الشام ( لأن مثل هذه الأمة المشتتة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور ) ولأن ( البربر معروفون فى بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام ) - نراه يسلم بهجرة الكنعانيين جدود البربر من مواطنهم الأصلية بفنيقيسا وفلسطين بعد ما قتل ملكهم جالوت على يد داود ملك بنى اسرائيل .

وعلى أى حال فإن ابن خلدون على أهمية كتابه واعتباره أعظم مؤرخ داخل القبائل البربرية وعاشر ملوكها وأمراءها ورؤساءها وكتب عنها لا يمكن

(65) تاريخ ابن خلدون 6 : 191 .

(66) تاريخ ابن خلدون 6 : 231 .

أن يكون كلامه حجة في الجزم بأصول البربر لأنه كلام متناقض أولاً ، ولأنه اعتمد ثانياً الروايات والنقول التي لا تقوم مقام المقاييس العلمية الدقيقة .

والذي نراه نحن في موضوع أصول البربر وأنسابهم هو ما يراه العلماء المعاصرون المجردون عن كل هوى استعماري وتعصب سلالي من أنهم شعب متميز بلغة وأخلاق ومزاج داخل المجموعة القوقازية ، له من الخصائص السلالية ما لشعوب البحر الأبيض المتوسط وجنوب غرب آسيا ، وقرابة غير وشيجة مع سودان افريقيا بحكم الجوار ، وذلك يدل على شدة تفاعله مع الشعوب المحيطة به خلال تاريخه الطويل ، كما يصدق دعوى طائفة من المؤرخين في نسبة بعض القبائل البربرية الى أصول عربية تلك الدعوى التي لا يمكن أن تكون صادرة فقط عن الشعور بذل الغلبة والرغبة في عدم أداء الضرائب كما ذكر ابن خلدون ، لأن البربر لهم من عزة النفس والافتخار بالنسب كالعرب ما يدفعهم الى محو المذلة وغسل العار بحد السيف لا بالتنكر للقومية وانتحال الأنساب الأجنبية .



## المجتمع البربري

يقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة ، فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت رحالة تعيش على الريادة (67) والغزو ، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأنعام .

وتتكون القبيلة من عشائر وأسر لأفرادها وأعضائها من الولاء لها والتعلق بها أكثر مما لهم نحو القبيلة نفسها ، فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع وتضعف كلما اتسع ، فهم يشبهون في ذلك العرب الذين كان شعار الواحد منهم : انا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب .

ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله سلطان مطلق عليها ، وهو أعلا مقاماً وأشد احتراماً من الأم والزوجة ، وتعتبر الأنثى على العموم في أكثرية القبائل البربرية شيئاً تافهاً ، ولذلك أجبرت على القيام بكثير من الخدمات الشاقة وعدت من جملة التركة إذا هلك هالك ، وصار تعدد الزوجات واتخاذ الخليلات والصديقات أمراً مألوفاً ، على أن العاطفة لم تبخل على المرأة البربرية بالتقدير والتكريم اما بدافع البرور بالأمومة واما بدافع العشق للجمال ، وفي بعض القبائل البربرية كان نظام الأمومة معمولاً به ، وقد رواه شيخ المؤرخين هيروودوتس في الماضي ، ولا تزال بقية منه عند بربر الصحراء وهكاري حيث لا يعترف رسمياً بالابوة ، وينتج الأبناء في الميراث أخوالهم لا ذوي قرباهم من جهة الأب .

وتؤلف الأسر والعشائر في نطاق القبيلة حلفاً في ساعات العسرة ، وتسير صفّاً واحداً لشن غارة على عدو وتقف كالبنيان المرصوص لصد

---

(67) حرفة الأعراب الرواد الذين يختلفون بمواشبههم الى المراعي مقبلين مدبرين .



هجمات مغير ، وهم يلبون فى ذلك نداء الدم ولا يستجيبون لداعى العقل ،  
اذ من العار أن يخفروا ذمة جارهم أو يخذلوا أخاهم وحليفهم سواء كان الحق  
فى جانبه أو فى جانب غريمه ، فكأنما ضرب فيهم المثل : انصر أخاك ظالماً أو  
مظلوماً ، أو كأنهم بنو مازن الذين وصفوا بانهم :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحشانا  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

أو بنو غزية الذين قال قائلهم :

وهل انا الا من غزيرة ان غسوت غويت وان ترشد غزية أرشسد

على ان تحالفهم قلما يتعدى نطاق القبيلة فيشمل عدداً من القبائل ،  
الا اذا كانت تنتمى الى أب واحد ، والسبب فى ذلك قوة العصبية القبلية عندهم  
وضعف العصبية القومية أو الوطنية ، وقد تعرضت أوطانهم لغزوات أجنبية  
عديدة فكانت كل قبيلة تستقل بأمر دفاعها وتستमित وحدها فى مقاومة  
عدوها ، دون أن تفكر فى الاستنجاد بالقبائل المجاورة لها أو تفكر هذه فى  
نجدتها ، وهذه حالة لا تخصها وحدها ، بل هى حالة كل المجتمعات البدائية  
التي لا تخضع لحكومة تجمع شتاتها ونظام يوحد أمرها بما فيها المجتمع  
العربى الجاهلى .

ولكل قبيلة قرية أو قرى تلتقى فيها أسبوعياً يوم عقد السوق لبيع  
الغلات وشراء لوازم الحياة واصلاح الآلات والتقاضى لدى الحكام وتلقى البريد  
واستشارة الأطباء ، وتنتخب القبيلة أو العشيرة مجلس القرية المسمى  
( الجماعة ) وتختار الجماعة من بين أعضائها رئيساً لها يسمى أمغار ومعناه  
الكبير ، وهو يمثل شيخ القبيلة أو العشيرة عند العرب فى القوة والنفوذ  
ووجوب الاحترام ، وغالباً ما يكون من ذوى العصبية والغنى ، ورجاحة العقل  
والهيبة من الشروط اللازمة له ، والقرية هى قمة النظام السياسى والادارى  
وأكبر الخلايا الاجتماعية عند البربر ، اذ لم يثبت أنهم شيدوا فى جاهليتهم  
مدناً كبيرة أو أسسوا دولا عظيمة ، وأكثرية المدن التى شيدت فى بلاد المغرب

قبل الاسلام هي من بناء الفنيقيين أو القرطاجنيين أو الرومان أو الأغريق ، كما أن الممالك البربرية التي يحدثنا التاريخ عنها أحاديث غامضة انما هي زعامات ظهرت في فترات زمنية مضطربة لمقاومة عدو ، أو امارات كانت تعيش في كنف الأجانب وحمايتهم كما كان مناذرة الحيرة يعيشون في كنف الفرس وغساسنة الشام يعيشون في كنف الروم .

وتنقسم القبائل البربرية الى قبائل مستقرة واخرى رحالة ، فالاولى تسكن بيوتاً مبنية داخل دشرات (68) محصنة، وتسكن الثانية خياماً مقامة داخل دواوير (69) ، فالخيام تصنع من الصوف أو الوبر على شكل مستدير أو بيضي ، ويتنافس المترفون في صنع الخيام الفخمة الكبيرة التي تسع المئات من الناس ، ويفصلون داخلها تفصيلاً بحيث تكون مشتملة على بيوت السكن ومخازن العولة والمطبخ وباحة استقبال الضيوف ، وهم يسكنونها على سعتها وكثرة تكاليفها ومنهم من يعبدها للحفلات الاسرية والاعياد والمواسم القبلية فقط ، ومن أشهر الخيام وأفخمها خيام قبيلة زيان بالأطلس المتوسط من المغرب الأقصى ، أما الديار فيراعون في بنائها طبيعة المكان ، ففي الجبال حيث تتراكم الثلوج وتكثر الأمطار يبنونها بالحجارة ويسقفونها بالطين في شكل بيضي يسهل انصراف المطر والثلج عنها ، وقد اهتموا بعد الطين الى القرمود فاستعملوه في تغطية سقفها ، وفي الجهات الجنوبية حيث الجفاف يبنونها بالطين ويسقفونها بالخشب وغيره من أنواع النبات ، وفي المناطق الوسطى المعتدلة تبنى بالحجارة أو بالطين فقط وتسقف بالورقة والجائزة أو بالأعمدة والأغصان مع تبليطها من أعلا بالطين منعاً للمطر من النفوذ الى داخل البيوت ، واختص البربر بنوع من الديار يبنى بجدارين متوازيين

---

(68) ويقال أيضاً المدشر : القرية ، واصلها الجشرة والمجشر .

(69) جمع دوار : مخيم للأعراب الرحل يقام على شكل مستدير لتمكين المراقبة منه والدفاع عنه ، وهو كالدشرة المبنية عند السكان المستقرين ، وعندما يدخل فصل الشتاء ويقرب البرد وينعدم الكلا ينسحب الرحل الى سفوح الجبال أو الأراضى الشالية السهلية فيسكنون بيوتاً مبنية بناء بسيطاً يسمى الواحد منها شتي ، فالحياة عند الرحل أساسها الدوار والمنشئ ، وعند المستقرين القرية والدشرة أو المدشر ، ويطلق اسم الخبة أحياناً على المسكن الواحد سواء كان مبنياً بحجارة أو منسججاً من وبر أو صوف .

يملأون ما بينهما بالحجارة وذلك لمقاومة الحر والبرد ، ومن البربر من ينحت مسكنه في جبل أو جرف كما يرى في جبال الحاجب و كندر بالمغرب الأقصى ، ومن يسكن بيوتاً من القصب تسمى النوالات أو الأعشاش أو الخصاص (70) ، وقد حلت قبائل وعشائر أسماء ذلك النوع من السكن فسميت **موالين النوالات** ، و **الأعشاش** و **الخصاص** .

وقد قارن العلماء بين البيوت البربرية وبين بيوت الشعوب الأخرى ، فوجدوا الشبه كبيراً بين هندستها وبين هندسة بيوت سكان بحر ايجة وإيريا والجنوب العربي والحبشة ، وكانت هذه المقارنة مدعاة لهم إلى الحديث عن أصول البربر وعلاقتهم السلالية بشعوب تلك الأقطار .

واعتاد البربر القدماء أن يجعلوا لمساكنهم آلهة وأخرى للدواوير والقرى تحميها من كل شر يحتمل أن يطرأ عليها ، وكانت لهم اعتقادات وشعارات من هذا القبيل ما زالت بقاياها موجودة إلى الآن بالبلاد المغربية ، من ذلك تعليق قدر مقلوب مسود اللون من أثر دخان الطبخ على الجدار وقاية للمنزل من العين والأرواح الشريرة ، وتعليق الشقوف وجامم الدواب والكف المبسوطة ( الخميسة ) على الأشجار والجدران لنفس الغاية ، وقد يحمي الدار والقرية الشجرة بباحتها أو القط أو الأفاعى أو أطلال الجدران ، فيحترمها السكان ، ويستأنونها قبل السكن ويحتفلون بها في مواسم معلومة فيوقدون بقربها الشمع والفتائل ويشتتون الزنجلان ويهرقون عليها الحليب ويطلون بها بالحناء ، وتلتجئ إليها العجائز لتحقيق بعض الرغبات كتزويج عانس وإرجاع غائب وحل ثفاف وتجبين زوج في زوجته ، وجمع حبيب بحبيبتة ، وللقرى أيضاً حمايتها من مسنمات الصخور وكبار شجر الزيتون الوحشي .

ويلبس البربر ثياباً منسوجة من صوف في الغالب ، وهي بالنسبة للرجل المتوسط مكونة من قميص ( تشامير ) وسروال وقشابة وجلباب

---

(70) النوال في العرف المغربي بيت من قصب ح نوالات ونوايل ، والعش بيت يبنى من حطام العبدان والنبات ج أعشاش شبه الطائر ، والعش يضم الحاء بيت من شجر أو قصب جمع أشخاص ولخاص وخصوس .

( جلابة ) وبرنوس ، ويلبس الرجال فى بعض القبائل الحايك أو الكساء بدل الجلابة والبرنوس كالفبائل الساكنة على ضفاف وادى ملوية بالمغرب الأقصى والأخرى الساكنة بجنوب القطر التونسى واقليم طرابلس ، ومن السراويل قصيرة لا تتجاوز الركبة ( قندريسة ) وأخرى طويلة تصل الى الكعبين يظن انها مقتبسة من الكوليين (71) وكلاهما يشد على الخصر بتكة ، وينتعل الرجال فى الحالات العادية حذاء جلدياً من النوع المسمى ( البلفة ) فى المناطق الجبلية والسهول الشمالية ، ومن نوع النعالة المصنوعة من جلد أو حلفة أو دوم فى المناطق الصحراوية ، واثناء الحرث يلف الحراث على قدمه قطعة جلد تسمى بوغفاس تشد بشريط على الساق ، واثناء الحرب وسباق الخيل ينتعلون خفاً جلدياً مزخرفاً يسمى الخف أو التماق ، والجوارب ( التقاشير ) تلبس فى فصل الشتاء فقط اتقاء من البرد، وهى أيضاً مبنوكة من صوف، ويعتم الرجال بعمامات قطنية أو كتانية، منها الخفيفة التى تسمى (الرزة) والكبيرة المسماة بـ (الكنور) ، وقد يكتفون بلبس طاقية أو شاشية فى الحالات العادية ، وعندما يدخل الصيف أو يبدأ الحصاد يضعون على رؤوسهم الحليقة قبعات مصنوعة من دوم تسمى ( المظل ) أو ( تارازا ) عريضة الحواشي للتوقى من ضربات الشمس ، وغالباً ما يتقلدون خناجر وشكارات ، ويتقلد الموسرون تهليل فضية أو جلدية تحتوى على تمانم وتعاويد ، وبعد انتشار الاسلام صارت تحتوى على آيات قرآنية أو دعوات دينية مانورة ، أو صلوات على النبى عليه السلام .

أما المرأة فتلبس قميصاً قطنياً وسروالا وحنديرة من صوف فى الأوقات الباردة وأزاداً حريراً فى الأخرى المعتدلة والحارة وتشمر عن ذراعيها بتخمال حريرى مطروز بالصقلى ( خيوط الذهب ) وتنتعل حذاء من جلد مطروزاً بالحرير والصقلى يسمى ( الشربيل ) وتلبس أيضاً جوارب صوفية جميلة الطرز وتغطي رأسها بسبينة حريرية كما تحترزم بحزام حريرى عريض ، وأكثر عليها مصنوع من الفضة كالخلاخل والدماليج والخواتم والمفاقل ( الاقراط ) والبسيطة التى توضع على الصدر المتألغة من المسكوكات الفضية أو الذهبية ( السلطاني - اللويز - الضبلون ) وعقود من ودع وعقيق ومرجان .

---

(71) Les Gaulois سكان بلاد الكول ( الغال ) فرنسا القديمة .

وتتزين المرأة أيضاً بوشم أعضاء من جسدها كالوجه والذراع والفخذ والساق ، ويقال ان الوشم نشأ في الأصل عن ضرورات اقتضتها كثرة الغنم ونوالى الحروب ، اذ كان لكل قبيلة رموز وأشكال خاصة في الوشم يتميز بها أفرادها رجالا ونساء ، حتى اذا سبيت النساء وأسر الرجال أمكن التعرف على قبيلتهم الأصلية من وشمهم ، وقد كانت القبيلة المغلوبة تسترد أبناءها وبناتها الذين يسبون في الصغر وينشأون كالعبيد لدى القبيلة الغالبة ولمضى على أسرهم وسبيهم عشرات السنين .

وتقوم المرأة البربرية بنسج الثياب وصنع الزرابي ، وتثفن في ذلك تفناً يدل على حسن ذوقها ، وقد اشتهرت بعض المراكز بمنسوجاتها الصوفية الجميلة كبزو ووزان وشيشاوة وخنيفرة في المغرب الأقصى ، وتلمسان وبسكرة وعنابة ( بونة ) بالمغرب الأوسط ، وجربة بالمغرب الأدنى ، واليها ينسب الثياب البزوية والوزانية والبسكارية والبونية والجربية الشهيرة (72) .

وطعام البربر بسيط ولكنه لذيذ ، يعتمدون فيه على مزروعاتهم وماشيتهم ، ولا تكثر فيه التوابل كما تكثر في طعام الحضار ، وأشهر ألوانه الكسكس الذي يتفننون في طبخه على أشكال مختلفة وهو الطعام الوطني لأهل المغرب ، والمشوى أو الكاشوش وهو عبارة عن حمل ينضج ببطيء على عندبة الجمر ، ولنسائهم مقدرة كبرى على أعداد أنواع أخرى شهية بسيطة في آن واحد من الطعام ، كالخبز المعجون بقليل من الحليب والزبد المسمى بالمحراش ، والبغرير والثريد والرغائف والحساء والعصيدة والسفنج والصيكوك ، ويدخل الزبد والسمن والحليب والعسل في أعداد الأطعمة ، ويقدم الحليب والتمر للرؤساء والضيوف ، ويندر الخمر رغم وجود العنب الكثير ، ويقتات الفقراء بأنواع أخرى من الأطعمة تقل جودة وكلفة ، كخبز الشعير واللبن المخيض والزيتون اليابس والزمينة ( السويق ) والبيصارة ( الفول ) ، ويأكل الصحراويون الجراد اذا اجتاحت أسرابه البلاد في السنين العجاف .

---

(72) من الأمثال القاسية العنيفة التي سمعنا مرة في حياتي : ( تبارك الله على هذا البر الافريقي الذي جانا من نراة ) يضرب استهزاء بالشئ النافه يتعالى فيه ، وافرقتا معروفة ، ونراة اسم قبيلة اندثرت اليوم ، وفيت تنسب اليها جبال ندرومة الواقعة شمالي تلمسان ، ولا شك في انها كانتا من مراكز نسج الثياب النفيسة في الماضي .

وينقسم البربر الى قسمين : بربر رحالون يرتادون الكلاً بمواشيهم وينقلون بسبب ذلك من جهة الى أخرى ، وهؤلاء لا يحترفون تجارة ولا صناعة ولا فلاحة ، وانما يعيشون من نتاج ماشيتهم ومن الغنائم والأسلاب التي يستولون عليها خلال الحروب أو أثناء قطع الطريق ، وربما تعاطى الأغنياء الزراعة بواسطة عبيدهم ومواليهم المسمون **الجراطين** ، وفي هذه الحالة يقول ابن خلدون : ( ويفطن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفر الأملس ، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيول في الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين أهل الانتاج والاطعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة (73) .

أما القسم الثانى فهو المستقر ، وبربر هذا القسم أقرب الى الحضارة من سابقهم وأشد لصوقاً بالأرض منهم بها ، وقد نتج عن استقرارهم انتظام حياتهم على قواعد رتيبة ، واشتغالهم بالمهن التى يعدها الرحالون حقيرة كالزراعة والصناعة والتجارة ، ونشأت فيهم بسبب ذلك غريزة الادخار والاقتصاد والحرص على جمع المال ، وقد اشتهرت منهم قبائل كثيرة بالمهارة فى التجارة والاستهانة بكل المشاق والاططار فى سبيل جمع المال ، كأهل سوس ومزاب وجزيرة جربة .

وكان لقدماء البربر ديانات ومعتقدات بعضها وثنى محلى وبعضها من معتقدات الجوالى التى طرأت عليهم من الشرق وأديانها . فمن معتقداتهم الايمان بالروحانيات التى تمثل صورتها فى وجود ارواح كالجن مثلاً فى العناصر الطبيعية من عيون وأنهار وأحجار وجبال وأشجار وأطلال وغيرها ، ولا تزال قبائل كثيرة تعظم حرمان هذه العناصر وتقيم لها مواسم سنوية وتحج اليها حجاً ، وكانوا أيضاً يؤلهون بعض الحيوانات اما بداع محلى واما بداعى التقليد لبعض الشعوب التى كانت تجاورهم كقدماء المصريين . وهذا النوع من

الاعتقاد أو العبادة يسمى بالطوطمة وهي أن يعتقد الانسان أو القبيلة ان جده الأعلأ نوع من الحيوان ، فيكون لزاماً عليه حينئذ أن يحترمه ويقدسه ولا يقتله ولا يأكل لحمه ولا يضربه ولا يؤذيه ، ويسمى ذلك الحيوان بالطوطم ، ومن الطواطم البربرية الأفعى والبوم والحمام والطاوس والقرد والقط والضفدع ، وقد عثر في جهات كثيرة من المغرب ولاسيما في الجهات الشرقية على صورة الاله ( أمون ) وهو كبش أقرن بين قرنيه قرص الشمس المستدير ، وهو من آلهة قدماء المصريين المعروفة . وقد ذكر الشاعر الافريقي كوريبوس Corippus في قصيدته اليوحناوية La Jolhanouide أن قبيلة **اللاغطان** الطرابلسية كانت تعبد ثوراً يدعى غرزيل ، كما ذكر الجغرافي الأندلسي الشهير أبو عبيد بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة 487 هـ في كتابه المسالك والممالك ان قبيلة بربرية كانت تعبد ثوراً بجنوب المغرب في القرن الخامس الهجري (74) .

وكانت عبادة الاجرام العليا من شمس وقمر معروفة عندهم ، وقد وجدت منقوشة على الصخور في جهات عديدة ، كما لا تزال بعض العوائد تدل عليها في المغرب الى اليوم ، فمن عادة الأطفال عند الاثغار أن يرموا السن أو الفرس المقلوع أمام قرص الشمس حاققين : ( أعطيتك سن الحمار ، أعطني سن الغزال ) ! .

ولما ظهرت الديانات السماوية بالشرق بلغت اصداؤها الى المغرب طبعاً اما بواسطة الجوالى الشرقية المهاجرة اليه واما بواسطة الفاتحين الذين استولوا عليه ، وفشت الديانة اليهودية والديانة النصرانية في بعض القبائل ، وقد اشتهر من نصارى البربر بعض الشخصيات الممتازة كدوناتوس صاحب المذهب الشهير الذى زاحم الكاثوليكية ، والقديس أغستينوس أسقف عنابة ( بونة ) الذى حارب الدوناتية حتى تضاعف أمرها ، ولكن أكثرية القبائل البربرية بقيت وثنية أو مجوسية حسب تعبير ابن خلدون حتى جاءها الاسلام فخالطت بشاشته قلوبها وكانت لها مقامات صدق في تبليغ الدعوة المحمدية الى أسم أوروبا وشعوب الصحراء والسودان .

(74) موجز التاريخ العام للجزائر ص 40 والمسالك والممالك ( القسم الخاص بوصف

افريقية والمغرب ) لابن عبيد ص 355 .

ويتكلم البربر لغة من أقدم لغات العالم ، اختلف العلماء فى ارجاعها الى أصول سامية وحامية ويافتية تبعاً لاختلافهم فى ارجاع البربر الى أصول سلالية ، والغالب أنها تنتمى الى الأسرة الحامية التى هى فرع من فروع اللغة السامية القديمة التى كان يتكلمها أهل جزيرة العرب وخصوصاً سكان اليمن وحضرموت ، وهى قريبة جداً من لغة قدماء المصريين التى لا تزال منطوقة فى بلاد النوبة ومستعملة فى بعض الكنائس القبطية بمصر ، وقد اقتبست البربرية ألفاظاً كثيرة من لغات المهاجرين والفاتحين سيما اللغة العربية التى أمدتها بكل الألفاظ الدينية والتقنية والحضرية ، ومع ان الشعب البربرى فى الشمال الافريقى يتكلم لهجات عديدة يختلف بعضها عن بعض فان مرجعها الى أصل واحد كما حقق ذلك العلماء الذين درسوها من عرب وعجم ، لكنها لا تقوى على البقاء لأنها لا تكتب ، ولا عبرة بالحروف التى كان يستعملها أهل منطقة مكار المسماة تيفيناغ فانها بقية من بقايا التأثير القبطى فى تلك المنطقة القريبة مصر وبلاد النوبة ، كما ان استعمالها قاصر على طرف من تلك المنطقة وغير معروف فى سائر الشمال الافريقى ، وبسبب ذلك وسبب بدائية البربرية لم تحفظ للبربر آداب بلغتهم ولا دونت لهم آثار ذات طابع علمى أو ثقافى ، والآثار المنسوبة الى البربر كتب جميعها قبل الاسلام باللغات البونيقية أو الرومانية أو اليونانية ، وكتبت بعد الاسلام باللغة العربية التى برع فيها وفى آدابها علماء بربر تفوق فيها بعضهم على أهلها ، وقد حاول بعض فقهاء البربر أن يفرّبوا عقيدة الاسلام وأحكامه من نفوس البربر وعقولهم فترجموا بعض الكتب الدينية الى اللهجات البربرية المكتوبة باللغة العربية ، ولكنها كانت محاولات قليلة لأن البربر كانوا يتسابقون بعد حفظ القرآن الى تعلم اللغة العربية ودراسة شريعة الاسلام عن طريقها ، واللغة أو اللهجات البربرية آيلة اليوم الى الانقراض ، وقد انقرضت فعلاً فى تونس وطرابلس أو كادت ، وأصبح المتكلمون بها الى جانب العربية فى الجزائر قلة قليلة ، ولكن لا يزال يتكلمها مع العربية نحو الثلث من سكان المغرب الأقصى، ولولا المجهودات العظيمة التى بذلها الفرنسيون طيلة مئة وثلاثين سنة فى محاربة العربية وخلق قومية بربرية لاستعرب الشمال الافريقى كله وصارت العربية هى لغة التخاطب الوحيدة فيه ، ومن المتوقع أن تلفظ هذه اللهجات أنفاسها الأخيرة فى الخمسين سنة



المقبلة اذ كلما انتشر التعليم واتسعت شبكة المواصلات تضاءلت ونسحت المجال للغة العربية الفصيحة والعامية .

ان الشعب البربرى شعب قوى صبور كريم ، يحب افراده الفخر ويتعشقون المجد ويهيمنون بالاعلا ، ويجمعون فى المناطق الخصبة الغنية بين جمال الجسم وخفة الروح وحسن النية ولطف العشرة ، وهو من الشعوب الحربية التى تضرب بشجاعتها الامثال ، وعندما يتوفر لديهم السلاح وحسن النظام ومهارة القيادة يفعلون فى ميادين الحرب ما تحار فيه العقول ويبهز الالباب ، وهو الى ذلك شعب مرح طروب يحب الموسيقى والرقص واقامة المواسم والحفلات ، وفولكلوره من أغنى فولكلورات الدنيا التى تحرز كلما عرضت الرضا وتستأثر بالاعجاب ، والبربر كرام النفوس لا ييخلون على ضيفهم بما يملكون وما لا يملكون ، وقد يبلغ بهم الجود والحرص على تأنيس الضيف الى تقديم اكرم ما يحرص الاب أو الزوج على صيانتة اليه ، لكن فيهم الى جانب ذلك بعض الخصال الذميمة التى لا يخلو منها شعب من الشعوب ، من أعظمها الفوضى التى تعمل بحب عارم للحرية والتى كانت سبباً فى حلول كثير من الكوارث والمصائب بهم وببلادهم فى القديم والحديث .

ويلذ لى أن أختتم هذا الفصل بأيراد فقرات من كلام ابن خلدون عن شيم وأخلاق هذا الشعب العظيم :

( وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ، مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ، ومدعاة المدح والثناء من الخلق : من عز الجوار وحماية النزيل ، ورعى الاذمة والوسائل ، والوفاء بالقول والعهد ، والصبر على المكاره ، والثبات فى الشدائد ، وحسن الملكة ، والاغضاء عن العيوب ، والتجافى عن الانتقام ، ورحمة المسكين ، وبر الكبير ، وتوقير أهل العلم ، وحمل الكل ، وكسب المعدوم ، وقسرى الضيف ، والاعانة على النوائب ، وعلو الهمة ، وأباية الضيم ، ومشاقة الدول ، ومقارعة الخطوب ، وغلاب الملك ، وبيع النفوس من الله فى نصر دينه . — فلهم فى ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون

أسوة لمتبعيه من الأمم ، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم الى مراقى العز ، وأوفت بهم على ثنانيا الملك ، حتى علت على الأيدي أيديهم ، ومضت فى الخلق بالقبض والبسط احكامهم ) .

( واما اقامتهم لمراسم الشريعة واخذهم بأحكام الملة ، ونصرهم لدين الله ، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لاحكام دين الله نصيبانهم ، والاستفتاء فى فروض أعيانهم ، واقتفاء الأئمة للصلوات فى بواديهم ، وتدارس القرآن بين احيائهم ، وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم ، وصياغتهم الى أهل الخير والدين من أهل مصرهم التماساً للبركة فى آثارهم وحسن الدعاء من صالحيههم ، وغشيانهم البحر لفضل المرابطة والجهاد ، وبيعهم النفوس من الله فى سبيله وجهاد عدوه — ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التى كانت ملاكاً لعزهم ، ومقادراً الى سلطانهم وملكهم ، وكان المبرز منهم فى هذا المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المومن بن على وبنوه ، ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه ، فقد كان لهم فى الاهتمام بالعلم والجهاد وتشبيد المدارس واختطاط الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفس فى ذات الله وانفاق الأموال فى سبيل الخيرات ، ثم مخالطة أهل العلم وترفع مكانهم فى مجالسهم ومفاوضتهم فى الاقتداء بالشريعة والانقياد لآشاراتهم فى الوقائع والاحكام ومطالعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمعاقل لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال والضرب على أيدي أهل الجور ، واتخاذ المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملكهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتلين لتلاوة كتاب الله أحزاباً بالعشى والاشراق على الايام ، وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة ، وانفاق الأموال العريضة شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم ) .

( وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين فى النوع الانسانى من اشخاصهم ، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة ، والكهان المقطورين

على المطلع للأسرار المغيبة ومن الفرائب التي خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم ، بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال ، وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ، ينقل ذلك في أخبار توهم عجائب ( الخ الخ (75) .

## أقسام البربر

لم يلفت النظام القبلي السائد في الشمال الافريقي أنظار الأمم والشعوب التي اتصلت بسكانه قبل العرب ، فلهذا كانت تطلق عليهم كلمة بربر دون تمييز بين طائفة تعيش على نمط من الحياة وبين طائفة أخرى تعيش على نمط غيره ، والتقسيم الوحيد الذي أثر عنها كان يتعلق بالبلاد لا بالسكان ، ويقوم على اعتبارات جغرافية وإدارية ، لا على اعتبارات اجتماعية وقبلية ، وربما يرجع سبب ذلك الى ان تلك الأمم كانت بعيدة عن البداوة لا تعرف المجتمعات القبائلية ولا تتفهم طبائع أهلها ، أو أنها لم تحتك بالبربر احتكاكاً كبيراً ولم يتغلغل سلطانها الى داخل البلاد .

أما العرب الذين جاءوا الى بلاد المغرب في أواخر القرن السابع فانهم فهموا الحياة فيها حق الفهم ، اذ وجدوها لا تختلف عن حياة بلادهم في شيء ، كما أنهم توغلوا في داخليتها وخالطوا قبائلها وساكنوهم وصاهروهم وعاشوا واياهم في كنف الاسلام متساوين ، فلهذا كانت لهم نظرة أخرى الى البربر غير نظرة الأمم والشعوب التي تعرفت عليهم قبلهم ، وفهم آخر لمجتمعهم غير فهمهم ، وتقسيمات أخرى غير تقسيماتهم تقوم على اعتبارات قبلية لا على اعتبارات جغرافية أو إدارية تبعاً لذلك .

لقد قسم الاغريق والرومان البلاد المغربية الى افريقيا ونوميديا وموريطانيا قيصرية وأخرى طنجيطانية ، وجيتوليا ، وحافظ العرب على روح هذا التقسيم لما جعلوها مشتملة على مغرب أقصى ومغرب أوسط ومغرب أدنى ( أو افريقية ) وصحراء ، ولكنهم زادوا على هذا التقسيم الترابي فقسموا السكان أنفسهم الى بربر بتر ، وبربر برانس .

وقد وقف الباحثون العصريون حيارى أمام هذا التقسيم الجديد يحاولون أن يجدوا له تعليلاً أو تأويلاً ، ويتساءلون عن الأسس التي بناها العرب عليه

وميزوا بها بين طائفتين مختلفتين من السكان ، فعلى أساس وجود بربر من أهل الوبر ( سكان الخيام ) وبربر من أهل المدر ( سكان البيوت ) حاول كوتشي Gautier تأويل انقسامهم الى بتر وبرانس ، فقال ان البتر هم أهل البداوة والرحلة ، والبرانس هم أهل الحضارة والاستقرار ، وذلك يشبه انقسام البربر في التاريخ القديم الى نوميديين وموريطانيين وانقسامهم في التاريخ الحديث الى عرب وقبائل (76) وهذه النظرية ذات حظ من الصحة والصواب ، لأن معظم قبائل البرانس يعيش عيشة استقرار في السهول والجبال الخصبة التي تكثر فيها الأمطار وتجدو التربة بأطيب الغلال ، بينما يعيش معظم قبائل البتر متنقلا بين السهوب والهضاب والمناطق الرعوية الصحراوية أو القريبة من الصحراء ، ولكن هذا الاختلاف في الحياة الاجتماعية بين البرانس والبتر لا ينطبق على جميع قبائلهم ، فالحضارة والبداوة متبادلتان بينها ، فبعض قبائل البرانس يعيش في جوف الصحراء عيشة بدوية تمثل أنقى صور البداوة كقبائل الملمثين الذين يسميهم الكتاب الأوربيون الرعاة الكبار أو الجمالين الرحالة الكبار تميزاً لهم عن الرعاة الصغار رعاة البقر والغنم ، وقد ظلت قبائل الملمثين تعيش عيشتها البدائية في قلب الصحراء تقنات من النمر والقديد وحليب النوق ، ولا تعرف الخبز ولا الدقيق في حين كان العرب ينون صروح الحضارة ويحيون حياة البذخ والترف في المغرب الشمالي والأندلس ، ومثل هذا ينطبق على قبائل البتر المتبدية ، فقد كانت منها قبائل مستقرة تعيش عيشة حضرية مثل قبيلة كومية وقبيلة أوربة .

ومن الباحثين من رجح أن يكون الفارق بين الطائفتين ثقافياً ، ذكراً أن قبائل البرانس المستقرة تأثرت بمظاهر الحضارة البونيقية واللاتينية والافريقية بينما بقيت قبائل البتر بمعزل عنها لبداوتها ورحلتها ، ولكن رد

---

Gautier : Le Passé de l'Afrique p. 242 (76) وقد اعتمد الفرنسيون ان

يسموا البربر في الجزائر قبائل ، والبلاد البربرية بلاد القبائل Le Kabylie

على من رأى هذا الرأى بمثل ما رد على من رجح أن يكون الفارق اجتماعياً من ان البداوة والحضارة أو النقلة والاقامة متبادلة ومشاركة بين الطائفتين معا .

وفكر وليام ماركس فى تفسير لفظتى البشر والبرانس تفسيراً لغوياً وتقسيم البربر الى طائفتين على أساس الثياب التى تلبسانها ، فعنده ان العرب نظروا فى البربر فلاحظوا اختلافاً فى أزيائهم ، فمنهم قبائل ترتدى البرنس الطويل ذا القب (77) المخروطى وهذه سموها البرانس ومنهم قبائل تلبس برنساً قصيراً لا قب له وهذه سموها البتر أى الناقصة المبتورة مثل بتره زياد ابن أبيه ، وهذا التأويل غريب يبعث على الضحك والسخرية وهو لا يخرج عن كونه مجرد افتراض لا يقرم على أساس قوى ، وقد لاحظ كوتى الذى حسبته ينبنى على معرفة عميقة باللغة ! انه افتراض لا ينطبق على القبائل البربرية كلها ، فالملمثون من بربر الصحراء يصعب ادراجهم فى طائفة من الطائفتين ، وهم برانس ولكنهم لا يلبسون البرنس مطلقاً ، ولا يحتمل انهم لبسوه فى عصر من العصور ، كما لا يظن ان هناك علاقة بين قب البرنس وبين اللثام عند أهل الصحراء ، ثم يلاحظ كوتى أن البرنس هو لباس الفرسان ، وان الذين يلبسونه حالياً فى المغرب هم حفدة البتر على الخصوص .

ومن الباحثين من جعل الفارق شبه سلالى ، فذكر ان الطائفتين تمثلان موجتين مختلفتين احدهما تمثل أهل البلاد الأصليين والآخرى تمثل الوافدين الجدد الذين اغتصبوا منهم بلادهم وزاحموهم فيها ، ولعل هذه النظرية أصح النظريات لوجود ما يدل عليها من روايات النسابين والمؤرخين واستنتاجات الباحثين الاجتماعيين ، والى مال العلامة رود Rodd الذى يعد من أكبر الباحثين فى التوارك (78) والمؤرخين لهم فى العصر الحاضر ، فقد ذكر أن هذا التقسيم باق الى اليوم فى قبائل التوارك ، وان القرية الواحدة تشتمل على عنصرين متباغضين بغضاً سرمدياً ، أحدهما ينتمى الى البرانس والآخر

---

(77) غطاء الرأس الملتصق بجلاية أو برنوس .

(78) التوارك قبائل الصحراء المغربية ويكتب المشاركة الاسم طوارق وهو خطأ .

يعتزى الى البتر ، وعلل ذلك بأن هذا الخلاف الدائم لا بد أن يكون منبعا  
فى الأصل عن اختلاف سلال (79) .

وذكر ابن خلدون أن علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم  
جذمان عظيمان ، أحدهما يسمى مادغيس الملقب بالابتر ولذلك يقال لشعوبه  
البتر ، والآخر يدعى برنس ويقال لشعوبه البرانس ، وذكر أن بين النسابين  
خلافاً هل هما لأب واحد ؟ فعن ابن حزم فيما حدثه به يوسف الوراق عن أيوب  
ابن أبى يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد ، وربما نقل عن أيوب بن أبى  
يزيد نفسه أنهما لأبوين متباعدين ، ويصحح ابن خلدون رواية ابن حزم عنه  
لأنه أوثق .

ويتفق نسابو البربر كهانى بن بكور الضريسى ، وسابق بن سليمان  
المطماطى ، وكهلان بن أبى لؤى ، وغيرهم أن البتر من ولد بر بن قيس بن  
عيلان ، والبرانس من ولد برنس ، بن سفيجو ، بن أبزج ، بن جناح ، بن واليل ،  
بن شراط ، بن تام ، بن دويم ، بن دام ، بن مازيغ ، بن كنعان ، بن حام .

ومهما كان من أمر هذا التقسيم فإنه يدل على حالة البلاد وينتلام مع  
نفسية سكانها وطبيعة مجتمعهم القبلى ، كما يدل تقسيم العرب الى عدنانية  
وقحطانية على نفس الحالة والطبيعة ، وادراك هذا التقسيم ينير السبيل لفهم  
تاريخ البربر قبل الاسلام وبعده ، فقد أثر تأثيراً عميقاً فى علاقة البربر بالأمم  
والشعوب التى وفدت عليهم مهاجرة مسالمة أو محاربة منحدمة ، كما أثر  
النزاع بين البرانس والبتر أثراً بعيد المدى فى علاقة البربر بالعرب بعد مجيئهم  
الاسلام ، فقد حالفت قبائل زناتة البترية العرب منذ البداية بينما حملت قبائل  
البرانس عبء المقاومة والدفاع ، ولما دان البربر لسلطان الاسلام حالفت  
زناتة البترية الخلافة الأموية ووالت صنهاجة البرنسية العلويين وتعصبوا لهم  
وأيدوا الامام ادريس بن عبد الله الكامل حينما التجأ الى المغرب الأقصى ، وعندما  
نبغت نابغة الفاطميين واستقام لهم الأمر كانت كناية وصنهاجة من البرانس

خير أعوانهم وأكثر جنودهم حمية وإخلاصاً ، فلذلك أمعنوا في اضطهاد الزناتيين والفتك بهم حتى اضطروهم الى الاعتصام بالخلافة ، وأصبح الصراع في المغرب بين الأمويين والفاطميين ثم الزيريين مجرد نزاع بين صنهاجة وزناتة في الواقع أى بين البربر والبرانس ، وكان بلكين بن زيرى أمير صنهاجة يقول : لا أمان عندى لبربرى ركب فرساً أو نتج خيلاً أبداً حيثما سلك من البلاد (80) وقريب من ذلك حدث فى الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية ، اذ احتدم النزاع بين زناتة وصنهاجة مما هدد الوحدة الإسلامية يومئذ بالخطر الجسيم (81) .

---

(80) مغاخر البربر فى القرون الوسطى ص 4 .

(81) قيام دولة المرابطين ص 32 .



## البربر البستي

تنسب هذه الطائفة من البربر الى مادغيس الأبتري بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أبو محمد ابن حزم في الجمهرة : ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابناً اسمه بر أصلاً (82) .

وعند نسابي البربر ، وحكاة البكري وغيره : انه كان لمضر ولدان : الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ودهمان ، أما دهمان فولده قليل ، وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو أمامة ، وكانت لهم بنت تسمى البهاء بنت دهمان ، وأما قيس بن عيلان فولد له أربعة بنين : سعد وعمر ، أمهما عربية اسمها مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وتماضر ، أمهما كنعانية ( بربرية ) من الشام اسمها تمرغ بنت مجدل بن غمار بن مصمود ، وكانت قبائل البربر يسكنون يومئذ الشام وبيجاورون العرب في المساكن ويشاركونهم في المياه والمراعى والمسارح ويصهرون اليهم ، فتزوج بر بن قيس بن عيلان بنت عمه البهاء بنت دهمان بن عيلان ، فحسده اخوته على ذلك ، فخشت أمه - وكانت من دهاة النساء - عليه منهم ، وكاتبته أخواله سرّاً ثم رحلت اليهم مع ابنها وزوجته وهم اذ ذاك ساكنون بفلسطين وأطراف الشام ، فولدت البهاء لبر بن قيس ولدين : علوان ومادغيس ، فمات علوان صغيراً وبقي مادغيس فكان يلقب بالأبتري ، وهو أبو البتري من البربر ، وتزوج مادغيس بن بر بأملل بنت واطاس بن محمد بن مجدل بن غمار فولدت له زحيك (83) بن مادغيس .

---

(82) جمهرة أنساب العرب ص 495 .

(83) كتب هذا الاسم في مراجعتنا المطبوعة والمخطوطة مرة زحيك بالحاء ومرة زحيك بالميم ، ومرة نالته زحيك ، ولم نستطع ترجيح أحدهما على الآخر فوجب التنبيه .

وقال الطبري : خرج بر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر فهوى  
جارية وتزوجها فولدت .

وعند غيره من نسبة البربر انه خرج فاراً من أخيه عمر بن قيس ،  
وفى ذلك تقول أخته تماضر :

لتبكي كل باكية أخاها	كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى	ودون لقائه انضاء عيس

ومما ينسب الى تماضر أيضاً :

وشطت ببر داره عن بلادنا	وطوح بر نفسه حيث يما
وأزرت ببر لكنة أعجمية	وما كان بر في الحجاز بأعجم
كأنا وبراً لم نغر بجيادنا	بنجد ولم نقسم نهاباً ومفتما

وإذا كان الرواة قد أطلقوا لخيالهم العنان فرسموا لنا الصورة  
المتقدمة عن خروج بر الأبتري من الحجاز ولحقه مع أمه بقبائل البربر بفلسطين  
فانهم لم يرسموا صورة مماثلة عن خروج البربر البتر أبنائه من فلسطين  
ودخولهم الى المغرب ، الا ما يذكرونه من هجرة الكنعانيين بعد انهزامهم أمام بني  
اسرائيل ، وقد سبق لنا ان ذكرنا أن اليهود هم الذين سمو أولئك الكنعانيين  
بربراً فحملوا معهم الاسم وعرفوا به وحده اثناء انتقالهم الى المغرب وبعده .

ويتألف البربر البتر من شعوب كثيرة يجمعها أربعة أجدام (84) :

(I) أداسة بنو أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتري بن بر بن قيس بن  
عيلان ، وبطنهم كلها في هواره لأن أم أداس تزوجها بعد زحيك بن مادغيس -  
اوريف بن عمه برنس والد هواره على القول بأن مادغيس وبرنس أخوان ، فدخل  
نسب بنيه كلهم في هواره .

---

(84) الجذم في اللغة الأصل ، يقال جذم الشجرة ، وجذم القوم . وجذم الأسنان منابتها .  
وجذم الرجل أهله وعشيرته . وفي الحديث ( لم يكن رجل من قريش الا له جذم بمكة ) .

(2) **بنو لوا** الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، ومنهم بطنان عظيمان : **نفزاوة** بنو نفزاو بن لوا الأكبر ، و**لواثة** بنو لوا الأصغر المسمى باسم أبيه .

(3) **نفوسة** بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، وهم من أوسع قبائل البتر وفيهم شعوب كثيرة .

(4) **ضريسة** (85) بنو ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، ويجمعهم جنمان عظيمان : بنو تمصيت بن ضريس ، وبنو يحيى بن ضريس .

وقبائل البربر البتر في معظمها قبائل رحالة بدوية تنزل بسلسلة الأودية الرعوية الممتدة امتداداً متصلاً من طرابلس الى تازة ، وتنتشر في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الأقصى ، وتكون غالبية سكان القرى الصحراوية ، ومنها قبائل بالمناطق التالية ، وقد أصبحوا بحكم لصوقهم بهذه الأوطان أهم قبائل البدو بالمغرب وأكثرها نقلة وترحالاً ، وتمتاز بالروح الحربية العالية والتفوق في القتال ، وفرسانها من أشجع فرسان البربر قاطبة ، وقد قامت بدور من أكبر الأدوار في نشر الاسلام بالمغرب والأندلس والصحراء وتحملت تضحيات كبيرة في جهاد أعداء الدين .

أما اعتزازها بالنسبة العربية فلا يعادله اعتزاز ، وقد استمسك بها كتابها وشعراؤها وافتخروا بها على من عداهم ، وألقوا بها حجراً أفواه الساعين في تاريت نار العصبية بين العرب والبربر .

فمن ذلك قول عبدة بن قيس العقيلي :

توقف هداك الله سميل الأطايب	الا ايها الساعى لفرقة بيننا
نمانا وهم جد كريم المناصب	فاقسم أنا والبرابر اخوة
وفي حومة يشفى غليل المحارب	أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى
على رغم أعداء لثام المناقب	فنحن وهم ركن منيع واخوة
وبر لنا ركن رفيح المناكب	فانا لبر ما بقى الناس ناصر

---

(85) كتب هذا الاسم في جمهرة ابن حزم ومواضع من تاريخ ابن خلدون ضرية ، وكتب ضريس الذي يشتب إليه القبيل ضرى وضرا ، وفي مواضع أخرى من تاريخ ابن خلدون وكتب كثرة غيره كتب ضريسة وضريس .

نعد لمن عادى سوابق ضميراً  
وبر بن قيس عصبة مضرية  
وقيس قوام الدين فى كل بلدة  
وقيس لها المجد الذى يقتدى به  
وبيضاً تقط الهام يوم التضارب  
وفى الفرع من أحسابها والذوائب  
وخير معد عند حفظ المناسب  
وقيس لها سيف حديد المضارب

ومن ذلك أيضاً قول يزيد بن خالد يمدح البربر :

أيها السائل عنا اصلنا  
نحن ما نحن ؟ بنو بر الندى  
وابتنى المجد فأورى زنده  
ان قيساً يعتزى بر لها  
ولنا الفخر بقيس انه  
ان قيساً قيس عيلان هم  
حسبك البربر قومى انهم  
وبيض تضرب الهام بها  
أبلغوا البربر عنى مدحا  
قيس عيلان بنو العز الأول  
عرف المجد وفى المجد دخل  
وكفانا كل خطب ذى جسل  
ولبر يعتزى قيس الأجل  
جدنا الأكبر فكاك الكبيل  
معدن الحق على الخير دلل  
ملكوا الأرض بأطراف الأسل  
عام من كان عن الحق نكل  
حيك من جوهر شعر منتخل



## البربر البرانس

هاؤلاء هم البربر المستقرون الذين ينزل معظمهم فى المناطق الساحلية القريبة من البحر والاخرى الجبلية الممتدة عبر المغرب ، وفى هذه المناطق التى تطيب فيها التربة وتكثر الأمطار تكون الزراعة ميسورة والحياة المستقرة بداعى المصلحة امرأ مفروضاً ، وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر ان تتحضر وتتأثر بالمال وتستفيد مما كان المهاجرون والقاتحون الأجانب ياتون به من مدينيات وثقافات ، كما نمت فيها لنفس السبب روح المقاومة وكثر تعلقها بالأرض التى تقيم فيها والتى لم تألف ان تبرحها كالبتتر الرحل ، وهذا ما جعلها تستमित فى مقاومة العرب لأول الفتح الاسلامى بينما وضع البتتر أيديهم فى أيدي العرب لتشابه الحياة عند الفريقين واستهدافهما لكثير من المقاصد المنبعثة عن غرائز طبعا عليها أو عادات ألفاها .

وقد وصفهم ابن خلدون فقال انهم كانوا على عهده من أوفر قبائل البربر وأكثر أهل المغرب ، فلا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم ، فى جبل أو بسيط ، حتى زعم كثير من الناس انهم الثلثان من البربر ، وكان لهم فى الحروب ذكر ، وفى الخروج على الأمر شأن .

اما شعوبهم فاتفق النسابون على انها منحصرة فى سبعة :

أ - **ازداجة** : ويعرفون أيضاً بوزداجة ، ويعددهم بعض النسابين البربر من البتتر ، ويقال ان ازداجة من زناتة ، ووزداجة من هواة .

ب - **أوردبة** : بنو أوردب بن برنس ، وهى بفتح الألف وفتح الواو وسكون الراء ، وتعرف اليوم بوردبة فقط .

ت - أوريفة : بنو أوريف بن برنس ، ويؤمن كثير من النسابين أنهم يرجعون الى أصل عربي .

ث - كتامة : بنو كتام أو كتم بن برنس ، ويؤكد نسابو العرب انهم عرب حميريون .

ج - مصمودة : بنو مصمود بن برنس .

ح - صنهاجة : بنو صنهاج بن برنس ، ويؤكد النسابون العرب انهم من العرب الحميريين مثل كتامة ، وأصل الكلمة صناك بالصاد المشم بالزاي والكاف القريب من الجيم ( الزناكة ) الا أن العرب نقلوه الى لسانهم وزادوا فيه الهاء بين النون والالف .

خ - عجيسة : بنو عجيس بن برنس ، وأصل عجيس عدس بتشديد الدال ومعناه البطن بالبربرية ، فلما عربته العرب قلبوا داله جيماً مخففا .

وقد زاد النسابة البربري سابق المطماطي وأصحابه لمطة و هسكورة و كزولة في شعوب البرانس ، وأنكر نسابون آخرون أن تكون صنهاجة وكتامة من شعوبهم مؤكداً أنهما شعبان عربيان تخلقا في المغرب بعد غزوة قام بها العرب في زمن سحيق ، ومثل هذا ادعوه في حق زناقة بالنسبة للبربر البتر ، وكيفما كان حجج المثبتين والمنكرين فالشيء المحقق هو أن هذه القبائل وغيرها من القبائل المتنازع في نسبها كانت معروفة في المغرب من قديم ، وموجودة فيه قبل وفادة العرب الجدد الذين جاءوا اليه مع الاسلام ، فلذلك سندكرهم مع قبائل البربر مشيرين الى ما وقع من الخلاف في انسابهم وتواريخ استقرارهم بالمغرب لدى الكلام على كل قبيلة .



## شعوب البستر

### 1 - شعب اداسة

بنو اداس بن زحيك بن مادغيس الأيتر ، اختلطت قبائلهم بقبائل  
هواراة البرنسية ، لأن أم اداس تزوجها بعد زحيك ابن عمه أوريج بن برنس  
والد هواراة على القول بأن مدغيس وبرنس اخوان .

من أشهر قبائلهم :

أ - أندارة (86)

ب - أوطيطة

ت - ترهونة (87) باسمها سميت مدينة ترهونة قرب طرابلس ،  
ومنها فرقة مستقرة على عدوتي وادي لكوس شمال مدينة وزان بالمغرب الأقصى ،  
تعرف باسمها الأصلي المغرب : رهونة .

ث - صنبرة (88)

ج - هداغة

ح - هنزولة (89)

خ - وشتانة (90) منها قبيلة معروفة باسمها مستقرة بالجبال  
القريبة من نهر مجردة بالقطر التونسي ، وكانت فرقة منها تسكن جبل زالسغ  
المشرف على مدينة فاس ، واليها ينسب الموضع المسمى باب وشتانة منه .

---

(86) كتبت أيضاً أندرة وواندرة .

(87) كتبت أيضاً خطا ترهنة .

(88) كتبت أيضاً صنبرة .

(89) كتبت أيضاً خطا ميزونة وعتروقة وعترونة وهنزوتة .

(90) كتبت أيضاً خطا وسفارة ووشفانة .

## 2 - شعب لواتة

هم بنو لوا ( بضم اللام ) الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتى ، ذكر النسابةون ان لوا الأكبر خلف ابنه لوا الأصغر حملاً فسمى باسم أبيه .

وكانت القبيلة تدعى فى الأصل لوات على عادة البربر فى اضافة الألف والهاء اذا أرادوا التعميم فى الجمع ، فلما جاء العرب حملوه على الافراد والحقوا به هاء الجمع فصار لواتة .

ذكر لابن حزم فيما يرويه فى الجهمرة (91) أن نسابة البربر يزعمون أن لواتة ومزاتة وسدراتة من القبط ، وأنكر ذلك ابن خلدون بشدة قائلاً : ليس ذلك بصحيح ، وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر فى ذلك .  
وقبائل لواتة كثيرة جداً ، يرجع المعروف منها الى أربعة من أبنائه : زابر ، وكطوط ، وماصل (92) ، ونيطط .

فمن ابنه زابر :

أ - مزينة - من أكبر قبائل لواتة ، ما زالت فرقة منها بالمغرب الأوسط معروفة باسمها الأصلي قرب مدينة سطيف .  
ومن ابنه كطوط :

ب - جدانة - ربما كانت منها قبيلة كدانة ( بجيم بدوى ) احدى قبائل أولاد سعيد بشاوية المغرب الأقصى .

ت - مغاعة

ومن ابنه ماصل :

ث - عزوذة - ما زالت بقية منها قرب مرسى أزفون بجبال زاوطة من المغرب الأوسط معروفة باسمها الأصلي .

---

(91) جهمرة أنساب العرب ص 498 .

(92) كتب أيضاً فاضل وفاصلة .



### ج - أكورة (93)

ح - جرمانة : عدما سابق المظماطي من بطون ماصيل اللواتيين ، منها بطن مندمج فى قبيلة بنى محمد القريبة مساكنها من بجاية .

خ - مغانة : يوجد بطن بهذا الاسم مندرج فى قبيلة الدواير بحوز وهران .

ومن ابنه نيظط :

د - سدراتة : وهم بطون كثيرة اختلطت بقبائل مغراوة وبتونها ، قال ابن حزم فى الجمهرة : ويقال أن مغراو - وهو من زناتة - تزوج أم سدرات ، فصار سدرات أخا أولاد مغراو لأهمم واختلط نسبهم بهم (94) ، ولهذه القبيلة فروع كثيرة وبتون عديدة مستقلة بنفسها ومعروفة باسمها الأصلي أو مندمجة فى غيرها ومعروفة بأسماء فرعية ، منها قبيلة سدراتة قرب مدينة برج بوعريرج بالمغرب الأوسط ، وقبائل ( آيت سدرات ) القريبة من وادى درعة بالمغرب الأقصى .

كانت قبيلة لواتة تقيم بمواطنها الأصلية بالأقاليم الشرقية وخاصة ببرقة وعلى حدود مصر ، وكانت لهم فى الماضى مدن عريقة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان . ولما بدأ المسلمون محاولاتهم الأولى لفتح الشمال الأفريقى كانت لواتة أول قبيلة واجهوها فأسلمت وأعانتهم على الفتح وانساحت معهم الى جهات طرابلس وشط الجريد وجبل أوراس ومنطقة الزاب ، وانتشرت بتونها وفروعها الكثيرة بعد ذلك فى جميع بلاد المغرب من نهر النيل الى المحيط الأطلسى ، فمنهم بواحات مصر وقرى الصعيد والجبال المعروفة بهم فبلة قابس وصفاقس ، وأحياء بالجبال المطلة على سهل متيجة ، وبسيط تاكرات القريب من بجاية ، وبجهات وادى مينا ( وهران ) ، وفاس وتادلة من المغرب الأقصى ، وقد اندثرت بعض البتون والاحياء اللواتية اليوم من تلك الجهات أو اندرجت فى قبائل طرات عليها ، ولكن بعض القرى بقى مع ذلك يحمل اسمها لسكانها بها فى القديم .

---

(93) كذا كتبت فى جمهرة ابن حزم وتاريخ ابن خلدون وكتبت فى الأخير أيضاً أكورة وبقلب على الظن أنه نصحيح .

(94) جمهرة أنساب العرب ص 497 .

### 3 - شعب نفزاوة

هم بنو يطوفت (95) بن نفزاو، بن لوا الأكبر، بن زحيك بن مادغيس الأبر ، وينطق زاي نفزاوة بين الزاي والشين .

كانت قبائل نفزاوة تقيم في الأول جنوب شط الجريد وما يتاخمه من اقليم طرابلس شرقاً وصحراء عمالة قسنطينة غرباً حتى سميت المنطقة كلها بلاد نفزاوة ، ثم تفرقت تلك القبائل بعد ذلك في سائر المغرب حاملة معها أسماءها الفرعية ولم تبق الا قبيلة واحدة صغيرة تحمل الاسم الأصلي بشط الجريد ، ويقال ان قبيلة نفزة الموجودة في شمال القطر التونسي هي احدى قبائل نفزاوة ، وان اسمها عرب واختصر أثناء فرارها امام الزحف الهلال من مواطنها الأصلية بالجنوب إلى مواطنها الجديدة بالشمال .  
من أشهر قبائلهم :

أ - زائيمة : (96) بهذا الاسم تعرف اليوم منها قبيلة تسكن على بعد 50 كلم الى الجنوب الغربي من مرسى شرشال ، بعمالة الجزائر .

ب - زهيلة : كانت بقيتهم في عهد ابن خلدون بنواحي بادس مندمجون في غماره ، وكان منهم لعهد مشيخته أبو يعقوب البادسي أكبر الأولياء وآخرهم بالمغرب .

ت - مجر (97) لعلها بفتح الميم وسكون الجيم وضم الراء مع مد ، فاذا كانت كذلك فبقاياها مندمجة في قبيلة زروال المغربية ( بطن بني مجرو )

ث - مرنيسة : قال ابن خلدون لا يعلم لهم موطن ، ومن أعقابهم أوزاع بين احياء العرب بافريقية، منهم قبيلة شهيرة تحمل الاسم نفسه مستقرة شمال اقليم تازة من المغرب الأقصى .

ج - مكلاسة : عدها ابن حزم في الجمهرة من قبائل نفزاوة ، وكذلك ابن خلدون فيما نقله عن سابق المطماطي ، لكنه أورد قولاً ضعيفاً ينفي نسبتها

---

(95) بكتب وينطق أيضاً يظفت بدون مد ، ومنه قبيلة بني يظفت بشمال المغرب الأقصى .

(96) كُتبت زبتم في جمهرة ابن حزم .

(97) كُتبت أيضاً محر .

الى نفزاوة ويرفع نسبها الى حمير ، ويذكر ان مكلات وقع الى يطوفت بن نفزاو صغيراً فتبناه فقط ، كانت مواطنها غير بعيدة عن مكناس ، وذكر البكرى أنها واقعة في الطريق بين فاس وسجلماسة على بعد مرحلتين جنوب مدينة صفرو ، ويعرف بها موضع قرب مدينة فضالة بالمغرب الأقصى ، وتنسب اليها أسر نبيهة .

**ح - غساسة :** سكنت منها فرقة بساحل بطوية من ريف المغرب الأقصى ، واليها تنسب قرية غساسة المسامنة لمدينة مليلية من الجهة الغربية ، وكانت في الماضي حاضرة البحر ومرسى أساطيل المغرب ، وهي من المدن المغربية التي وصفها لسان الدين بن الخطيب في كتابه ( معيار الاختيار ) في ذكر المعاهد والديار ) ، والقبيلة مندرجة اليوم في قبائل قلعية ، وقد تنوسى اسمها الأصلي ولم تبق الا أسماء أسر تذكر به ، كما اندثرت القرية نفسها وبقيت منها أطلال واسم مبربر .

**خ - سوماتة :** كانت بقية منها في جهات القيروان ، واستقرت فرقة منها قرب مليانة بالمغرب الأوسط ، وفوق ترابها توجد اليوم قرية حمام ريفة وقرية بومدفع ، واستقرت فرقة أخرى بجبال الهبط من المغرب الأقصى ، وهي معروفة باسمها الأصلي بين قبائل جباله باقليم تطوان ، وباسمها المبربر تسمى قرية ( يسوماتن ) من قرى قبيلة بني جناد بجبال زواوة بالقطر الجزائري .

**د - ورغوس :** كذا كتبت في جمهرة ابن حزم ، وكتبت في تاريخ ابن خلدون ووردغوس والظاهر أن الأول أصح لوجود ما يدل عليه في كتب أخرى ككتاب المسالك والممالك (98) الذي ذكر قبيلة ورغوسة من جملة القبائل البربرية التي كانت تسكن مدينة تيجس المتيقة ، وتوجد اليوم بحوز بسكرة قبيلة تسمى ودغروس لعلها من بقايا القبيلة المذكورة .

**ذ - وردين**

**ر - وركول (99)**

**ز - وسيف :** (100) منها اليوم فرقة بجبال زواوة من المغرب الأوسط

---

(98) كتاب المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 63 .

(99) كتب في جمهرة ابن حزم ورجول ، وأحسبه نصحيحاً لاسم دركول الذي توجد منه بطون كثيرة بالمغرب .

(100) كتبت أيضاً ورسيف في تاريخ ابن خلدون .

يعرفون ببني رسييف ، وفرقة ( آيت وسيف ) باقليم سوس وبطون مندرجة فى قبائل رقيطة ومنتاكة ومكونة وسكساوة من المغرب الأقصى .

**ط - ولهاصة :** أكبر قبائل نفزاوة ، سميت باسم أبيها ولهاص ، بن يطوفت ، بن نفزاو ، والى ولديه ترغاش ودحية تنتمى بطونها العديدة ، تسكن اليوم فرقة من قبيلة ولهاصة على عدوتى نهر تاغنا عند مصبه بالبحر المتوسط. شمال تلمسان ، وتسكن فرقة أخرى منها ببسيط عنابة جنوب بحيرة فزارة كانوا فى زمن ابن خلدون . يركبون الخيل ويأخذون بمناهب العرب فى زبهم ولغتهم وسائر شعارهم كما هو حال هواراة ، ودخلت منها فرقة أخرى الى الأندلس مجاهدة تنسب اليها أسر أندلسية مجيدة كأمرة القاضى منذر بن سعيد البلوطى .

#### 4 - شعب نفوسة

بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأتر .  
قال ابن خلدون : هم بطن واحد تنسب اليه نفوسة كلها ، وكانوا من أوسع قبائل البربر وفيهم شعوب كثيرة .  
كانت موطن جمهورهم باقليم طرابلس ، واليه ينسب الجبل المشهور الواقع قبلتها ، وكانت مدينة صبرة فى موطنهم وتعزى اليهم ، وهى كانت باكورة الفتح لأول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها الا الأطلال ورسوم خافية ، ثم تفرقوا بعد ذلك بعمالات مصر والمغرب .  
من أشهر قبائلهم :

**أ - بنى زمرور :** وهم غير قبائل زمرور وزمورة البرنسيين ، ولكنهم يختلطون بهم ويلتبسون للاسم الموحد لكلا الفريقين .

**ب - ماطوسة :** توجد بقاياها مندرجة فى قبيلة بنى خلفون على الضفة اليمنى لوادى يسر شرقى الجزائر .

**ت - بنى مسكور (IOI) :** منهم بطن مندمج فى قبيلة آيت وئير الساكنة قرب زاكورة بالمغرب الأقصى .

## 5 - شعب ضريسة

بنو ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبر .

تنتمي قبائلهم كلها الى ولديه تمصيت (102) ويحيى .

فمن ولد فاتن بن تمصيت :

أ - **دونة** : (103) اخوة مغيلة ومعدودون منها ، منهم فرقة مندمجة في قبيلة بني بودرار بجبال جرجورة بالمغرب الأوسط ، وأخرى ( ودرنة ) بجنوب القطر التونسي .

ب - **كشانة** : هم أيضاً اخوة لمغيلة ومعدودون منها ، منهم فرقة مندرجة في قبيلة البهايل القريبة من صفرو بالمغرب الأقصى .

ت - **كومية** : بكاف بدوى ، كانوا يعرفون قديماً بصطفورة أو صدفورة ، ولهم ثلاثة بطون منها تفرعت قبائلهم وبطونهم : ندرومة وصغارة وبني يلول ، وكانت مواطنهم الأصلية بجبال تارة الواقعة على سيف البحر شمال غرب تلمسان ، وهم قبيل عبد المومن بن على مؤسس دولة الموحدين من بني عابد منهم ، خف جمهورهم الى مراكش وسكنوها على عهد الدولة الموحدية فاعتضد بهم خلفاؤها وأنفقوهم في الفتوح والعسكرة فأكلتهم الأقطار فانقرضوا وبقيت منهم بمواطنهم الأصلية بقايا .

ث - **لمايسة** : من أكبر قبائل ضريسة وأوفرها عدداً ، كانوا طواعن بأفريقية والمغرب وجمهورهم موطناً بالتخوم الجنوبية مما يلي الصحراء ، وهم الذين نزل عليهم عبد الرحمان بن رستم مؤسس الدولة الرستمية فباعوه بالخلافة وبنوا له مدينة تيهرت ، ثم أكلتهم الحروب التي حدثت فيما بعد بين الممالك والامارات المغربية وخربت تيهرت التي اختطوها فهلكوا بهلاكها وبقيت منهم فرق أوزاعاً في القبائل ، باسمهم سميت قرية لمايسة الواقعة بين زوارة وطسرابلس .

---

(102) يكتب ويفرأ أيضاً تمزيت .

(103) كتبت أيضاً دونة .

ج - مديونة : من أشهر قبائل المغرب ، كان جمهورهم بنواحي تلمسان بين جبل بني راشد والجبل المنسوب اليهم قبلة وجدة ، ودخلت منهم جماعات وفيرة العدد الى الأندلس مع طلائع الفتح الاسلامى فكان لهم بها استئصال ، ثم زاحمتهم القبائل فى بلادهم حتى ألجأتهم الى حصون جبل تاسالة وجبل وجدة ، منهم فرق معروفة باسمها الأصل بالمغربين الأقصى والأوسط ، ويطون مندرجة فى قبائل أخرى ومواضع مسماة باسم القبيلة او مضافة اليه .

ح - مطماطة : اسم أبيهم مصكاب ، ومطماط ليس الا لقباً له ، وتعتبر مطماطة شعباً لاشتغالها على قبائل عديدة لا يخلو منها مكان بالمغرب ، واليهم ينسب الجبل الشهير الواقع فى جنوب القنطرة التونسية وسيأتى الكلام مفصلاً عنهم فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

خ - مطقرة : (104) من أوفر قبائل ضريبة ، كان جمهورهم بالمغرب الأقصى على عهد الفتح الاسلامى ، وساءموا فى فتح الأندلس مع طارق ابن زياد وأجازت منهم أمم اليها بعد ذلك واستقروا بها ، وهم موجودون اليوم بنواحي تلمسان وفاس وقرى تافيلالت وتوات ، ومنهم أوزاع فى أعمال المغرب الأوسط وإفريقية .

د - مغيرة : كان منهم جمهوران أحدهما قرب مصب وادى شلف بالمغرب الأوسط ، والآخر بالمغرب الأقصى ، وهم إحدى القبائل التى قامت بنصرة الامام ادريس بن عبد الله الكامل لما حل بالمغرب وحملت البربر على طاعته والدخول فى أمره ، لم يبق منهم على عهد ابن خلدون بمواطنهم الشرقية جمع ولا حى ، وأكثريتهم موجودة اليوم بناحية فاس وصفرو وتازة من المغرب الأقصى .

ذ - صدينة : إحدى القبائل التى قامت مع مغيرة لنصرة ادريس ابن عبد الله الكامل ، منها بطن مندرج فى قبيلة شراكة قرب فاس ، وبها سميت قرية قرب تطوان .

---

(104) تكتب أيضاً بدال مدغرة ، وقد فرق النسابون والمؤرخون بين مطقرة تلمسان ومدغرة تافيلالت والصحراء ، فجعلوا الأولى بالطا ، والثانية بالدال .

ومن ولد يحيى بن ضريس :

ز - زناتة : من ولد أجانا أو زانا (105) بن يحيى بن ضريس ، اضيفت اليه الألف والثناء للتعظيم عند الجمع على طريقة البربر فصارت جانات أو زانات ، فلما عربيه العرب عاملوه معاملة المفرد وأضافوا اليه هاء الجمع فصار زناتة ، وقيل فى نسبهم أنهم عرب كما سيأتى فى القسم الثالث ، وهذا الشعب من أكبر شعوب البربر على الإطلاق تسلموا ذروة الملك والامارة فى الاسلام مرات عديدة ، فمنهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وخلفاء الموحدين ، وبنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان وسواهم ، وتنضوى تحت زناتة قبائل كثيرة وبطون عديدة ، وكانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس الى وادى الساورة ، ثم طلعت منهم جماعات الى التل فاستوطنت المغرب الأوسط وملأت سهوله وجباله حتى سمي وطن زناتة كما استوطنوا القسم الشرقى من المغرب الأقصى الى جبال تازة ، وهم موجودون اليوم فى كل مكان بالبلاد المغربية ، معروفون باسمهم الأصل أو بأسماء قبائلهم وبطونهم الفرعية ، وسيأتى تفصيل الكلام عليهم جميعاً فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

ظ - زوارة : منهم بطون مندمجة فى قبيلة بنى موسى ( دوار سيدى حمودة ) وقبيلة صنهاجة ( دوار الشركة ) وقبيلة أولاد عطية ( دوار الصوادق ) بالمغرب الأوسط ، وبهم سميت المدينة الساحلية الواقعة الى الغرب من طرابلس ، وقد التبست هذه القبيلة على كثير من المؤرخين والنسابين فحسبوها قبيلة زوارة التى يرجح أنها من بربر كتامة البرانس .

ك - زواغة : بنو سمكان (106) بن يحيى اخوة زوارة ، ينقسمون الى ثلاثة بطون : بنو دمر بن زواغ ، وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ ، وبنو ماجر ابن تيفون بن زواغ ، وهم أوزاغ فى القبائل منتشرون فى جميع البلاد المغربية ، منهم قبيلة معروفة باسمهم الجامع فى ناحية فج مزالة بالقطر الجزائرى ،

---

(105) ويكتب أيضاً شانا بالنسب .

(106) توجد بأفليم وزواغات من المغرب الأقصى قبيلة تدعى آيت سمكان .

وكانت منهم فى أول الفتح الإسلامى فرقة بظاهر فاس إليها ينسب بسيط  
زواغة الواقع بينها وبين صفرو وجبل كندر .

ل - مكناسة : هم فى الحقيقة شعب كبير تنطوى تحته جميع بطون  
مكناسة وأوكتة وورتناج أبناء ورسطف بن يحيى بن ضريس والقبائل المتنفرعة  
عنها ، كانت مواطنهم الأصلية على وادى ملوية من لدن منبعه بجبال الأطلس  
المتوسط الى مصبه بالبحر الأبيض وما يقارب ذلك الوادى من جبال وسهول ،  
وباسمهم سميت مدينة مكناس الحاضرة المغربية الشهيرة ، ولا تزال  
بقاياها بجوار تازة تدعى باسمها الأصل ، وكذلك توجد قبيلة منها تحمل نفس  
الاسم قرب مدينة عمى موسى بعمالة وهران ، وتوجد أوزاعها وقبائلها  
الفرعية بسائر أقطار المغرب العربى ، ودخلت منها فرق الى الأندلس نبه منها  
بعض البيوت كبيت بنى وانسوس رهط الوزير سليمان بن وانسوس .





## شعوب البرانس

### 1 - شعب أزداجة

يعرفون أيضاً بوزداجة ، وكثير من نسابة البربر يعدونهم فى بطون زناتة ، وقد يقال أن أزداجة من زناتة البثرية ، ووزداجة من هواراة البرنسية .

كانت مواطنهم بناحية وهران من المغرب الأوسط ، وكانت لهم كثرة ووفور ، واعتزاز وآثار فى الفتن والحروب الى أن استأصلهم يعلى بن أبى محمد اليفرنى بأمر الخليفة الناصر الأموى سنة 443 وهجر الرؤساء منهم الى الأندلس فلم تبق منهم الا أوزاع تقيم على حبال من السدل والهضيمة وتنتظم فى عسداد القبائل الغارمة .

من بطونهم :

أ - مسطاس : يقال أنهم بطن مندرج فيهم فقط ، ويقال أيضاً أنهم ولد مسطاس أخى أزداج ، منهم أوزاع بالمغرب الأقصى ، وأسرة شهيرة .

ب - بنى مسكن بجيم بدوية كانوا مجاورين لوهران .

### 2 - شعب أوربة

ولد أورب بن برنس ، كانوا من القبائل التى لها الكثرة والغلب لعهد الفتح الاسلامى لوفرة عددهم وشدة بأسهم وكان أميرهم يومئذ سكرديد بن زوغى بن بارزت بن برزيات توفى سنة 71 هـ بعد ما ولى عليهم 73 سنة ، لا تزال بقاياها بناحية تازة معروفة باسمها الاصلى المغرب ( وربة ) ، وتزعم قبيلة آيت وريبل أنها منحدرة منها .

من قبائلهم :

### أ - ديقوسة

ب - دغبوة : لا تزال معروفة بهذا الاسم شمال اقليم فاس ، ومنها بطن مندرج فى قبيلة التلاغمة ( دوار راس سكين ) بالمغرب الأوسط .

ت - زهجوكة : كتبت فى تاريخ ابن خلدون زهكوجة ، وينطق بها اليوم محلياً جهجوكة أيضاً ، كانت مواطنها بجهات القصر الكبير من المغرب الأقصى ، وبها سميت قرية هناك ذكر البكرى أنها كانت مقر أحد أمراء الأدارسة ، وزهجوكة مشهورة بين قبائل جباله بالرقص والغناء وتضرب بها الأمثال فى ذلك .

ث - بجاية : لامها أصلى كلام لمدية و لمثونة الصنهاجيتين ، ما تزال موجودة قرب وادى ورغة شمال اقليم فاس ، وقد حرفت الى بجاية فى النسخ المطبوعة من تاريخ ابن خلدون ، والصواب هو ما أثبتناه ، لأن بجاية بعيدة عن مواطن أوربة ، ومعدودة من قبائل كتامة أو صنهاجة بالمغرب الأوسط كما سيأتى .

ج - مزياتة : تعرف اليوم بمزيات فقط ، مواطنها قرب وادى ورغة شمال اقليم فاس .

### ح - نفاسة

### خ - ونيجة

## 3 - شعب أوريفة

ويقال لشعب أوريفة وريفة أو ريفة اختصاراً ، ويقال لهم أيضاً هواره تغليباً ، وهم بنو أوريف بن برنس .

زعم كثير من النسابين أن شعوب أوريفة وقبائلها من عرب اليمن ، وقيل من عاملة احدى بطون قضاة ، أو من ولد المسور بن السكاسك بن وائل ابن حمير ، وإذا تحروا الصواب فى نسب أوريف قالوا انه ابن خبور بن المشنى ابن المسور ، وعند هاؤلاء النسابين أن هواره وصنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة اخوة يعرف جميعهم ببني ينهل وأن المسور جدهم جميعاً وقع الى

البشر ونزل على بنى زحيك بن مادغيس الأبتري ، وكانوا أربعة : أداس ، وضريس ، ولوا ، ونفوس ، فزوجه أختهم تبصكي (107) العرجاء بنت زحيك . وبطون أوريغة التي تتفرع عنها شعوبهم وقبائلهم كثيرة جداً فيها من أبناء أوريغ وفيها من أبناء غيره ، وقد تقدم أن قبائل أداسة البثرية اندمجت في هواراة منهم ، كما اندمج فيهم عدد آخر من القبائل البرنسية قبل الاسلام ، ومن القبائل العربية بعده .

وكانت مواطن جمهورهم لأول الفتح الاسلامي بنواحي طرابلس وما يليها من برقة ، طواعن وأهلين ، ثم انساحوا مع الزخوف الاسلامية الى سائر جهات المغرب والصحراء ، وعبروا البحر مجاهدين الى الأندلس مع طارق بن زياد ، والى صقلية مع أسد بن الفرات ، وكانت لهم وقائع وأيام وحادث وآثار كثيرة في القرون الأولى التي تلت دخول المسلمين الى البلاد المغربية .

ويندرج تحت اسم أوريغة أربعة شعوب وعدد من القبائل والبطون . أما الشعوب فهي المتسلسلة من أبناء أوريغ الأربعة :

- 1 - ملد بن أوريغ ويقال لقبائله بنو لهان أو لهانسة فقط .
- 2 - مقر بن أوريغ وينطق ويكتب أيضاً مغر بالغيين على عادة أهل الصحراء في قلب القاف غيناً .
- 3 - قلدن بن أوريغ .
- 4 - هوار بن أوريغ .

أما القبائل والبطون المندمجة فيهم فمنهم قبائل شعب أداسة التي سبقت لدى الكلام على شعوب البتر ، يقال أن أم أداس تزوجها بعد زحيك بن مادغيس الأبتري - أوريغ بن برنس فاختلفت نسب أداسة مع نسب أوريغة بسبب ذلك ، ومنهم قبائل برنسمية وأخرى عربية شاركتها في المواطن والمراعي طوعاً أو كرهاً ، ورافقتها في الزخوف والمرابط فأصبحت وإياها شيئاً واحداً .

---

(107) تكتب أيضاً وتنطق تيسكي وتيزكي .

وجميع هذه الشعوب والقبائل والبطون الوريغية غلب عليها اسم هواره ، لأن هوار بن أورينغ أكبر اخوته سنًا وأسيرهم ذكرًا فانتسبوا اليه جميعاً .

فمن قبائل لهانة بنى لهان بن ملد بن أورينغ :

#### أ - اسيل

ب - سطات : كتبت في تاريخ ابن خلدون سطط ، وفي جمهرة ابن حزم سئات ، لعل اليها نسبة المدينة القريية من الدار البيضاء ، وليس منها قبيلة سطة الشهيرة باقليم فاس ، فهذه من شعب صنهاجة كما سيأتي .

ت - هليلة : من أكبر قبائل البلاد المغربية لها فروع في جميع الجهات مستقلة بنفسها أو مندمجة في غيرها ، وينسب اليها عدة مواضع .

ث - مسراتة : باسمها سميت المدينة الطرابلسية الشهيرة .

ج - ونيفن : عندها سابق المطماطى فى جملة قبائل لهانة .

ح - ورفل : لعل منها بطن ورفلة المندرج فى قبيلة أولاد سيدي يحيى ( دوار ابن الكفيف ) المستقرة قرب تبسة بالمغرب الأوسط .

ومن قبائل مقر أو مقر :

خ - زمور : يوجدون بكثرة فى جميع البلاد المغربية .

د - كبا : كذا وردت فى جمهرة ابن حزم وكتبت ( كباد ) فى تاريخ ابن خلدون .

ذ - كركودة : من القبائل التى زادها سابق المطماطى وأصحابه .

ر - ملاواس : منهم فروع بالمغرب كانت مندرجة فى قبيلة بطوية .

ز - منداسة : أبناء منداس بن مقر ، اليهم ينسب وادى منداس من عمالة وهران وكانت مواطنهم هناك الى أن استفحل أمر مطماطة فأخرجوا منداسة منها وغلبوهم على أمرهم ، وهم قبيل سعيد بن عبد الله المنداسى الشاعر الفحل صاحب ( الحقيقة ) فى مدح الرسول ومادح السلطان مولاي اسماعيل ابن الشريف العلوى .

ط - سرای : وکتبت أيضاً مسرای ومسرات .  
ظ - ورجین : عدها سابق وأصحابه فى بنى مقر ، وهم موجودون  
اليوم قرب عنابة معروفون باسمهم الأصلی : بنى ورجین .  
ومن قبائل فلدن :

ك - بيانة : كتب أيضاً بيانة .

ل - فصل : كتب أيضاً بل ، ويظهر أن الأول أصح لوجود ما يدل  
عليه من أسماء القبائل البربرية مثل آيت وفلة .

م - قمصانة : كتب أيضاً قمصانة .

ن - ورصطيف : كتب أيضاً ورصطيف .

ومن ولد هوار بن أوريج قبائل بنى كهلان التى هى :

ص - زكاوة : يوجدون بناحية شرشال والأصنام بالمغرب الأوسط ،  
وبجبال الهبط بالمغرب الأقصى ، وقد كتب الاسم بالواو بدل الراء فى تاريخ  
ابن خلدون ( زكاوة ) والأول أصح ، إذ لا تعرف قبيلة بالاسم الأخير فى  
البلاد المغربية .

ض - مجريس

ع - مسلانة

غ - غريسان : بها سميت قرية واقعة جنوب مدينة طرابلس .

ف - ورغة : لا تزال منها بقية بالجنوب التونسى ، واليها ينسب

نهر بشمال المغرب الأقصى كانت فرقة منها تسكن على عدوتيه .

ويقال أن من بنى كهلان الهواريين أيضاً قبائل وليفن وورجين ومليلة

التي تقدمت ، وكذلك

قي - بنى كسى

س - كشوة

ش - هكارة : سكان المنطقة الوسطى والشرقية من صحراء المغرب ،

وبهم تعرف المنطقة كلها هكار ، وأصل هكاره هواره قلبت العجمة واوا أعجمياً يخرج بين الكاف العربى والقاف .

ه - هيوارة : عدما سابق وأصحابه من جملة قبائل بنى كهلان الهواريين ، وذكرهم ابن خلدون مع بطون بنى يلول من كومية .

و - ورتاكط

#### 4 - شعب كتامة

من أشهر شعوب البربر وأشدهم قوة وبأساً وأكثرهم استقراراً وتمرساً بالحضارة ، ينسبون الى أبيهم كتام أو كتم بن برنس ، ويؤكد الطبرى وابن الكلبي وغيرهما من نسابي العرب أنهم من حمير ، وأن افريقش بن قيس ابن صيفى من ملوك التبابعة الذى افتتح افريقية بقبائل العرب فى زمن قديم خلفهم وصنهاجة به عند رجوعه من غزوته وسماهم البربر لما رأى من لفظهم وتغير لغتهم بعد اختلاطهم بأهل البلاد الأصليين عدة سنوات .

كانت قبائل كتامة موجودة من قديم فى جميع نواحي المغرب ، الا أن جمهورهم كان عند الفتح الاسلامى موطناً بارياف اقليم قسنطينة وشرق المغرب الأوسط على العموم من جبل أوراس جنوباً الى سيف البحر ما بين عنابة وبجاية، وكانت لهم فى تلك المواطن مدن مذكورة مثل سطيف وباغاية وتقاوس وبلزمة وميلة وقسنطينة والقل وجيجل ، أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالاتهم ، لكنهم تنكروا مع ذلك لنسبهم وأخذوا يفرون منه بعد ما أصبح المثل السائر فى الدلة بن القبائل لما نكروهم الدول بسبب انتحالهم لبعض المذاهب الشاذة ، ولم تبق منهم الا قبيلة واحدة معروفة باسمها الاصلى مستقرة بشمال المغرب الأقصى .

ولكتامة قبائل وبطون كثيرة يجمعها كلها ابناه غرسن ويسودة .

فمن قبائل غرسن

- بنو يناوة وهم :

أ - **جيملة** : بكسر الجيم ومد وسكون الميم ، ما زالت معروفة الى اليوم بهذا الاسم ، وهي ساكنة على عدوتى وادى جندين بين جيجل وسطيف من المغرب الأوسط .

ب - **لهيصة** : لا تعرف مواطنهم ، ومنهم القائد الشهير أبو حميد دواس بن صولان اللهيصى الذى عقد له على تيهرت القائد عروبة بن يوسف الكتامى سنة 298 .

ت - **مسالطة** : توجد بقاياها اليوم معروفة بهذا الاسم مندرجة فى قبيلة الساحل القبلى (دوار تالا - ايفاسين) بين أقبو وسطيف بالمغرب الأوسط .  
- وبنو ينطاسن وهم :

ث - **اجانة**

ج - **أوفاس**

ح - **غسمان**

- وبنو أيان وهم :

خ - **ملوثة** : وتكتب أيضاً ملوسة بالسين ، منهم قبيلة شهيرة معروفة باسمها الى اليوم مستقرة بجوار المسيلة بالمغرب الأوسط ، وبطن مندرج فى قبيلة أنجرة بين سبتة وطنجة سميت به قرية دعاها أبو عبيد البكرى ملوثة ، ومن ملوسة أيضاً بنو زلدوى أهل الجبل المطل على قسنطينة .

- ومن قبائل غرسن أيضاً :

د - **ماوطن**

ذ - **معاذ**

ر - **قسلان**

- ومن قبائل يسودة بن كتام :

ز - **دنهاجة** : منها بطن معروف باسمها الى اليوم مندرج فى قبيلة زرديزة ( دوار بوطيب ) المستقرة بين سكيادة وعنابة ، وذكر ابن خلدون أن

اليها تنسب قصور كتامة بالمغرب لعهد (108) ، وذكر أبو عبيد في المسالك والممالك مكاناً منسوباً اليهم قريباً من جبل صرصر يسمى قصر دنهاجة ، قال انه على تل وتحتة نهر عظيم وفيه آثار للأول ، وبه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدهر .

**ط - متوسة :** ما زالت معروفة بهذا الاسم الى الآن مع مجموعة قبائل الحراكتة قرب مدينة العين البيضاء بعمالة قسنطينة ، ومنها بطن مندمج في قبيلة جيملة الساكنة بن جيجل وسطيف يدعى متوسين .

### ظ - فلاسة

### ك - وريسن

**ل - زواوة :** عدهم بعض النسابين اخوة زواغة البتريين من ولد سميكان بن يحيى بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري ، واضطرب ابن حزم في الجمهرة فذكرهم مرة مع قبيلة خريسة البتريّة (109) ومرة جعلهم من كتامة لما تكلم على البيوتات البربرية بالأندلس (110) وحصل مثل هذا التردد لابن خلدون فذكرهم مع البتر ومع البرانس مع ميله الى الاعتقاد أنهم من كتامة للموطن ونحلة التشيع معهم لعبيد الله الفاطمي ، ( والمواطن أوضح دليل عليه ، والا فإين مواطن زواغة وهي بطرابلس وبالمغرب الأقصى من مواطن كتامة ) ؟ وهو يرى أن التصحيف هو الذي حمل على الغلط في نسبهم ، فقد صحف اسم زواوة بالزاي اخوة زواغة الى زواوة بالواو فاستمر التصحيف وجمعت زواغة وزواوة معاً في نسب سميكان . ويظهر لي أن ابن خلدون نفسه وقع هنا في خطأ بسبب التصحيف ، فالاسم الذي صحف وكسان مثار هذا الالتباس هو **زواوة** بالراء التي سميت بها مدينة وتعرف منها بطون الى اليوم ، وليس زواوة التي لا تعرف بين قبائل البربر في قديم ولا حديث .

---

(108) تاريخ ابن خلدون 6 : 302 والمعروف أن مدينة القصر الكبير الواقعة بين فاس وطنجة هي التي كانت تعرف بقصر كتامة أو قصر عبد الكريم .

(109) جمهرة أنساب العرب ص 495 .

(110) جمهرة أنساب العرب ص 501 .



وزاوة فى الحقيقة شعب كبير يشتمل على عدد من القبائل ، وهم  
يسكنون الجبل المنسوب اليهم الواقع الى شرق مدينة الجزائر بين بجاية ودلس ،  
( وهو أعصم معاقلمهم وأمنع حصونهم ، فلهم به الاعتزاز على الدول ، والخيار  
عليها فى اعطاء المغرب (III) ) ، ومنهم أوزاع مستقرة فى سائر البلاد المغربية .  
وسياتى الكلام على قبائلهم وبطونهم مفصلاً فى القسم الثالث من هذا الكتاب .  
م - كتامة : قبيلة مستقرة باقليم الحسيمة من المغرب الأقصى ،  
وهى معدودة مع مجموعة **صنهاجة السرايسر** رغم اختلافهما فى النسب .

ن - **مصالة** : تنطق أيضاً مزالة باشمام الزاى صاداً ، ما زالت  
معروفة الى اليوم باسمها ، مستقرة بالعدوة اليسرى لوادى يداس على بعد 26  
كلم الى الشمال الغربى من مدينة بجاية ، واليها تنسب مدينة فج مزالة الواقعة  
الى الجنوب من مرسى جيجل .

ص - **بنى قنسيلا**

ض - **سدويكش**

ع - **بنى يستيتن** : يعرفون اليوم بستيتن وأهل ستيتن ، منهم  
قبيلة مستقرة قرب البيض على بعد 20 كلم الى الشمال الشرقى منها ، ومنهم  
فرقة مندرجة فى بنى كلال بجهة دبدو باقليم وجدة .

غ - **هشتيو**

ف - **بنى تليلان** : ما زالوا موجودين معروفين باسمهم قرب الميلية  
باقليم قسنطينة .

## 5 - شعب مصمودة

هم أقحاح البربر الذين لم يختلطوا بسواهم الا نادراً ، وأهل المغرب  
الأقصى الأولون المختصون بسكنى جباله منذ الأحقاب المتطاولة ، لم يخرجوا  
منه الا بعد مجيء الاسلام اما لنشره بين من يجاورهم من الأمم والشعوب ،  
واما لتوطيد نفوذ الامارات والممالك المغربية فيما خلف وطنهم من أوطان .

وهم أبناء مصمود بن برنس أبى شعوب البرانس

كانت مواطنهم الأصلية تبتدىء فى شمال المغرب الأقصى ، من حدود بلاد الريف من جهة الشرق الى المحيط الأطلسى من جهة الغرب ثم تمتد مساحة الى الجنوب شاملة سهول أزغار ( الغرب ) وتامسنا ( الشاوية ) ودكالة والحوز حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير الى سفوحها الخلفية المظلة على اقليم سوس ، ثم تسير شرقاً من رؤوسها الداخلة فى المحيط الأطلسى الى ملتقاها بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة عند ثنية المعدن المعروفة ببني فازاز المفضية الى آكرسلوين بناحية سجلماسة حيث تبتدىء مواطن الزناكة (II2) فهم أهل الجبال وغيرهم أهل البسائط الا قليلا .

وتشتمل مصمودة على شعوب وعدد كبير من القبائل تعرف بأسماء فرعية ، ولم يبق معروفاً منها بالاسم الا قبيلة واحدة مستقرة قرب مدينة وزان الى الشمال الغربى من فاس ، وبطون مندمجة فى قبائل مصمودية وغير مصمودية بالمغرب الأقصى والجزائر ، وفيما يسلى أهم شعوب مصمودة وقبائلها :

١ - **برغواطة** : أكد ابن خلدون فى صيغة الجزم أن برغواطة ( شعب من شعوب المصامدة معروف (II3) بعد ما ذكر قبل هذه العبارة بقليل ) أنهم كانوا شعباً كثيرة متفرقة (II4) والذي يتتبع كلام المؤرخين الذين عاشوا قبل ابن خلدون بقرون وكانوا معاصرين لبرغواطة يفهم أن هذه الكلمة ليست لها دلالة سلالية بالمرّة وانما تدل على نحلة دينية أطلقت على القبائل التى اتبعتها فقبل لها برغواطة كما يقال الشيعة والحوارج والرافضة والمعتزلة ، وأصل الكلمة على ما ذكر المؤرخون أن صالح بن طريف أو يونس مؤسس ديانة برغواطة أصله من فحوص برباط بالاندلس فقبل لكل من دخل فى الديانة التى ادعى أنه أوحى اليه بها برباطى أو أبرباط ، ثم أحاله العرب بالسنتهم الى

---

(II2) أو الصناكة بالصاد : صنهاجة الجنوب .

(II3) تاريخ ابن خلدون 6 : 435

(II4) تاريخ ابن خلدون 6 : 428

برغواط وأضافوا اليه ماء الجمع فصار برغواط ، أما أتباع هذه النحلة الذين يطلق عليهم هذا الاسم فهم بنو صالح بن طريف واثنتا عشرة قبيلة من قبائل البئر والبرانس ذكرها بأسمائها أبو عبيد البكري في المسالك والممالك (II5) كما ذكر سبع عشرة قبيلة أخرى كانت تطيعهم وتحسب من مملكتهم مع بقائها متمسكة بالاسلام .

كانت المنطقة التي شاعت فيها ديانة برغواط هي منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى الممتدة من نهر سلا (II6) الى نهر أم الربيع ، أي ما يعادل المنطقة التي تسكن فيها حالياً قبائل الشاوية وزعير ، وكانت في الأصل موطناً لزنانة وزواغة حتى نزل بها طريف صاحب ميسرة الحقيير الذي سن لاهلها مذهباً لم يلبث ابنه صالح أن صيره ديانة ، فانضمت اليهم قبائل أخرى عرفوا واياهم باسم المذهب الذي يدينون به ، وقد استمر هذا المذهب قائماً الى منتصف القرن الخامس الهجري ، ولكن أتباعه بقوا منذ تأسيسه معرضين لهجمات الامارات والممالك الاسلامية بالمغرب والاندلس وتنكيلها ، ومن أشهر الأمراء والقواد الذين فتكوا بهم الأمير تميم اليفرنى بعد سنة 420 والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى داعية الموحدين الذي استشهد وهو يقاتلهم بكريفة من أرض زعير سنة 450 .

وقد اندثر اسم برغواط منذ ذلك التاريخ وحل محل أتباعه في مواطنهم أو شاركهم فيها قبائل عربية طارئة وأخرى بربرية متعربة مثل مالك وسفيان ، وعامر وحصين ، والشاوية وزعير .

**ب - تينمل :** (II7) من قبائل مصودة على عهد الموحدين ، كانوا يعدلون هرغة قبيلة المهدي بن تومرت داعيتهم في التعصب له لتحيزه اليهم وبناء داره ومسجده بينهم ، وقد ذكر صاحب كتاب ( الأنساب ، في معرفة الأصحاب ) أحد عشر بطناً (II8) لتينمل ، وتسمى القبيلة اليوم

---

(II5) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 140 .

(II6) سماء أبو عبيد في المسالك والممالك نهر وانسيفن وقال انه يقع في نهر سلا تحت الرباط في البحر المحيط فهو ولا شك أحد روافد نهر أبي رفران الحالي .

(II7) تكتب أيضاً تينمل وتينمل .

(II8) أخيار المهدي بن تومرت ص 40 ط. باريس 1928 .

**أهل وادى نفيس** وهى واقعة الى الجنوب الغربى من مراکش قرب قرية أميزميز ، ولم يبق معروفاً منها بتيتمل الا المكان الذى يوجد فيه مسجد المهدي بن تومرت وقبور الموحدين المنبوشة .

**ت - حاحة :** هم شعب يشتمل على عدد من القبائل ، ما زالوا معروفين باسمهم الاصلى ومستقرين بمواطنهم الاولى على سيف البحر بين مدينتى الصويرة وأكدير .

**ث - دكالة :** من النسابين من عددهم من صنهاجة ، ولعل السبب الذى أوقعهم فى ذلك الخطأ ما رأوه من تعصب دكالة للدولة الممتونية فى منتصف القرن الخامس الهجرى خلاف سائر قبائل مصوودة التى بادرت الى الدخول فى دعوة الموحدين ، وما زالت دكالة مستقرة اليوم حيث كانت فى القديم ، على سيف البحر والسهول المجاورة له بين وادى أم الربيع ووادى نسيقة ( تنسيقت ) ، وهم شعب يشتمل على عدد كبير من القبائل والبطون ، وقد داخلهم فى القرن السادس والقرن السابع من الهجرة العرب من موجة الهالبيين وأحلافهم فغربوهم وانقسمت دكالة منذ ذلك العهد الى دكالة الحمراء وهى الجنوبية التى تحيط بآسفى وتسمى اليوم عبدة ، ودكالة البيضاء وهى الشمالية التى تحفظ اسم دكالة .

**ج - وكراكة :** أشرف قبائل مصوودة لسبقهم الى الاسلام وجهادهم فى سبيله حتى ليقال أن قدماءهم شدوا الرحلة الى النبی محمد (ص) بمكة فى أول ظهوره وكلموه باللغة البربرية فأجابهم بها وأسلموا ورجعوا للمغرب ، كانت مواطنهم على عدوتى وادى نسيقة ( تنسيقت ) عند مصبه فى البحر ثم تلاشوا فى القبائل فبعضهم بسوس وبعضهم بالسراغنة وبعض آخر فى جهات أخرى ، ولم يبق منهم فى مواطنهم الاولى الا قبيلة صغيرة مندمجة فى شعب الشياظمة .

**ح - كدميوة :** ذكر مؤلف ( كتاب الأنساب ) لها 46 بطناً ، وقسمها الى كدميوة الجبل وكدميوة الفحص ، وهى مستقرة الى الجنوب من مراکش وبها تقع قرية أميزميز .

خ - **كلاوة** : تقع الى الجنوب الشرقى من مراکش بينها وبين ورزازات ، وهى اليوم منقسمة الى كلاوة شمالية ( دائرة آيت وريز ) وكلاوة جنوبية ( دائرة ورزازات ) .

د - **كنفيسة** : تقع شمال وادى سوس ، ذكر فى كتاب ( الأنساب ) لها اثنان وعشرون بطناً وعد بعضها ، وأكثر هذه البطون قبائل مستقلة اليوم بنفسها معروفة بأسمائها الفرعية مثل **زداغة** ( ادا وزداغ ) و **مناكة** و **مدلاوة** و **سكساوة** الخ .

ذ - **صادة** : تعريب كلمة **ايصادن** و **اصادن** و **اصادة** ذكروا فى كتاب ( الأنساب ، فى معرفة الأصحاب ) مرة مع مسكورة الظل ، ومرة مع القبائل المضافة ، وذكر ابن خلدون أن منهم بطن مسفاوة وبطن ماغوس ، وروى فى صيغة الاحتمال ان منهم أيضا غمارة ورمونة وأمول ، ويظهر أن القبيلة كانت لها فروع بشمال المغرب ووسطه ، فقد ذكرهم أبو عبيد البكرى فى مسالكة وممالكه من جملة القبائل المضافين الى برغواطة ، كما ذكر لهم مدينة قريبة من وادى ورغة قال انها مدينة بها آثار للأول ذات أعناب وأشجار كثيرة .

ر - **غمارة** : هم مصودة الشمال ، ومن أشهر شعوب البربر وقبائلهم ، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود ، وقيل غمار بن سطات بن مليل بن مصمود ، وقيل غمار بن اصاد بن مصمود ، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمارة ، وهو مذهب عامى .

كانت مواطنهم تمتد على ساحل البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسي ، ثم تمتد على السهول الساحلية حيث كان يسكن بنو حسان منهم قبل دخول العرب الهلاليين حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن قبائل برغواطة ، ثم حدثت تغيرات كثيرة فى مساكن القبائل المصمودية منذ القرن السادس الهجرى الذى غمرت فيه المغرب موجات من العرب الهلاليين والمنصافين اليهم فزاحموا قبائل البربر ومنهم غمارة بالسهول والجاوها الى الجبال واضطر من بقى منها فى غير الجبل الى التعرب والاندماج فيهم ، وقد

تضاءلت المنطقة التي تسكنها القبائل المسماة اليوم غمارة وهى واقعة الى الجنوب الشرقى من تطوان على ساحل البحر ، ولكن قبائل غمارة المعروفة بأسمائها الفرعية ما زالت تعبر منطقة أوسع وأكبر ، كما أن قبائل أخرى معروفة بالاسم الاصلى أو الأسماء الفرعية انتقلت من مواطنها الأولى الى مواطن جديدة بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، وسنتكلم بأسهاب على قبائل هذا الشعب ومواطنها الحالية فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

ز - هرغة : قبيلة المهدي بن تومرت داعية الموحدين ، واسمها البربرى أوغن ، يظهر أنها كانت قبيلة كبيرة ، وعسدد صاحب ( الأنساب ) بطونها والمضامين إليها ، لكنهم دثروا وتلاشوا وانتفقوا فى القاصية من كل وجه ، لما كانوا أشد القوم بلاء فى القيام بالدعوة وأصلاحهم لنارعا بقرابتهم من صاحبها وتعصبهم على أمره ، ولم يبق منهم الا اخلاط وأوشاب ، أمرهم الى غيرهم من رجالات المصامدة لا يملكون عليهم منه شيئا ( II9 ) .

بقاياهم موجودة اليوم باقليم أكدير الى الشرق من مدينة رودانة ( ترودانت ) قرب وادى سوس .

ط - هرزجة : ذكروا فى كتاب ( الأنساب ) بالاسم السابق العرب وبالاسم الاصلى البربر ايليؤركن وعدوا فيه من جملة القبائل ، ولا تعرف اليوم قبيلة بهذا الاسم ، وأحسب قبيلة الزرقيين الموجودة الى الجنوب من وادى درعة من بقايا قبيلة هرزجة .

ظ - هزميرة : كانت مستقرة بحوز مراكش .

ك - هنتاتة : واسم جدهم هنتات ينتى بلسان المصامدة ، ذكر لهم فى كتاب ( الأنساب ) تسعة بطون مثل غيغاية ووزكيتة ، فلا شك أن مواطنهم كانت حيث القبيلتان المذكورتان جنوب مراكش ، كانوا على عهد الموحدين تلو قبيلة هرغة وقبيلة تينملل بما كانوا عليه من الكثرة والبأس ولما

كان لشيخهم أبى حفص عمر بن يحيى - جد ملوك الدولة الفخمية - من صحبة المهدي والاعتزاز على المصامدة وقد انمحي اسم هنتاة اليوم وحلت محله أسماء بطونها التي ارتقت الى قبائل ، ولكن بعض الأسر ما زالت تنسب اليها خصوصاً بمدينة صفاقس .

**ل - هيلانة :** بنو ايلان بن مصمود ، وذكر ابو عبد الله بن ابى المجد في كتاب الأنساب له : أنه ايلان بن بر بن قيس بن عيلان ، وان هيلانة عرب صريحون ، وأنهم خلاف المصامدة ، كانت مواطنهم بحوز مراكش ، واليهيم ينسب باب ايلان منها ، كما ينسب اليهم أغمات ايلان ، ولم يبق لهم اليوم وجود بهذا الاسم .

**م - وريكة :** معروفون باسمهم الى اليوم مستقرون بمواطنهم في الجبال الشاهقة جنوب مراكش على حافتي الوادي المضاف اليهم .

**ن - وزكينة :** يوجدون اليوم قرب مراكش حيث مواطنهم الأصلية ، وهم قسمان : قسم يعرف بالاسم المغرب وزكينة قرب آسني ، وقسم يعرف بالاسم المبربر آيت واوذكيت قرب ورزازات ويشتمل على 25 قبيلة . ومنهم بطون مندرجة في قبائل أخرى .

ومن القبائل المضافة الى المصامدة وليست منهم قبائل هسكورة وجزولة ولطة فهذه معدودة من شعب صنهاجة نسباً ، ولكن لما كانت مواطنهم باقليم سوس وناحية درعة مجاورة لمواطن المصامدة بجبل درن وكانت بعض الأحداث التاريخية نظمتهم جميعاً في سلك واحد فان من المؤرخين من عدتهم مع مصمودة مع تبنيهم الى أنهم ليسوا في النسب منهم ، ومن هاؤلاء المؤرخين صاحب كتاب ( الأنساب في معرفة الأصحاب ) أصحاب المهدي بن تومرت ، واضطرب ابن خلدون فعدهم مرة مع صنهاجة (I20) ومرة مع المصامدة (I21) أما نحن في هذا الترتيب السلالي الذي تتبعه في هذا الكتاب فنذكرهم مع

(I20) تاريخ ابن خلدون 6 : 240 .

(I21) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

شعبهم الصنهاجي ، لأن الاستقرار بموطن من المواطنين والتشجيع لدعوة من الدعوات لا يرقيان إلى مرتبة العلاقة السلالية عند قبائل المغرب .

وقبائل المصامدة أكثر مما سبق عده ، وقد اقتصر المؤرخون على ذكر من نبه منها في أول الاسلام كغمارة وبرغواطة ، أو على عهد الموحدين كالقبايل السبع التي دخلت في دعوتهم قبل فتح مراكش ويسمون لها السابقة وبعض القبائل المضافة اليهم منهم ومن غيرهم ، ومن تلك القبائل من دثر اسمه وتلاشى رسمه وأكلته حروب الموحدين وحل محله في موطنه قبائل مصمودية أخرى أو عربية طارئة ، ومنه من نزل إلى رتبة بطن واندرج في قبيلة أكبر ، ومنهم بطون صغيرة ارتفعت اليوم إلى مصاف القبائل وكانت لا تحسب من قبل إلا مع غيرها كسكتانة من تينملل ، وغياغية من هنتاتة ، وسكساوة من كنفيصة الخ .

## 6 - شعب صنهاجة

بنو صنهاج بن برنس أبي البربر البرانس .

وأصل الكلمة صناك بالصاد المشم زايا والكاف القريب من الجيم ( زناك ) فلما عربه العرب زادوا الهاء بين النون والالف فصار صنهاج ثم أضافوا إليه هاء الجمع وأطلقوا الكلمة على جميع القبائل المتناسلة منه .

واختلف النسابون في نسب صنهاجة ، فعن ابن الكلبي والطبري أنهم وكتامة من حمير ، وزعم بعض النسابين أن أباهم صنهاج هو ابن يصوكان (122) بن ميسور بن الفند بن أفريقش بن قيس ، وذكر آخرون أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن المصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر من سبأ ، نقل ذلك ابن النحوي أحد مؤرخي دولتهم وجعله ليحصب ، أما المحققون من نسابي البربر فيذكرون أنه صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن كيمنة بن سدر



بن مولان بن يصلين بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن  
مضرايم بن حام ، ويزعمون أن جزول ولمط وهسكور اخوة صنهاج ، وأن أهم  
هي تيصكي المعروفة بالمرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتري وبها يعرفون .

وصنهاجة شعب كبير جداً ذكر بعض المؤرخين أن قبائلهم وبطونهم  
تنتهي الى سبعين ، وهم موجودون في كل مكان بالمغرب لا يكاد يخلو منهم  
جبل ولا بسيط ، وكانت المواطن التي اختصوا بسكنائها في الأول اربعة :  
أ- الناحية الواقعة بين بجاية والمسيلة ومليانة ولمدية والبحر بالمغرب  
الأوسط ، ب - والناحية الواقعة بين نهر كرط وبلاد غمارة والبحر المتوسط  
بالمغرب الأقصى ، ت - والناحية الواقعة بين المحيط الأطلسي ووادي درعة  
والسفوح الخلفية لجبال الأطلس ، ث - والصحراء الكبرى الممتدة من  
غدامس الى البحر المحيط وبلاد السودان بأقصى الجنوب .

وقد قسم صاحب كتاب ( الأنساب ) صنهاجة الذين كانوا يجاورون  
المصامدة بالناحية الثالثة الى **صنهاجة الظل** و **صنهاجة القبلة** ، ولا شك في انه  
يعنى بالفريق الأول سكان الجبال ، وبالفريق الثاني سكان البسائط القاحلة  
القريبة من وادي درعة المعرضين للشمس باستمرار ، وقسم ابن خلدون  
صنهاجة عموماً الى أهل مدر وهم سكان المناطق الشمالية المقيمين في بيوت  
مبنية ، وأهل وبر وهم قبائل الملتئمين الرحل سكان الخيام بأقصى الجنوب ،  
ثم قسم صنهاجة الساكنين بشمال المغرب الأقصى الى **صنهاجة العز** وهم  
المتنوعون بالجبال الوعرة عن أداء الضرائب ، و **صنهاجة البز** وهم سكان  
نهر ورغة المحترفون بالجرانة والحيافة ، أما القبائل الساكنة بقرب مدينة  
أزمور فهي **صنهاجة الادل** لأنها تطيع الحكومة وتؤدي الضرائب وتنفر عند  
الاستنفار ، ولا يزال هذا التقسيم جارياً على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال  
المغرب الأقصى مع تغيير في الأسماء ، فهم اليوم يقسمون الى **صنهاجة غلو**  
و**صنهاجة السراير** و**صنهاجة مصباح** ، وهذا الفريق الأخير يقسم بدوره الى  
**صنهاجة الشمس** و**صنهاجة الظل** .

ونستعرض فيما يلي أهم قبائل صنهاجة وبطونها :

\* **انجفة** : ظ منجافة

\* **أنوغة** : ظ وأنوغة

١ - **بجاية** : اسم قبيلة صنهاجية كانت تسكن الجبال الواقعة غرب وادي سمّام قريباً من البحر ، كان بساحلها مرسى بنى قربه الناصر بن علناس أحد ملوك بني حماد مدينة سمّاما الناصرية سنة 470 لكنها بقيت تعرف عند الناس باسم القبيلة ، وقد تشتتت بجاية بعد ذلك وصارت أوزاعاً في القبائل ولم يبق يذكر بها الا اسمها الذي تحمله مدينة الناصرية المبنية في ترابها ، ولست أدري أقبيلة **بجاوة** المتوطنة بشمال القطر التونسي من بقايا بجاية أم لا .

ب - **بطوية** : ويقال أيضاً **بطيوه** قبيلة شهيرة لها ذكر يذكر في التاريخ المغربي كانت مواطن معظمهم بريف المغرب الأقصى وشبه جزيرة هرك الذي تقع على ساحله الشرقي مدينة مليلية وعلى ساحله الغربي قرية غساسة ، وكانت بطوية تشتمل على ثلاثة بطون كبيرة : **بني وريغسل** قرب المزمة ( الحسيمة ) و**بقوية** جيرانهم الغربيين ، و**أولاد علي** بتفرسيت ، وقد حلت الفروع محل الأصل وتلاشى اسم القبيلة في تلك الناحية فلا يذكر به الا أسماء بعض الأسر ( البطوي + أبطيوي ) ، نعم يوجد في ناحية الجديدة بطن مندمج في قبيلة **أولاد بوعزيز** يحمل اسم بطوية ، كما توجد قبيلة وقرية (123) يحملان اسم بطوية أيضاً قرب مدينة أرزيو بعمالة وهران من المغرب الأوسط .

ت - **تاركة** : بجيم بدوي احدى قبائل الملتشين بالصحراء والنسبة اليها تاركي جمع تواركة وتوارك ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق الى طوارق ، انتقلت منهم بطون الى الاقاليم الشمالية كانت تختص بخدمة القصور الملكية ، ولهم حتى شهير برباط الفتح مجاور للقصر الملكي كان لا يسكن فيه من ليس منهم .

ث - **تلكانة** : بنو تلكات بن كرت ، كان لهم التقدم على قبائل صنهاجة بالمغرب الأوسط ، ومنزلتهم بينها كمنزلة لحنونة من الملتشين ، ومن

أكبر بطونهم بنو مناد الذين ينتمى اليهم ملوك صنهاجة بتونس والمغرب الأوسط ( بنو زيري وبنو حماد ) .

**ج - جزولة :** بجيم بدوى اخوة صنهاجة لام ، فلذلك أضيفوا اليهم في الترتيب ، ويدرجهم بعض النسابين والمؤرخين في مصمودة لقرب مواطن الغريقين ، فقد كانت مصمودة تسكن جبال درن وجزولة تسكن قريهم باقليم سوس ، وبجهاته كانوا يظعنون حتى زاحمهم به عرب معقل وغلبوهم عليه بعد حروب فصارت جزولة لهم خولا وأحلافا ، وكانت منهم أوزاع بوسط القطر الجزائري أيضا ، واليهم ينسب جبل أكرول منه

**ح - بنى جعد :** توجد بقاياهم قرب البويرة وعين بسام جنوب مدينة الجزائر .

**خ - بنى حميد :** بقاياهم مندرجون في قبيلة يسر الغربى ( دوار يسر الويدان ) شرق مدينة الجزائر .

**د - بنى خليل :** يعرفون اليوم ببني خليل . مواطنهم بين بجاية وتيزي وزو .

**ذ - بنى دركون :** بجيم بدوى ونون ، وينطق أيضاً دركول بكاف ولام ، منهم فرقة مستقرة بناحية زمورة القريبة من غليزان من المغرب الأوسط ، وبطون مندرجة في بعض القبائل الصنهاجية بشمال المغرب الأقصى ،

**ر - بنى زروال :** منهم فرقة كبيرة مستقرة على عدوتى وادى ورغة شمال فاس ، ووطن مندمج في قبيلة اهل ستين قرب البيض بالصحراء ، ولست أدري أبناو زرويل تحريف لبني زروال أم هم قبيل آخر .

**ز - الزناكة :** تعريبه صنهاجة ، ويقال أيضاً **ايزناكن** و**ايصنهاكن** ، ويستعمل اللفظ في الجنوب استعمال صنهاجة في الشمال ، منهم فريق باقليم ورزازات ، وفرقة بواحات فجيج بالمغرب الأقصى ، وبطون مندمجة في قبائل مغربية وأخرى جزائرية .

ط - زغاوة : من قبائل الملتين بالصحراء

ظ - كدالة : من قبائل الملتين بالصحراء

ك - لمتونة : كبرى قبائل الملتين بالصحراء ، أسلموا بعد فتح الأندلس وكانت فيهم الرياسة واستوثق لهم ملك ضخم توارثه منهم ملوك مذكورون ودخو البلاد الصحراوية ومن يجاورهم من شعوب السودان وحملوهم على الاسلام ، ثم عظم أمرهم في القرن الخامس الهجرى فطلعوا الى الأقاليم الشمالية سنة 445 و اختطوا مدينة مراكش وأسسوا الدولة المرابطية التى بسطت سلطانها على المغرب الأقصى واكثرية القطر الجزائرى والأندلس والصحراء ، وهم بطون عديدة من أشهرها بنو ورتنطق ، وبنو زمال ، وبنو صولان ، وبنو ناسجة .

ل - لمدية : لامها أصلى كلام لستونة ولمطة ، ويكتبها بعضهم بال التعريف ، ويحذف الفرنسيون الألف واللام معاً فيكتبونها مدية Médée فقط ظناً منهم أنهما زائدان ، وهم بطن من صنهاجة المغرب الأوسط ، وبأرضهم بنى الأمير بلكين بن زيرى بن مناد المدينة المعروفة بهم الواقعة على بعد 91 كلم الى الجنوب من مدينة الجزائر .

م - لمطة : اخوة صنهاجة لام ، وهم قبائل و بطون كثيرة أكثرهم أهل وبر يظعن مع قبائل الملتين ويقيم معهم ، وكان منهم بسوس قبيل ذكر فى كتاب ( الأنساب ) مع عبيد المخزن ، ثم صاروا فى عداد ذوى حسان من عرب معقل ، واليهم نسبة الفقيه واكاك بن زولو صاحب أبى عمران الفاسى وشيخ عبد الله بن ياسين داعية المرابطين ، منهم اليوم فرقة مستقرة بجبل زالغ المطل على فاس

ن - ننان : بقاياها مستقرة بالعدوة اليمنى لوادى السفلات أحد روافد وادى يسر ، غير بعيدة عن قرية عين بسام جنوب مدينة الجزائر معروفة باسمها الاصلى حتى الآن

ص - بنى مزكلدة : منهم فرقة مستقرة حالياً بين فاس ووزان .

ض - مزغنة : قبيلة شهيرة كانت مستقرة حول مدينة الجزائر قبل تأسيسها واليها نسبت بعد تأسيسها ( جزائر بنى مزغنة ) ما زالت بقاياها معروفة باسمها الاصلى مندمجة فى قبيلة بنى سليمان الشراقة ، على الضفة اليمنى لوادى يسر ، وعلى بعد 30 كلم الى الجنوب الشرقى من قرية الاربعاء .

ع - ملوانة : تعريب كلمة ايملوان البربرية ، ذكروا فى كتاب ( الانساب ) بالاسمين معا مع بطون اهل تيارت من صنهاجة القبلة ، هم اليوم أوزاع كثيرة مندمجة فى قبائل المغرب الأقصى والجزائر ، منهم بطن مع سدراتة الجبل ( آيت سدرات ) باقليم ورزازات ، وبطن مع مرغادة ( آيت مرغاد ) باقليم قصر السوق ، وبطن مع الحراطين بتازارين ( اقليم ورزازات ) ، وبطن مع يمورة ( آيت يحور ) بحوز مراكش ، ودوار مع أولاد دليم باقليم الرباط ، ودوار مع سفيان باقليم الرباط ، ومنهم بالمغرب الأوسط بطن مندمج فى قبيلة بنى مسسيرة ، وفوق ترابهم توجد الحمة المسماة حمام ملوان الواقعة على بعد 45 كلم جنوب مدينة الجزائر .

غ - مليانة : من بطون صنهاجة المغرب الاوسط ، بترابها أسس الأمير بلكين بن زيرى بن مناد المدينة المعروفة بها الواقعة على العدو الشرقى لوادى شلف بوسط المغرب الأوسط ، منها أوزاع كثيرة مندمجة فى قبائل المغرب الأقصى والجزائر .

ف - مسوفة : من قبائل الملتشين بالصحراء ، طلعت منهم بطون الى الشمال مع المرابطين ، منهم بطن مندمج فى قبيلة آيت وعلال باقليم ورزازات واليهم ينسب درب مسوفة بتلمسان .

ق - صنهاجة : بقيت بعض قبائل الشعب الصنهاجى تدعى بهذا الاسم العام الذى يطلق على الاصل الجامع الذى تنتمى اليه كل قبائله وبطونه . ومن هذه القبائل قبيلة مستقرة على عدوتى الوادى الكبير بين عنابة وسكيكدة ، وأخرى مستقرة قرب وادى يسر جنوب شرقى الجزائر .

س - صنهاجة مصباح : قبيلة مستقرة شمال اقليم فاس ، وهى منقسمة الى قسمين : صنهاجة الشمس وصنهاجة الظل .

ش - **صنهاجة غدو** : قبيلة مستقرة قرب وادي اللبن شمال اقليم تازة .

ه - **صنهاجة السراير** : قبيلة كبيرة باقليم الحسيمة من المغرب الأقصى تستعمل على سبعة بطون بلغ كل منها درجة قبيلة ، وهي : **بنى احمد** ، و **بنى بشير** ، و **بنى بوشيب** ، و **تغزوت** ، و **بنى خنوس** ، و **بنى زوقست** ، و **كنامة** ، و **بنى سدرات** .

و - **بنى عمران** : من بطون صنهاجة المشهورة بالمغرب الأوسط ، توجد منهم به خمس قبائل : **بنو عمران** الساكنون بالساحل وبالعدوة الغربية لوادي يداس على بعد 18 كلم الى الشمال الغربي من بجاية ( دوار أبراريس ) ، و **بنى عمران** الساكنون قرب وادي يسر وقرية الأربعاء جنوب مدينة الجزائر ، و **بنو عمران** الساكنون قرب برج منايل وتيزي وزو شرق مدينة الجزائر ، و **بنى عمران جبالة** ، و **بنى عمران السفلية** الساكنون جميعاً قرب مرسى جيجل ، علاوة على بطون كثيرة مندمجة في قبائل أخرى بتلك الجهات .

ي - **فشتالة** : تعريب كلمة ايفشتالن البربرية ، وبالاسمين معا ذكروا في كتاب ( الأنساب في معرفة الأصحاب ) وهم من فرقة **هنجافة** الصنهاجية ، ذكر لهم في ذلك الكتاب اثنا عشر بطناً ، منهم اليوم قبيلة مستقرة شمال اقليم فاس .

١١ - **سطة** : يوجدون بشمال اقليم فاس .

أ ب - **بنى سليب** : توجد منهم قبيلة بناحية قالمة من المغرب الأوسط  
أ ت - **هنجافة** : سماهم ابن خلدون أنجفة ، والكلمتان معاً تعريب لكلمة أينكفو البربرية ، ذكروا بها معاً في كتاب ( الأنساب في معرفة الأصحاب ) وهم قبيل كبير من صنهاجة الجنوب ( **صنهاجة القبلية** و **صنهاجة الظل** ) ، ذكر ابن خلدون من بطونهم : **بنى مزوارت** ، و **بنى سليب** ، و **فشتالة** و **ملوانة** ، وذكرت لهم في كتاب ( الأنساب ) بطون أخرى غير المتقدمة .

**أ ث - هسكورة :** اخوة صنهاجة لأم ، ويدرجههم بعض النسابين والمؤرخين أحياناً مع مصودة للجوار وقرب السكن ، وذكرهم ابن خلدون مرة مع صنهاجة (124) ، ومرة مع مصودة (125) ، كانت مواطنهم بجبل درن ( اعتصموا منه بالافق الفدد ، واليفاع الاشم ، والطود الشاهق ، قد لمس الأفلاك بيده ، ونظم النجوم في مفرقه ، وتلفع بالسحاب في مرطه ، وآوى الرياح العواصف لدجوه ، وألقى الى خبر السماء بأذنه ، وأطل على البحر الأخضر بشماريخه ، واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره ، وأقام سائر جبال درن في حجره (126) !

قسموا في كتاب ( الأنساب ) الى **هسكورة الفل** و **هسكورة القبلة** ، ويحتوى كل فريق على عدد من القبائل والبطون سيقع الكلام عليها بتفصيل فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

منهم قبيلة شهيرة بأقليم ورزازات ، وبطون مندمجة فى قبائل أخرى .

**أ ج - بنى وارث :** ويعرفون أيضاً بالاسم المبربر بنى وارثن ، توجد بقاياهم بناحية بجاية يعرفون بآيت وارث وعلى .

**أ ح - وانوغة :** ويقال أيضاً **أنوغة** منهم بطن مندمج فى قبيلة بنى مكلا قرب قرية يسر شرق مدينة الجزائر .

**أ خ - وتريكة :** من قبائل الملتمين بالصحراء .

**أ د - ورتنطق :** ويكتب أيضاً وتانطق ، وهو ورتانطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزال بن أميت بن رتمال بن تلميت وهو لمتونة من قبائل الملتمين بالصحراء ، وفيهم كانت رئاسة لمتونة .

**أ ذ - بنى ورياكل :** بجيم بدوى ، كان منهم فريق يسكنون بوادى بجاية وعليهم نزل المهدي بن تومرت بملاة ثلاثة أيام عند رجوعه من المشرق ، ولما طلبه العزيز أمير بجاية منعه وقتلوا دونه حتى ارتحل عنهم الى الغرب ، ومنهم فريق آخر يسكن حالياً قرب وادى ورغة شمال اقليم فاس ، وهم غير بنى ورياغل بالعين ، فهؤلاء بطن من قبيلة بطوية المتقدمة .

(124) تاريخ ابن خلدون 6 : 420 .

(125) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

(126) تاريخ ابن خلدون 6 : 552 .

## 7 - شعب عجيسة

بنو عجيسة بن برنس ، ومعنى اللفظ البطن بلغة البربر ، وهو بالبدال المشدد ( عدس + عديسة ) فلما عرب به العرب قلبوا الدال جيماً مخففاً .

كان لهم بين البربر كثرة وظهور ، وكانوا مجاورين لصنهاجة بالمغرب الأوسط ، وبعض بطونهم يسكن جبل القلعة الذى بنى به حماد الصنهاجى عاصمته ( قلعة بنى حماد ) التى أخلق عمرانها من جدة عجيسة لما راموا كيدها مراراً فأجلب عليهم ملوكها واستلحموهم بالسيف ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل قبيلة عياض من بنى هلال .

لم يذكر ابن خلدون قبائل هذا الشعب وبطونه ، واكتفى بالقول ان فى قبائل المغرب كثيراً منهم وان بقاياهم كانت لعهد فى ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة ، واذا كنا لا نستطيع أن نعرف هذه القبائل والبطون بأسمائها الفرعية فاننا نستطيع معرفة قبيلة وبطون قليلة تحمل اسم عجيسة ، فالقبيلة تقع على بعد 26 كلم الى الجنوب الغربى من مدينة بجاية ، والبطون مندمجة فى قبيلة الحضنة الشرقية ( دوار الجزار - بركة ) ، وقبيلة الأعراش ( دوار رأس تالا تينزار - الكركور ) ، وقبيلة الساحل القبلى ( دوار ذرا قبيلة - الكركور ) بالمغرب الأوسط .





## مواطن البربر في القديم

ليس من الهين على المؤرخ أن يرسم خريطة تحدد بتدقيق مواطن القبائل البربرية في القديم أو على الأخص عند ظهور الاسلام الذي أحدث مجيئه الى المغرب عدة تحولات جذرية وتطورات عميقة في جميع الميادين ومنها ميدان الاختلاط السلالي وميدان استيطان السكان ، فالقبائل المغربية عاشت من أقدم العصور الى العصر الحديث عصر الاحتلال الأوربي لبلاد المغرب - حرة طليقة تنتقل من جهة لأخرى اما انتجاعاً للمرعى وطلباً للرزق ، واما اضطراراً تحت ضعف الأحداث القبلية وتنفيذ الأوامر الحكومية ، فهي لم تكن تتقيد بقوانين الهجرة أو تخضع لشروط الاستيطان التي عرفت فيما بعد ، كما أن نظم الحدود والتبعيات السياسية ومراقبة المسافرين لم يكن لها وجود يومئذ ، فالمعقيدة الدينية كانت فوق جميع الاعتبارات السياسية ، والمواطنة الاسلامية كانت هي الجواز المشترك العام الذي يخول لكل مسلم أن ينتقل عبر بلاد الاسلام كافة ويستقر منها حيث يشاء معتبراً في كل منها مواطناً له ما لأهلها الأصليين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات .

ومن جهة أخرى لم يعن المؤرخون والجغرافيون المسلمون في الصدر الأول للاسلام بدراسة المجتمعات القبلية دراسة دقيقة وضبط المواطن التي تستقر بها كل قبيلة ، وانما كانوا يكتفون بالإشارة العابرة الى ما يحيط بالمدن والقرى من قبائل ويسكن بها ، والى ما قد يكون من مدن وقرى في مجالات القبائل وبين ديارها ، ولعل ذلك لم يكن ناشئاً عن غفلة منهم ، وانما مرده الى القبائل ذاتها التي لم يكن يقر لها في موطن قرار ، لا يلافها النقلة والترحال ، وادمانها على النجعة والتجوال .

ويرجع الفضل الى ابن خلدون في اعطاء معلومات مفصلة عن قبائل المغرب العربي وتوزيع مواطنها ، فالذين سبقوه لم يعتنوا بتصنيفها تصنيفاً منهجياً مرضياً حسب الترتيب الزمني الصحيح ولم يميزوا بين القديم منها والحديث ، أما هو فقد تتبع شعوب البربر وقبائلهم شعباً وشعباً وقبيلة قبيلة ، وبين مواطنها الأصلية وتنقلاتها من جهة الى جهة واستقرارها في المواطن التي انتهى بها المطاف اليها على عهده ، معتمداً على كتب من سبقه من النسابين والمؤرخين ولا سيما البربر منهم ومضيفاً خبرته وتجاربه وما له من معلومات خاصة ، فلقد كان أحد رجال الدول المغربية النابهين في القرن الثامن الهجري ، وعمل في أدنى المغرب مع بنى حفص كما عمل في أقصاه مع بنى مرين ، واستقر في وسطه بين مجالات العرب وأحياء البربر حيث ألف تاريخه الكبير ، وأطلع على خزائن كتب الملوك ووثائق الحكومات ، وسمع من أفواه الزوا والكتاب والعمال والشيوخ المحنكين ، فلا غرو أن يعتمد عليه المؤرخ في تحديد مساكن البربر وضبط مواطنهم في المدة الواقعة بين الفتح الاسلامي في القرن السابع ودخول العرب الهلاليين وأحلافهم في القرن الحادي عشر ، بل وفي ضبط مساكن هاؤلاء وأولئك الى الوقت الذي رحل فيه من المغرب ليقضى بقية حياته في المشرق .

وإذا ألقينا نظرة عامة على مواطن البربر في الشمال الافريقي لأول الفتح الاسلامي نجد أن البتر منهم اختصوا بسكنى اقليمى برقة وطرابلس وشط الجريد وجبل أوراس وببلاد الزاب ثم تصعد مواطنهم الى الشمال في جهات تاهرت حتى تصل الى جبال الظهرا ومجسرى نهر شلف فتطل من هناك على البحر فاصلة قبائل صنهاجة وكتامة البرنسية بالشرق على اخواتها بالغرب ، ثم تسير مغربة حتى تجاوز نهر ملوية الى حدود بلاد الريف وجبال التسمول و غياثة و البرانس حيث تبتدىء مواطن البرانس من صنهاجة وكتامة ومصمودة بالمغرب الأقصى ، وإلى الجنوب من كل ذلك توجد مواطن القبائل البرنسية التي ينتمى جلها في الشرق الى هواره وفي الغرب الى صنهاجة وبين القطاعين الشمالى والجنوبى توجد مجالات القبائل الزنانية من غدامس الى البحر المحيط ، وذلك قبل صعودها الى الشمال وتغلبها عليه وتأسيسها لممالك وامارات استأثرت بحكم نصفه الغربى .

وكانت قبيلة **لواتة** أولى القبائل البربرية التي تسكن بتخوم المغرب الشرقية وتجاور قبائل غير بربرية خارج حدوده ، فقد كانت تعمر جميع اقليم برقة وجزءاً كبيراً من اقليم طرابلس وتبلغ بطونها في النجعة شط الجريد ، وهي أول قبيلة واجهها العرب عند دخولهم الأول الى المغرب فآمنت وأسلمت وصارت لهم دليلاً خريئاً على استكشاف الاراضي التي تجاورهم غرباً ونصييراً قوياً على تطويع القبائل التي تسكنها ، وقد ذكرهم ابن عبد الحكم (١27) في كتابه عن فتوح مصر وافريقية وهو من أقدم المؤلفين المسلمين الذين كتبوا عن الفتح العربي لأرض المغرب ، وذكر ابن خلدون انه كان للواتة في الماضي مدن عريقة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان ، ويظن بعض المؤرخين ان اسم لوييا الذي أطلقه اليونان على بلاد المغرب مشتق من اسم لواتة التي كانت قبائلها تعمر جانبها الشرقي وهو الجانب الأكثر احتكاكا ببلاد اليونان والأقرب مسافة اليها (١28) والى الغرب من **لواتة** كانت توجد مواطن **نفزاوة** التي عرف باسمها الجنوب التونسي كله وما يتاخمه من بلاد طرابلس شرقاً وجنوب عمالة قسنطينة غرباً ، ومن أوسع بطون نفزاوة وأشدهم بأساً بطن **ورفجومة** الذي كان له تمنع بطرف من جبل أوراس وفتن وثورات في النصف الأول من القرن الثاني الهجري تمكنوا في بعضها من الاستيلاء على القيروان وقتل من كان يسكنها من قريش وسائر العرب ، وخلف اللواتيين والنفزاويين كانت تسكن قبيلة **نفوسة** التي يعرف بها الجبل الشهير الواقع جنوب مدينة طرابلس ، وقبيلة **سدواة** التي سميت بها منطقة وركلة ، وبقرهم كانت مواطن **هواة** و **مطماطة** ، والى هذه القبيلة الأخيرة ينسب جبل شهير بجنوب القطر التونسي .

والى الغرب من مواطن نفزاوة كان موطن قبيلة **جراوة** الشهيرة بجبال أوراس ، وهي قبيلة الكاهنة التي أعيت العرب لأول الفتح ، كما انها من شعب زناتة الذين غمروا المغرب الأوسط فيما بعد حتى عرف بهم وسمى

(١27) فنوح افريقية والأندلس ص 28 .

Gautier. Le Passé de l'Afrique p. 230 (١28)

باسمهم ودعى وطن زناتة ، ومن جبل أوراس الى غرب منطقة الزاب كانت مساكن قبيلة **أوردبة** ( وردبة ) التي دحرها العرب لأول الفتح وساقوها أمامهم الى المغرب الأقصى ، ثم مواطن **غفراوة** الى الشمال الغربى على وادى سلف ، و**مغيلة** على ساحل البحر شرقى مصبه ، و **بنى يفرن** و **مديونة** الى الجنوب والجنوب الغربى من وهران وتلمسان ، وشمال هذه المدينة كانت قبيلة **ولهاصة** على مصب وادى تافنا وقبائل **سطفورة** أو **كومية** بجبال ترارة ، وقد ضعف أمر هذه القبيلة العظيمة منذ أيام الموحدين الذين أنفقوها فى العسكرية والحروب حتى ذكر انهم نقلوا منها دفعة واحدة 50.000 فارس الى مراكش ، ولكن **ندرومة** التى هى احدى بطونهم والتى تسمى بها مدينة طيبة لطيفة بتلك الجبال بقيت تذكر بها ، والى الغرب والجنوب من كومية كانت مواطن **مطقرة** أو ( مدغرة ) ، وهى قبيلة كبيرة عمرت المنطقة الممتدة من توات الى سجلماسة ، والى الشمال من مواطنهم بسهول انكاد وما يقع أمامها وخلفها من جبال الى ممر تازة كانت تسكن قبائل **زناتة** ، ومن أشهر القبائل المعدودة منها قبيلة **مكناسة** التى كانت تسكن بطونها على طول نهر ملوية من منبعه بالأطلس المتوسط قرب اقليم تافيلالت الى مصبه بالبحر الأبيض المتوسط.

أما البربر البرانس فأكبر شعوبهم **كنامة** و **صنهاجة** و **مصمودة** ، لقبائل **كنامة** كانت مواطنها بعمالة قسنطينة وجزء من غرب القطر التونسى من جبل أوراس الى شاطئ البحر ، وكانت لهم هناك مدن مذكورة مثل القل وجيجل وعنابة وقسنطينة وسطيف وباغاية وبلزمة ونقاوس وميلة ، ويرجع أن قبائل **زواوة** الساكنة الى الغرب منهم أيضاً ، وكانت مواطن قبائل **صنهاجة** غربى مواطن **كنامة** بين بجاية والمسيلة ولمدية والبحر ، ومن أكبر حواضرهم عاصمة الجزائر التى كانت تدعى جزائر بنى مزغنة اضافة الى احدى قبائلهم الشهيرة ، وبجوار **صنهاجة** كانت تسكن قبيلة **عجيسمة** البرنسية بجهات المسيلة وقلعة بنى حماد ، وقبيلة **لماية** البترية التى كانت تسكن قرب تاهرت ، وبعد ذلك تسود القبائل البترية شمالا وجنوبا باستثناء منطقة وهران التى كانت تسكنها قبائل **أزداجة** البرنسية ، ولا يعود للقبائل البرنسية ظهور إلا عند الوصول الى سلاسل جبال الريف والأطلس المتوسط ، فابتداء من نهر

كرط توجد منطقة تسكنها قبائل صنهاجة مثل بطوية و بنى ورياكل و بنى زروال ، وبعدها تبدأ قبائل شعب مصمودة بغارة شمالا وذكالة وسطا وقبائل جبل درن جنوبا حيث تعود قبائل صنهاجة الجنوبية ( الزناكة ) الى الظهور من جديد وفى اقليم سوس وما يجاوره شرقا من اقليم درعة وسجلماسة والمنطقة الواقعة بين ممر تازة والصحراء ، وفى المنطقة التى تمثل وسط المغرب الأقصى كانت تسكن قبائل بثرية مستقرة مثل وشناتة وزمور وصدينة ومغيلة و مديونة ومظماطة و زواغة وقبيلة أوربة التى وجدها الامام ادريس ابن عبد الله الكامل مستقرة بجوار جبل زرهون فاووته ونصرته لقرايته من النبى وأعانتته على تأسيس الدولة الادريسية .

ووراء ذلك كله كانت تسكن الصحراء المغربية الكبرى قبائل الملثمين التى ينتمى معظمها الى شعب صنهاجة وينتمى أقلها الى شعب هواره وكلاهما من البرانيس ، وقد أعطى الشعب الهوارى اسمه للصحراء الشرقية فصارت تدعى هكار وهو تحريف كلمة هوار كما تقدم .

ولست فى حاجة - أخيراً - الى القول بأن التوزيع السابق للقبائل البربرية انما يتعلق بالفترة الممتدة من الفتح الاسلامى الى مجيئ بنى هلال ، وانه حتى فى هذه الفترة نفسها لم تكن قبائل البربر تلتزم المقام فى ناحية واحدة بل كان منها قبائل تنتقل من جهة لأخرى اما فراراً من قبيلة عدوة غلبتها واما تنفيذاً لتعليمات حكومية وصلتها ، وكانت القبيلة عندما تنتقل ترحل تارة برمتها ويرتحل تارة أخرى بطن أو عدة بطون منها حاملين معهم اسم القبيلة الجامع بينهم وبين بقية بطونها ، وهذا هو السر فى اننا نجد لواءة ومظماطة و رهونة مثلاً بأدنى المغرب ووسطه وأقصاه .

من مصادر هذا الفصل :

- الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث - ليرالف لنتون ، ترجمة عبد الملك الناشف - بيروت 1963 .
- الأنيس المطرب بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع - فاس 1303
- الاعلام بمن حل مراکش وأغمات من الاعلام - للعباس بن ابراهيم التتارجي المراكشي - فاس 1936 .
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري - الدار البيضاء 1956 .
- × - الانساب ، في معرفة الأصحاب - لمؤلف مجهول - باريس 1928 .
- × - أسفى وما اليه قديماً وحديثاً - لمحمد بن احمد العبدى الكانونى - القاهرة 1353 .
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالى - بيروت 1965 .
- تاريخ الجزائر فى القديم والحديث - لمبارك بن محمد الهلالى الميلى - بيروت 1963 .
- تاريخ المغرب العربى - لمحمد على دبور - القاهرة 1964 .
- تاريخ المغرب العربى - للدكتور سعد زغلول عبد الحميد - القاهرة 1965 .
- تطور الجنس البشرى - للدكتور محمد السيد غلاب - القاهرة 1963 .
- جهرة انساب العرب - لعلى بن احمد بن حزم الأندلسى - القاهرة 1962 .
- رحلة التيجانى - لعبد الله بن محمد بن احمد التيجانى - تونس 1958 .

- كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من الملوك ذوى السلطان الأكبر ( تاريخ ابن خلدون ) - لعبد الرحمان بن خلدون الخضرى التونسى - بيروت 1961 .
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشى - سلا 1938 .
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب - لعبد الله بن عبد العزيز البكرى - باريس 1965 .
- موجز التاريخ العام للجزائر - لعثمان الكعك - تونس 1344 .
- نبد تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ( منتخب من كتاب مفاخر البربر ) - لمؤلف مجهول - الرباط 1934 .
- نظرات في تاريخنا القومى - للحاج محمد بنونة - تطوان 1934 .
- فتوح افريقية والأندلس - لعبد الرحمان بن عبد الحكم - بيروت 1964 .
- قيام دولة المرابطين - للدكتور حسن احمد محمود - القاهرة 1957 .
- ك - اليمن من الباب الخلفى - تأليف هانز هولفريتز ، ترجمه خيرى حماد - بيروت 1961 .

- Répertoire Alphabétique des tribus et douars de l'Algérie - Alger 1879 .
- Répertoire Alphabétique des tribus et douars - Communes de l'Algérie - Alger 1900 .
- Répertoire Alphabétique des Confédérations des tribus, des tribus, des Fractions de tribus et des Agglomérations de la Zone Française de l'Empire Chérifienne - Rabat 1939 .
- Répertoire Alphabétique des Agglomérations de la Zone Française de l'Empire Chérifienne - Rabat 1941 .

## العرب

**العرب** احدى الامم التى جعلتها التوراة من نسل سام بن نوح ، ولذلك اصطلح المؤرخون على عدها من جملة الامم السامية مثل الاشوريين والبابليين والعبرانيين والحبشة والآراميين ، وتعتقد طائفة من الباحثين ان المهد الاول لهذه الشعوب كان شطوط الفرات وبادية العرب ، فلما تكاثروا وضافت بهم الأرض تفرقوا فى البلاد المجاورة لمهدهم الأصلي وتشعبوا فيها وتفرعت لغتهم الأولى الى لهجات صار بعضها يتباعد عن بعض بطول الزمان وتطور الفكر وانتشار العمران حتى أصبحت لغات مستقلة .

اتخذ العرب أرض الجزيرة المنسوبة اليهم فى جنوب غرب آسيا وطناً لهم بدواً يالفون الخيام وحضراً يعمرون المدائن والقرى بينما استقر الاشوريون والبابليون فى العراق ، والآراميون فى الشام ، والعبرانيون فى فلسطين ، والفنيقيون فى سواحل الشام والأثيوبيون فى الحبشة ، وكان جنوب الجزيرة العربية منطقة تساعد طبيعتها على الاستقرار وقيام الحضارات ، فكان سكانها أقرب الى الحضارة منهم الى البداءة ، وكان شمالها منطقة أكثر قحولة وأشد جفافاً فكان سكانها تبعاً لذلك يقضون حياتهم فى النجعة والارتياح وطلب الرزق بمواضى السيوف والرماح ، لا يذوقون طعم الاستقرار ، ولا تساعدهم طبيعة الأرض التى يسكنونها على اقامة المدن وانشاء الحضارات .

وتدل الدراسات العلمية الدقيقة على أن لفظتى العروبة والعرب ترادف لفظتى الباية والبدو ، وان العرب أنفسهم كانوا يسمون بلادهم عربية أى أرض البدو ، فلما تحضر منهم من تحضر وسكن منهم من سكن فى مدن مبنية بالحجارة والطين باليمن والحجاز وحوارن وغيرها لم يعد لفظ العرب محصوراً فى البدو ، فاضطروا الى استعمال كلمات أخرى للتمييز بين الفريقين ، فقالوا



البدو والحضر ، أو أهل المدر وأهل الوبر . ومنذ ذلك الحين بدأ لفظ العرب يأخذ معنى سلاليًا جنسيًا ولم يعد يدل على حالة اجتماعية ، ولم يبق يذكر بدلالته الأصلية الا كلمة أعرابي التي تعادل كلمة بدوي ، باستثناء أرض المغرب الذي بقيت فيها كلمة عروبة وعرب تردف كلمة بداوة وبدو حتى الآن .

ويمكن وصف العربي الأصيل بأنه انسان أسمر اللون مائل الى البياض، ذو وجه بيضوي منبسط وعينين براقتين سوداوين يعلوهما حاجبان كثيفان ، وأنف اقنى وجبهة غير عالية ولا منخفضة . وهامة مرتفعة وبنية كاملة وعضلات قوية نشيطة وأطراف معتدلة متناسبة مع تكوين الجسم

ويقسم العرب الى ثلاثة أقسام

(1) عرب بائدة

(2) وعرب عاربة

(3) وعرب مستعربة

وأما العرب العاربة فهم العرب القحطانيون الذين نزلوا في جنوب معروف ، والمعلومات المتعلقة بهذا القسم من العرب ضئيلة جداً ، جلها أخبار مقتضبة وردت في القرآن وأساطير مستملحة وشاها الرواة ، ويذكر المؤرخون والقصصيون من هذه القبائل عاد و ثمود و مدين و طسم و جدیس و العمالقة وأميم و جرهم وكلها من ولد ارم بن سام الا العمالقة فيما يذكر النسابون فانهم من نسل أخيه لاوذ بن سام ، وكان لبعضها دول وملوك في جزيرة العرب امتد ملكهم الى الشام ومصر

وأما العرب العاربة فهم العرب القحطانيون الذين نزلوا في جنوب الجزيرة العربية واتخذوا اليمن لهم موطناً ، وهم من ولد يعرب بن قحطان الذي يقال انه أول من نطق باللسان العربي وجعلت له التحايا الملوكية ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الصحابي

تعلتم من منطق الشيخ يعرب	أبيننا ، فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة	كلام وكنتم كالبهائم في القفر

واشتهر بعد يعرب ابنه يشجب ، ثم حفيده عبد شمس بن يشجب الملقب بسبأ ، وهو مؤسس المملكة السبئية وباني السد العظيم القريب من عاصمتها مأرب ، وقد خلف سبأ هذا عدة أولاد أشهرهم حمير و كهلان اللذان تنسلت منهما جل القبائل القحطانية ، فمن أشهر بطون حمير قضاة التي منها بل و جهينة و كلب و بهراء و بنو نهد و جرم ، ومن أشهر بطون كهلان الأزد و طيء و مدحج و همدان و كندة و مراد و لخم و جذام .

وقد بقيت القبائل القحطانية متوطنة باليمن وسائر الجنوب العربي الى أن تهدم السد سنة 447 م حسبما حقق ذلك العلامة الألماني غلازر على عهد ملكهم عمرو بن عامر بن مزيقا فخر ب سيل العرم مأرب وأزعج عنها سكانها وقضى على دولة السبئيين ولاد من نجا منهم بالفرار والهجرة الى الشمال الذي كانت بعض بطونهم سبقتهم اليه بسبب سوء الأحوال الاقتصادية ، وضرب المثل بفرق جمعهم وتشنت شملهم فقليل : ( تفرقوا أيدي سبأ ) .

وكان من القبائل القحطانية من أجهدتها الرحلة فسكنت البادية وقنعت بعيشتها القاسية ، ومن أمعن في المسير فسكن القرى والمدائن بأطراف الشام والعراق وعاش فيها عيشة متحضرة شبيهة بعيشتها في مواطنها الأصلية التي هاجرت منها . وكان الذين هاجروا من حمير قبائل قضاة ، فاستوطنت تنوخ العراق ، و كلب بادية الشام ، وعذرة وادي القرى في الحجاز ، وكان الذين هاجروا من كهلان قبائل الأزد فنزلوا عمان ، ومنهم القساسنة في الشام ، وخزاعة بمكة ، والأوس والحزرج يثرب ، ومن كهلان أيضاً بنو لخم ملوك الحيرة الذين منهم المناذرة ، وبنو طيء في جبل أجأ وجبل سلمي ، وبنو عاملة وجذام في بادية الشام ، وبنو كندة الذين كانوا رؤساء بحضرموت يخضعون للتبابعة فامتد سلطانهم الى الجهات الشمالية فسادوا قبائل غطفان و أسد في نجد ، وقبائل بكر و تغلب في ديار ربيعة ، وبلغ الأمر بالحارث بن عمرو من ملوكهم الى منافسة المناذرة والقساسنة ، وهو الذي ولاه قباذ الفارسي ولاية الحيرة مكان المنذر بن ماء السماء ، فلما توفي قباذ تولى أنوشروان فأرجع المنذر الى سابق عمله ، ففر الحارث بماله وأهله ، وتبعه المنذر في

جمع من تغلب وايباد فنجأ الحارث ونهب ماله ، وأخذ ثمانية وأربعون من وجهاء قومه وسيفوا الى مصارعهم بدار بنى مرينا ، وفيهم يقول امرؤ القيس راثياً :

الا يسا عين بكى لى شنيناً      وبكى لى الملوك الذاهبين  
ملوك من بنى حجر بن عمرو      يساقون العشيسة يقتلوننا  
فلو فى يوم معركة أصيبوا      ولكن فى ديار بنى مرينا

وأما العرب المستعربة ويعرفون أيضاً بالعدنانية فهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل من جاريته هاجر ، جاء أبوه ابراهيم - وهو كلدانى الأصل - به وبأمه الى موضع مكة الحال فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وجاءت اثر نزولهم جرهم وقطوواء من قبائل اليمن فسكننا مكة ، ولما شب اسماعيل وجد نفسه بين جرهم فتزوج سيدة بنت مضاض الجرهمى ورزق اثنا عشر ولداً هم أصل العرب المستعربة أو العدنانيين .

تنقسم القبائل العدنانية الى فرعين عظيمين : **عك** و **معد** ، أما **عك** فنزلت فى نواحي زبيد جنوبى تهامة وبقيت منهم بها بقية الى ظهور الاسلام ، وليس لهم تاريخ يذكر ولا كبير شأن ، وأما **معد** فهم البطن العظيم الذى انحدرت منه قبائل عدنان ، وهم ينقسمون الى قسمين : **نزاو** و **قنص** وقد هلكت قنص وبقي النسل والكثرة فى **نزاو** ، وهم عدة فروع ، أشهرها : **ربيعة** و **مضر** و **ايباد** و **أنمار** .

كانت مواطن **ربيعة** فى مهبط الجبل من غمر ذى كندة الذى يبعد عن مكة بمسيرة يومين ، وببطن ذات عرق وما حاذاها من بلاد نجد الى أغوار تهامة .

وكانت قبائل **مضر** تقيم فى حيز الحرم الى السروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد .

وكانت مواطن **أنمار** و **ايباد** فى الأول بين مواطن **مضر** وبلاد نجران وما يجاورها الى ان اضطرت الأول الى الرحيل من تهامة الحجاز لسرات عسير اثر حروب وقعت بينها وبين أخواتها من **ربيعة** و **مضر** مخلفة وراءها قبيلة **خثعم**

وقبيلة بجيلة ، والى ان اضطرت الثانية الى الرحيل الى العراق بعد ما تنازعت السلطة مع شقيقتها على الحرم ، ف وقعت بينها وبين الفرس فى مهاجرها وقائع فتك بهم فى آخرها الملك سابور ذو الاكتفاف .

وتعتبر وبيعة اقوى القبائل العدنانية وأعظمها ، وقد نزحت هى أيضاً عن الحجاز بعدما جاذبت مضر حبل السلطة عليه ، فاستولت على أماكن عديدة من الجزيرة ، فنزلت قبيلة عبد القيس البحرين ، ونزلت بكر و تغلب و عنزة ظواهر نجد ، وبعد نزوحها استقلت مضر بأمر الحجاز وانتشرت بطونها وأفخاذها وعشاثرها فى مناكبه . وكان منها فرعان عظيمان : **خندف** و **قيس عيلان** الذى تنتمى اليه قبائل البتر البربرية ، كما كان منهم **قريش** سادة مكة وهم بنو **فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر** ، و **فهر** هو الملقب بـ **قريش** ، فكل من كان من ولده فهو قرشى ، وكل من انتسب الى اعلا منه فهو كنانى فاذا علا فوق كنانة فهو مضرى .

وقد بلغت قريش ذروة الشرف والتمعة فى أيام قصى بن كلاب حيث يبدأ تاريخ مكة الفعلى لقيامه على حكومة قبيلة **خزاعة** اليمنية ، واستشاره دونها بحكم مكة وسدانة البيت الحرام .

ويعتبر قصى ممدن قريش ومنظم حكومتها ، فلما كبر وضعفت قواه أسند الحكم الى ابنه عبد الدار وتولاها أبنائه من بعده ، ولكن بنى عبد مناف بنى قصى كانوا أشرف قومهم وأعظمهم مكانة ، فأجمع هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف على انتزاعه من بنى عبد الدار ، وكادت تحدث فتنة بين قريش لولا ان اصطالحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف وان تبقى الحجابة والندوة واللواء لبنى عبد الدار .

والى هاشم آلت زعامة قريش وحكومة مكة بعد قصى ، ولم يكن أحد ينافسه لما له من المؤهلات الخاصة ، ولما توفى خلفه ابنه شيبه الملقب فيما بعد بـ **عبد المطلب** وهو والد عبد الله أبى النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

وتشتمل قريش على اثنى عشر بطناً هم :

(1) بنو الحارث بن فهر (2) بنو عامر بن لؤى (3) بنو سهم بن عامر  
(4) بنو تميم بن مرة (5) بنو زهرة بن كلاب (6) بنو عبد الدار (7) بنو محارب بن  
فهر (8) بنو عدى بن كعب (9) بنو جمح بن عمرو (10) بنو مخزوم بن يقظة (11)  
بنو أسد بن عبد العزى (12) بنو عبد مناف .

وقد انقسمت عبد مناف الى بنى هاشم و بنى أمية و بنى المطلب  
و بنى نوفل .

\* \* \*

عاشت الأمة العربية فى جزيرتها منعزلة عن غيرها من الأمم والشعوب  
فحافظت بسبب ذلك على نقاوتها السلالية وكثر حفظ أفرادها لأنسابهم  
وافتخارهم بأبائهم وأجدادهم ، ومن البديهي أن يكون لهذه الأمة تاريخ ، ولكنه  
تاريخ بقى يكتنفه الغموض وتختلط فيه الحقيقة بالخيال الى السنين الأخيرة  
التي كثرت فيها الدراسات العلمية الدقيقة وتعددت الوسائل الفعالة لاستجلاء  
الغامض وتمييز الراشئ من الصحيح ، فأمكن بهذه الوسائل وتلك الدراسات  
كشف الحجب عن جوانب كثيرة من ماضى الأمة العربية قبل الاسلام ،  
ومقارنته بماضى كثير من الأمم التي تشبه العرب فى بداوتهم وطبيعتهم ، ومن  
الواضح ان هذا الماضى لا يرتفع الى مستوى ماضى الأمم المتحضرة التي ساعدتها  
طبيعة أرضها على انشاء الممالك وتشديد الحضارات كاليونان والرومان  
والفنيقيين وقدماء المصريين ، خلافاً للدعوى الواهية التي بدأ يروجها فى السنين  
الأخيرة بالشرق بعض الكتاب المتحمسين المندفعين الى التنبجج والادعاء بدافع  
التعصب السلالى الذى لم يبق عقل سليم يقبله فى القرن العشرين .

وقد قسم المؤرخون المحدثون تاريخ العرب قبل الاسلام الى ثلاثة  
أقسام اعتباراً للأدوار التاريخية الكبرى التي تناوب فيها العرب السيادة على  
جزيرتهم .

فالدور الأول كانت فيه السيادة لقبائل القسم الشمالى وأكثرهم من  
العرب البائدة ، ومن هازلآ **العمالقة** الذين سماهم اليونانيون الهيكسوس

( العرب الرعاة ) وقد كانت مواطنهم في شمال الحجاز مما يلي شبه جزيرة سيناء ، وهم الذين فتحوا مصر باسم ( الشاسو ) ودامت دولتهم بها من سنة 2214 الى سنة 1703 ق . م . ومنهم قبيلة عاد اخوان النبي هود ، وتمود اخوان النبي صالح ، ومدلين اخوان النبي شعيب وقصصهم مذكورة في القرآن ، والى القبيلة الأخيرة فر النبي موسى من أرض مصر بعد ما وكز أحد أبنائها وقضى عليه ، فأقام عند النبي شعيب وتزوج ابنته .

والدور الثاني كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم من القحطانيين الذين عرف لهم التاريخ أربع دول : ( 1 ) دولة معين التي كانت عاصمتها القديمة معين الواقعة في بلاد الجوف الجنوبي شرقي صنعاء وعاصمتها الحديثة مدينة قرنا ، ويقدر بعض العلماء بداية هذه الدولة حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكانت متاثرة كثيراً بالحضارة البابلية ، وتدل قرائن كثيرة على أن سلطان هذه الدولة انبسط على الجزيرة العربية كلها الى الخليج الفارسى والبحر الأبيض المتوسط . ( 2 ) مملكة سبأ التي كانت عاصمتها في السدول صرواح ثم صارت مأرب لما اتسعت الدولة ، ولا يعرف تاريخ قيام هذه الدولة بالتدقيق ولكنها كانت موجودة في القرن التاسع قبل الميلاد فى عهد الملك الاسرائيل سليمان بن داود الذى تزوج ملكتها بلقيس ، وتدل الآثار على أنها استمرت الى سنة 115 ق . م حين انتقلت العاصمة الى ريدان ( ظفار ) ( 3 ) الدولة الحميرية التي هى فرع من دولة سبأ ، ابتدأت هذه الدولة سنة 115 ق . م وصار ملوكها يدعون بالتبابعة سنة 275 حين ضمت اليها حضرموت وانتهت سنة 525 م أيام ذى نواس الحميرى وهو آخر ملوكها ، وقد نبغ فى هذه الدولة ملوك كبار وقواد فاتحون حاربوا الفرس والأحباش وغيرهم وفتحوا مدناً وأقطاراً نائية ، ويقال ان أحد ملوكهم وصل الى بلاد المغرب وخلف به أجناداً من جيشه هم أصل قبيلة كتامة و صنهاجة ( 4 ) دولة القحطانيين خارج اليمن ، وهى فى الحقيقة امارتان احدهما غسانية بالشام كانت تحت حماية الروم ، والأخرى لخمية بالحيرة تحت حماية الفرس ، وقد استمرت الدولتان الى ان قضى عليهما المسلمون بعد موت النبي بقليل .

والدور الثالث عادت فيه السيادة الى عرب الشمال وأكثرهم من العدنانيين ، ولم يكن للعرب في هذا الدور دولة ولا حكومة بالمعنى الصحيح للكلمتين ، ولكن بدأت فيه قبيلة قريش تفرض وجودها واحترامها على القبائل العربية الأخرى وكأنها تنهياً لحدث خطير حتى صارت لها الكلمة المسموعة والجانب الموقر ، وصار العرب اذا تفاخروا بقبائلهم وأنسابهم يستثنونها من المفاخرة لاقرارهم بتفوقها عليهم جميعاً :

فأما الناس ما حاشا قريشا      فأنا نحن أحسنهم فعلا

وفي أيام قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي محمد عليه السلام انتزعت قريش من خزاعة ما بقي لها من نفوذ بمكة ، وهي قبيلة يمنية هاجرت من اليمن الى الحجاز عقب سيل العرم واستقرت بمكة وجاذبت جرحهم حبل السلطة فيها الى ان انتزعت منها ، وبقيت مستمسكة به الى ان حصل بينها وبين بطون كنانة نزاع عليه أدى الى قسمة المناصب الحكومية بينهم ، فكان الحكم وما اليه لخزاعة ، والقضاء وشؤون الدين لكنانة ، واستمر الحال كذلك الى ان كثرت بطون كنانة واشتدت عصبيتها فنازعت خزاعة ثانيا بزعامه قصي بن كلاب وسلبتها ما بقي لها من مناصب الحكم ، فجمع قصي حينئذ قريشا من منازلهم بين كنانة واستقر بهم في مكة ونقلهم من البداوة الى الحضارة ، وتيمنت قريش به فصرفوا اليه مشورتهم ، وأسسوا ( دار الندوة ) ازاء الكعبة لمشاورتهم ، وتصدى قصي للعناية بشؤون الحج وتبهيء ما يترتب عن مجيء الحجاج بأعداد وفيرة من ماء وغذاء وفرض على قريش خراجاً يؤدونه ، واجتمع له الشرف كله ، وصارت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، فكان بها في حكم الأمراء والملوك .

وآلت الزعامة في مكة الى هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وكان رجلاً ذا مؤهلات خاصة ومواهب لم يستطع أحد من قومه ان يفكر معها في منافسته ، وهو الذي بذر في نفوس قريش حب التجارة وزين لها الكسب وسن لها رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ، فأضافت مكة الى مجدها الديني التليد مجداً اقتصادياً طريفاً ، وازدهرت في أيامه سنة 464 م وسمت مكانتها في جميع جهات الجزيرة العربية .

وتوفى هاشم فى احدى رحلاته بغزة بعد ما عقد معاهدات تجارية وسياسية مع فارس والحبشة والامبراطورية الرمانية والامارات العربية بالشمال والجنوب ، فخلفه أخوه المطلب فى زعامة مكة حتى كبر ابنه شيبة بن هاشم فقام فى مناصب أبيه وسمى بعد ذلك عبد المطلب ، وهو الذى تعرضت مكة فى أيامه سنة 570 لغزو الحبشة بقيادة أبرهة عامل النجاشى باليمن فانكسروا بعد ما تفشى فيهم مرض الجذرى وجعل كيدهم فى تضليل .

وقد تعرضت الجزيرة العربية خلال تاريخها المتقدم على الاسلام لعدة غزوات خارجية ، فكان الفرس يغيرون عليها من الشرق والشمال ، والروم يغيرون عليها من الشمال الغربى ، ولكن غاراتهم لم تكن مركزة ولا مستقرة نظراً لوعورة المسالك وصعوبة الطبيعة ، أما الغزوات التى كان لها طابع استعمارى فهى الغزوات الآتية من بلاد الحبشة عن طريق مضيق باب المندب ، وقد استطاع الأحباش أن يثبتوا أقدامهم فى بلاد اليمن عدة مرات ، وبواسطتهم دخلت النصرانية الى تلك البلاد ، وفكروا ذات مرة فى الاستيلاء على مكة وتخريب الكعبة ولكنهم انهزموا شر انهزام بمعجزة سماوية ، وكان ذلك عام 570 الذى سماه العرب عام الفيل ، وهو العام الذى ولد فيه نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .





## المجتمع العربي

يخضع مجتمع كل أمة لعدد من المؤثرات الجغرافية والعقلية والنفسية ويتكيف بها ، فهو من جهة وليد الأرض وما يلزمها من جذب أو خصب ، وغنى أو فقر ، وهو من جهة أخرى وليد ما يتصف به سكانها من غباوة أو ذكاء ، وعلم أو جهل ، وجد أو كسل ، وما يشغل عقولهم ويملا قلوبهم من عقائد وأديان .

وإذا القى الانسان نظرة على موقع الجزيرة العربية من الخريطة العالمية وجدها تقع في المنطقة الاستوائية التي يشتد حرها ، وفي شبه جزيرة منعزلة قاحلة بجنوب غرب آسيا ينعدم فيها الماء والنبات أو يكاد ، محرومة من كثير من النعم والمزايا التي تيسر العيش في أقطار أخرى وتجعله رخيأ رغيداً ، فلا عجب أن يكون المجتمع العربي يتسم في معظمه بطابع البداوة ، ويسوده نظام القبيلة ، ويغلب فيه جانب الاضطراب على جانب الاستقرار ، ويتصف أهله في نفس الوقت بكل ما يتصف به البدو من شجاعة واقدام ، واعتماد على النفس وتحمل للمشاق ، واکرام للضيف وحماية للجار .

ويمكن أن يوصف الفرد العربي — قبل تطوره العظيم بتأثير الاسلام — بأنه انسان ذو شخصية قوية تتجلى في أنانيته وأثرته وحبه الخير لنفسه دون غيره وانفراده بالمجد والجاه وطيب الأحدوة وكریم السجایا والخصال ، وعشقه للحرية ونزوعه الى الاستقلال ، كما تتجلى شخصيته في جلدته وصبره على الفقر والجوع ومغالته للطبيعة القاسية في صحرائه العاتية التي تلفحه بحرماً حتى تتركه هزِيل الجسم يابس الجلد أسمر اللون أسود الشعر ، وتستولى على احساسه بوحشتها فتصيره مرهف السمع حاد البصر سريع التأثر متوتر الأعصاب ، وتدفعه بامحالتها وقحطها الى انتجاع المراعى والارتحال في طلب الرزق من مكان الى مكان، واعتماد الغزو وشن الغارة لضمان العيش عند ما تشتد الضائقة ولا يكون بغير الطعن والضرب بقاء .

وكانت القبيلة هي أساس النظام ، والخلية الكبرى في دنيا العرب سياسياً واقتصادياً ، فكانت الصلة قوية بين الفرد وقيبلته كلاهما يخلص للآخر ويحامي عنه ويستमित من دونه ويؤو بحظ من فخره أو عاره ، ولكن الصلات كانت ضعيفة بين القبائل التي لم يكن بعضها يجتمع ببعض الا في حلف موقوت ، فلذلك لم يستطع العرب في هذا الجو القبل المتقطع أن ينشئوا دولة قوية أو مجتمعات راقية ، ولم يتمكنوا لبعده الشقة وصعوبة الاتصال ان يضعوا مقادتهم في يد حكومة مركزية تجمع شتاتهم وتوحد كلمتهم وتعلمهم النظام وتحكمهم الى قانون ، وقصارى ما كانوا يبلغون اليه أن يذعن أفراد كل قبيلة الى سيد منها اذا رأوا في سيادته خيراً وتوفرت لديه أدوات الرئاسة من شجاعة وفصاحة وحلم وغنى وكرم ، وغالباً ما كانت هذه السيادة تنتقل في القبيلة من بيت الى بيت لانانية العربي وتنافس العشائر وحرص كل واحدة منها على ان لا تطول الرئاسة في بيت واحد فيذهب بفخر القبيلة كلها ، وأشرف البيوت عندهم بيت تتابعت فيه رئاسة آباء ثلاثة ثم اتصلت بالرابع فيسمى الكامل، كبيت حذيفة بن بدر في بني ذبيان ، وبيت ذى الجدين في بني شيبان .

وكان الأب أو الزوج هو رئيس الأسرة وله السلطة المطلقة على أهله وبنيه ، أما المرأة فكان البدوي ينظر اليها كاداة للمتعة والنسل ، ويرغب في أن تلد له غلاماً يكثر بهم غيره ويقوى بهم مكانه في القبيلة ويديم بهم بقاءه من بعده ، ولذلك كانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى ومنهم من كان يئدها بعد ولادتها ، وقد وصف القرآن الكريم بعبارات ناصعة حالة الرجل العربي وحيرته عند ما تولد له بنت فقال : ( واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ؟ أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون ) ! على ان عادة الوأد لم تكن عامة والا لاندثر الجنس العربي ، وإنما كانت فاشية في بعض القبائل فقط مثل أسد وقيم حتى جاء الاسلام فنهى عنها وأبطلها ، وقد كانت المرأة العربية تشارك الرجل في كثير من شؤون الحياة : تحطب وتسقى ، وتحلب الماشية وتنسج الملابس والخيمة ، وأغلب النساء كن سافرات يقابلن الضيوف ويتحدثن اليهم ،

وكثيراً ما كن يصحبن الرجال الى الحرب ويقمن خلفهم اثناء القتال ليستميتوا فى الطعن والضرب مخافة أن يلحقهم عار بسبيهن ، ولكنهن لم يكن يغنين فيها غناء الرجال بسبب ضعفهن وقوتهم ، وكان للمرأة المكان الاول فى الشعر العربى فلا تكاد تخلو قصيدة من الافتتاح بذكرها والغزل بها .

وكان البدو يتزوجون صفاراً ، الذكر فى الخامسة عشرة والانثى فى العاشرة أو اقل ، يخطب الرجل الى الآخر بنته ويصدقها ثم يعقد له عليها ، وله حق الطلاق وتعدد الزوجات حسب استطاعته الا اذا اشترطت عليه المرأة عدم التعدد ، وكانوا يميلون الى زواج البعداء لأنه أنجب للولد وأبهى للخلة ، ولم يكونوا يجمعون بين المرأة وبنتها ولا بينها وبين أختها ، ولكنهم استحلوا زواج امرأة الأب الى أن حرمه الاسلام ، وربما تزوج بعضهم نساء بعض فى فترات الغزو بلا عقد ، أو ذهبت المرأة الى عدة رجال فيولد الولد لا يعرف من أبوه فتلققه أمه بمن تريد من الرجال الذين سبق لها معرفتهم ولا يرفضه الرجل ان كان ذكراً وقد يلجأون الى القيافة ويلحقونه بأكثرهم به شبهاً .

وكان البدو من العرب يسكنون الخيام ، يتخذونها من الوبر والشعر والصوف ، ويقسمونها قسمين مفصولين بستار ، يكون أحدهما وهو المقدم للرجال ويكون الآخر وهو المؤخر للنساء ، وينقلونها معهم اذا ارتادوا أو خرجوا للغزو ، وقد كانت هذه الخيام موضوعاً مثيراً للشعراء يصفونها ويصفون ما فيها ومن فيها ، ويبكون على أطلالها بعد رحيل أهلها عنها ، ويقفون على آثارها الباقية لاستعراض ذكرياتهم بها ، وكان أكثر طعامهم اللبن والتمر ، واذا نزل بهم ضيف نحروا ناقة أو ذبحوا شاة اكراماً له ، لأن اللحم مظهر من مظاهر الجود ، وكانت عادة شرب الخمر فاشية بين الأغنياء منهم حتى جاء الاسلام فحرمها ، وقلما تحدث شاعر جاهلى عن حياته دون أن يتحدث عن الخمر وكرمه اذا شرب ، وقد يتصل بالشراب الغناء ، فقد ذكر أن بعض الجوارى كن يغنين فى مجالس الشراب .

وكان أهل البادية من العرب يعتمدون فى معيشتهم على رعاية الابل ثم على الغزو والصيد وحراسة القوافل ، وكانت عنايتهم بالابل والاستكثار

منها تفوق كل عناية ، اذ عليها معولهم في الحياة : يأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها وينسجون خيامهم من أوبراها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها ، ويفتدون أسراهم بها ، ويؤدون المهور والديات والصدقات منها ، ويتقايضون في البيوع عليها ، وكان المترفون منهم يعنون بالخييل أيضاً ، وربما كانت أعز ما يباع عند العرب ، كانوا يطلقونها على الصيد ويتحاربون فوقها و يقيمون لها السباق ويضعون الأسماء لخييل الحلبة كالمجلى والمصلى والمسللى ، ولم يحترف منهم الزراعة الا سكان جبال اليمن وبعض المناطق الشمالية كالطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى وتيماء ، اما الصناعة فكانوا يرونها حرفة مستزدة ويعيرون صاحبها ولا يتعاطاها في الغالب الا الغرباء والعبيد ، بخلاف سكان الحواضر القليلة الذين لم يكونوا يحجمون عن عمل يتعيشون منه سواء كان تجارة أو صناعة أو فلاحه ، وكانت مكة مركزاً تجارياً ممتازاً وأهلها تجاراً ماهرين يذرعون الجزيرة العربية طولاً وعرضاً ، وكانت لهم على الخصوص رحلتان سنويتان أحدها شتوية توصلهم الى بلاد اليمن حيث يشترون بضاعتها والبضائع الواردة عليها من بلاد الهند كالتوابل والبخور، ورحلة صيفية الى بلاد الشام يبيعون خلالها سلع اليمن ويشترى ما يحتاج اليه العرب من منسوجات ومصنوعات ، وكانت لهم أسواق سنوية داخلية يبيعون فيها ويشترى ويتناشدون الأسعار ويتناقلون الأخبار ويتحاكمون الى قضاة ، ومن أشهر هذه الأسواق عكاظ بين نخلة والطائف الذي كان سوقه يعقد من أول ذى القعدة الى اليوم العشرين منه ، ومجنة الواقعة بمر الظهران قرب مكة التي ينتقلون اليها من عكاظ فيقيمون فيها الى متم ذى القعدة ، وذى المجاز البعيد عن عرفة بفرسخ كانوا يقيمون فيه ثمانية أيام من ذى الحجة ويعرفون في اليوم التاسع وهو يوم التروية ، ولم تخل الجزيرة العربية في جميع عصورها القديمة من جماعات تتكسب عن طريق الغزو ، فكانت تشتمل الغارات لنهاب الأموال وسبي النساء والأولاد وبيعهم بعد ذلك في أسواق العبيد، وكانت الحرب بسبب ذلك وبسبب النزاحم على الكلا والماء لا تخمد نارها والحسائف لا تخف وطأتها ، ولكن حروبهم ووقائعهم المعروفة في كتب التاريخ والأدب بأيام العرب لم تكن تخلف على كثرتها وطول أمدها ضحايا كثيرة ولا خسائر

وفيرة ، لأن الغرض الأكبر منها هو النهب والفرار بالغنائم والأسلاب ، ولأن البدو كانوا يتحامون القتل جهدهم لما يستلزمه من أخذ الثار ودفع الديات ويخلعون اللصوص والمجرمين (129) وقد ذكروا أن حرب البسوس التي دامت أربعين سنة بين بني بكر و بني تغلب لم يقتل فيها الا عدد قليل من المتحاربين .

ولم يكن العرب في جاهليتهم يؤمنون بدين واحد ، وانما كانت لهم أديان متعددة ومذاهب مختلفة يخلطون بعضها ببعض ويمزجون العقائد السماوية بالعقائد الوثنية وما هو شرك بما هو توحيد ، وقد ضعف فيهم دين ابراهيم ولكن بعض شعائره كالحج استمرت قائمة فيهم ، وبعض معاهده كالكعبة بقيت لديهم معظمة الحرمات ، وقد أخذوا عبادة الأصنام عن اليونان والرومان الذين حملوا آلهتهم وتمائيلهم الى الشام ، والمجوسية عن الفرس ، واليهودية عن المهاجرين الاسرائيليين الذين فروا من الآشوريين ثم من الرومان بعد خراب هيكلهم ببيت المقدس سنة سبعين ، كما أخذوا النصرانية عن دعااتها الأولين وعن أهل الشام أثناء الحكم البيزنطي ، وعن أهل الحيرة الذين استقروا زمناً باليمن وبنوا فيه بعض الكنائس ، فكانت اليهودية في يثرب وفدك ووادي القرى وتيماء واليمن ، فمنها قبائل اسرائيلية تعربت مثل قريظة والنظير وقينقاع يثرب ، وقبائل عربية تهودت كالأو أو بعضاً مثل حمير وكندة وكنانة والحارث بن كعب ، وكانت النصرانية في بادية الشام وبين النهرين وحوران وجهات من البحرين واليمن وعمان ، وانتشرت في قبائل ديبعة وكندة وقضاة وغسان وتميم و جذام ، وكانت كعبة النصاري بنجران حرماً آمناً كمكة لا يجوز انتهاكه ، ومن العرب من كان يعبد الكواكب والنجوم ، ومنهم من عبد النار أو قال بالثنوية أو الدهرية ، وأحل زواج الأب بابنته ، وهي عقائد ومذاهب سرت اليهم من الفرس والمجوس وما عندهم من معتقدات مزدكية ومانوية ، اما عبادة الأصنام والأوثان فقد شاعت في كل مكان منذ قدم عمرو بن لحي الخزاعي ببعض التماثيل من الشام وأقامها على الكعبة ودعا العرب الى تعظيمها وأسد عليهم

---

(129) كانت القبائل نخلع من نكث معراته من أفرادها ولا تستطيع حمايته وتدخل عنه فيلجأ الى قبيلة أخرى أو يعيش في البراري عيشة الصعلوك الشريد متخذاً من الوحش أهلاً وجيراناً ( اقرا لامية العرب للشنفرى ) .

بذلك دين اسماعيل بن ابراهيم ، ومن أشهر أصنام العرب الطواغيت الثلاثة : اللات لأهل الطائف ، والعزى لأهل مكة ، ومناة لأهل المدينة ، أما أصنام الكعبة فكثيرة منتشرة حولها وفوقها وفي جوفها وأعظمها هبل الذى كان من عقيق أحمر على صورة انسان ، وكانوا يستقسمون عنده بالقداح ، ويستخيرونه فى شتى أمورهم وأعمالهم . على انهم مع كل ذلك كانوا يميلون الى التوحيد ويصرحون انهم انما يعبدون الأصنام والأوثان وشتى مظاهر الطبيعة لتقربهم الى الله زلفى ، كانوا يجعلونها وسيلة بين أيديهم للوصول اليه ونيل رضاه ، ومما لا ريب فيه ان اليهودية والنصرانية كان لهما ضلع كبير واثر فعال فى توجيه افكار العرب نحو التوحيد .

ولم يكن العرب يتقنون علماً من العلوم يوضحون مناهجه ويدونون قواعده ، لأن العلم نتيجة الحضارة التى يكثر فيها المال ويسهل العيش ، وثمره المجتمعات المنظمة المهدبة ، ولكن الطبيعة كانت مفتوحة أمام أعينهم لا تحجبها دور ولا قصور ، فاهتدوا بالفطرة الى كثير من أسرار الحياة ، واستفادوا بالتجربة ما استفادهم غيرهم فى غرف الدراسة وتلقاه من أفواه المعلمين ، فقد عرفوا النجوم ومواقعها ، والأنواء وأوقاتها ، وعرفوا طباً هدتهم اليه التجارب وتوارثوه جيلا عن جيل ، وتناقلوا أخبار الأمم المجاورة لهم من فرس وروم مع كثير من التحريف ، وكانت لهم نظرات فى الحياة وخطرات فلسفية هداهم اليها العقل السليم ، ولكن أكبر ما كانوا يمتازون به هو حدة ذكائهم وحضور بديهتهم ، وفصاحة لسانهم ، فكان شعرهم ولغتهم وخطبهم وأمثالهم أكبر مظاهر حياتهم العقلية .

ويتكلم العرب لغتهم المشتقة من أصل سامى ، وهى إحدى اللغات العظيمة المرنة القادرة على التعبير عن كل خلجات النفس ومشاهدات الحس وخواطر العقل ومشاعر الوجدان ، ولها قدرة عجيبة على صهر الألفاظ العجمية وتصريفها حتى تصبح كأنها من العربى الأصيل ، وكانت فى الجاهلية مقسمة الى فرعين : فرع حميرى فى الجنوب وفرع عدنانى فى الشمال ، وكلاهما يفاير الآخر فى الأوضاع والأحكام وان شأبه فى كثير من الألفاظ والتراكيب ،

وقد تغلبت لغة عدنان في النهاية على لغة حمير بسبب ما أصاب الحميريين من نشبت وافتراق ، وضعف وانحلال ، وما توفر للعدنانيين من أسباب القوة والظهور وشيوع لغتهم عن طريق الأندية والمجامع والأسواق والحج والقوافل التجارية ، وزادها سمواً عناية المتكلمين بها باختيار الألفاظ المألوفة وأعمال الحوشى والمستقبح من الكلام حتى نشأت عن ذلك لغة أدبية راقية عرفت بلغة قریش امتد سلطانها الى سائر أطراف الجزيرة العربية لاختلاط القبائل بعضها ببعض في المهاجر والأسفار والمواسم والأسواق ، حتى اذا نزل القرآن بها زاد سلطانها توطيداً وجعل كل لهجات العرب تتضاهل أمامها حتى صارت في حكم المعدوم .

وكانت الكتابة معروفة عند العرب ولكنها قليلة الانتشار لأن انتشار الكتابة يتبع قيام مجتمعات منظمة وهو ما لم تكن الطبيعة تساعد العرب عليه ، وكان عرب الجنوب يكتبون خطأ منفصل الحروف شبيهاً بالكتابة الحبشية يعرف بالمسند الحميري ، وقد نقشوه على حجارة كثيرة كشفت عنها التنقيبات الأركيولوجية في العصر الحديث ، أما عرب الشمال فانهم كانوا أجهل بالكتابة من اخوانهم سكان الجنوب ، وكان خطهم يدعى بالجزم لأنه اقتطع من الأرامي النبطي ، ولم يتحول من صورته النبطية البحتة الى صورته العربية المعروفة الآن الا قبل الاسلام بقليل ، ولم يكن يعرفه منهم الا أفراد قلائل من أصل الحواضر معرفة لا تصل الى حد الجودة والاتقان ، ولذلك قلت الآثار المكتوبة به فلا يعرف منها الا آثار حوران .

ورغم أن العرب ظلوا في جاهليتهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فان آدابهم من منظوم ومنثور بقيت محفوظة لاعتمادهم على الذاكرة وحفظ الرواة ، فقد كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ، وقد تكون قبيلة الشاعر كلها راوية له اذا كان موهوباً وشعره جيداً ، كعمرو بن كلثوم الذي كان يروى معلقته بنو تغلب كلهم ، يرووها صغارهم عن كبارهم حتى عيب عليهم ذلك وعيبرهم الشاعر بقوله :

الهي بنى تغلب عن كل مكرمة	قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مذ كان أولهم	بالرجال لشعر غير مسؤول !

غير أن الذاكرة لم تكن وحدها كافية لتسجيل الأدب العربي قبل الاسلام ووفائته من النحل ، فضاغ منه بسبب ذلك الشيء الكثير ، كما أضاف اليه الرواة بعد الاسلام الشيء الكثير لأغراض دينية أو سياسية أو شخصية .

وجملة القول - كما يقول الأستاذ المرحوم أحمد حسن الزيات - فإن المجتمع العربي خارج القبيلة كان مفككاً من الجهة السياسية والاقتصادية واللغوية ، مرتبطاً من الجهة الخلقية والعقلية والأدبية ، ولو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة وأذهاناً بصيرة وحكمة خبيرة ومعارف واسعة ، كونوا أكثرها من نتاج قرائحهم وئسار تجاربهم ، فإن لغتهم وهى صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعانى التى تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء وما بينهما الا استوعبت أسماء ورتبت أجزاءه ، ووضع اللفظ للشيء دليل على وجوده وعلمه ، ولا يكون التمدن اللغوى الا بعد تمدن اجتماعى راق فى حقيقته وان لم يرق فى شكله ، عام فى أثره وان لم يعم فى أهله (130) .



## محمد رسول الله

كان المجتمع الانساني على العموم والمجتمع العربي على الخصوص في نهاية القرن السادس الميلادي بلغ الدرك الأسفل من الفوضى والانحطاط ، وسوء التربية وقبح السلوك ، وكانت الانسانية تتطلع الى رجل منقذ يخلصها من حمأة البغي والفساد التي كانت تتمرغ فيها سواء كان رسولا توحى اليه الشرائع من السماء ، أو مصلحاً لا يتنزل عليه الوحي ، ولكن يلهم بنظره الثاقب الى المقاصد والأهداف التي يبعث لها الأنبياء والرسل وهي اقامة نظام مؤسس على الحق والعدل والمصلحة بين الناس ، وتتوفر له الوسائل التي يقدر بها على فرض ذلك النظام واقناع الناس بالركون اليه والاستمسك به والضرب على أيدي الذين يشاققونه ويخالفون عن أمره .

وقد كان الخلاص هذه المرة على يد رجل عظيم جمع بين وحي السماء ورجاحة العقل وقوة الإرادة وحسن الاقناع والتبليغ ، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي العربي .

ولد عليه السلام يوم 20 غشت سنة 570 بمكة المكرمة ، وكان والده عبد الله توفي وهو جنين في بطن أمه السيدة آمنة بنت وهب الزهرية ، وفي يوم سابع ولادته نحر جده عبد المطلب الجزور ودعا وجهاء قريش فحضرُوا وطعموا ، ولما علموا انه سمي حفيده محمداً وهو اسم لم يكن مألوفاً عند العرب سألوه لم رغب عن أسماء آبائه ؟ فقال أردت أن يكون محموداً في السماء لله ، وفي الأرض لخلقه .

ودفعت آمنة وليدها الى حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية لترضعه ، فقد كان من عادة أشراف العرب المتبعة أن يبعثوا أبناءهم الى البادية في اليوم الثامن من مولدهم فلا يعودون الى الحاضرة حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة ،

وكان لمراضع بني سعد شهرة عند أشراف مكة لحدهن على الأطفال الذين يرضعنهم وعنايتهن بهم وحسن تربيتهن لهم ، فنشأ محمد بن عبد الله في بيت حليلة وزوجها الحارث بن عبد العزى ببادية بني سعد ، وكان بيت فقر وضعف حال ، فما كاد محمد يدخله حتى وجدت حليلة وزوجها خيره : سمعت غنمهما وزاد لبنها ، وبارك الله في كل ما عندهما ، وأقام هناك ينشئ من جو الصحراء الطلق روح الحرية والاستقلال النفسي ويتعلم من بني سعد لغة العرب مصفاة أحسن التصفية حتى بلغ الخامسة من عمره فارجعته الى أمه اثر حادثة شق الصدر التي طهر فيها قلبه ونظف ليلتلقى رسالة الله خالصاً ويؤديها مخلصاً تمام الاخلاص صابراً على ما يلقي في سبيل تبليغها من أذى ويبث في طريقه من أحجار وأشواك .

وكفل عبد المطلب حفيده وكان يحبوه بعطف زائد ويفدق عليه كامل حبه ويسبغ جميل رعايته ، كان بنوه يجلسون حول فراشه قرب الكعبة اجلالاً له ، فاذا جاء محمد استنداه وأجلسه معه على فراشه وربت على ظهره ، ولكن اليتيم الذي صاحب شطره محمد منذ ولادته أبى الا أن يكون تاماً وهو في طفولته الباكرة ، فماتت أمه آمنة بالابواء عندما ذهبت به الى المدينة لزيارة أخوال جده من بني النجار ، ثم مات جده عبد المطلب ، فكفله عمه أبو طالب وأولاه حبه وعنايته ورعايته وحمايته التي استمرت بعد ذلك سنين طويلة الى أن مات ، وكان يفعل ذلك متأثراً مما يرى من نجابة ابن أخيه وذكائه وبره وطيب نفسه ، وصحبه معه الى الشام وسنه لا يعدو الثانية عشرة ، وعاش محمد مع عمه يقوم بما يقوم به من هم في مثل سنه ، فاذا جاءت الأشهر الحرم أقام بمكة مع أهله أو خرج وإياهم الى الأسواق القريبة منها يستمع انشاد أصحاب المذاهبات والمعلقات ، ويصغى الى بلاغتهم في غزلهم وفخرهم وذكر أنسابهم ومغازيهم وكرمهم وفضلهم ، ثم يعرض ذلك على بصيرته تنكر منه ما لا تسبيح وتقبل ما تراه جيداً بالقبول ، ويستمع الى خطب الخطباء ومنهم يهود ونصارى يعيبون على اخوانهم العرب شركهم ووثنيتهم ويدعونهم الى ما يعتقدون انه الحق من دين موسى ودين عيسى ، فيستفتي قلبه في ذلك فيراه خيراً من عبادة الأصنام التي غرق فيها أهله ، وهكذا بدأ القدر يوجه نفسه الشريفة منذ نعومة

أظفاره الوجهة الصالحة وبهيته لليوم العظيم ، يوم الوحي الأول حين أمره ربه أن يقوم بهداية الناس الى الحق والى صراط مستقيم .

وكما عرف محمد طرق القوافل التجارية بالصحراء مع عمه أبى طالب ، وحضر مع أهله أسواق العرب واستمع الى ما يلقى فيها من خطب وأشعار عرف الحرب والقتال فى سنوات مراهقته ، فقد وقف الى جانب أعمامه فى حرب الفجار التى دامت أربع سنوات بين قريش وهوازن ثم انتهت بعدما الى صلح ، ثم حضر بدار عبد الله بن جدعان التيمى حلف الفضول الذى تعاقدت فيه قريش وتعاهدت على أن تكون مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحرصوفة ، وقد بقى محمد يذكر هذا الحلف بقية حياته ويقول عنه ( ما أحب أن لى بحلف حضرتة فى دار عبد الله بن جدعان حمر النعم ، ولو دعيت به لأجبت ) .

وخلال فتوته ومراهقته وبداية شبابه لم يشترك محمد فى شىء مما كان يفعله الشبان فى سنه من تجارة وربى وشراب وتسرى ولم يأخذ من ألوان اللهو بنصيب كبير ولا صغير ، ولم يكن ذلك منه عن عجز بدنى أو ضعف مادى ، بل نشأ عن رغبة نفسه التائقة الى الكمال عن اللهو وتشوفه الى نور الحياة المتجلى فى كل مظاهر الحياة لمن هداه الحق اليها ، ولذلك دعاه أهل مكة جميعاً بالأمين لأنه ظهر منذ صباه بمظهر الكمال والرجولية وأمانة النفس ، وعرف بنقوب الذهن وحصافة الرأى وعفة الجوارح واطالة التأمل والتفكير .

واشتغل محمد برعى الغنم لأهله وأهل مكة ، وكان يذكر رعيها مغتبطاً ويقول : ( ما بعث الله نبياً الا راعى غنم ) ويقول : ( بعث موسى وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو يرعى الغنم ، وبعثت وأنا أراعى غنم أهلى بأجساد ) ، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره استأجرته خديجة بنت خويلد الأسدية للاتجار بمالها فى الشام ، فسافر مع غلامها ميسرة وباع واشترى وربح ، وأسر قلب ميسرة بحلو شمائله وجميل معاشرته ، ولما عادا حدث ميسرة مولاته عن رقة شمائله وسمو نفسه وما شاهد خلال سفره معه من الخوارق والارهاصات العجيبة فرغبت فى الزواج منه ، وتم لها ذلك رغم فارق السن بينهما ، فبدأت صفحة جديدة من حياة محمد : صفحة الزوجية الموفقة الهنية ، والأبوة التى تحس بالآلام لفقد الأبناء مثل احساس محمد بالآلام فى الصغر لفقد الآباء .

وأقام محمد في بيت خديجة وقد أغناه الله بالزواج منها يشارك بنصيب في الحياة العامة بمكة ، فشارك في إعادة بناء الكعبة بعد ما صدع سيل جدرانها ، وحكم بين بطون قريش عندما اختلفوا على من يضع الحجر الأسود في مكانه ، وقرت عينه بولادة ابنين وأربع بنات ، ولكن موت الابنين ترك في نفسه ونفس زوجته ما يتركه الموت في نفس كل أب وكل أم من أثر عميق ، ولما بدأ يدنو من الأربعين من عمره صار يتحنن في غار بأعلا جبل حراء الذي يبعد عن مكة فرسخين الى جهة الشمال فكان يقيم فيه طيلة شهر رمضان معنئاً في التأمل والعبادة ملتصقاً الحق مكتفياً بالقليل بعيداً عن ضوضاء الناس ومشاكل الحياة ، وبعد سنوات من انشغال نفسه بالحقائق العليا بدأ يرى في نومه الرؤيا الصادقة الذي يظهر انماها أمام بصيرته نور الحقيقة التي يشهد ويرى معها باطل الحياة وغرور زخرفها ، حتى اذا بلغ الأربعين كانت نفسه الشريفة خلصت من الباطل كله وامتلات ايماناً و يقيناً ، واتجه الى الله بكل روحه أن يهدي قومه بعد ان تاهوا في دروب الضلال ، وبينما هو نائم بالغار يوماً جاءه ملك في يده صحيفة ، فقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارىء ، فأحس كان الملك يخنقه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر ثلاث مرات ، ثم قال له : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ) ، فقرأها وانصرف عنه الملك ، وقد نقشت الآيات في قلبه ، وكان ذلك بداية نزول القرآن وظهور دين الاسلام .

واستيقظ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه فزعاً مضطرباً ، ونزل الى بيته يرجف قلبه ويضطرب خوفاً وطمعاً ، فهدأت خديجة روعه وأزالت مخاوفه ، وانطلقت بعد ذلك الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخاً مسناً مطلعاً على أخبار الانبياء ، فحككت له ما رأى زوجها وما سمع ، فأخبرها انه نبي هذه الأمة ، وأمرها أن تطلب منه الصبر والثبات ، فأشرق نور الايمان على قلبها وكانت أول المؤمنين بالدين الجديد .

وتتابع نزول الوحي بعد فترة انقطاع قصيرة ، واضطلع الرسول الأكرم بمهمة التبليغ ، وأسلم له قليل من أشرف مكة وبعض مستضعفيها من غرباء وموالى وعبيد ، بينما كفر به أغلب قريش وألحقوا به وبأصحابه من الأذى

ما تقشعر لذكره الجلود ، مع أن الرسالة التي جاء بها رسالة حق وخير تقوم على الايمان باله واحد لا شريك له ، وعلى العمل الصالح الذى يضمن للانسانية حياة فضلى ويجعل افرادها يعيشون متساوين متحابين متعاونين ، وقد كان من الصعب على مجتمع قبلى متعصب أن يتخلى بسهولة عما ألفه من معتقدات وعادات ، ويقبل أداء حق الله فى النفس والمال ، ويسخى تسوية العبيد والاشراف ، وأخذ نصيب من مال الأغنياء ليرد على الفقراء ، فصبر النبی عليه السلام كل الصبر وصحابه الأولون على الأذى والعذاب ، وبذل جهده فى الدعوة والاقناع ، ولكن أشراف مكة لم تزدحم الدعوة الا عتواً ونفورا خصوصاً عندما يتعلق الأمر بثلب آلهتهم وتسفيه أحلامهم التى تقبل عبادة أحجار يصنعونها بأيديهم ولا تطيق لهم نفعا ولا ضرا ، وبعد ما قضى اثنتى عشرة سنة فى مكة داعياً مرشداً دون كبير جدوى هاجر الى يثرب التى كان الاسلام فشا فى أهلها من **أوس وخزرج** ، وكان وصوله اليها يوم الاثنين 20 شتنبر سنة 622 م ( 8 ربيع الأول ) وعمره يومئذ 53 سنة ، فكانت الهجرة بداية التاريخ الذى شرع المسلمون يؤرخون به فيما بعد على عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

وفى يثرب التى أصبحت تدعى بالمدينة تنفس النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصعداء ، وزالت المعوقات التى كانت تحول بينه وبين نشر الدعوة بين العرب من غير قريش ، فبدأ ينظم جماعة المسلمين تنظيمًا محكمًا معتمدًا على توفيق الله وما منحه من مهارة فى تأليف النفوس ولفها حول المثل العليا وتوجيهها نحو المقاصد المحمودة ، ومع أنه وجد أمامه عوائق أخرى فى المدينة من منافقين ويهود فانه استطاع التغلب عليها وإزاحتها من طريقه بالتدريج ، وبينما كان الوحي يتنزل بالشرائع والأحكام فى المدينة كان لا بد من الاستظهار بالقوة للدفاع عن النفس وحيطة الدين الجديد بسياج من الوقار والاحترام ، وقد نشبت سلسلة من الحروب بين حزب النبی وحزب الكافرين به حقق فيها المسلمون عدة انتصارات من أعظمها انتصارهم على كفار مكة فى معركة بدر التى بأت فيها قريش بخزى العزيمة وعلا بعدها شأن النبی بين العرب وطار صيته كل مطار ، وقد كان الرسول يعانى ما يعانى فى ترويض النفوس الجامعة وسياسة الناس الذين شبوا على الفوضى والفسوا الانانية ،

ولكنه عليه السلام كان يذلل في النهاية كل صعب ويلين كل جعد بما أوتي من الحكمة والاستقامة والفهم العميق للطبيعة البشرية ، ولما انتشرت دعوته وكثر اتباعه من العرب فكر عليه السلام في الاتصال بالشعوب الخارجية لأن دعوته السامية ورسائله الخالدة لا تخص العرب وحدهم بل تشمل الانسانية جمعاء ، فأوفد على الملوك والأمراء والولاة رسلا يحملون اليهم رسالات تتضمن دعوتهم الى الاسلام وتحذيرهم من عاقبة الرفض والجحود ، فكان منهم من قبل الدعوة ومنهم من ردها ردأ حسناً ومنهم من ردها ردأ سيئاً ، وما زال أمره عليه السلام يعظم حتى أمكنه في السنة العاشرة من هجرته أن يفتح مكة ويظهرها من الأصنام والأوثان ويقر بين أهلها دين التوحيد، وأثرها وفدت عليه وفود العرب مسلمة من القاصية والدانية ، فحج عليه السلام بالمسلمين حجة الوداع التي كمل فيها الدين وانتهى الوحي وساد الاسلام كل مكان بالجزيرة العربية ، وبعدها بقليل شعر عليه السلام بحمى تنتابه ، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، وما زال يتقلب به على فراش المرض حتى التحق بالرفيق الأعلا من الجنة يوم الاثنين 8 يونيو سنة 632 ( 12 ربيع الأول عام 11 هـ ) راضياً مرضياً .

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام أكرم رجل انجبته الانسانية وأعظم مصلح عرفته الدنيا ، وكان ظهوره من أعظم الأحداث التي سجلها العالم خلال تاريخه الطويل ، كما كان الدين الذي جاء به خاتم الأديان السماوية التي كان الحق سبحانه وتعالى يعين بها البشرية قبل أن تستكمل نموها الفكري على تنظيم مجتمعيها ، وسببى دين محمد في عنق كل نسمة انسانية وحق احترامه واجباً عليها مهما امتدت الايام وتناولت السنين لما أسدى لها من الخير ودلها على الصراط المستقيم .

عليه الصلاة والسلام .

## بداية الاستيطان العربي بالمغرب

لا أنوى أن أعيد فى الصفحات التالية ما سبق لى الحديث عنه من أخبار الفتح العربى لبلاد المغرب فى الفصل الثانى من هذا القسم (131) وإنما أبغى الحديث فيها عن بداية استقرار العرب فيه واستعرا ب أهله ، سواء كانوا بحال جنود وموظفين يثبتون سلطة الخلافة الإسلامية فى ربوعه ويديرون أموره العمومية ويؤمنون مسالكه وطرقه ، أو كانوا بحال تجار ورجال أعمال يمشون فى مناكبه ابتغاء المال الكثير والربح الوفير ، أو كانوا بحال قبائل وعشائر استهواها ما سمعت عن سعة أرضه وخصب تربته وجمال طبيعته فشدت إليه الرحال وسارت بقضها وقضيضها تطوى الأرض إليه طياً حتى ألقت به عصا التسيار ، وطاب لها بين أهله المقام والاستقرار .

ومن نافلة الكلام ان نقول ان هذا الاستقرار مضافاً إليه انتشار الاسلام بين قبائل البربر كان أعظم حادث سجله تاريخ المغرب الطويل ، فقد كان من نتائج الأول امتزاج سكانه الأصليين بالعناصر العربية امتزاجاً وثيقاً واصطباهم بصبغتها وتكلمهم بلغتها واستثناسهم الى ثقافتها ومدنيتها ، وكان من نتيجة الثانى اعتناقهم من غير استثناء لعقيدة سماوية ملأت قلوبهم وشغلت عقولهم ووجهت تفكيرهم وتصرفهم ، وهو أمر لم ينجح فيه فاتحون غير العرب فى قديم أو حديث .

ولقد بدأ تطلع المسلمين الى الاستيلاء على المغرب فى فجر الخلافة الباكر ، اذ لم يكده عمرو بن العاص يفرغ من فتح مصر حتى بدأ يعد العدة لفتح الأقطار التى تليها غرباً ، وكان قواده وجنوده يميلون الى مواصلة الفتح ونشر

كلمة الاسلام فى أقطار جديدة وبين قوم آخرين غير الذين دانوا لحكمهم بوادى النيل ، وزاد فى حماسهم وتقوية عزائمهم ما وجدت طلائعهم الاولى التى اتصلت ببلاد المغرب فى سكانها من دعة ومسالمة ، وما أحرزت من مفانم ومكاسب بأقل جهد .

وكانت القبائل البربرية التى واجهها المسلمون لأول احتكاكهم ببلاد المغرب هى لوانة و نيفوسية و نفزة و هواره التى أسلست لهم مقادتها وأطاعتهم بسهولة وسارت معهم تدلهم على الطرق وتعينهم على الروم الذين انحصرت فيهم المقاومة بالمدن لأول الفتح ، وأظهر بربر برقة بالخصوص منتهى الاخلاص للحكم الجديد حتى ذكر البلاذرى من حديث محمد بن سعد عن الواقدى عن مسلمة بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فررة : أنهم كانوا يبعثون بخراجهم الى والى مصر من غير ان ياتيهم حاث أو مستحث ، فكانوا أخصب قوم فى المغرب (132) .

وتفيد بعض الروايات ان اخلاص بربر برقة للحكم الاسلامى لم يكن نتيجة غزو وفتح وانما كان نتيجة ايمان واقتناع سبقا دخول العرب الى بلاد المغرب ، فقد روى الشطيبى أنهم أرسلوا رسلا منهم الى عمرو بن العاص قبل أن يخلص من فتح مصر يعرضون عليه الدخول فى الاسلام على يديه ، فاستطاع عمرو أن يفهم منهم ما يريدون بواسطة ترجمان نقل اليه كلامهم ، فأرسلهم الى عمر بن الخطاب الذى رحب بهم أجمل ترحيب لأن أحد الحاضرين أخبره انهم البربر أولاد بر بن قيس عيلان (133) فسألهم عمر بن الخطاب عن عاداتهم وعلاماتهم فلما أخبروه بها بكى لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات ، ثم حمد الله على ذلك ، وبعث الى عمرو يأمره ان يقدمهم على الجند ، وأعادهم الى بلادهم مكرمين محملين بالهدايا (134) .

---

(132) فتوح البلدان ص 224 .

(133) ذكر ابن خلدون أن البربر الذين وفدوا على عمر بن الخطاب استنسبوا فذكروا أنهم من أولاد مازيخ . انظر ص 264 من هذا الجزء .

(134) الجمان فى أخبار الزمان لمحمد الشطيبى المغربى . ( نسخة مخطوطة ) .



ومثل ذلك يحكى عن صولات بن وزمار أمير مغراوة الذى هاجر الى المدينة المنورة أو اشخص اليها عند ما وقع أسيراً بين أيدي العرب لأول الفتح فاجتمع بأمر المؤمنين عثمان بن عفان وأسلم على يديه وحسن اسلامه ، فمن عليه عثمان ولقاه براً وقبولا لمكانه من قومه ، وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر أحياء مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بنى أمية ، وكانوا خاصة لهم دون قريش ، وظاهروا دعوة المروانيين بالاندلس رعيّاً لهذا الولاء ، كما اختصت قبائل صنهاجة بالولاء لعلى بن أبى طالب وكان لها مقامات صدق فى نصرة بنيهِ والدفاع عن دعوتهم خلال القرون الأولى لظهور الاسلام بأرض المغرب .

وقد حار المؤرخون فى تعليل خضوع البربر للعرب دون حرب ومبادرتهم الى ارسال الخراج بأنفسهم دون أن يستحثهم حاث أو يدخل بلادهم جاب ، فمنهم من عزا ذلك الى خوفهم من قوة العرب التى عرفوا بها من غاراتهم الأولى ثم من الطليعة التى أرسلها عمرو الى بلادهم بقيادة عقبة بن نافع ، ومنهم رأى ذلك الخضوع نتيجة حتمية للحكم البيزنطى الذى أنهك قواهم وصيرهم فى حالة عجز كامل عن المقاومة ، ولكن أحداً من المؤرخين الأوربيين على الخصوص لم يعز ذلك الخضوع الى العدل الذى ساس به المسلمون البربر والرحمة التى وجدها هاؤلاء فى كنفهم الشئ الذى جعلهم يرون فيهم هداة منقذين لا غزاة فاتحين .

وسار المسلمون يفتحون أرض برقة وطرابلس قرية قرية ومدينة مدينة ، وانحصرت المقاومة فى البيزنطيين الذين اعتصموا ببعض المراسى الساحلية والحصون الداخلية ، ومال البربر الى جانب المسلمين وقاتلوا فى صفوفهم ولم يقفوا موقف المتفرج كما فعل قبط مصر اثناء اقتتال المسلمين والروم ، وكان من المتوقع أن يسير الفتح بسرعة عظيمة ويصل المسلمون الى المحيط الأطلسى فى أقصر مدة لولا أن منع عمر بن الخطاب واليه عمرو بن العاص من مواصلة الزحف على افريقية بدعوى انها مفرقة غادرة مغدور بها ، فاضطر قائد الجيش الاسلامى الى الرجوع الى مصر من البلاد التى فتحها تاركاً حبل أمرها على الغارب .

على أن هذا التوقف لم يطل لحسن الحظ أمده ، اذ لم تمر الا فترة يسيرة على خلافة عثمان بن عفان حتى عزل عمرًا بعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فبدأ الى مصر الجديد بمجرد وصوله اليها يتشوف الى العودة الى المغرب لاقام ما بدأه سلفه من الفتح ، وصار يبعث المسلمين في جرائد من الخيل فيصيبون من أطراف افريقية ويغنمون ، ثم كتب الى الخليفة يستأذنه في السير اليها ويستتمده ، ويظهر أن عثمان اهتم بالأمر اهتماماً عظيماً ، فبدأ يستشير الصحابة ثم جمع أكابرهم فزبنوا له مواصلة الفتح ، فاستنفر حينئذ المسلمين من جميع الجزيرة العربية لغزو افريقية فاستجابوا له وبدأوا يتوافدون زرافات ورحلانا على الجرف ، وهو مكان يبعد ثلاثة أيام عن المدينة ، وأعان الخليفة الجيش الغازي بألف بعير من ماله الخاص يحمل عليهاضعفاء المجاهدين ، وفرق السلاح وحمل على الخيل ، وأمر للناس بالأعطيات .

ومن حسن الحظ ان النصوص التاريخية حافظت لنا على أسماء كبراء الصحابة وأعداد مجاهدى القبائل الذين انضموا الى هذا الجيش المعروف في كتب التاريخ بجيش العبادلة لاشتراك عدد من الصحابة المشهورين فيه يسمى كل واحد منهم بعبد الله ، فهم العناصر العربية الاولى المعروفة أصولها التى دخلت الى بلاد المغرب وكان لها فى مشارفه استقرار ، وفى بداية تعرب أهله أيد وآثار ، فمن كان هذا الجيش يشمل عليه :

- **بنو هاشم** : عدة فى مقدمتهم عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس .

- **بنو تميم** : عدة فى مقدمتهم عبد الله بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن طلحة .

- **بنو عدى** : عدة فى مقدمتهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن زيد بن الخطاب .

- **بنو أسد** : عدة فى مقدمتهم عبد الله بن الزبير .

- **بنو سهم** : عدة فى مقدمتهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد المطلب بن السائب بن وداعة .

- بنو أمية : عدة في مقدمتهم مروان بن الحكم وأخوه الحارث .
- بنو زهرة : عدة في مقدمتهم المسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمان بن الأسود بن عبد يفوت .
- بنو عامر : عدة في مقدمتهم السائب بن عامر بن هشام وبشر بن أوطاة .
- بنو هذيل : عدة منهم أبو ذؤيب خويلد بن خالد الشاعر ، وعبد الله بن أنس ، وأبو ذر الغفاري ، ومعاوية بن حديج ، ورويفع بن ثابت ، وأبو زمعة البلوي ، وعقبة بن نافع الفهري .
- جهينة : 600 مجاهد .
- أسلم : 300 مجاهد .
- مزينة : 800 مجاهد .
- بنو سليم : 450 مجاهد .
- بنو الدئل { 500 مجاهد .
- ضمرة {
- غطفان {
- أشجع { 700 مجاهد .
- فزارة {
- بنو كعب : 400 مجاهد .

وقد تضخم عدد هذا الجيش الذي فصل عن الجوف في شهر أكتوبر سنة 647 م ( محرم 27 هـ ) بمن انضم اليه من الجند الذي كان مقيما بمصر حتى بلغ 20 ألفا ساروا جميعا مع عبد الله بن سعد الى افريقية وهزموا الروم وقتلوا قائدهم كريكوريوس ( جرجير ) بمكان قريب من سبيطلة ، ثم حاصروا فلولهم المنهزمة بحصن الجمل ، لكن هذا الانتصار لم يكن من عواقبه استيطان العرب في افريقية ولو بحال حاميات عسكرية ، لأن عبد الله بن سعد رجع الى مصر بعد أن صالحه الروم على مال مشترطين عليه أن يرحل بمن معه من العرب ، فلم يول على البلاد التي فتحها أحدا ولم يتخذ بها قيراواتا .

ومن القصص الطريفة التي يوردها المؤرخون لدى كلامهم على معركة سببيلة أن جرجير قائد جيش الروم أمر منادياً أن ينادى في الجيش : من قتل عبد الله بن سعد فله مئة ألف دينار وأزوجه ابنتي ! وكانت فتاة جميلة تجيد الرماية وركوب الخيل ، فلما سمع عبد الله بن سعد النداء رد عليه بالنداء في معسكر المسلمين : ان من قتل جرجير من المسلمين فله ابنته ومن معها ، فيقال انها صارت بعد هزيمة الروم لعبد الله بن الزبير ، ويقال انها خرجت في سهم رجل من الانصار ، فانصرف بها قد حملها على بعير له وجعل يرتجز :

يا ابنة جرجير تلقى نحلتيك      لقيت بالنحلة ثكلي أبنتك  
لتأخذن في الطريق عقبتك      لتسقين شر ماء قربتك  
شر عجوز بالحجاز ربتيك !

قالت : فما يقول هذا الكلب ؟ فأخبرت بذلك ، فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فدق عنقها فماتت !

وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح فقد أحببت ذكرها هنا لأنها تمثل من جهة عزة النفس ، وتسجل لنا من جهة أخرى أول شعر معروف قاله العرب وهم يفتحون بلاد المغرب .

وتوقف الفتح والاستيطان بعد الصلح ورجوع عبد الله بن سعد ، ولكن البلاد المفتوحة أولاً ( برقة وطرابلس ) ظلت على ولائها للمسلمين حتى في سنوات الفتنة والتنازع على الخلافة بين علي ومعاوية ، ولم تسجل حركات معادية ولا نقض للعهود في الأراضي التي صالح عليها الروم المسلمين في جنوب القطر التونسي ووسطه ، فلما نفّض المسلمون أيديهم من الخلاف بعد مقتل علي وتملك معاوية ، وأعيد عمر بن العاص إلى ولاية مصر استأنف هذا الفتح وأرسل إلى إفريقية معاوية بن حديج على رأس جيش إسلامي يتركب من عشرة آلاف جنسدي فيهم عدد من كبار الصحابة والتابعين كعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الملك بن مروان ، ويحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وعدة من أشرف قريش ونفر كبير من جند مصر ، فتغلب على جيش بيزنطي أرسل حديثاً إليها ، وتقدم شمالاً حتى أفضى

الى سهل تونس ، ونزل فى مكان يسمى القرن اتخذه مركزاً لأعماله ، بنى فيه دوراً وحفر آباراً سميت بآبار حديج ، وهو من الأسماء العربية الأولى التى دعيت بها أمكنة بأرض المغرب ، وكانت الأخبار استفاضت يومئذ بين البربر عن عدل المسلمين ورحمتهم ، فكانوا يرحبون بمقدمهم أجمل ترحيب ، سيما وان الجيش الاسلامى كان يضم عدداً من اخوانهم بربر مصر وبرقة الذين كانوا يتكلمون لغتهم ويطلعونهم بواسطتها على فضائل الاسلام ويزينون لهم الايمان به ليرتفع مستواهم وينالوا خير الدنيا والآخرة .

ولما أسندت القيادة العامة الى عقبة بن نافع سنة 670 ( 50 هـ ) وسار الى افريقية فى عشرة آلاف فارس منهم 25 صحابيا أمعن النظر فى سياسة الفتح وعواقبها ، ورأى أن الغرض الاسمى ليس هو تحقيق النصر والاستيلاء على الغنائم ولكنه التمكين لدين الله بين سكان البلاد المفتوحة وتوطيد أركان الحكم الاسلامى فيها ، غير أن ذلك لا يتأتى بغارات منقطعة ، وانما يتأتى باقامة مستمرة فى البلاد المفتوحة وانشاء مدن اسلامية عربية بين البربر ينطلق منها الاشماع الدينى والثقافى اليهم ، وتنتهى معها حالة الشك والتردد التى كانت تجعل الطائعين منهم يسلمون عند ظهور القوة العربية ويكفرون عند مغيبها ، يضاف الى ذلك ان القوات الاسلامية وقد سيطرت تقريبا على القطر التونسى اصبحت بعيدة جداً عن مراكز انطلاقتها ومخازن أمدادها فلم يكن بد من تأسيس مدينة اسلامية تكون مقر الادارة والقيادة على غرار المدن التى انشأها المسلمون بالمشرق كالبصرة والكوفة بالعراق والفسطاط بمصر ، ليتمكن بعد تأسيسها مواصلة الفتح والتوغل فى داخلية المغرب .

وقد استشار عقبة أصحابه فى الأمر وعبر لهم عن الدوافع التى تحفزهم الى بناء هذه المدينة قائلا لهم : ( ان افريقيا اذا دخلها امام تحوم أهلها بالاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتد الى الكفر ، وأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرياً وتكون عز الاسلام الى آخر الدهر ) ومن الطبيعى ان يعجب اصحاب عقبة بالفكرة ويتحمسوا لها ، لأنهم بالاضافة الى الأسباب السياسية والاستراتيجية كانوا شديدي الشوق الى اقامة

أسرهم وحفظ متاعهم بمدينة حصينة قريبة من مجالات غزوهم ، بل بلغ بهم الحماس الى الاتفاق على ان يكون أهلها مرابطين فيها واقترحوا تقريبها من البحر ليتم لهم أجر الجهاد وأجر الرباط ، ولكن عقبة ارتأى أن يكون موقع المدينة وسطاً بين الساحل والداخل حتى لا تكون عرضة لهجمات الأساطيل البيزنطية وغارات البربر ، واختار بنفسه الموقع واختط فيه مدينة القيروان وأشرف على بنائها مدة أربع سنوات ( ٢ - 675 ) كان خلالها يغزو ويبعث السرايا ، فدخل في الاسلام كثير من البربر واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان واطمأنوا على المقام فثبت فيها الاسلام (١35) .

ويظهر أن رجال الحكم في دمشق لم يرضوا عن انصراف عقبة الى بناء القيروان رغم أن عمله كان رشيداً واستبطنوا وصول الغنائم والأسلاب التي كانت لا تخلو من روميات وبربريات جميلات ، فعزلوه بأبي المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد والى مصر الجديد الذي أساء معاملته ، ولكنه سلك سياسته في توطين العرب بصفة دائمة بأفريقية ، ويقال انه نزل بقرية بربرية قرب القيروان تسمى تكرور أو تيكروان (١36) فبنى فيها ومصرها وجعل منها مدينة ثانية للعرب بالمغرب ، ومما يؤثر لأبي المهاجر انه عدل عن خطة عقبة السياسية والعسكرية التي كانت تتسم بشيء من الصرامة وجنح الى سياسة الرفق واللين والمداواة فاستطاع بها أن يستميل البربر ويصل في حملاته الى تلمسان حيث اكتسب كسيلة زعيم أووبة للاسلام واتخذة حليفاً وعاد به الى القيروان .

وبعد سبع سنوات عزل أبو المهاجر بعد ما مهد المغرب الأوسط بحسن سياسته ومهارة قيادته وكثر الاختلاط بين العرب والبربر ، وبدأ الزواج المختلط يؤتي ثمرات طيبة من نوع طارق بن زياد ، وأعيد عقبة بن نافع الى افريقية من جديد سنة 682 فجدد بناء القيروان وشيدها فعمرت وعظم شأنها ،

---

(١35) أسد الغابة لابن الأثير 3 : 184 .

(١36) ذكر بعض المؤرخين أن تيكروان ببربر كلمة قيروان المعربة .

ثم عزم على المسير الى المغرب الأقصى لنشر الاسلام بين أهله نابذاً سياسة  
الموادة والمدارة التي سلكها أبو المهاجر ونجح فيها غاية النجاح ، وقد  
نصح أبو المهاجر عقبة بعدم المسير بنفسه والاكتفاء بتوجيه وال الى طنجة  
قائلاً : ( ليس بطنجة لك عدو ، لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد -  
يعنى كسييلة - فابعث معه واليا (137) ولكن عقبة أبى الا أن يخرج بنفسه  
مضيقاً بذلك فرصة كبرى لنشر الاسلام والعروبة بسرعة ودون كبير عناء ،  
فسار على رأس جيش قوامه 15.000 جندي مخلف بالقيروان حامية صغيرة  
تحت قيادة زهير بن قيس البلوي ، فافتتح مدن الزاب وحصونه مثل باغاية  
والمسييلة ، وكان القتال يجرى مع الروم وحدهم ، ويظهر أن سياسة الشدة التي  
سلكها عقبة جعلت جماعات من البربر تميل الى الروم ، فانه لم يكسب يصل  
الى تيهرت حتى وجد نفسه أمام حلف كبير من الروم والبربر لم ير المسلمون  
له مثيلاً من قبل ، ولكنه تغلب عليهم جميعاً بعد جهد جهيد وتوغل في  
المغرب الأقصى حتى بلغ طنجة ، فسارع يليان صاحب تلك النواحي الى خطب  
وده ، ثم ذهب عقبة الى ويلي وتامسنا وقطع جبال درن الى السوس الأقصى  
وانتهى الى وادي درعة وصحراء تافيلالت ، ولما انقلب راجعاً وبلغ مدينة طبنة  
سرح الجيش الى القيروان وبقي في لمة من أصحابه ، وهناك انقلب عليه كسييلة  
الذي كان يمعن في اهانتة خلال المسير مخالفاً عن أمر أبي المهاجر ، فحشد  
أهله وبنى عمه واعترض عقبة قرب قرية تهودة فدافع وأصحابه حتى  
استشهدوا سنة 683 ، وكان لهذه الهزيمة أثرها البعيد بالنسبة لاستيطان  
العرب ببلاد المغرب ، فقد فر من القيروان جيش مصر بقيادة حنش بن عبد الله  
الصنعاني لا يلوى على شيء ، وانسحب بعد ذلك جماعات أخرى من الجند  
والعرب والموالي البربر الى طرابلس بقيادة زهير بن قيس البلوي الذي كان  
يميل الى الإقامة والقتال ، ومشى كسييلة الى القيروان فدخلها وتآمر على من بقي  
بها من الشيوخ والنساء والأطفال ، وعاملهم معاملة طيبة لأنه لم يرتد عن  
الاسلام على ما يظهر ، وتخلص بدخوله اليها النفوذ العربي في افريقية وما وراءها  
من أرض المغرب .

---

(137) رباح النفوس للملكي ص 26 .

ولم تغد الحملة التأديبية التي قام بها زهير بن قيس ضد كسيلة بعد ذلك بأربعة أعوام ( 688 م ) وقتله فيها قرب ممش شيئا في إعادة المد العربي الى افريقية وان ضمن بها الأمن للقيروان وأبعد عنها الأخطار ، فقد اضطر الى الرجوع الى برقة لما بلغه خروج اسطول رومى كبير من صقلية وارسائه على ساحلها ، واثناء هذا الرجوع ارتكب نفس الغلطة التي ارتكبها عقبة قبله عند رجوعه من المغرب الأقصى ، فقد سلك الطريق الساحلى مع سبعين من جنوده تاركاً معظم الجيش سائراً فى الطريق العام ، ولما أبصر جنود الروم يحملون سبى المسلمين من نساء وأطفال الى سفنهم خاض لانقاذهم معركة غير متكافئة كان فيها حتفه .

ولا يعرف بدقة ما صارت اليه احوال افريقية والمغرب فى فترة الأربع سنوات التي تلت مقتل زهير ، والظاهر ان القيروان بقيت اسلامية عربية لا تتعرض لأعمال عدائية من جانب الروم ولا من جانب البربر ، وان برقة استمرت كذلك يليها مولى لعبد العزيز بن مروان اسمه تليد ، فلما انتهت الأزمة الثانية للخلافة الاسلامية بمقتل عبد الله بن الزبير سنة 692 اتجه نظر الخليفة عبد الملك بن مروان الى المغرب ، فجهز جيشاً كبيراً عهد بقيادته الى حسان بن النعمان أحد مشاهير قواد الشام كما عهد اليه بولاية المغرب ، وهو أول قائد من أهل الشام يتولى الولاية والقيادة بالمغرب بعد ما كان الولاة والقادة قبله من جند مصر ، فسار حسان يجر وراءه جيشاً كثيفاً لم يدخل المغرب مثله من قبل ، اذ بلغ عدد جنوده 40 ألفا ، ولما بلغ طرابلس زاد عدده بمن انضم اليه من عرب افريقية وطرابلس ، وبعد ما أصلح من شأنه وقبل الفصول عن طرابلس عين قائدين يسيران فى مقدمته أحدهما عربى : محمد بن أبى بكير ، والثانى مغربى : هلال بن ثوران اللواتى ، ولاشك فى أن انضمام عرب طرابلس الى الجيش يدل على استقرار جاليات عربية بمدنها الساحلية وقراها الداخلية ، كما يدل تعيين قائد من البربر على تمكن الاسلام من قلوب أهل القسم الشرقى من البلاد المغربية وعلى المساواة التي كان يعامل بها المسلمون الآتون من الجزيرة العربية اخوانهم الذين أسلموا حديثاً على أيديهم . ومشى حسان حتى بلغ القيروان وقد أضمر فى نفسه أن يطبق خطة عسكرية اساسها مقابلة أعدائه من



روم وبربر كل على حدة حتى يسهل عليه التغلب على مقاومتهم ، ثم توجه الى قرطاجنة عاصمة افريقية القديمة على رأس جيشه ف ضرب عليها الحصار حتى اشتدت الوطأة على الروم فطلبوا الأمان ولما أوقف القتال هربوا في المراكب فلم يصب الا قليلا من ضعفائهم ، وبالاستيلاء على قرطاجنة صفا له شمال تونس ، ثم عاد الى القيروان لعلاج المجروحين واعداد العدة للمركة الجديدة ، وخلال استراحة الجيش بها انعقد حلف بين عدد من القبائل البربرية تحت زعامة امرأة بربرية من قبيلة جراوة تسميها الروايات العربية الكاهنة تارة ، ودميا بنت ماتيت بن تيفان تارة أخرى ، والظاهر أن الكلمتين معا وصفان لا اسمان ، وكيفما كان الأمر فقد كانت امرأة عجيبة تختلط في اخبارها لغرابتها الحقيقة بالأسطورة . وعندما خرج اليها حسان منفذاً الشطر الثاني من خطته بدأت هي في تنفيذ خطة عسكرية أخرى تتلخص في تخريب البلاد على نطاق واسع تأسيساً للعرب من المقام فيها ، وهي السياسة التي تعرف اليوم بسياسة الأرض المحرقة والتي لا يحجم القادة العسكريون في العصر الحديث عن تطبيقها اذا دعاهم دواعي ستراتيجي اليها ، فعندما اقترب حسان من حصن باغاية أمرت الكاهنة اتباعها بتخريبه حتى لا يعتصم به ويقم به حامية عربية ، ثم التقى الجيشان على عدوتي وادي نيني أحد روافد وادي مسكيانة فانهزم حسان هزيمة منكرة وترك في ميدان القتال عدداً كبيراً من شباب العرب وثمانين أسيراً فسعى الوادي وادي البلاء أو وادي العذارى تذكيراً بالنكبة التي حلت بالمسلمين فيه .

وانسحب حسان الى ما وراء طرابلس حتى بلغ الى موضع قرب مدينة تاورغة يبعد 250 كلم عن طرابلس الى الشرق فأقام على آبار به سميت منذ ذلك العهد بأبار حسان ورمم بعض حصونه القديمة وبنى حصوناً جديدة . أما الكاهنة فيظهر انها لم تكن تحقد على المسلمين لأنها أطلقت اسراهم واستبقّت منهم يزيد بن خالد الذي أعجبها جماله وشجاعته ورجاحة عقله فتبنته حسب التقاليد البربرية وجعلته مستشاراً لها ، ثم درست موقفها من العرب وعلمت أنهم لابد عائدون بعد حين كما فعلوا بعد الهزائم السابقة التي حلت بهم ، فقالت لمجلس شوراهما : ( ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب

والفضة ، ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى فلا نرى لكم الاخراب افريقية كلها حتى يئأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر (138) فقام اتباعها يعذقون الشجر وينسفون العمران ، وكانت افريقية كما يحدث التاريخ ظلا واحداً من طرابلس الى طنجة ، وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن فى اقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا اوصل بركات ولا اكثر مدائن وحصونا من اقليم افريقية والمغرب ، مسيرة ألفى ميل ، فخربت الكاهنة ذلك كله (139) وقد أسفر هذا التخريب عن نتيجة عكسية فان الذين أيسوا من المقام فى البلاد كانوا هم الروم الذين ركب أكثرهم السفن ورحل عنها للاستقرار الدائم فى صقلية واسبانيا وايطاليا ، اما العرب الذين كان قائدهم حسان يطلع على ما يجرى فيها بواسطة خالد بن يزيد متبنى الكاهنة ومستشارها فانهم عادوا اليها سنة 698 مع جماعة من البربر البتر فاستقبلهم من بقى بها من الروم بحفاوة ، وخرجوا اليهم مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة ، ولم يقصر البربر كذلك فى الاحتفال بعودة العرب والترحيب وتحيزوا اليهم بشكل ايجابى وأمدوهم بالرجال والأموال ، ولما قرب حسان من جبل أوراس حيث كانت تقيم الكاهنة انضم اليه ولداها بأشارة منها على ما يذكر ، ثم دارت المعركة الفاصلة التى قتلت فيها الكاهنة وانخضت شوكة المقاومة الأخيرة ضد المسلمين فتمهد الطريق لاستيطان العرب بصفة دائمة ببلاد المغرب ، وحسن اسلام البربر بعد أن ارتدوا ثلاث عشرة مرة .

ويعتبر حسان بن النعمان الفاتح الحقيقى للمغرب وأول منظم للحكومة الاسلامية فيه ، فهو لم يكتف بخضد شوكة المقاومين واقناعهم بعدم جدوى المقاومة والحرب فى صد المسلمين عما جاءوا الى المغرب لاجله وهو نشر دين الله واعلاء كلمته بين سكانه ، وانما اهتم بعد ان تم له النصر العسكرى بشؤون الادارة والعمران الشئ الذى استقامت معه الحياة فى بلاد عاشت سنين طويلة فى فوضى واضطراب لا مثيل لهما ، فهو الذى أسس مدينة تونس وأنشأ بها

---

(138) البيان المغرب لابن عذارى ص 36 ط بيروت .

(139) البيان المغرب ص 36 .

مرسى جلب له من مصر ألف قبلى بنسائهم وأولادهم وكلفهم بصناعة سفن الجهاد وعمارتها ، والتفت الى القيروان عاصمة الولاية الاسلامية الجديدة فجدد مسجدها ، كما أنه أول من ( دون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية (140) ، واستألف البربر بأن جند منهم 12.000 جندي عقد عليهم لابنى الكاهنة ، كل واحد منهما على ستة آلاف فارس ، وأخرجهم مع العرب لتهديد البلاد وقتال الكافرين ، ولم يكتف بذلك وبإعطائهم حقهم من الغنائم ، بل رتب لهم أيضاً أعطيات تصرف لهم من بيت المال وأقرهم على ما بأيديهم من الأرض التي اعتبرها فتحت صلحاً لا عنوة ، وقسم المغرب خططاً لهم ، أى انه اختص كل قبيلة بخطة تتصرف فيها وتؤدي مالها وتكون مسؤولة عنها ، وباختصار لم تشهد بلاد المغرب واليا حكيماً ولا قائداً رحيماً بعد أبى المهاجر عرف كيف يستميل البربر ويستألفهم بحسن سلوكه الاحسان بن النعمان الذى سوى التسوية كلها بين العربى والبربرى ولم يعتبر أحدهما غالباً حاكماً والآخر مغلوباً محكوماً .

ومن الطبيعى أن تبقى فى هذه الأزمنة المبكرة جماعات من البربر غير مسلمة خاصة فى المناطق الجبلية بالمغربيين الأوسط والأقصى ، وأن يكون اسلام من أسلم من البربر سطحيّاً فى معظم الحالات لانعدام لغة مشتركة للفهم والتفاهم ، فلا العرب كانوا قادرين على افهام البربر حقيقة الدين لجهلهم اللغة البربرية ، ولا البربر كانوا يستطيعون فهم تلك الحقيقة من العرب لعدم معرفتهم اللغة العربية ، أما الأمر الأول وهو اسلام من لم يسلم من البربر فقد عالجته الولاة الذين جاءوا بعد حسان بن النعمان من موسى بن نصير الى ادريس بن عبد الله الكامل وابنه ادريس الثانى اللذين تم على أيديهما اسلام بربر المغرب الأقصى ، وأما المشكل الثانى فقد عالجته الخلفاء والولاة بانتخاب جماعة من فقهاء التابعين وانتدابهم لتعليم البربر القرآن وتفقيهم فى الدين ، وأول من فعل ذلك عقبة بن نافع الذى ترك بين البربر جماعة من الفقهاء يعلمون البربر احكام دينهم منهم صاحبه شاكر الذى ينسب اليه الرباط المشهور ، ثم موسى بن نصير متم فتح الأندلس الذى انتدب عدداً من الفقهاء لتعليم البربر ، ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز الذى أرسل مع واليه اسماعيل بن عبيد الله المخزومي

عشرة من فقهاء التابعين انبثوا بين البربر يعلمونهم أصول الدين ويبصرونهم بأحكامه ، ويلقنونهم مبادئ اللغة العربية التي لا يمكن فهم القرآن والسنة حق الفهم الا عن طريقها ، وقد أخذ عن هؤلاء التابعين جماعة من أهل البلاد كانوا يقصدونهم للتعلم عليهم بالقيروان وغيرها ثم يعودون الى قبائلهم فيولون القضاء وغيره من الوظائف والخطط الدينية ، وقد ذكرهم المالكي في رياض النفوس (141) .

ومما لا ريب فيه أن جميع العوامل كانت متوفرة لاسلام البربر كافة وتعربهم بسرعة وقيامهم بأكبر الأدوار في نشر الدين خارج بلادهم منذ انتصار حسان بن النعمان على الكاهنة وخلال مدة ولايته التي سلك فيها أفضل السياسات لاستئلاف البربر وامالتهم الى جانب الاسلام والعروبة ، يدلك على ذلك ان الجيش الاسلامي الأول الذي دخل الأندلس كان يقوده قائد من أهل البلاد طارق بن زياد ، وان معظم جنوده كانوا بربراً ( 12.000 ) ولم يكن فيه من العرب الا ثلاثمائة أو أقل ، وقد كان النصر السريع الذي أحرزه جيش طارق حافزاً لمن تخلف من البربر المسلمين على عبور البحر والاشتراك في الحرب والمساهمة في الغنم الوفير ، كما أن غلبة الروح الديني على الفتح واختلاط الجنود العرب الذين جاءوا بعد مع موسى بن نصير بالجنود البربر وتأخيهم في ساحات القتال واقامة مراكز على طول الطريق بين القيروان وطنجة وسبتة لاستراحة الجند وخزن الميرة أدت كلها الى تثبيت اسلام البربر واطهارهم على العربية ، ومنذ ثم الفتح أخذ العرب يقدون بكثرة على الأندلس للحرب والسكنى مارين ببلاد المغرب مختلطين بأهلها ، فازداد كل فريق معرفة بالفريق الآخر ، ولم يعد العربي في المغرب غريب الوجه واليد واللسان .

ولو بقيت الأمور تسير على ما كانت عليه أيام حسان لمشت حركة الاستيطان العربي واستعراب البربر بخطى سريعة ، ولكان من الممكن تعرب المغاربة قبل تعرب المصريين رغم قربهم من الجزيرة العربية ، ولكن حدثت بالشرق والمغرب في آن واحد احداث كان من عواقبها تضائل عدد المهاجرين

العرب الى المغرب وظهور مذاهب دينية انتهت بانفصاله عن خلافة المشرق سياسياً مع بقاءه مستمسكاً بالدين الجديد .

أما أحداث المشرق فكانت تتمثل فى الخلافات الدينية التى قامت بين الشيعة والخوارج والخلافات السلالية التى قامت بين القيسية واليمينية ، والخلافات السياسية التى قامت بين العلويين والأمويين ثم بين هأولاء وبنى العباس ، وما نشأ عنها من انصراف الخلفاء عن التفكير فى المغرب وقلة الاهتمام بأموره .

وأما أحداث المغرب فكانت تتمثل فى هذا اللون الجديد من السياسة الذى أراد الولاة بعد حسان أن يطبقوه فيه جهلاً وغروراً وترضية لرجال الدولة بدمشق وبغداد الذين لم تكن مطاعمهم تقف عند حد ، وضداً على جميع الأسس التى يقوم عليها الدين الاسلامى من عدل ومساواة ورفق بالناس واحترام لأنفسهم وأموالهم وصيانة لحريتهم وكرامتهم .

فقد أمعن موسى بن نصير فى جمع السبى من ذكور وإناث ، حتى صار عبيده وأماؤه من البربر والروم يعدون بعشرات الآلاف ، وقد اندهش الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموى لما أخبره موسى ان سبى سكوما - مدينة قبيلة أوربة - وحدها بلغ مئة ألف ، فكتب اليه : ( ويحك ، أظنها احدى كذباتك ! فان كنت صادقاً فهذا حشر الأمم ) !

ولم يقف عسف الولاة عند حد السبى وتوجيه الغنيمات الجميلات بالمئين الى الخلفاء والأمراء والوزراء بالمشرق بل تجاوزوه الى اهانة الناس ومعاملتهم بما يكرهون ، فقد بدا ليزيد بن مسلم لما قدم والياً على افريقيا سنة 722 م ( 103 هـ ) أن يسم حراسه من البربر بميسم الذل ، فقام على المنبر خطيباً وقال : ( انى رأيت ان اسم حرسى فى أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم فى يمين الرجل اسمه ، وفى يساره حرسى ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فاذا وقفوا على أحد أسرع لما امرت به ) ولكن هذا الوالى الذى وصفه المؤرخون بأنه كان ظلوماً غشوماً كان أيضاً جهولاً

بنفسية البربر وما صار لهم من اعتزاز بالدين الجديد ، فلم يكد حرسه يعلمون بنيته حتى استاءوا مما عزم عليه وقالوا ( جعلنا بمنزلة النصارى ) فلما خرج من داره لصلاة المغرب قتله فى مصلاه حرسى منهم يسمى حريز ، أما عمر بن عبد الله المرادى عامل طنجة من قبل عبيد الله بن الحبحاب فقد أداه الغرور الى التفكير فى تخميس البربر زعماً منه أنهم فى المسلمين ، فكان فعله سبباً فى حدوث ثورة عارمة ما زالت تعظم وتنمو حتى أدت بالمغرب الى الاستقلال عن حكمه الشرقيين .

والحق أن الولاة لم يكونوا دائماً صادقين فيما يركبون من الظلم والعسف عن غريزة شخصية ، وانما كانوا يدفعون فى كثير من الأحيان الى العنف دفعاً من رؤسائهم بالمشرق ، فقد كان هاؤلاء يستحبون طرائف المغرب ويطلبونها من عمالهم بافريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما افضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة كما يقول ابن عذارى (142) .

ومن أمثلة ظلم الولاة وجورهم التى ذكرها ابن خلدون أن الرؤساء بالمشرق كان يطلبون من ولاة المغرب اتحافهم بافريقية عسلية الألوان فكان هاؤلاء يتغالون فى جمع ذلك من ماشية البربر ، حتى كانت الصرمة من الغنم تسهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه ، فكثر عيشهم بذلك فى أموال البربر وجورهم عليهم (143) .

والحق أيضاً أن البربر كظموا غيظهم وصبروا طويلا على الظلم احتراماً لهاؤلاء الذين هدوهم الى الدين وابقاء على رابطة الخلافة التى تجمع بينهم وبين سائر المسلمين ، وقد بلغت بهم الثقة بالخلفاء الى الدرجة التى كانوا يقولون معها لا نخالف الأئمة بما تحنى العمال ، والى أنهم أرسلوا وفداً من عشرين رجلاً برئاسة ميسرة المدغرى ليبلغ الى الخليفة هشام شكواهم التى كانت تتلخص

---

(142) البيان المغرب ص 56 .

(143) تاريخ ابن خلدون 6 : 240 .

فى عدول الولاة والقواد عن تطبيق مبدأ المساواة بين العرب والبربر ، فقد صار القائد اذا غزا جهة أو حاصر مدينة قدم الجند البربرى وآخر الجند العربى ، واذا استولى الجيش على غنيمة حرم البربر حقهم فيها بدعوى أن ذلك أخلص لجهادهم ! فكان الوفد يريد أن يعرف أئن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ ولكن بطانة السوء التى لم يكن يرضيها اجتماع الخليفة بالوفد حالت بينهم وبين لقائه ، فرجع الى بلده غضبان أسفاً وصدق البربر بعدما ما كان يقوله لهم العرب المناوئون لحكم بنى أمية من أن الولاة والقادة انما يعملون بأمر الخلفاء ، فكان ذلك سبباً فى ظهور المذهب الخارجى بالمغرب وثورة ميسرة المدغرى المعروف بالفقير (144) .

على أن ثورة البربر هذه المرة (740 م) لم تكن تعنى ثورتهم على الاسلام ولا على العرب رغم حداثة عهدهم بهما ، بل كانت ثورة على السلطة الجائرة فقط ، فقد بقوا مستمسكين بالدين كاشد ما يكون الاستمساك ، واستمروا على نقتهم بالعرب المقيمين ببلادهم ، اذ على ايديهم تعلموا المذهب الخارجى ، وبتشجيعهم على بنى أمية شقوا عصا الطاعة على الخلافة ، ولم يثبت أن البربر اضطهدوا العرب خلال هذه الثورة وانما وثبوا فقط على الحاميات العسكرية التى استمرت على ولائها للخلفاء ، ومع أن البربر حققوا انتصارات باهرة على القوات العربية فان السلطة الخلافية بالشرق سربت لمحاربتهم الجيوش تلو الجيوش ، فكان عدد العرب يتضخم بذلك فى الغرب بالتدريج والبلاد تصطبغ بصبغتهم شيئاً فشيئاً ، ويكفى أن نعرف أن الجيش الأول الذى وصل لقمع الثورة بقيادة كلثوم بن عياض القشبرى فى يوليوز سنة 741 م (رمضان 123 هـ) كان يشتمل على سبعين ألف مقاتل ، وان الجيش الثانى الذى أرسل فى السنة التالية ( يبرابر 742 ) كان يشتمل على 30 ألف لم يلبثوا أن عززوا بعشرين ألفاً آخرين ، وقد أمكن بوصول هذه القوات أن تستعرب مدن بأسرها فى وقت مبكر كتلمسان وسبته وطنجة وأصيلة علاوة على المدن التى سبقت الى التعرب مثل طرابلس والقيروان وتونس وبلدان قسطنطيلة ( شط الجريد ) والزاب .

---

(144) وبلقبه خصومه بالحقير .

والجدير بالذكر أن دعاية قوية مصدرها عرب القيروان على ما يظهر انتشرت بين المسلمين مرغبة اياهم فى سكنى افريقية والمغرب مبينة ما أعد من الاجر والثواب لمن يربط فيهما ، ولم تبق مدينة من مدن المغرب الشهيرة الا نسبت الى الرسول أحاديث فى بيان فضلها وفضل ساكنيها ، بل نسب الى الرسول حديث يذكر أن طائفة من امته عليه السلام لا يزالون ظاهرين على الحق بالمغرب لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة ، وعلى العكس من ذلك اختلقت أحاديث وآثار فى ذم البربر والتنقيص من شأنهم شبيهة بالأحاديث والآثار التى اختلقت بالمشرق اختلاقاً للحط من قدر الفرس . أما الشعر فقد استعمل أيضاً من بعض المنصريين العرب بالمغرب والأندلس فى هذا الغرض الخسيس وان كان بعض أبياته لا يخلو من طرافة ودعابة كقول من قال :

رأيت آدم فى نومى فقلت له      ابا البرية ان الناس قد حكموا  
أن البرابر نسل منك قال اذن      حواء طالق ان كان الذى زعموا

وقد كان لهذا الاستعلاء الذى يتنافى مع الدين القديم والعقل السليم رد فعل عنيف بعد ذلك لدى مستعربة البربر فنظموا الأشعار وكتبوا الرسائل وألفوا الكتب التى تعيب التفاخر بالأنساب وتبين ان الناس فى حكم الشرع والعقل سواء لا يتفاضلون الا بصلاح الأعمال مما يعرف تفاصيله المتخصصون فى الآداب العربية بالمغرب .

وباختصار فان الحركات التى كانت تتهىء بالمشرق للاطاحة بحكم بنى أمية تهياً مثيلها بالمغرب وسبقها الى الظهور فى نهاية منتصف القرن الثامن الميلادى لاعلان استقلاله عنها ، فلم تكد الخلافة الاموية تلفظ أنفاسها حتى ظهرت الدول الوطنية المغربية : دولة بنى صالح بنكسور ودولة بنى مدرار بسجلماسة ودولة بنى رستم بتيهت ، ثم دولة بنى مروان بالأندلس ، ودولة الإدارة بفاس ، ودولة الأغالبة بالقيروان ، ولم تغد الجهود السياسية والعسكرية التى بذلها بنو العباس شيئاً فى ابقاء الولايات المغربية تابعة للخلافة كما كانت منذ الفتح الاسلامى الاول .



وقد استطاعت الدول الجديدة أن تثبت الأمن وتفرض السلطة ، وعملت من الساعات الأولى على تنظيم الحكومة والادارة فعين الوزراء والحجاب وانشئت الدواوين وعينت الجيوش وضربت السكة ، وأرسل العمال والقضاة والجماعة الى المدن والقرى ورتبت المسالحي بالحدود والثغور ، وكان التنظيم يبنى على أسس عربية صرفة ويتعمد فيه تقليد نظام الخلافة فى بغداد حتى لدى الدول البربرية الصرفة المنعزلة فى الصحراء والبعيدة عن مجالات العرب كدولة بنى مدرار بسجلماسة ، وقد أغرى قيام هذه الدول أنصارها الدينيين والسياسيين على الهجرة إليها من البلاد العربية ، فهاجر أنصار بنى أمية زرافات ووجداناً الى الأندلس ، وهاجر الشيعة الى فاس للاقامة فى كنف الأدارسة ، وهاجر الخوارج الى سجلماسة وتيهرت ، واستمر الزاهب والآيب ما بين بغداد والقيروان نظراً للصلات الوثيقة التى كانت تربط امارة بنى الأغلب بخلافة بنى العباس ، وكان المهاجرون الى البلاد المغربية من طبقات ممتازة تنتمى فى الغالب الى عالم الجيش والادارة والمال أو الى دنيا العلم والفقه والأدب ، وكذلك صار لكل خليفة أو سلطان أو أمير شعراء ينظمون مفاخره ، وكتاب يعبرون عن أغراضه ، ومعلمون يعلمون أمراء بيته ، وعلماء يحتجون بالدين لتثبيت سلطانه ، وفقهاء يعطون بحضرته ، ومؤلفون يكتبون أيامه ووقائعه ، واقبل أهل البلاد الأصليون ( البلديون ) يكرعون من مناهل العلم الصافية وحياض الأدب والثقافة الثرة ، تارة يكتبون بمن كان بين ظهرائهم من العلماء والفقهاء المهاجرين، وتارة يسافرون لطلب العلم بمراكزه الكبيرة بالحرمين ومصر والشام والعراق فيعودون مملوئى الوطاب علماً وأدباً وحكمة ، وكان الحج الى بيت الله الحرام من أقوى الأسباب فى اتصالهم بأئمة الفقه والأدب بأقطار الشرق وتقوية الصلات العلمية بينها وبين أقطارهم المغربية . وبالجملة فان القرن الثانى الهجرى لم يكد ينصرم حتى كانت مدن الغرب الاسلامى كالقيروان وطبنة وتلمسان وتيهرت وسجلماسة وسبتة وفاس وقرطبة وطليطلة وباجة وطرطوشة تنافس مدن الشرق الاسلامى كالقسطايط والقدس ودمشق والحرمين والبصرة والكوفة وبغداد علماً وأدباً وعمراناً وحضارة ، وحتى أخذت البلاد المغربية تسير بخطى ثابتة فى طريق الاستعرا ب دون تعثر أو نكوص .

## الرّحف الثّاني الكبير

مضت السنون تتلوها السنون على انتشار الاسلام بالمغرب ودخول العرب اليه واستقرار جماعات كثيرة العدد منهم به ، ولم يكن مر السنين وقيام الامارات والممالك العربية والبربرية الا ليزيد الاسلام قوة والعربية تمكيناً ، فان البربر منذ اسلموا حسن اسلامهم ولم تكن الفتن والثورات التي قاموا بها بالمغرب والأندلس منذ بداية القرن الثاني الهجري الا احتجاجاً على الظلم واستنكاراً لعيث الولاة .

وكان انتظام المغرب والأندلس في سلك المملكة الاسلامية وما شاع في الشرق جمال طبيعتها ووفرة خيراتها وحسن نسائها سبباً قوياً في هجرة عدد من قبائل الجزيرة وبادية الشام وما بين النهرين اليهما برسم الجهاد أولاً والاستقرار ثانياً ، كما كان بعدهما عن مقر الخلافة مغرباً لعدد كبير من المضطهدين السياسيين والدينيين باللجوء اليهما ونشر العقائد والمذاهب التي عجزوا عن نشرها بمواطنهم الأصلية بين أهلها ، وكذلك احتضنت الامة المغربية المذهب الخارجي ، وآوت ادريس بن عبد الله الكامل وأخذت بضبع المروانيين بعد ما قضى العباسيون على بني أمية. ومع ان دخول هذه الشخصيات والمذاهب الى المغرب احدث فيه كثيراً من الهيجان والاضطراب فانه كان أيضاً من العوامل القوية في شيوع اللغة العربية والاقبال على تعلمها ورواج الآراء المذهبية وانشغال العقول بها الى ان استقرت الحالة بظهور مذهب أهل السنة على ما عداه من المذاهب ، واقتداء الناس في العقائد بأبي الحسن الأشعري وفي الفروع بمذهب مالك بن أنس امام دار الهجرة ، باستثناء فئات قليلة من اعوان الدولة العبيدية الرسميين وشيعتها الكتامييين بافريقية .

على أن مصير هذه الفئات الشيعية الافريقية كان رهناً بحلول الظروف المناسبة ، لأن الشعب هناك كان سني الاعتقاد ، لا يومن بنسب العبيديين

الفاطمييين ولا يقبل ترهاتهم التي ذوت قرونها بالمغرب ثم وجدت في مصر بعد انتقالهم اليها مرتعاً خصيياً ، وقد كانوا لا تسنح لهم فرصة الا اهتمبلوها للقضاء عليهم وحسم مادتهم، ففي سنة 1017 (407 هـ) ثار أهل القيروان بجماعة من الشيعة كانوا يسكنون درب المعلى منها فقتلوهم ونهبوا دورهم وأمتعتهم ثم امتدت الثورة عليهم الى البلدان فقتلوا حيثما ثقفوا ، وقتل أيضاً من لم يعرف مذهبه بالشبهة لهم ، ولم ينج من نقمة العامة حتى جماعاتهم التي خرجت بنسائها وأطفالها تريد الهجرة الى صقلية وجهات أخرى أكثر أمناً .

وفي الوقت نفسه كانت ظروف أخرى تهيأ في الخفاء للقضاء على المذهب الشيعي في المغرب واحداث القطيعة التامة بين بنى عبيد المستخلفين بالقاهرة وبنى باديس الصنهاجيين المتأمرين بأسهمم بافريقية ، وقد نجح في خلق تلك الظروف واحد من أروع الوزراء وأقوم الفقهاء هو الفقيه على بن أبي الرجال معلم المعز بن باديس الصنهاجسي الذي تولى الامارة سنة 1016 (406 هـ) وهو ابن ثمانية أعوام ، فلم يزل هذا الفقيه يقبح له المذهب الشيعي وينقص له قدر بنى عبيد ويحجب اليه مذهب أهل السنة والجماعة ويزين له مذهب الامام مالك بن أنس الى أن اقتنع وأصبح يكره المذهب الشيعي ويعقت بنى عبيد من غير أن يعلم الشيعة ولا أهل القيروان بذلك ، حتى بدرت منه بادرة سنة 1026 (417 هـ) انفضح بها معتقده وانكشفت سريرته ، فقد خرج في بعض الأعياد الى المصلى في زينته وحشوده ، فكبا به فرسه ، فذكر اسم الخليفتين أبي بكر وعمر متبركاً ، فسمعه الشيعة الذين كانوا في عسكره فمالوا اليه ليقتلوه ولكن عبيده ورجاله ومن كان يكتم المذهب السني من أهل القيروان أنقذوه ومالوا على الشيعة ميلاً واحدة فوضعوا السيوف في أعناقهم وقتلوا منهم ثلاثة آلاف حتى سمي الموضع الذي قتلوا فيه بركة الدم ، ثم صاح فيهم صائح الموت فقتلوا بجهات كثيرة من افريقية ، فأعلن الناس حينئذ بالمعتقد الحق ، ونادوا بشعار الايمان ، وحذفوا من أذان الصلاة جملة ( حتى على خير العمل ) فأغضى الخليفة الظاهر وابنه المستنصر بعده عن ذلك ، واعتذر المعز بالعامّة فقبل عذره .

ومع أن الملوك الفاطميين كانوا لا يفتأون يخلعون على المعز بن باديس القاب الشرف والمجد كتنقيبه بشرف الدولة وعضدها تأليفاً لقلبه ، ويرسلون اليه الهدايا النفيسة وسجلات التشريف التي لم ينلها أحد غيره فان المعز كان يحذرهم ويخشى بطشهم ، سيما بعد ما رأى كيف فعل أحد خلفائهم : الظاهر لا عزاز دين الله بأحد أمراء البربر : حسن بن علي بن دواس الكتامي الملقب بسيف الدولة وذى المجدين سنة 1023 ( 414 هـ ) ، فقد أمر باحضاره الى القصر ، فدخله ولم يكن يدخله من قبل حذراً على نفسه ، فأخرج من ساعته مقتولا ، وأقام ثلاثة أيام ينادى عليه المنادى : هذا جزاء من غدر مواليه ! ثم دفع الى عبيده فدفنوه .

ويظهر أن المعز بن باديس الذى كان يتمتع بدهاء كبير وحيلة واسعة فكر فى التآمر على الفاطميين للاطاحة بحكمهم وراحة المغاربة وسائر المسلمين من جورهم ومخرقتهم ، ورأى ان ذلك أجدى عليه من الثورة السافرة عليهم واحرى ان يبلغه الى مقاصده وغاياته ، فأخذ يكاتب الوزير احمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر العبيدى مستميلا ومعرضاً بالحزب معه عليهم ، يفعل ذلك رمزاً وتعريضاً لعله يرى منه قبولا له فيجد معه فى السعى عليهم ، وكتب مرة الى الجرجاني بخطه قطعة تمثل فيها بقول القائل :

وفيك صاحبت قوماً لا خلاق لهم      لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

يشير الى الفاطميين ويزعّم أنه انما أبقى عليهم بعض الابقاء لأجل حبه فيه ، فلما وقف عليها الجرجاني قال : الا تعجبون من هذا الأمير ، صبى مغربى بربرى يريد أن يخدع شيخاً بغدادياً عربياً ، واتهمه بأنه انما يكاتبه ليوقع بين الخليفة ووزيره ان عشر على هذه الرموز .

وكان الجرجاني هذا أحد رجال الدولة الفاطمية سياسة ودهاء وثقوب ذهن واستنارة بصيرة ، وقد استوزره الظاهر الفاطمى ثم ابنه المستنصر ، ومن عجيب أخباره أن الظاهر غضب عليه فأمر بقطع يديه لأمر استوجب القطع فقطعتا معا ، فخرج من فوره وجلس بالديوان لخدمته على عادته ، وقال ان أمير المؤمنين لم يعزلى ، وانما عاقبنى بجنايتى ، فلما بلغ الظاهر ذلك استعظمه

وشرف لديه ، وأقره فى عمله ثم رفعه الى رتبة الوزارة بعدما كان فى الدواوين ، وكان كثير المصادرة لأموال الولاة وأمتعتهم وربما صرح لهم بقوله : أبيتىم الا الخيانة ، فقال فيه محمد بن عبد الله الأنصارى الشاعر :

أحمد لسانك والتزم	طرق السلامة والصيانة
كم ذا تقول أبيتىم	الا الجنابة والخيانة
أتراهم قطعوا يديهم	ك على النزاهة والأمانة !

وقد استبدت بالدولة سنة 1023 ( 414 هـ ) بعد وفاة ست الملك التى انتهضته الى ان توفى سنة 1044 ( 436 هـ ) فولى الوزارة بعده الحسن بن على اليازورى فخطبه الولاة من كل الآفاق ولم يولوه ، فانف من ذلك وعظم عليه ، وساءت العلائق بينه وبين ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب افرقية اللذين كانا يحقدان عليه أشد الحقد ، وأدى الأمر الى أن حلف المعز بن باديس ليخلعن طاعة الفاطميين ويحولن الدعوة الى بنى العباس ، فأرسل يبعثه الى أبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسى ببغداد سنة 1048 ( 440 هـ ) ( 145 ) وأمر بالدعاء له والرضا عن الخلفاء الأربعة والعباس وبقيّة العشرة ولعن بنى عبید فوق المنابر ، فابتهج الناس ايما ابتهاج بهذا التحول ، وعادوا الى أداء صلاة الجمعة بعد ما قطعوها دهرأ فراراً من دعوة العبيديين حتى كان الرجل اذا بلغ الى المسجد قال سرأ : اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! ثم ينصرف فيصلّى الجمعة ظهراً ، ثم بدل السكة سنة 1049 ( شعبان 441 هـ ) وسبك ما كان فى بيت المال من الدينار والدراهم التى عليها أسماء بنى عبید ومنع رواجها وقطع اسماءهم من الرايات والبنود ونشر الرايات السود وهدم دار الاسماعيلية ، وفى سنة 1051 ( جمادى الثانية 443 هـ ) جمع الخياطيين وأخرج لهم شقق الكتان من فندقه وأمرهم أن يصبغوها بالسواد ثم فصلوها ثياباً وكسا الفقهاء والقضاة والخطباء والمؤذنين بها وخرج بهم فى موكب حافل الى الجامع الكبير بالقيروان فأدوا فيه صلاة الجمعة وقد لبسوا شعار بنى العباس.

---

( 145 ) ذكر ابن خلدون فى التاريخ ان قطع المعز لدعوة بنى عبید وبيعته للعباسى كانا

ولم تكن تصرفات المعز بن باديس لتخفى على الفاطميين خطورتها خصوصاً بعد انضمام الأمير جبارة بن مختار سنة ١٠٥١ ( 443 هـ ) اليه وكتب اليه بالسمع والطاعة واخبره انه واهل برقة ازالوا السناير التي كان يدعى عليها للبيديين وأحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ولعنوهم فى مساجدهم ودعوا للقائم بأمر الله العباسى ، ولكنهم لم يكونوا يقدرّون على توجيه جيش الى افريقية لخضد شوكته واعادته الى طاعتهم أو تنحيته ، وبقي صنائع الدولة واولياء الدعوة من كنانة واجمين مرتبكين حتى خطرت للوزير اليازورى فكرة اعتقد انه يستطيع بتنفيذها الانتقام من المعز دون أن يجيش له جيشاً أو يتحمل فيه نصيباً ، وهى فكرة خطرت لسلفه الجرجرائى من قبل وعاجله الموت قبل اخراجها الى حيز العمل . فقد كانت بطون من قبيلة بنى هلال العربية من اثيج وجشم وديعة ورياح وزغبة وعدى تقيم بصعيد مصر قد عم الدولة ضررهم ، وأحرق البلاد شررهم ، فرأى اليازورى ان يغريهم ببني باديس الصنهاجيين ويدفعهم لمحاربتهم نصرة للمذهب الشيعى ودفاعاً عن الدولة ، فان ظفروا بالمعز وصنهاجة كانوا اولياءها وعمالها بافريقية وسائر المغرب ، وان كانت الدبرة عليهم قوم اعوجاج صنهاجة بوسيلة أخرى .

والواقع ان اليازورى كان يستهدف من وراء توجيه العرب الى المغرب هدفين اثنين : أحدهما ظاهر هو الانتقام من صنهاجة ، والثانى خفى هو التخلص من هاؤلاء الأعراب الذين كانت اقامتهم بصعيد مصر تسبب للدولة الفاطمية كثيراً من المتاعب ، وتجعل السكان معرضين لعدوانهم باستمرار .

ولم يضع اليازورى وقته متدبراً ولا متردداً لعلمه أن الدولة ستفوز باحدى الحسنيين ان لم تفز بهما معاً ، فاما أن ينتصر الأعراب على صنهاجة ويعودوا الى مصر منتصرين فيكونون قد انتقموا للدولة من خصومها ، واما ان تهزم صنهاجة فيهيى من نجا منهم من القتل على وجهه بصحارى المغرب وبرقة فتلين قناتهم ويحول عن الدولة خطرهم ، واما ان ينتصروا ويطيى لهم المقام بالمغرب وحينئذ تكون الدولة قد ظفرت بالأعداء البعيدين وتخلصت من عناصر الفتنة القريبين . ففى سنة ١٠49 ( 44١ هـ ) استقدم اليازورى مشايخ العرب وأمرأهم وألان لهم القول وأجزل العطاء واعرب لهم عن رغبته فى توليتهم أعمال

افريقية ، ثم استنفر القبائل العربية لعبور النيل وكانوا ممنوعين منه وأعطى لكل واحد منهم بغيراً وديناراً وقال لهم قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس فلا تفتقروا ! ولم يرسم لهم خطة للعمل لعلهم انهم لا يحتاجون الى وصية ! وكتب الى أهل افريقية يقول : أما بعد فقد انفذنا اليكم خيولاً فحولاً ، وارسلنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً ! فجاز العرب النيل أفواجاً أفواجاً وساروا الى برقة فنزلوا بها وفتحوا أمصارها واستباحوها وكتبوا لمن بقي من اخوانهم بشرقى النيل يرغبونهم في عبوره واللاحق بهم ، فأجازوا بعدما أعطوا دينارين لكل رأس وأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ، ولما لحقوا بأخوانهم تقارعوا على البلاد ، فكان شرقها من حظ سليم ، وغربها من حظ بني هلال ، فأقامت قبيلة هيب من سليم وأحلافها من رواحة و ناصرة و غمرة بأرض برقة ، وسارت قبائل بني هلال من ذياب ، و عوف ، و زغبة بعد ذلك الى افريقية والمغرب .

ولا يعرف بالتدقيق عدد الأعراب الذين عبروا النيل بقصد الدخول الى المغرب وتنفيذ السياسة الفاطمية فيه ، ويظهر أنهم لم يعبروه جميعاً وان عشائر كثيرة منهم قررت البقاء بأرض مصر واستمرت مقيمة بها بعد ذلك بقرون ، ولكن الذين ساروا الى المغرب منهم كانوا من قوة الأبدان والتمرس بالضراب والطعان والاستهانة بالموت والشره الى النهب والسلب بحيث كان وقوف أهل برقة في وجههم أمراً مستحيلاً ، فلذلك استسلموا لهم بعد ما رأوهم ينسفون عمرانهم ويخربون مدنهم كأجدابية وسرت وأسمرا والمدينة الحمراء ، ويوسعون لهم في الأرض التي تسعهم جميعاً صابرين على ما يتعرضون له يومياً من ظلم وعسف وارهاق .

ولقد كان من الممكن أن يقف الأمر عند هذا الحد ، ويكتفى الأعراب بالمقام في برقة ويقنع الفاطميون منهم بذلك ، تخلصاً من الأضرار التي كانوا يلحقونها بفلاحى مصر ومعناً لامتداد التمرد الى شرق حدود برقة لولا أن خطر للمعز بن باديس ان يستخدمهم جنوداً ويستبدلهم بأبناء عمه الصنهاجيين ، فقد ساءت ظنونه في ذلك الوقت بصنهاجة وكرههم وحقد عليهم من غير أن يظهر لهم شيئاً من ذلك ، وحدث أن قدم عليه بعد مرور مدة على استقرار العرب

ببرقة مؤنس بن يحيى الصنبرى أمير **رياح** وكان سيداً فى قومه شجاعاً عاقلاً ، فلفظ محله عند المعز وحلا فى عينيه واستخلصه لنفسه وأصهر اليه ، وشاوره يوماً من الأيام فى استقدام قبيله الرياحى لاتخاذهم جنداً فقبج له ذلك وحذره سوء عاقبته ، وعرفه بتفروق القوم واعتيادهم الفتن والغوضى وعدم انقيادهم الى الطاعة ، ولكن المعز لم يسمع له كلاماً وبقي يلج عليه فى استقدامهم حتى قال له ذات يوم : انما تريد انفرادك ، حسداً منك لقومك ! فعزم مؤنس على الخروج لاستنفار قومه بعد ما قدم للمعز العذر وأشهد بعض رجال دولته ، ثم سار متوجهاً اليهم ووعدهم وغبطهم ووصف لهم كرامة السلطان والاحسان اليهم ، وما زال يرغبهم فى المسير اليه حتى قبلوا فتقدم هو فى ركب منهم لم يعهدوا نعمة ولا تمرسوا بحضارة ، فما كادوا يشاهدون أول قرية حتى استفزهم الطمع وتنادوا : هذه القيروان ! وتهبوا من حينها ، ولما بلغ الخبر الى المعز عظم ذلك عليه ، ولكنه ظل مع ذلك يشك فى صدق مؤنس وحسن نصيحته ، وقال انما فعل هذا ليصحح قوله ويظهر نصحه ، وأمر بالختم على داره وتثقيف أولاده وعياله حتى يعلم ما يكون من أمره ، فلما بلغ مؤنس ما فعل بأهله اشتد غضبه وعظم حنقه ، وقال : قدمت النصيحة فحاق الأمر بى ، ونسبت الخطيئة الى ، فكان أشد القوم ضرراً وأعظمهم نكايه فيما بعد .

وحاول المعز أن يتدارك الأمر بالسياسة ولكن بعد فوات الأوان ، فأخرج الفقهاء الى الأعراب يوصون ويعظون ، ويعرضون العهود والشروط ، ويعلمونهم أن السلطان سرح عيالاتهم ورفع الثفاف عن أموالهم وأمتعتهم ، فأظهروا الاستجابة واستشعروا الطاعة ، واخذ الفقهاء عليهم عهدوداً وموائيق فإرسلوا شيوخاً منهم الى المعز تأكيداً لما اتفقوا عليه مع الفقهاء ، ولكنهم ما لبثوا ان نكثوا العهود وأمنعوا فى الأرض عيثاً وفساداً .

وظهر للمعز أن يختبر قوة العرب ، فسرح اليهم نخبة من جيشه النظامى هزموها شر هزيمة ، فاستشاط غضباً وتقبض على أخ لمؤنس الرياحى كان لا يزال مقيماً بالقيروان ، ولكنه ادرك ان الأمر جد ، وشعر بامارته يحدق بها خطر لا يتقى منه بالانتقام العائلى ، فقرر الاستنجاد بحلفائه والأمراء من



قرايته ، فبعث بالصريخ الى ابن عمه القائد بن حماد امير القلعة فأمدّه بكتيبة من ألف فارس ، وكتب الى المستنصر بن خزرون امير مغراوة الذي كان منتجعاً في البادية فوصل اليه في ألف فارس واستنفر جميع قبائل صنهاجة وزناتة ، وفي يوم الاثنين 13 أبريل سنة 1052 ( 10 ذى الحجة 443 هـ ) عيد المعز عيد الأضحى ثم مشى في اليوم التالي الى ناحية قرية تعرف ببني هلال ومعه جيشه النظامي وحلفاؤه ومن لف لفهم من الحشم والأتباع والأولياء وبقايا عرب الفتح ، فلما انتصف النهار جاءته الأخبار بقرب وصول العرب اليه فأمر جيشه الذي كان يبلغ عدده ثلاثين ألفاً بالنزول في أوعار وأودية قرب جبل حيدران ، لكن فرسان العرب الذين كانوا يبلغون ثلاثة آلاف فقط عاجلوهم قبل أن يتم النزول ، وما كاد القتال ينشب حتى تحيز عرب الفتح الى جهة الهلالين للعصية القديمة ، وخذلت صنهاجة وزناتة ، ووصلت رماح العرب الى المعز ولم ينج من الموت الا عبيده الذين استماتوا في الدفاع عنه حتى فنى منهم خلق كثير فداء له ، وأخيراً فر الى القيروان بعد ما هلك من رجاله ثلاثة آلاف ودخل المنهزمون أيضاً في حالة يرثى لها وفقد من العسكر عدد كبير لم يعرف ما آل اليه أمرهم ، واستولى العرب على معسكر السلطان وحازوا ما فيه من المال والمتاع والكراع ، وفي هذه المعركة نظم الشاعر الرياحي علي بن رزق قصيدته التي مطلعها :

لقد زار وهناً من أميم خيال وأيدي المطايا بالذميل عجال

والتي يقول فيها :

وان ابن باديس لاكبر مالك لعمري ، ولكن ما لديه رجال

ثلاثون ألفاً منهم ، هزمتهم ثلاثة آلاف ، وذاك ضلال

ثم سار العرب بعد ذلك لحصار القيروان ، وجعل كل من سبق من شيوخهم الى قرية يسمى نفسه لأهلها ويؤمنهم ويعطيهم قلعنسوته أو رقعة مكتوبة علامة يعرف بها غيره من الشيوخ انه سبقه ، ثم نكثوا عهودهم بعد ذلك فخرّبوا القرى وسلبوا أهلها جميع ما يملكون وتركوهم حفاة عراة يكون جوعاً وبرداً ، فضاقت الأرض بالقيروان على أهلها وانفض من حول المعز قرايته وأولياؤه ، فاضطر بعد سنين من الحصار الى مفاوضة شيوخ العرب وصاهر ثلاثة من أمرائهم ببنااته .

وإثناء الحصار كان العرب يوسعون رقعة نفوذهم ومناطق سلطانهم ، فملكوا جميع الساحل وبلاد قسطنطينية وتغلب عائد بن أبي الغيث المرداسي أحد أصهار المعز الثلاثة على مدينة تونس وسبأها سنة 1054 ، وملك أبو مسعود من شيوخهم مدينة عنابة صلحاً ، وفي سنة 1055 اقتسموا المغرب الأدنى الاقتسام الأول فكانت طرابلس وما يليها من حظ بطون زُغبة ، وباجة وما يليها من حظ مرداس ، ثم اقتسموه الاقتسام الثاني فكانت البلاد من تونس إلى الغرب لبطون هلال وهم : رياح ، و زُغبة ، و المقل ، و جشم ، و قسرة ، و الأثيج ، و الخلط ، و سفيان .

وفي يوم السبت 1 نونبر 1057 ( 1 رمضان 449 هـ ) استولى الأعراب على القيروان فخرّبوها وطمسوا معالم حسناتها ، واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها . وكان المعز قد انسحب منها قبل يومين تحت حماية خفير منهم هو صديقه القديم مؤنس بن يحيى الصنبري أمير رياح الذي كان المعز أصهر إليه في إحدى بناته وأنكحه إياها فسار في خفارتها إلى المهدية ونزل بها على ابنه تميم ، وتبعه العرب إليها فحاصروها وواصلوا التضييق على صنهاجة وزناتة بعد ذلك حتى غلبوهما على الضواحي ، واتصلت بينهم الفتن والحروب ، وأغزاهم أمير تلمسان جيشاً بقيادة وزيره أبي سعدي خليفة اليفرنى فغلبوه وقتلوه بعد حروب طويلة بناوحي الزاب ، ولم تزل الفتن متتابة ، والحروب مسترسلة حتى تمت الغلبة للعرب على صنهاجة وزناتة معاً ، وأطاعتهم جميع بلاد افريقية وجنوب المغرب الأوسط .

وكذلك نجحت السياسة التي رسمها الوزير الفاطمي الحسن بن علي اليازوري للانتقام من المعز بن باديس ، ولكنه انتقام لم يكن لسوء الحظ قاصراً عليه وحده ، بل شمل الأرض والإنسان والحيوان جميعاً .

وكان الخليفة الفاطمي المستنصر لما سرح العرب إلى افريقية عقيد لرجالهم على أمصارها ، وقلدهم أعمالها ، فعقد لموسي بن يحيى المرداسي على القيروان وباجة ، ولقبيلة زُغبة على طرابلس وقابس ، وللحسن بن سرحان على قسطنطينية ، فلما ملكوا الأمصار ساموا أهلها الخسف والظلم فثاروا بهم وأخرجوهم منها ، فاكتفوا بملك الضواحي وشدّدوا الخناق على أهل المدن .

والى هذا الحين كان المد العربي الجديد قد وصل غرباً الى عمالة قسنطينة واقليم الزاب ، وصار الملتحم بين العرب والبربر بجبال بنسى راشد وما وراءها من سهوب مزاب بالمغرب الأوسط ، وانعقد الصلح بين العرب وبين الأمراء الصنهاجيين على أن يستقل الأولون بملك الضواحي والأرياف ، وينفرد الآخرون بملك المدن ، ووضعت الحرب أوزارها مؤقتاً .

واحتال الصنهاجيون بعد ما أنهكتهم الحروب فى تفريق كلمة العرب والنضريب بينهم ، واستغلال خلافاتهم القبلية لمظاهرة بعضهم على بعض ، وحدث فى تلك الاثناء خلاف بين الأثبيج و زغبة فظاهر الناصر بن علناس أمير القلعة الأثبيج على خصومهم من بنى عمهم ، واستنفر أمراء زناتة وكان فيهم زيرى بن عطية المغراوي ملك فاس ، فاجتمعت صنهاجة وزناتة فى الأربس وجرت بينهم وبين عرب رياح معركة طاحنة انهزمت فيها صنهاجة ، فاستبيحت خزائن الناصر وفساطيطه ومضاربه ، وقتل أخوه القاسم ، ونجا هو الى قسنطينة وعرب رياح فى اتباعه ، ثم لحق بالقلعة فتبعوه اليها وأمعنوا فى جنباتها عيناً وتخریباً ، وعطفوا على ما هناك من المدن مثل طينة والمسيلة فدمروها وشردوا أهلها ، ومالوا على المنازل والقرى والضياع فتركوها قاعاً صفصفاً ، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا فى الأرض الفساد حتى تركوا تلك الأقاليم ( أققر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير ) على حد تعبير ابن خلدون ( ١٤٦ ) .

وقد اضطر هذا الغزو القاسى دولة صنهاجة الى هجران قلعة بنى حماد قاعدة الامارة الغربية ومقر حكومتها . فاخطط الناصر بن علناس مدينة بجاية بالساحل ، ونقل اليها ذخيرته ومتاعه وأعدّها لنزله وجعلها عاصمة ملكه ، ونزلها ابنه المنصور من بعده فأصبحوا فى مأمن نسبي بها ، نظراً لمنعة الجبال المحيطة بها ، ووعورة مسالكها ، وصعوبة السير فيها على الرواحل العربية .

ولما صفأ أمر المغرب لعبد المومن بن على سنة ١١٤٧ ( ٥٤١ هـ ) وتملك الأندلس كانت الأخبار ترد عليه باستمرار عن تفاقم الحالة بافريقية واختلاف

أمرائها واستطالة العرب عليها بالغيث والفساد ، فكان يتشوف الى حسم مادة الفوضى وتثبيت النظام في تلك البلاد التي طلع بها كوكب سعدة منذ التقى في بجاية احدى مدنها بامامه المهدي ، ويتطلع الى نظمها في سلك الدعوة الموحدية كما انتظمت أقطار المغربيين الأقصى والأوسط والأندلس والصحراء ، ولم يكن يثنيه عن النهوض اليها الا اقباله في السنين الأولى من حياة الدولة الجديدة على تنظيم الحكومة وترتيب الادارة والقضاء على الخوارج وتجهيز الجيوش لصد عادية النصارى الذين تطاولوا على مسلمى الأندلس أثناء حروب المرابطين والموحدين ، فلما كانت سنة 1151 ( 546 هـ ) نهض عبد المومن لفتح ما بقى من المغرب الأوسط ، والمغرب الأدنى ، فاستولى على الجزائر ووفد عليه فيها أبو الجليل بن شاكر أمير الأتبع وحباس بن مشيقر من أعيان جشم فتلقاها بالمسرة ، وغمرهما بالمبرة ، وعقد لكل واحد منهما على قومه ، ثم استولى على بجاية وقلعة بنى حماد وقسنطينة ، فسمعت بذلك قبائل بنى هلال المقيمة بأفريقية فخفت مسرعة الى الغرب وعسكرت بظاهر باجة وتعاهد شيوخها على محاربة الموحدين وانقاذ ملك بنى حماد ، وحينما كان الخليفة عبد المومن بن علي في طريق عودته الى عاصمة ملكه بالمغرب الأقصى وافته الأخبار بمسيرهم الى سطيف ، فارسل مدداً الى ابنه الأمير عبد الله والى بجاية وأمره بملاقاتهم وخضد شوكتهم ، فالتقى الفريقان بسهولة سطيف ودارت رحى الحرب بينهم ثلاثة أيام ثم انتهت بانهزام العرب واستلحاحهم وسبى نسائهم وأسر أبنائهم وغنم أموالهم وأمتعتهم ، فكانت تلك أعنف صدمة تلقوها منذ دخولهم الى بلاد المغرب قبل مئة عام ( 1147 ) واثرها راجعوا بصائهم ودخلوا في دعوة الموحدين واذعنوا لحكمهم ، ثم وفد على الخليفة بعد رجوعه الى مراکش كبرأؤهم فوصلهم ورجعوا الى قومهم مغتبطين .

وأقام عبد المومن على وفاق مع العرب الى أن تحرك من مدينة سلا يوم الأحد 1 مارس 1159 ( 10 صفر 554 هـ ) وسار الى المغرب الأدنى لمعالجة أموره

---

( 1147 ) انظر من هذه الانتصار رسالة كتبها أبو جعفر بن عطية من تلمسان على لسان مخدومه الخليفة عبد المومن بن علي الى أهل مراكنس مؤرخة في فاتح ربيع الأول عام 548 ( الأربعاء 27 مايو 1153 م ) بالمجموع المسمى : مجموع رسائل موحدة ص 26 ط الرباط 1941 .

واستعادة مدينة المهديّة من أيدي النصارى الذين كانت وطاتهم البرية والبحرية مشتدة بسببها على المسلمين باستمرار ، وأثناء حصاره للمهديّة الذي دام سبعة أشهر ظهرت من قبائل بني سليم ضروب من المنافرة والمشاقة والتعدي بجهات قابس ، فكان الخليفة يستدعيهم الى الجهاد معه ويستدنيهم منه ويهيب به الى نبذ العصيان والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين ، ويبعث لهم في ذلك المخاطبات البليغة والأشعار الرائقة كقصيدة صهره القاضي ابن عمران التينملي التي يقول فيها على لسان مخدومه :

أسليم دعوة ذي اخاء مرشد	هاد الى الحق المبين المسعد
ومذكر ما كان أسلاف لكم	فضلوا به أفعال كل مسدد
بجهاد أعداء الاله ، ونصرهم	لرسول ربهم النبي محمد
وتعرفوا أنسا عليكم صبر	حتى يعود جواب هذا المنشد

لكنه كان يصبر ولا ترد عليه عنهم الا أخبار السوء ، فلما بلغه تماديهم في الفی والفساد واستيلائهم على مدينة قابس واستباحتها بعث اليهم عسكرياً ضخماً بقيادة قريبه ووزيره عبد السلام الكومي ، فاسترد المدينة واستأصل شافة بني سليم ، واستخلص بعد ذلك مدن الجنوب التونسي والاقليم الطرابلسي من أيدي المتغلبين عليها منهم ومن غيرهم ، ولما ثنى عنانه الى المغرب سنة 1160 بلغه أن الأعراب عادوا الى الثورة والتشغب فسرّح اليهم جيشاً من الموحيدين نازلهم قرب القيروان وأوقع بهم وقتل كبيرهم محرز بن زياد الفارغي من بني علي احدى بطون رباح (148) وخلال هذه الوقائع وأثناءها أدرك عبد المومن بشاقب ذهنه وسديد نظره أن غريزة الفتنة متأصلة في العرب لا يمكن تخليهم عنها ، فرأى أن يستغل طبيعتهم الحربية لمصلحة الدولة وطاقاتهم التخريبية ضد أعدائهم الداخليين والخارجيين ، فاستلحق عدداً كبيراً منهم بعسكره ، ولم يعد من حركته الافريقية الى المغرب الأقصى الا وهو يجر وراءه من عرب رباح و جشم و عدى وقبائلهم ما يضيق به الفضأ ، على عدد الذباب وعدد الحصا (149) .

(148) انظر عن هزيمة العرب بأفريقية رسالة من انشاء أبي القاسم العالمي مؤرخة في يوم الاثنين 24 ربيع الثاني عام 555 هـ ( 2 مايو 1160 م ) بعث بها عبد المومن بن علي من فخص متبعة الى أهل فاس ، في المجموع المسمى : مجموع رسائل موحدية ص 113 .  
(149) المن بالامامة - لابن صاحب الصلاة ص 144 .

وقد حركت انتصارات عبد المومن على عرب المغرب الأدنى ولاسيما عرب رياح الذين كانوا أشد نكاية السنة شعراء دولته ، فبعثوا اليه أو أنشدوا بين يديه بعد رجوعه قصائد يهنئونه فيها بالانتصار ، ويصفون ما حل بالعرب من هزيمة وانكسار ، فمن ذلك قول الشاعر أحمد بن سيد الأشبيلي المعروف باللص من قصيدة :

ضوء الصباح على سواد الغييب  
نكثوا عهداً أبرمت في يعرب  
ذهبوا من التأويل أخبت مذهب  
أن الجهاد عليهم لم يكتب  
في أن سراها لبرق خلب  
فاستنزروها وهي ملء السبب  
منه ، ويؤسسه بعيد المطلب  
بالترب وهي منوطة بالكوكب  
منه لكان الصدر صعب المركب  
أعلا المراقى في الجناح الأقرب  
خلف كذاكي برقه المتلهب  
أفمى اليباب استجمعت لتوئب  
أخذ البرى بها بذنب المذنب  
فيهم لذى القلب الذكى الغلب  
ألا أراها الطفل مثل الأشيب

فأتت على شيع الضلال كما أتى  
ومضت على حد الحسام أعارب  
لما حداهم للجهاد مشمس  
فكانما القى الكتاب اليهم :  
ورأوا غماماً لم يشكوا - ضلة -  
غطى على أبصارهم قدر الردى  
والمرء يطمع بالمطالب ما دنت  
ولربما حسب الفتى أطماعه  
ولو أن غدرهم لذل نالههم  
لكنه أرقاهم من عسرة  
بدروا بطوع كالحيا في طيسه  
كالروض إلا أن فى احشائه  
أولى لهم من بطشة قيسية (150)  
قد كان فى أولى الوقائع زاجر  
لم لا ؟ وما ذكرت رياح يومها

ولم يكده عبد المومن يستلحق أولئك الأعراب بالجندي حتى بدأ يعلن عن مراده فيهم ونيته فى توجيههم الى القتال بالاندلس ، وصار يبعث لمسلمى الجزيرة رسائل وقصائد يخبرهم فيها بما سيقوم به هؤولاء العرب من جهاد لأعداء الدين ، ويطمئنهم على مصيرهم فى تلك البلاد ، وقد كانوا يومئذ فى ضيق شديد من تكالب النصارى عليهم ، فمن ذلك ما ورد فى قصيدة بعث بها طى

(150) نسبة الى فيس عيلان جد عبد المومن بن على حسب مزاعم بعض المؤرخين .

رسالة مؤرخة في ربيع الأول عام 555 هـ ( مارس 1160 م ) من محله المنصورة  
قرب مدينة قسنطينة الى أهل الأندلس :

فيا معشر الأشياخ من كل طالب  
نبشركم أنا اهتمامنا بأمركم  
ويصحبنا من خالص العرب معشر  
رأوا في ذويهم عبرة فتيقظوا  
ستغزو بلاد الروم منهم عصائب  
فطوبى لأهل الغرب ما ذا يرونها  
جيوش بنصر الله تهى عليكم  
ويشجي بمرآها الأعداء كأنما  
ستعلم أرض الروم أي فوارس  
وأي رجال للحروب اذا بدت  
وانا وياهم لحتسم غلابنا

ومن حافظ للذكر ألفاظه سرد  
فلبتكم منا المسومة الجرد  
أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا  
وكان لهم في غي غيرهم رشد  
ويحمي حي التوحيد من خيلهم جند !  
لقد جل قدراً ان يحيط به الحد  
يروق بها وعد ويزهى بها نجد  
عليهم بها صم الشوامخ تنهد  
على ظهرها منهم اذا وفد الوفد  
أسود شرى يخشى ترائبها الأسد  
لهم ، وكلام الوحى ليس له رد !

وبر عبد المومن بوعد لاهل الأندلس ، فانه لم يمكث بالمغرب بعد  
رجوعه من افريقية الا بقدر ما اعاد ترتيب الجيش وتسليحه ، وهياً ميسرة  
اجناده وعلف دوابه ، ثم عبر البحر الى الأندلس في شهر نونبر 1160 م  
( ذو القعدة 555 هـ ) مصطحباً معه كتائب وفيرة العدد شديدة الشره الى الحرب  
والقتال فلفت منظرهم وهم بحال من البداوة والفطرة ، وبأزياء حربية غريبة  
لم تؤلف رؤيتها - أنظار الناس ، فأعجبوا بهم واستبشروا بمقدمهم ، ونظم  
الشعراء في تمجيدهم والاشادة بشجاعتهم ونجدتهم ، والتعبير عن الآمال المعلقة  
عليهم القصائد الغر الطوال .

وبعدما تعرف عبد المومن على احتياجات الأندلس ورتب حاميات  
تقيم في ثغورها عاد الى المغرب في أوائل عام 1161 م ( 556 هـ ) فأقام بمراكش  
سنة مكن فيها جيشه وحاشيته من الراحة والاستجمام ، وعكف هو فيها على  
النظر في الشؤون العامة ودمج العرب في الجيش النظامي وتدريبهم على الفنون  
الحربية واعدادهم للجولات المقبلة ، ثم كتب منهم كتائب بعث بعضها الى مختلف

المدن المغربية لحماية الرعية وتأمين السابلة وبعث كتائب أخرى الى الأندلس للرباط بالغور وجهاد الأعداء ، فنزل بعضهم بجهاز قرطبة ونزل بعض آخر بجهاز اشبيلية مما يلى مدينة شريش ، وأبلى فى تلك السنة والسنة التى تليها أحسن البلاء فى حرب النصارى والثوار المنتزعين ببعض الجهات وحقت عليهم جميعاً انتصارات باهرة أطلقت بمدحهم السنة الشعراء ، فمن ذلك قول أبى العباس الجراوى يهنئ أمير المومنين عبد المومن بن على بأحد هذه الانتصارات ويذكر دور العرب فى تحقيقه :

لسو راء موسى ما فعلت وطارق	زريا بما لهما من الآثار
أتممت ما قد أملوه وفاتهم	من نصر دين الواحد القهار
بعراب خيل فوقهن أعراب	من كل مقتحم على الأخطار
أكرم بهن قبائلا اقلالهما	فى الحرب يغنيها عن الأكثار
وانظر اذا اصطفت كتائبها الى	ما تحمد الكتاب فى الاسطار
لو أنها نصرت عليا لم تسرد	خيل ابن حرب ساحة الأنبار

ولما توفى عبد المومن بن على ليلة الخميس 17 مايو 1163 ( 10 جمادى الأخرى 558 هـ ) سار ابنه وخلفه أبو يعقوب يوسف العسرى على نهجه فى جلب العرب من المغرب الأدنى واستئلافهم واستئناسهم والحاقهم بالجنديّة وتسخيرهم فى أغراض الدولة من حفظ أمن وقمع فتن وقتال أعداء بالحدود ، وكان يوجه لهم المخاطبات النثرية والشعرية التى تفعل فيهم فعل السحر فيستجيبون وينقادون ويردون عليه زرافات ووحدانا بقضهم وقضيضهم وهم فى حالة من الاجهاد والعياء والجوع والعري والفوضى فيصلح أحوالهم ويكلهم الى المكلفين بشؤونهم من أمراء بيته أو قادة جنده فينظمونهم فى سلك الجنديّة ويدربونهم على الفنون الحربية حتى يصيروا أهلا لخوض الحروب النظامية متمرسين باستعمال أسلحة غير الأسلحة التقليدية التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم القادمين بها من صعيد مصر وصحراء الجزيرة العربية ، وكان الخليفة اذا أراد توجيههم الى قتال أعدائه بالمغرب أو الأندلس يأمر شعراء دولته أن ينظموا أشعاراً حماسية فى مدحهم والاشادة بشرف أرومتهم ومضاء عزائمهم وكفايتهم فى الحروب وينشدوها على مسمع منهم تحميساً لهم وتشجيعاً وهو نوع من



الدعاية يستعمله اليوم خبراء الحرب البسيكولوجيون بوسائل تختلف شكلاً ولا تختلف موضوعاً ، فمن تلك الأشعار قصيدة أحمد بن عبد السلام الغفجومي الجراوى الفاسى التالية يمدح بها قبائل بنى هلال ويحضهم على القتال :

على قدم الدنيا هلال بن عامر  
بزهر خصال كالنجوم الزواهر  
وكم تركوا من غاية للأواخر  
وكم فيهم من مثل عمرو وعامر  
وكم قد أقالوا من جدود عوائر  
ومن مثل فى الشرق والغرب سائر  
وتقضى بتكبير النفوس النوافر  
كواكب أطراف الرياح الخواطر  
ممالك شادتها ملوك الأكاسر  
بخير عباد الله باد وحاضر  
بأمثالها أكرم بها من مائر  
وأول مجد شفوه بأخر  
سريع الى صوت الصريخ مبادر  
وناب وظفر من سنان وباتر  
موارد موت ما لها من مصادر  
على مثل فتخاء الجناحين كاسر  
وان خفت الأبطال آخر صادر  
حديد شبا الأنياب دامى الأظافر  
ويقضى عليه دارعاً غير حاسر  
الى الموت تصميم الليوث الحواذر  
فانكم أهل النها والبصائر  
على الكفر تبقى غامراً كل عامر  
وتسكن أمواج البحار الزواخر  
تعم به الدنيا وفود البشائر

أحاطت بغايات العلا والمفاخر  
وزانوا سماء المجد بدءاً وعوده  
أوائلهم فى الجود والبأس غاية  
وكم فيهم من مثل كعب وحاتم  
وكم قد أقاموا من عروش موائل  
وكم لهم من حكمة تبهر النها  
ومن خطبة تستنزل العصم من عل  
هم اطلعوا فى ليل كل عجاجة  
هم مزقوا بالبيض كل ممسزق  
أجبت بهم فى آل ساسان دعوة  
مائر أسلاف تلاها بنوهم  
وأخر مجد شفوه بأول  
لهم كل جلد فى الجلود مشمر  
هزبر عليه لبدة من مفاضة  
اذا صال يوم الروح اورد قرنه  
تعاين منه مثل باز مصرصر  
اذا شبت الهيجاء أول وارد  
يبادر منه القرن أغلب غالسب  
ينور اليه حاسراً غير دارع  
بنى عامر أنتم صميم فصموا  
ولا تتوانوا فى حظوظ نفوسكم  
ومن شكر آلاء الخليفة صولة  
تميل الجبال الشم منها مخافة  
ولا بد من يوم على الكفر أيوم

دعاكم لما يحييكم وارث الهدى  
وأحزم من ساس الديانة والدنيا  
الى أمره فى كل امر ونهييه  
إذا نامت الأملاك عما يههها  
فلا برج الاسلام منه مؤيداً  
وجامع اشتات العلا والمفاخر  
واكرم مأمول واحلم قصادر  
يروح ويغدو كل ناه وآمر  
دعى الدين والدنيا له طرف ساهر  
بمنصور رايات على الكفر ناصر

والحق أن القبائل العربية أغنت في جهاد نصارى الأندلس غناء لا مثيل له ، وخففت العبء عن أهل المغرب والأندلس الذين اضطلوعوا به وحدهم قروناً ، واننا لنجد فى المراسلات الحكومية والنصوص الأدبية الراجعة الى هذا العهد ما يشهد لهاؤلاء العرب الداخلين الى أقصى المغرب والأندلس بحسن النية وخلوص السريرة وصدق العزيمة على خدمة الدولة ومجاهدة الأعداء ، ونجتزئ فيما يلى بإيراد أبيات من قصيدة بعث بها سنة 1167 ( 562 هـ ) الأمير البطل عمر بن عبد المومن الى أخيه السلطان يوسف متشوقاً اليه وواصفاً غزوة جبل الكوكب بشمال المغرب وما حقق فيها العرب للخليفة من نصر على الثائر سبع بن منخفاد ، وهى من شعر عمر بن حربون :

سل الجبل المكرم حيث ضاهت  
تلقننا بأشواق اليكم  
تطلع نحوكم حباً ووداً  
جنبناها بيمينكم كراماً  
إذا انتاشوا رماحهم تدلى  
أباة الضيم ان أمروا بأمر  
إذا قادتهم أبناء قيس (151)  
لهاميم العطايا لم يزالوا  
الا لله منهم كل ذمير  
يهش الى لقاء القرن حنسى  
يضم الى العشيرة كل خير  
عباب البحر أنعمك الجسام  
مشاهده المقدسة العظام  
كما يتطلع البلد الحرام  
على صهواتها عرب كرام  
أحم النقع وانحط القتام  
فكل عزيز كفر مستضام  
فلا لخم تعد ولا جـذام  
يلف عليهم الجيش اللهام  
يقبل سيفه الموت الرؤام  
كان الطعن بينهما ذمام  
كما نجى عشيرته ضمام

(151) انظر التعليق السابق .

وذلك ما جعل الخليفة يستدرج العرب بمختلف الوسائل - ومن أعظمها الشعر - الى دخول المغرب الأقصى والحق بالجنديـة ويستدعيهم بالحاح كلما نادى منادى الجهاد ، ففي سنة 1170 ( 566 هـ ) لما عزم على القيام بالغزوة الكبرى الى الأندلس كتب اليهم يستدعيهم ويهيب بهم الى الغزو ويصف ما هم عليه من الشجاعة والزعامة ، وكان من جملة ما خاطبهم به القصيدة التالية من شعر أبى بكر بن الطفيل :

لغزو الأعادى واقتناء الرغائب  
فقد عرضت للحرب جرد السلاح  
ولا تكتب العليا بغير الكتائب  
على الهول ركاب ظهور المصاعب  
وان أعرضت زرقاً جمام المشارب  
ويعرض عزاً عن جميع المكاسب  
تحف بأطراف القنا والقواضب  
وما جمعت من طاعن ومضارب  
بطاعة أمر الله من كل جانب  
وفيثوا الى التحقيق فيثـة راغب  
دعاء بريثاً من جميع الشوائب  
ونؤثركم زلفى بأعلا المراتب  
لكم فيه فوز من جميع المعاطب  
عليكم وهذا عوده جد واجب  
ولا تغفلوا احياء تلك المناقب  
ومهديه منكم بلا عيب عائـب  
ونسبته الدنيا بزلفى الأقبـارب  
لتحنو عليكم باتصال المناسـب  
اذا كنتم فوق النجوم الشواقـب  
بما لكم فيه صلاح المواقـب  
يشق سناه داجيات الغياصب  
لكل منيب ناصح الجيب تائب  
تمكن ما بين اللهـى والترائب

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب  
وأذكوا المذاكى العاديات على العدا  
فلا تفتنى الآمال الا من القنسا  
ولا يبلغ الغايات الا مصمم  
يرى غمرة الهيجاء أعذب مشرب  
ويأنف الا مكسباً من حسامه  
الا فابعثوها همة عريـبة  
أفرسان قيس من هلال بن عامر  
لكم قبة للمجد ، شدوا عمادها  
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر  
دعوناكم نبغى خلاص جميعكم  
نريد لكم ما نبتغى لنفوسنسا  
فلا تزهـدوا فى نيل حظكم الذى  
بكم نصر الاسلام بدءاً ، فنصره  
فقوموا بما قامت اوائلكم به  
وقد جعل الله النبى وآله  
وفزتم بتخصيص الخليفة بعده  
وظائفة المهدي منكم ، وانها  
ومن ذا الذى يسمو ليبلغ شأوكم  
نصحناكم والنصح فى الدين واجب  
وخاطبكم عنا بيان محصـص  
هو الأمر أمر الله منـج ومسعد  
وفيه ذعاف للعداة اذا انتحى

بذروته بيتاً رفيع الذوائب  
على الأرض من قيس بغير مغالب  
يكون بقدر الجدة قدر المناصب  
بما قدموه من حميد المذاهب  
عتاق جيساد أو عتاق نجائب  
قداح تلقى الفوز من رمى ضارب  
يكون جديراً بالولى المصائب  
رياض الأمانى سائحات المذائب  
لهم بامان من جميع النوائب  
تقلص أفياء الشؤون الجواذب  
منادح عسر ساميات المطالب  
فعر بها فى الله كل مصاحب  
وتضييعه للحزم احدى المعائب  
هى الحرم المناع من كل طالب  
اذا ما نبا سيف براحة ضارب  
تأطر ما بين الحشا والترائب  
فان كان فعل فالرجا غير خائب  
ولكن فعل الحر اصدق خاطب  
ولكن صدق الوعد خلق الأعراب  
ومن كان من آت الينا وذاهب  
فيرغب فى امثالها كل راغب

وانتم على التخصيص اجدر من بنى  
فانكم قيس ، وفرسان رينسا  
خذوا حظكم فالامر جد ، وانما  
وقد فاز بالتقديم منكم معاشر  
تحدث بهم نحو البدار الى الهدى  
فطاروا الى الداعى سراعاً كأنهم  
فخصوا من التكريم والبر بالذى  
فنالوا محل السبق فانفسحت لهم  
وقد شاهدوا من حرمة الأمر ما قضى  
فما لكم والنوم عن خير ممة  
وتعطفكم بالمشرفية والقنسا  
وما هى الا دعوة عز ذكرها  
حذار ! فاعراض الفتى عن نجاته  
وما الحزم الا طاعة الله انهسا  
نعدكم السيف الذى ليس ينثنى  
ونجعلكم صدر القناة اذا غدت  
وقد كان من أقوالكم ما علمتم  
وليس خطيب الصدق من قال فانبرى  
وما خلق الاعراب اخلاف موعده  
سنعلم من اوفى ومن خاس عهده  
وتظهر احوال يروق سماعها

وحينما أبطأ العرب فى تلبية هذا النداء خاطبهم يستعجلهم ، ويبين  
لهم نيته العازمة على الجهاد ويسترحلهم ، بالقصيدة التالية أيضاً وهى من  
شعر ابن عياش (152) .

---

(152) نسب عبد الواحد المراكشى فى المعجب هذه القصيدة لعبد المؤمن بن على وعدهما الأدباء  
المعاصرون من شعراء ، أما ابن صاحب الصلاة فجعلها فى كتابه المنى بالامامة من شعر ابن عياش  
وتوجيهها الى العرب على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، والظاهر ان رواية ابن صاحب الصلاة  
اصح لانه مؤرخ معاصر تدل دقة اخباره ونسبها وما يقرنها به من وثائق كالرسائل الرسمية  
والقصائد الشعرية على انها اصح من اخبار غيره .

وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل  
وشدوا على الأعداء شدة صائل  
من المجد تجنى عند برد الأصائل  
تموت الصبا في شدة المتواصل  
على الماء محبوبك وليس بسائل  
وما جمعت من باسل وابن باسل  
عواقبها منصورة بالأوائسل  
تنجز في أفق المدى المتطاول  
بها ينصف التحقيق من كل باطل  
على وقعة تودى بدين الفياصل  
وتحجب عنه الشمس سحب القساطل  
بحور دلاص عادمات المواهل  
من البيض أو من مرهفات المناصل  
بأسمر عسال وأبيض ناصل  
وخاضوا لنصر الدين أمواج هائل  
ولا حيرتهم معضلات النوازل  
ثقلا خفافاً بين حاف وناعل  
تبوئكم في المجد أسنى المنازل  
بمن لم يكن منكم صدور المحافل  
وحسبكم والله أعدل عادل  
وتسريحكم في ظل أخضر هاطل

أقيموا الى العلياء هوج الرواحل  
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر  
واسروا بنى قيس الى نيل غاية  
فما العز الا ظهر أجرد سابح  
وأبيض مأثور كان فرنسده  
بنى العم من عليا هلال بن عامر  
تعالوا فقد مدت الى الغزو نية  
هي الغزوة الغراء والموعد الندى  
بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى  
عزمنا وأمر الله لا بد واقص  
بجيش يضل الطير في حجراته  
وتحسر فيه الطرف من كل جانب  
ويطلع ليل النقع فيه كواكبنا  
ويضحى به بحر الدماء مفجرا  
بأيدي رجال قد وفوا بعهودهم  
فما وهنوا يوماً ولا فل عزمهم  
فطيروا اليها يا هلال بن عامر  
ولا تخدعوا عن حظكم من اجابة  
وتقطعكم صدر الندى اذا نبئت  
أهينا بكم للخير والله حسبنا  
فما همنا الا صلاح جميعكم

ولما وصلت القصيدتان الى احياء العرب بنواحي القيروان والزاب  
تناشدهما وأعجبوا بفصاحتهما وهزتهم الأريحية الاسلامية والحمية العربية  
فأخذوا يتوجهون الى مراكز التجمع بضواحي بجاية ومعهم العمال والأمناء ، حتى  
اذا اكتمل جمعهم سار بهم واليها الأمير السيد يحيى بن عبد المومن الى  
المغرب ، وكان عدد فرسانهم أربعة آلاف يضاف اليهم المشاة ومعهم من الدواب  
والميرة والسلاح ما يجعل عن الحصر ، وعندما وصلوا الى تلمسان انضم  
اليهم واليها الأمير السيد موسى بن عبد المومن بألف فارس عربي ومن عنده من

العساكر النظامية مشاة وركباً ، فسار هذا الجيش الضخم تهتز الأرض تحت سنايك خيله وتصطك جنبات الفضاء بدقات طبوله ونغمات غيطاته ، ويظهر أن الخليفة قلق مما قد يحدثه ورود هاؤلاء العرب الذين لم يالفوا نظاماً فى أعداد ضخمة على حضرته ، فأرسل تعليمات مشددة الى أخويه بالطريق يأمرهما بالرفق فى المشى والتزام النظام والمحافظة على الخيل ، ومر كل شئ بسلام خلال مراحل الطريق حتى وصلوا مراکش فاستبشر الخليفة بوصولهم ، واستعرضهم بالفحص المتصل بها يوم السبت 12 دجنبر 1170 ( 2 ربيع الثانى 566 هـ ) وفى اليوم التالى أمر أشياخهم بالدخول عليه لتجديد البيعة وأخذ العهد وتمادى دخولهم الى يوم الأربعاء 30 دجنبر من العام المذكور . وبعد يومين شرع فى اطعامهم ضيافة لهم على العادة العربية المألوفة ، فكان يدخل منهم كل يوم الى البحيرة المعدة للضيافة ثلاثة آلاف رجل فيطعمون ، ودام ذلك مدة خمسة عشر يوماً ، وبدرت من العرب خلال أيام الضيافة بوادر فوضى عدت سوء أدب منهم وجراً ، فقاطعهم الخليفة ثلاثة أيام ثم صفح عنهم ، وفى يوم الأحد 17 يناير 1171 أمر بتمييزهم فى رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرته استعداداً للذهاب بهم الى الأندلس فكان يدخل منهم كل يوم قدر معلوم وخلال التمييز الذى استمر خمسة عشر يوماً كان الأعراب يدخلون فى حال من الخصاصة والفوضى تضحك الحاضرين ، فكان الخليفة يفضى لهم عن كل ذلك ويأمر باصلاح حالهم واعطائهم ما يلزمهم من الكسوة والسلاح وتعيين القواد لكل فريق منهم ، لمعرفة حاجتهم وضرورتهم ومبادرتهم الى طاعته وانقيادهم لخلافته ، ولما فى نفسه من ارادة الجهاد بهم لأعداء الله تعالى فيتألف قلوبهم بذلك ( 153 ) ، وبعد توزيع المنح والصلوات عليهم وعلى أشياخهم وسائر الجنود تحرك الخليفة بالجميع من مراکش صبيحة يوم السبت 13 مارس ، وكاد العرب يقتتلون فى الطريق بسبب تزاحمهم على عبور وادى أم الربيع لولا أن تدارك الخليفة الأمر بجهد وحكمة ، واثناء الاستراحة برباط الفتح ميزت القوات الموحدية من جديد ، وحضر على تمييز العرب الأمير يحيى والى بجاية يعينه عبد الله المالقى الذى كان يعرفهم ويضبط أنسابهم ، فكان عدد فرسان العرب وحدهم عشرة آلاف فارس ،

تم أجاز البحر الى الأندلس فى يوم السبت 8 مايو 1171 ( 1 رمضان 566 هـ ) وأقام فيها خمسة أعوام حقق خلالها أعمالا عمرانية وحربية كثيرة شارك العرب فى تحقيقها بحظ مرموق .

وإذا كان هاؤلاء العرب النازحون الى المغرب الاقصى قد استقاموا على الطريقة خلال هذه السنين فان اخوانهم الذين أقاموا بمواطن قوتهم وعزتهم بافريقية بقوا على عادتهم فى الفوضى والاضطراب يظهرون الطاعة ويخفون العصيان ، ويسكنون اذا احسوا بقوة الدولة ويتحركون اذا شعروا بضعفها ، وقد اضطر الخليفة يوسف الى الذهاب بنفسه الى قفصة سنة 1180 لتقويم اعوجاجهم والضرب على ايديهم وتاديبهم ، وكاد يذهب اليهم مرة ثانية سنة 1183 حينما أسر بنو سليم اخاه علياً قرب قابس لولا أن سرحوه مقابل مال فدى به نفسه وأصحابه ، وخلال تلك السنين لم يكن سيل العرب ينقطع عن المغرب ، فقد استلذوا رخاء العيش فيه والجهاد بالأندلس وما يدره عليهم من ربح وفير وغنم كثير ، حتى ذكروا أن أشياخهم الذين وردوا على الخليفة يوسف بالرباط سنة 1184 وهو يستعد للذهاب الى الأندلس شرطوا له على أنفسهم أن يحضروا لهذه الغزوة فى 130 ألفا ما بين فارس وراجل .

على أن الفرصة سنحت لعرب المغرب الأدنى لاشباع نهمهم من الفتن والفوضى عقب وفاة الخليفة يوسف وتملك ابنه يعقوب المنصور ( 1184 م - 580 هـ ) فقد خرج بساحله بنو غانية المسوفيون حكام جزائر الباليار من قبل المرابطين فاستولوا على بجاية فى الأول فانتقض العرب على الدولة وانضموا اليهم فاحتلوا بهم الجزائر ومليانة وحاصروا قسنطينة ، فسرح يعقوب المنصور لمحاربتهم الأمير عبد الرحمان بن عمر فى اعداد وافرة وجموع متكاثرة ، وشد عضد جيشه البرى بالأسطول ، ومع أن الأمير المذكور نجح فى استعادة جميع المدن المذكورة فانه لمن يتمكن من القضاء على رهوس الفتنة التى فر بها العرب الى شط الجريد حيث استجمعت قواها ونظمت صفوفها واعتزت بمن انضم اليها من الغز ( 1154 ) وأعادت الكرة من جديد على عمالة قسنطينة تجاذب الدولة

---

( 1154 ) جماعات من الأرمن دخلوا الى المغرب فى أواخر القرن السادس الهجرى وملكوا طرابلس برئاسة أميرهم قرانث ثم استرجعت منهم واستلحفهم سلاطين الموحدين ثم سلاطين عبد الوادى وبني مرين بجيوشهم فلما بعد . ج اغزاز .

حبل السلطة فيه ، وفي سنة 1186 توالى على الخليفة أنباء مزعجة عن تضيق بنى غانية والاعراب من حلفائهم على بلاد الجريد فنهض اليهم من مراكش يوم الأربعاء 15 دجنبر ( 3 شوال 582 هـ ) ولم يصحب معه من عرب المغرب الا بنى زيان من عرب وياح ( 155 ) رعيًا لقدّم هجرتهم ، وذلك احتياطًا من انضمامهم خلال القتال الى اخوانهم للعصية ، ولما وصل الى تونس سرح اليهم الأمير يعقوب بن عمر بن عبد المومن فى عسكر الموحدين ، فهزموه بوطا عمرة ، فلم يسع الخليفة الا الخروج اليهم بنفسه ، فخرج من تونس فى يوم الأحد 6 شتنبر 1187 ( فاتح رجب 583 هـ ) وعرج فى طريقه على القيروان فآلمه ما رأى من اندثار محاسنها وخراب ماثرها واشجاء منظر مسجدها المبارك العتيق يعشش به اليوم وينعق الغربان فأمر بتجديده وفرشه ، ثم سار حتى التقى بعلى بن غانية وحلفائه من العرب والغزبحامة دقيوس فهزمهم وفر على مجروحًا الى خيمة أعرابية عجوز فمات بها وولى الثائرون عليهم أخاه يحيى مكانه . واثّر هذه الواقعة استلحق يعقوب المنصور الأغزاز بجيشه ، وأقام الى منتصف شوال بالجنوب التونسي يعالج أمر الثائرين ، ثم عاد الى تونس ، ومنها ذهب الى المهدية فى شهر مارس 1188 ( محرم 584 هـ ) فأقام بها ريثما وضع للعرب قوانين يوقف عليها وربط أشغالهم بها ، ثم عاد الى المغرب الأقصى فوفد عليه شيوخ العرب مبدلين توبتهم ، فأمر بانتقال عرب وياح وجشم من بنى هلال بن عامر الى سكناه فنزل الاولون ببلاد الهبط ( جبالة ) وأزغار ( الغرب ) ما بين طنجة وسلا ، ونزل الاخيريون بتامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش ، وكان قصده من هذا الترحيل كسر شوكة اخوانهم بأفريقية من جهة وتقوية جيشه بهم من جهة ثانية ، ولكن كل ذلك لم يفد شيئًا ، فان الاولين أمعنوا فى العيث والفساد حتى هم سنة 1194 بالمسير اليهم لما توالى عليه رسائل أبى سعيد بن أبى حفص مخبرة باستفحال ضررهم وتوالى تواطئهم مع الثوار من بنى غانية لولا انشغاله بجهاد نصارى الأندلس فى تلك السنة ، كما ان اخوانهم الذين انتقلوا الى سكنى المغرب الأقصى شرعوا يقومون فيه بأعمال الشغب الغريزية

( 155 ) كذا ذكر ابن صاحب الصلاة فى المن بالأمامة ، وذكر ابن خلدون فى تاريخه ( 6 : 45 ) أن المنصور صحب معه زغبة من الهلاليين وجمهور الانبيج ، والغالب أن رواية ابن صاحب الصلاة أصح .



فيهم بعدما كثر عددهم واصبحت لهم فيه مواطن عامرة بهم وحدهم، وهذا ما جعله يقول عند وفاته : ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت اني لم افعلها : الأولى ادخال العرب من افريقية الى المغرب مع اني أعلم انهم أهل فساد، والثانية بناء رباط الفتح انفتحت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر ، والثالثة اطلاق اسارى الاراك ولا بد لهم ان يطلبوا بثارهم (156) ومع هذا الندم فانه أوصى بالعرب خيراً وهو وجود بانفاسه الأخيرة وطلب من الموحدین أن يداروهم ويلطفوهم ويحسنوا اليهم غاية الاحسان ، ويشغلوهم بالحركات ولا يتركوهم للعطلة والراحات !

وكذلك صار المغرب مملوءاً من أدناه الى أقصاه بالعرب ، وسكانه الأولون من بربر وعرب فتح مزاحمين بهم فيه ، وصارت علامة التمايز بين القبائل الأصلية والأخرى الطارئة كلمة ( بنى ) وكلمة ( أولاد ) ، فكل قبيلة يتبندى اسمها ببنى مثل بنى ورياغل هي من قبائل البربر ، وكل قبيلة يتبندى اسمها بأولاد مثل أولاد جامع هي عربية الأصل .

وقد كان لهذا الزحف العربى الثانى الكبير آثار بعيدة المدى فى حياة المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، ولا تزال هذه الآثار تطبعها الى الآن ، ويلاحظ بادى ذى بدء أن هذه الآثار كانت سلبية فى النصف الشرقى من البلاد ، أى الى منتهى ما بلغه العرب فى زحفهم الأول وهو المغرب الأدنى بأسره وما حاذاه من شرق المغرب الأوسط ، فقد انقض الأعراب على تلك البلاد كالطوفان الغامر واللهب المتأجج والجراد الكاسح ينسفون المدن ويخربون القرى ويفورون الآبار ويعذقون الأشجار ويمعنون فى قتل السكان دون تمييز بين محارب ومسالم ، ولا بين رجل وامرأة ، وكبير وصغير ، حتى تقلصت بوصولهم الى ذلك الجزء من أرض المغرب ظلال الحضارة وذوت أدواح المدنية وأصبحت حواضر برمتها كانت مفخرة من مفاخر الاسلام ومآثرة من مآثر العروبة مثل القيروان وقلعة بنى حماد وطبنة والمسيلة وغيرها خراباً ويباباً ، وغاض معين العلم والأدب والفقه والتأليف والتصنيف

---

(156) الألياس المطرب بروضى القرطاس ص 163 ط ناس .

فى تلك الجهة بعد ما كانت ينابيعها فياضة واسواقها نافقة ومعاهدها عامرة ، وهذا ما جعل أهل البلاد قاطبة عربهم وبربرهم تنقبض صدورهم من وصول هاؤلاء الأعراب وتتعود ألسنتهم لمجرد ذكرهم ويضربون المثل فى الشؤم والشقاء بالمنسوب اليهم فيطلقون كلمة (كعبى) نسبة الى كعب وكلمة (زغبى) نسبة الى زغبة على كل شئ منحوس، وحتى انبرى مؤرخ عربى وطنى نبه هو عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى يحمل عليهم وعلى أمتهم تلك الحملات العنيفة ويحكم عليهم وعليها أحكاماً قاسية فى تاريخه متأثراً مما عاين من آثار وحشيتهم وثمار همجيتهم .

أما النتائج الايجابية فهى كثيرة أيضاً ، ومن أهمها أن البلاد المغربية أخذت شكلها القومى الجديد ، وصارت لها لغة جديدة يتخاطب بها العوام بعد ان كان استعمال اللغة العربية قاصراً على الدواوين الرسمية وبعض الحواضر التى أنشأها عرب الفتح وترعرعت فى حضن العروبة ، ومن الثابت تاريخياً أن اللغة البربرية بقيت هى السائدة فى المغربين الأقصى والأوسط الى الزحف الثانى الكبير ، وان خطب الجمع فى حاضرة عربية مثل فاس ، وفوق منبر جامع اسلامى كبير مثل جامع القرويين كانت تلقى باللغة البربرية الى ما بعد قيام دولة الموحدين ، ولكن دخول العرب هذه المرة جعل السيادة للغة العربية على جميع بلاد المغرب ، كما جعل أهل البلاد الأصليين تتلاقح دماؤهم بدماء عناصر قوية جديدة تشترك معهم فى كثير من خلال الحسن وخصال السوء ، فكان لذلك أكبر تأثير على الأجيال المغربية التى ولدت فيما بعد جسمانياً وفكرياً .

ونحن عندما نقول اللغة لا نعنى بها لغة القرآن الفصيحة المعربة ، وانما نعنى بها العربية العامية التى نتحدث بها الآن ، فالعرب الذين دخلوا الى المغرب فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى وأعطوه طابعه القومى الحالى لم يكونوا يتكلمون لغة فصيحة معربة ولا كان آباؤهم يتكلمونها قبل قرون ، وانما كانوا يتكلمون لهجة عربية خاصة هى التى اقتبسها منهم أهل المغرب وصاروا يتحدثون بها مثلهم مضيفين اليها كلمات محلية قليلة غير مغيرين من حروفها ولا نبراتھا الصوتية الا ما فرضت طبيعة مناطقهم البربرية

تغييره ، وقد كان لهذه اللغة أو اللهجة أدب خاص بها يتمثل فى أشعارها وأزجالها وحكمها وأمثالها التى تصور حياة أهلها وتسجل وقائعهم وتخلد بعض حكاياتهم الغرامية كقصة الجازية الشهيرة .

ودخل الى المغرب مع هاؤلاء الأعراب عدد كبير من أهل الصعيد المصرى والأرمن والترك والتحق بهم فيما بعد عدد كبير آخر من السودان ومهاجرى الجزيرة الأندلسية فكان لكل ذلك آثاره وعواقبه ، كما تسرب اليه معهم عدد كبير من وسائل العيش وأدواته التى لم تكن معروفة فيه من قبل كالخيمة مثلاً ، وكثير من النظم والعادات التى تلائم حياة الرحل ولا تلائم حياة المستقرين ، كنظام ( الدوار ) الذى هو عبارة عن مخيم مستدير الشكل تسكنه عشيرة أو عمارة أثناء إقامتها وتحمل خيامه وأدواته أثناء طعنها .

وعلى الجملة فإن الزحف العربى الثانى الكبير على بلاد المغرب لم يكن يضارعه فى قوة فعاليته وسرعة تأثيره الا الزحف الأول الصغير ، كلاهما أعطى للمغرب شيئاً وكيف حياة أهله تكييفاً حاسماً ، فالزحف الأول أعطاهم العقيدة والایمان ، والزحف الثانى أعطاهم اللغة والقومية .

وبعد ، فمن يكون هاؤلاء الأعراب الذين زحفوا على المغرب هذا الزحف الكبير وأثروا فيه وفى أهله كل هذا التأثير ؟ وما هى أنسابهم وشعوبهم وقبائلهم ؟

## أَنسَابُ الْعَرَبِ الدَّاخِلِينَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَعْضُ أَخْبَارِهِمْ

غلب إطلاق اسم **بنى هلال** على جميع العرب الذين دخلوا المغرب في منتصف القرن الحادى عشر حتى ليظن الظان انه لم يدخله شعب من العرب سواهم ، والحقيقة أن شعوباً عربية أخرى دخلته مع بنى هلال وبعدهم ، وأن بنى هلال أنفسهم لم يكونوا يرجعون الى أرومة واحدة ، بل كانت معهم قبائل وبتلون كثيرة أضيفت اليهم وهى لا تجتمع معهم فى نسب .

ويمكن رد جميع القبائل والبتلون العربية التى دخلت المغرب الى ثلاثة شعوب .

أ - بنو هلال

ب - المعقل

ت - بنو سليم

ونفصل فيما يلى القول فى أنساب هذه الشعوب موردين بعض أخبارها قبل دخولها الى المغرب وأثناءه .

### 1 - بنو هلال

أما بنو هلال فجدهم الذى ينسبون اليه هو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (157) .

كانت مواطنهم فى الجاهلية ببساتط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ، وكان يساكنهم فيها بنو نمير بن عامر ، وبنو جشم ، فلما جاء الاسلام

---

(157) جبهة النساب العرب ص 273 .

وتوسع العرب في الفتوح انتقلوا جميعاً الى بادية الشام وسكنوا الجزيرة الفراتية ، فكان بنو نمير بنواحي حران ، وبنو هلال بناحية دمشق ، واستمروا مقيمين هناك يتكسبون من فلاح الأرض ورعى الماشية تارة ، ومن الغزو وقطع الطريق أخرى ، وكان خلفاء بني العباس يبعثون لهم البعث تلو البعث لجزرهم وكف عاديتهن عن المسافرين ولاسيما حجاج بيت الله الحرام .

ولما استولى شيعة الفاطميين على الشام وانتزعوه من أيدي القرامطة واعادوهم الى البحرين ، نقلوا بنى هلال هاؤلاء الى صعيد مصر وأنزلوهم بالعدوة الشرقية من نهر النيل ، فأضروا بالبلاد وساموا أهلها الذل والهوان .

ومن المؤكد تاريخياً ان قبيلة من شعب هلال تدعى بنى قسرة كانت تسربت الى المغرب قبل زحف جمهورهم عليه ، ولها في الحكاية عن دخولها اليه طرق في الخبر غريبة يكاد القادح فيها والمستريب أن يرمى عندها بالخلط والجنون ، منها حكاية الجازية بنت سرحان الشهيرة مع شريف مكة شكر بن أبي الفتوح التي عفت عن خبر عزة وكثير ، وليلي وقيس المجنون ، وهى أصل قصة أبي زيد الهلالي الشهيرة ، وستررد لدى الكلام عن بنى قرة ، وقد استوطن بنو قرة هاؤلاء أرض برقة بعدما تغلبوا على مقاومة قبائل لوانة ومزانة وزنانة ، وكان لهم بها وبمصر تشغييات على الحاكم بأمر الله الفاطمي قتل منهم بسببها جماعة وأحرقهم بالنار لفسادهم ، ونبيخ فيهم معلم للقرآن يدعى أبا ركوة زعم انه الوليد بن هشام من ذرية عبد الرحمان الداخل الأموي فبايعوه وألحقوا الهزائم بالجيوش الفاطمية تحت رايته الى ان ظفر به وبهم سنة 397 هـ .

وأقام جمهور بنى هلال بشرق النيل الى أن خطرت للوزير الفاطمي الحسن اليازوري فكرة اجازة العرب الى المغرب تخلصاً من شرهم وانتقاماً من المعز بن باديس ، فكانت بطون بنى هلال أول من عبر النيل وسار اليه ، وكان فيهم من غيرهم كثير من فزادة واشجع وجشم وسلول ومعل وعصرة وبني ثود وعدوان وطروود اندرجوا في الأتبع خاصة وصاروا واياهم شيئاً واحداً .

وكان من أشرافهم عند دخولهم الى المغرب الحسن بن سرحان أخو الجازية الموما إليها ، وأخوه بدر ، وفضل بن ناهض ، وثلاثتهم من بطن دويد

بن الأثبج ، وماضى بن مقرب من بنى قرة ، وسلامة بن رزق من بنى كثر ،  
وشبان بن الأحمير وأخوه صليصل من بنى عطية ، وذياب بن غانم من بنى ثور  
ومؤنس بن يحيى من بنى صنبور بطن من بطون هرداس رياح لا مرداس سليم ،  
وزيد بن زيدان وينسبونه فى الضحاك ، وسليمان بن عباس من حمير  
وسواهم كثير .

أما تشعب بنى هلال الى قبائل و بطون وتفصيل أخبارهم بعد دخولهم  
الى المغرب فقد تقدم بعضها وسيرد بعضها فى هذا الفصل والقسم الثالث من  
هذا الكتاب .

## 2 - المعقل

نسب هذا الشعب من العرب الداخلين الى المغرب خفى مجهول عند  
الجمهور ، ويعدهم نسبوا العرب من بطون هلال وليس ذلك بصحيح ، أما هم  
فيدعون أنهم من آل البيت من ذرية جعفر بن أبى طالب ، وهو ادعاء غير مسلم  
به لأن الطالبيين والهاشميين أهل اقامة وحضر وليسوا أهل بادية والتجاع ،  
ورجح ابن خلدون أن يكونوا يمنيين ، لأن من هاؤلاء بطنيين يسمى كل واحد  
منهما بالمعقل على ما ذكره ابن الكلبي وغيره ، أحدهما من قضاة والآخر من  
مذبح ، والغالب أنهم من هذا البطن الأخير .

وقد كان عرب المعقل يسكنون قرب البحرين مع القرامطة قبل دخولهم  
المغرب ، ولما دخلوه لم يكن عددهم يتجاوز المئتين ، فاعترضهم بنو سليم  
فتحيزوا الى الهلاليين ونزلوا بآخر موطنهم مما يلى وادى ملوينة ورمال  
تافيلالت ، وجاوروا زناتة فى القفار فغفوا وكثروا وانتشروا فى صحراء المغرب  
الاقصى فعمروا أطرافها وتغلبوا على فيا فيها وحالفوا زناتة بها فى جميع الأوقات ،  
ولم يسبق منهم بافريقية الا جمع قليل اندرج فى جملة بنى كعب بن سليم  
وصاروا أعوانهم المخلصين .

ولما طلع الزناتيون الى التل ، وأسسوا مملكتهم بفاس وتلمسان  
وامارات أخرى صغيرة بالمغرب الأوسط تفرد عرب المعقل بالصحراء ونمو

فيها نمواً كبيراً بمن اضاف اليهم من القبائل من غير نسبهم مثل العمور وأشجع والشقة والمهايا والشعراء والصباح وبني سليم ، فملكوا القصور التي اختطتها زناتة وفرضوا الضرائب على حراطينها وصارت يدهم الطولى بجميع الأقطار الصحراوية الواقعة بين المحيط الأطلسي وتيديلكت .

وقد اشتهر عرب المعقل هاؤلاء باحترام الأنفس والأموال وامتنثال أوامر المخزن ( الحكومة ) فلم يكونوا ينتهكون حرمة الناس ولا يعترضون القوافل التجارية بأذى أو مكروه ، الشيء الذي جعل سلاطين المغرب يقدرونهم حق قدرهم ويجازونهم على ذلك بالاقطاعات المديدة والعطايا العديدة .

### 3 - بنو سليم

هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . من أوسع بطون مضر وأكثرها جموعاً ، كانت مواطنهم الأولى بنجد ، وكانت الرئاسة عليهم فيها لبنى الشريد بن عصية بن خفاف بن بهثة بن سليم ، ولما أدركهم الاسلام كان منهم عناد ، ومن بطونهم المشهورة قبائل عصية ورعل وذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا بأصحابه ، ثم أسلموا وخاضوا فيما خاضت فيه بقية القبائل العربية من شؤون الخلافات والفتوح ، وصاروا في عهد الخلافة العباسية أولى فتنة وبغى ، تبلى بها الجسارة الى الاغارة على المدينة نفسها ، فكان العباسيون يسرحون الكتائب لمحاربتهم والايقاع بهم ، فيذعنون الى الطاعة ويخلدون الى السكينة في قفارهم بقدر ما يستجمون وينتعشون فيعودون الى حالهم ، وبلغ من كراهية أحد خلفاء بنى العباس لهم أنه نهى ابناً له عن التزوج منهم .

ولما ظهر القرامطة غمסوا أيديهم في فتنتهم ، وحالفوا أبا الطاهر وبنيه أمراء البحرين مع بنى عقيل بن كعب ، فلما ذهبت ريحهم وانقرض أمرهم اعتنق بنو سليم مذهب الشيعة وتغلبوا على البحرين بدعوتهم لما أن القرامطة كانوا منتشيعين ، واستمروا سادة هناك حتى قام بنو الأصفر بدعوة العباسيين ، فانتزعوا البحرين باسمهم من أيدي بنى سليم في أيام بنى بويه وطردوهم عنها

فلحقوا بصعيد مصر وأقاموا به مع بقية الأعراب حتى أجازهم الوزير اليازورى الى افريقية مع العرب الهلايين ، فاستوطنوا برقة وجهات طرابلس زمناً ثم ساروا الى افريقية والمغرب وكان لهم - شعباً وقبائل وبطوناً - وقائع وأحداث سبق ذكر بعضها وسيزكر البعض فى هذا الفصل وفى القسم الثالث من هذا الكتاب .





## شعوب بني هلال

بنو هلال أحد الشعوب العربية الثلاثة الداخلة الى المغرب ، لكنهم كانوا من كثرة العدد وتعدد البطون بحيث غطى اسمهم على اسمى الشعبين الآخرين .

ويشتمل هذا الشعب على عدد كبير من القبائل ، بعضها ينتمى اليه حقيقة بالنسب ، وبعضها نسبه في غيره ولكنه محسوب منه ومضاف اليه ، ومن هذه القبائل قبائل أكلتها الحروب اثناء الزحف وبعده فاندثرت ولم يبق منها الا اسمها يذكر بها ، ومنها قبائل عفت وتناسلت ونمت فصارت لها البطون والأفخاذ الكثيرة ، فارتفعت من رتبة القبائل الى رتبة الشعوب .

ويمكن حصر شعوب بني هلال الأصليين والمضافين فيمن يلي :

أ - الأثبج

ب - جشم

ت - رياح

ث - زغبة

ج - عوف

ونستعرض فيما يلي كل شعب من هذه الشعوب ذاكرين قبائله ، وموردين نبذاً من أخبارها .

### 1 - الأثبج

أبوهم الأثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال كانوا أوفر عدداً من غيرهم وأكثر بطوناً فكان لهم التقدم بذلك على سواهم .

من قبائلهم :

١ - **دويد** : أعز قبائل الأتبيج وأعلامهم كعباً ، وكانت رئاسة الأتبيج كلها للحسن بن سرحان منهم عند دخولهم الى افريقية ، واستقروا ما بين عنابة وقسنطينة الى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر ، ولهم بطون كثيرة مثل **أولاد عطية وأولاد سرور** ، **وأولاد جاد الله** ، وتوبة ، ولكل بطن عمارات وعشائر ، منهم قبيلة قوية بتونس معروفة بالاسم الأصلي ، أما البطون فقد ارتفعت بدورها الى مرتبة القبائل وهي معروفة بأسمائها الى الآن .

ب - **كرفة** : بنو كرفة بن الأتبيج ، كانت لهم جموع وقوة انشاء الزحف الكبير ، وسكنوا في البداية حبال جبل أوراس مما يلي شرقه ، ونقل منهم الموحدون بطوناً الى المغرب الأقصى ، والحفصيون بطوناً أخرى الى تونس ، وربما يصلون في النجعة الى تخوم الزاب ، بطونهم كثيرة مثل **أولاد نابت** ، **والكلبية** ، **والشبه** ، **والسرحانية** .

ت - **لطيف** : أولاد لطيف بن سرح بن مشرف بن أثبيج كانوا ذوي كثرة ونجعة الى أن غلبهم **الدواودة** على الضواحي فجزوا عن الطعن وسار من سار منهم الى المغرب مع جمهور الأتبيج ونزلت بقيتهم ببلاد الزاب وعمرها منها المدن والقرى مثل الدوسن ، وغربو ، وتهودة ، وتنومة ، وبادس . وكانت فيهم عنجهية منذ رئاستهم القديمة استمرت لاصقة بهم الى عهد ابن خلدون ، وللطيف بطون كثيرة ارتفعت الى درجة قبائل ، منها **اليتامي** : ذوو مطرف ، وذوو أبي الخليل ، وذوو جلال أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف ، ومنهم **اللقائمة** أولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ، ومنهم **أولاد جرير** ، **وأولاد نزار** ، **ومزنة** الذين يرجع اليهم نسب بني مزني المشهورين بأرض الزاب .

ث - **مقدم** : أولاد مقدم بن مشرف بن أثبيج ، كانوا ذوي قوة وعدد بين الأتبيج ، ولما مالوا الى بني غانية وشقوا عصا الطاعة على الموحدين اشخصهم يعقوب المنصور مع جيش الى المغرب واسكنهم بسيط تامسنا منه .

ج - **الضحالك** : بنو الضحالك بن مشرف بن أثبيج ، كانوا يسكنون بالزاب الى ان غلبهم **الدواودة** عليه وصيروهم في جملتهم .

**ح - العاصم :** أبناء عاصم بن مشرف بن أثيج ، كانوا من القبائل التي انضمت الى بني غانية فنقلهم الموحدون الى المغرب وانزلوهم ببسيط تلمسنا .

**خ - العمور :** حاؤلاء من العرب الملحقين ببني هلال ، ويظن انهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال اخوة بني قرة بن عبد مناف ، وليسوا من ولد عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال الذي تنتمي اليه رياح وزغبة والأثيج ، اذ لا علاقة بين الفريقين ، وقد يكون انتماءهم الى عمرو بن ربيعة بن عبد الله بن هلال ، وكل ذلك معروف ذكره الكلبي ، ولم تكن لهم في المغرب رئاسة ولا ناجعة تظعن لقلعة عددهم واختلاف كلمتهم ، وفيهم فرسان وأكثرهم رجالة ، وكانوا يسكنون بالضواحي والجبال ما بين جبل أوراس شرقاً وجبل بني راشد غرباً في الجهات المقابلة للحضنة والصحراء ، أما المناطق الشمالية فكانوا يتحامونها خوفاً من سطوة الحكومات . فلذلك بقوا قريبين من مواطن الفقر والجذب .

وهم ينقسمون الى بطنيين كبيرين : بني قرة وبني عبد الله ، وكل بطن يقسم بدوره الى عماثر وعشائر ، وهم معروفون اليوم باسمهم الأصلي وبأسماء فروعهم ، وأكثريتهم موجودة على الحدود الجزائرية المغربية مما يسلي العين الصفراء وواحات فكيك .

**عياض :** أبناء عياض بن مشرف بن أثيج ، كانوا مقيمين ببادية المغرب الأدنى ثم غربوا ونزلوا الجبل الذي فيه قلعة بني حماد وغلبوا قبائله على أمرهم ، وسكنوه بطوله من الشرق الى الغرب ما بين ثنية غنية والقصاب الى وطن بني يزيد بن زغبة ، فالولهم مما يلي غنية **المهايا** ، وبعدهم **المرتفع** و **الخراج** من بطونهم ، ولكل منهم فروع كثيرة سيرد تفصيل الكلام عليها في القسم الثالث من هذا الكتاب .

**بني قرة :** قبيلة متسعة لكنها متفرقة في المدن والقبائل وحدانا ، كانوا يسكنون قرب بسكرة متصلين غرباً الى مواطن غمرة ، وفيهم بطون كثيرة سيقع الكلام عليها في القسم الثالث .

## 2 - جشم

أبو هذا الشعب هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، واندمجت فيهم قبائل أخرى من الأثبج كبنى قره والمقدم والعاصم فعدوا منهم وغلب اسم جشم عليهم جميعاً .

نقل الموحدون جمهورهم الى المغرب الأقصى وأسكنوهم بسيط تامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش فتخلوا منذ ذلك التاريخ عن عادة النجعة والريادة واستقروا متكسبين بملح الأرض واستيلاد الماشية .

من أشهر قبائلهم :

1 - **بنى جابر** : كانت مواطنهم بسفح جبل تادلة يسهلون الى البسيط تارة ويأوون أخرى الى قننه وهضابه اذا أحسوا بتهديد ، وكانت رئاستهم على عهد بنى مرين فى **ورديفة** من بطونهم ، ومن الناس من يجعل نسبهم فى زناطة أو لواتة مستدلين على ذلك بمجاورتهم للبربر .

**ب - الخلط** : هذا القبيل معدود من جشم من غير أن يكون من نسبهم ، فهم أبناء المنتفق من بنى عامر بن عقيل بن كعب ، كانوا شيعية للقرامطة بالبحرين ثم ارتحلوا الى مصر فافريقية عندما غلبهم عليها بنو أبى الحسين التغلبيون القائلون بدعوة العباسيين ، ثم دخلوا الى المغرب مع الأعراب ونقلهم يعقوب المنصور الى المغرب الأقصى فأسكنهم بسيط تامسنا ، وكانت لهم فتن وحروب مع سلاطين الموحدين وبنى مرين واستقروا بأخرة حيث هم الآن من بسيط الغرب قرب القصر الكبير مختلطين فيه بقبيلة **طليق** .

**ت - سفيان** : أدخلهم يعقوب المنصور الى المغرب الأقصى فسكنوا أولا قرب آسفى ، ثم انتقلوا الى الشمال فسكنوا فى بسيط الغرب حيث هم الآن وبقي **الحارث** و**الكلاية** من بطونهم ينتجعون أرض السوس وقفاره ويطلبون بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس ، ومن أشهر بطونهم **أولاد جرمون** و**أولاد مطاع** .

### 3 - رياح

هو رياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

كان هذا الشعب من أعز قبائل بنى هلال نفراً وأوفرهم جمعاً عند دخولهم الى بلاد المغرب ، وكانت رئاستهم على عهد الزحف لمؤنس بن يحيى الصنبرى الذى أصهر اليه المعز بن باديس ببنته ، ثم كان من أشد العرب نكاية وأكثرهم ضرراً أثناء حصار القيروان لمعرفته بعوراتها ، ونقل منهم يعقوب المنصور قبائل قوية الى المغرب الأقصى .

قبائل رياح كثيرة ارتقى كل واحدة منها الى مرتبة شعب ، ونعرض فيما يلي أهمها :

1 - **الخضر** : أولاد الخضر بن عامر بن رياح ، وقيل عامر بن زيد بن مرداس بن رياح وقيل غير ذلك ، كانت رئاستهم فى **أولاد تامر** بن على بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح ، وكان بنو مرين مختصين بحلف هذا القبيل .

ب - **مرداس** : بنو مرداس بن رياح ، أكبر بطون رياح على الإطلاق وأكثرهم ذكراً أثناء الزحف الكبير ، وهم قوم مؤنس بن يحيى صاحب المعز بن باديس وصهره ، ومن أشهر بطونهم قبيلة **الدواودة** العظيمة وفروعها الكثيرة بالمغرب الأوسط ، وأولاد **صنبر** قوم مؤنس بن يحيى المتقدم ، وأولاد **مسلم** ، وأولاد **عامر بن يزيد** الذين منهم **بنو موسى** و**بنو جابر** ، و**سودان** ، و**مشهور** ( **المشاهرة** ) و**معاوية** ، مواطنهم مجاورة لتوزر بشط الجريد .

ت - **أولاد سعيد** : بنو مالك بن رياح ، كانت رئاستهم فى **أولاد يوسف** ، ومن بطونهم **أولاد عيسى** ، ومع هذا القبيل لغائف من العرب من غيرهم مثل **المخادمة** و**الفجور** و**نفاث** .

ث - **أولاد مسلم** : بنو مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح ، ينتسب بعضهم الى الزبير بن العوام ، ويقول من ينكر عليهم ذلك انما هو الزبير بن

**المهايا** أحد بطون عياض من عرب الأتبع ، ورئاسة هذا الفريق في **أولاد جماعة** تارة تكون في **أولاد شكر** وتارة في **أولاد زرارة** ، وإلى هذا البطن ينتمي سعادة القائم بالسنة في رباح في بداية القرن الثامن الهجري .

#### 4 - زغبة

ينتمي هذا الشعب الى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

كانت لهم كثرة وعزة عند دخولهم الى المغرب ، وتغلبوا في الأول على نواحي طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مزاوة بطرابلس ، ولم يزلوا مقيمين هناك الى ان ملك الموحدون افريقية ونار بنو غانية المسوفيون بها فتحيزت زغبة الى الموحدين فرعوا لهم ذلك وصيروهم يداً واحدة مع بربر بنى بادين في حماية المغرب الأوسط من ابن غانية واتباعه ، فصارت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار ، واستقروا بنو بادين وسائر زناتة بالتلول .

ولما ملك بنو مرين فاس وبنو عبد الواد تلمسان واستقرت زناتة بالمدن دخلت زغبة الى التل وتغلبوا على أهله وفرضوا الاتاة على أكثرهم ، وخلت مواطنهم بالفقر منهم فعمرها عرب المعقل وغلبوا على من بقى من زغبة هناك وجعلوا عليهم خفارة يؤدونها من الابل ، ولكن قبائل زغبة تعاقدوا على رفع هذا الذل عنهم فرفعوه ودفعوا بنى المعقل عن وطنهم فاستقروا به لما منعهم الزناتيون من وطئ التل ، فلما فشلت ريح الزناتيين بكثرة الخوارج وتعدد الشوارت عادت زغبة الى التلول واستطالت بها وغلبتهم عليها واقطعتهم الحكومات أكثرها ترضية واستظهاراً واتقاء لشركهم فانهم كانوا أشد العرب ضرراً حتى صار الناس ينظرون اذا ذكر اسمهم لأنه نذير شؤم ونحس وصارت كلمة ( زغبى ) نسبة اليهم تعادل كلمة مشؤوم منحوس .

تشتمل زغبة على خمس قبائل كبيرة ارتفعت كل منها الى مرتبة شعب :

١ - حصين : ينقسمون الى بطنين كبيرين ، جندل وخراش ، فمن جندل أولاد خنفر ، ورئاستهم فى بنى خليفة ، وسادتهم أولاد خشعة ، ومن خراش أولاد مسعود رئاستهم فى أولاد رحاب ، وأولاد فرج رئاستهم فى بنى خليفة ، وأولاد طريف المعروفون بالمعايدة رئاستهم فى أولاد عريف ، ولا يزال هذا الفريق يعرف باسمه الأصيل فى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، وفى المغرب الأقصى يوجدون بحوز مدينة سلا ، وفى المغرب الأوسط يوجدون بحوز بجاية ، كما تعرف بطونهم فيهما أيضاً .

ب - بنى مالك : يعرفون باسمهم الأصيل فى المغرب الأقصى ومواطنهم فيه تقع باقليم القنيطرة بسهول الغرب حيث تقسع قرينتا سوق الأربعاء ، وأحدكوت ، ومن بطونهم سويد والعطاف ، والديالم ، والهبرة ، وصبيح ، وغريب .

ت - بنو عامر : مواطنهم الكبرى حول مدينة وهران ودخلت جماعات منهم الى المغرب الأقصى فاستقرت قرب سلا ، والعرائش ، وطنجة ، وقرب فاس مع قبيلة شراكة ، ومن بطونهم الشهيرة بنو يعقوب وبنو حميد وبنو شافع .  
ث - عروة : وهم بطنان : النضر ( أولاد خليفة والخماننة ، وشريفة ، والسحارى ) وخميس ( عبيد الله ، وفرغ ، ويقظان ) ولكل منهم بطون وعمائر كثيرة .

ج - بنو يزيد : كانت لهم مكانة بين قبائل زغبة لشرفهم وكثرتهم وللدول بهم عناية ، ومنهم بطون كثيرة مثل حميان ، وجواب ، وبنو كرز ، وبنو موسى ، والمرابطة ، والخشنة ، والمكارمة .

## شُعُوب مَعْقِل

يزعم المعقليون انهم هاشميون من ذرية جعفر بن ابي طالب ، ويعدهم النسابون العرب من بطون هلال ، ورجح ابن خلدون أن يكونوا من ولد معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث من بطون مذحج اليمانيين .

يذكر نسابتهم أن معقل جدّهم خلف ولدين : سحير ومحمد ، فولد سحير عبيد الله جد ذوى عبيد الله ، وتعلب جد الثعالبة ، وولد محمد مختاراً جد ذوى حسان والشبانان ، ومنصوراً جد ذوى منصور ، وجلالا وسالماً وعثمان الذين منهم قبيلة الرقيطات الشهيرة بناحية سوس .

### 1 - الثعالبة

كانوا يسكنون أولا بجبل تيطرى حيث مدينة أشير ، ثم غلبهم عليه بنو توجين فانتقلوا الى فحص متيجة المجاور لمدينة الجزائر فسكنوه تحت حماية قبيلة ملكيش ، وقد تتبع ملوك بنى عبد الواد هذه القبيلة بالقتل والسبي والنهب الى ان دثرت فى نهاية القرن الثامن الهجرى ولم يبق لها منذ ذلك التاريخ وجود .

والى هذه القبيلة ينتسب علامة الجزائرى سيدى عبد الرحمان الثعالبي المتوفى سنة 1470 بالجزائر صاحب المؤلفات الشهيرة .

### 2 - ذوى حسان

بنو مختار بن محمد بن معقل ، كانت مواطنهم فى الأول بنواحي ملوية الى ان استصرخهم على بن يدر الزكندرى صاحب السوس بعد الموحدين



فصارخوه وارتحلوا اليه بظعونهم وحمدوا مواطن سوس فأقاموا بها لعدم المزاحم وصارت مجالاتهم بها وغلبوا جزولة وأصاروهم فى جملتهم ومن ظعونهم ووضعوا الاتاوات على المدن والقرى الموجودة بها وببرية شنكيط وكانت رئاستهم فى **أولاد أبى الخليل** منهم .

أكثرية ذوى حسان توجد اليوم بصحراء شنجيط ووادى الذهب ، وهم بها ينقسمون الى أربعة أقسام : **أولاد احبي** من عثمان ، وهم سكان أدرار ، مستقرون وقد ينتجعون ، **واد وعيش** الذين يسكنون تكانت فى أغلب الأوقات ، **والتراوزة** سكان القبلة أى الأراضى الممتدة من اكيدى والعقل الى حدود السنيغال **وأولاد عبد الله** أو **البراكنة** وهم متفرقون ، منهم من يسكن شمامة وهم **أبناء السيد** ، ومنهم من يسكن فيما بين امشتيل وأفطوط وهم **أبناء أحمد اكيدى** ، وبعضهم يسكن الرك ، أى القاع وهم **ابن هيبة** ، **وأبناء نقماش** .

### 3 - ذوى منصور

أولاد منصور بن محمد بن معقل ، وهم معظم قبائل **العقل** وجمهورهم كانت مواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة يجاورهم وراهما الى الجنوب اخوانهم **ذوو حسان** .

وهم ينقسمون الى أربع قبائل :

أ - **أولاد حسين** : كانت لهم العزة على ذوى منصور كافة ، ورئاستهم فى أولاد خالد بن جرمون ، وكانت مجالاتهم وسيطرتهم على الأراضى الواقعة خلف جبال الأطلس ما بين سجلماسة وسوس .

ب - **أولاد أبى الحسين** : اخوة المتقدمين ، الا انهم عجزوا عن الظعن معهم فسكنوا قصوراً بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين ( كورارة ) .

ت - **المنبات** : كانت مواطنهم مجاورة لأولاد حسين من جهة الشرق ومجالاتهم بتافيلالت وصحرائها ، وقد يصعدون فى التل مع نهر ملوية حتى يبلغوا مصبه بالبحر الأبيض ويفرضون على أهله الضرائب والاتاوات ، وهم يطلقون على أنفسهم اسم **المنابذة** والنسبة اليه منبهى .

ت - **العمارة** : أولاد عمران بن منصور اخوة المتقدمين ، كانت مواطنهم ومجالاتهم مثل مواطن المنابهة ومجالاتهم ، ورئاستهم في العصر المريني كانت في **أولاد مظفر** منهم يرادهم فيها **أولاد عمارة** .

ويطلق على العمارة والمبنيات معا اسم **الأحلاف** ، وبهذا الاسم تدعى اليوم قبيلة باقليم وجدة .

#### 4 - **ذوى عبيد الله**

كانت مواطنهم ما بين تلمسان ووجدة الى مصب وادي ملوية بالبحر ومنبع وادي زا ( صاع ) بالجنوب ، وتنتهى رحلتهم فى القفار الى قصور توات وتمنطيت ، وربما عاجوا شمالا الى تساييت وكوراة ، وكانوا يجاورون بنى عامر ، ولهم معهم ومع بنى عبد الواد قبل الجاه والسلطان فتن وحروب موصولة صاروا بسببها أحلافاً لبنى مرين ، ولما ضعفت الدولة توطنوا التلول وتملكوا وجدة وندرومة ومواطن بنى يزناسن وبني سنوس ومديونة اقطاعاً من السلطان وفرضوا على أهلها الضرائب وصارت لهم جبايتها ، كما فرضوا على مرسى هنين ضريبة الاجازة ( الزطاطة ) منه الى تلمسان فلا يسير المسافر بينهما ايسام حلولهم بساحتها الا فى خفارتهم وعلى ضريبة معلومة يؤديها اليهم .

وينقسم ذوى عبيد الله الى بطنين كبيرين : **الخراج والهراج** .

فالخراج من أولاد خراج بن مطرف بن عبيد الله ، وكانت رئاستهم فى **أولاد عبد الملك** منهم ، ولهم قبائل كثيرة من أشهرها :

ا - **الجماعة** : بنو جعوان بن خراج

ب - **المطرفة** : بنو مطرف بن خراج

ت - **العثامنة** : بنو عثمان بن خراج

ث - **الفسل** : بنو غاسل بن خراج ، وهم معروفون الى اليوم بهذا الاسم مستقرون بجماعة الرمشى شمالى تلمسان .

وكانت مع هذه القبائل ناجمة تسمى **المهايا** ينتسبون تارة الى المهايا بن عياض المتقدم ذكره لدى الكلام على الأتبع من شعوب بنى هلال ، وينتسبون تارة أخرى الى المهايا بن مطرف فيكونون اخوان المطارفة من هذا القبيل .

اما الهراج فمن ولد الهراج بن مهدى بن محمد بن عبيد الله ، كانوا يسكنون الى الغرب من مواطن بنى عمهم الخراج مجاورين لبنى منصور ، وأكبر قراهم قرية تاوريرت الشهيرة ببسيط أنكاد ، وخدمتهم كانت فى الغالب مع بنى مرين ، وفى الأقل مع بنى عبد الواد ، ورثاستهم فى أولاد يعقوب بن مها بن هراج ، وأشهر قبائلهم :

ج - أولاد فكرون

ح - أولاد مرين

خ - أولاد مناد

## 5 - الرقيطات

ينتسبون الى جلال وسالم وعثمان أبناء مختار بن محمد بن معقل ، كانوا بادية لنوى حسان ينتجعون معهم باقليم سوس ، وما زالت بقاياهم بناحية رودانة منه يعرفون باسمهم الأصل الرقيطات .

## 6 - الشبانات

أولاد شبانة بن مختار بن محمد بن معقل ، كانوا يسكنون باقليم سوس مع اخوانهم ذوى حسان ، وينقسمون الى بطنيين كبيرين : بنى ثابت وأولاد على ، ما زال الشبانات معروفين باسمهم الأصل ، داخل شعب الشراودة بناحية سيدي قاسم من اقليم الفكيطة بالمغرب الأقصى ، ومنهم بطون مندرجة فى قبيلة الودايا بحوز فاس ، وأخرى بناحية الصويرة وناحية تادلة وناحية الجديدة .

## شُعُوب بَنِي سَلِيم

بنو سليم هم الشعب الثالث من الشعوب العربية الداخلة الى المغرب ، وقد استقروا في الأول بأقليم طرابلس وبرقة ، ولم يدخلوا الى المغرب حتى تمكن اخوانهم الهلاليون والمعلليون من ناصيته ، واستولوا على حواضره وبواديها .  
اما شعوبهم فهي الآتية :

### 1 - دباب

اختلف في نسبهم ، ف قيل انهم بنو دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، وقيل غير ذلك .  
من قبائلهم :

1 - **أولاد احمد** : كانوا ينتجعون ما بين برقة وطرابلس ، واستقرت منهم أحياء غربي قابس .

ب - **أولاد يزيد** : كانوا يجاورون الأولين في الموطن ، وليس يزيد اسماً لأبيهم ولا لرجل بالمرة ، وإنما هو اسم حلفهم انتسبوا به الى مدلول الزيادة ، وهم أربعة بطون : **الصهب** بنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب **والحمارة** بنو حمران بن جابر ، **والخرجة** بطن من آل سليمان بن رافع أخرجهم اخوانهم من موطنهم بمسلاته فحالفوا الأولين ونزلوا معهم ، **والأصابعة** نسبة الى رجل ذى أصبع زائد ، ودباب يطعنون في نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم .

ت - **النوايل** : أولاد نايل بن عامر بن جابر ، مواطنهم ملاصقة لقابس ، ومنهم القبيلة الشهيرة المستقرة قرب مدينة الجلفة بعمالة الجزائر .

ث - **أولاد سنان** : بنو سنان بن عامر اخوة المتقدمين ، منهم قبيلة مستقرة قرب قالمة بعمالة قسنطينة من المغرب الأوسط .

**ج - أولاد وشاح :** بن عامر ، كانت فيهم رئاسة دباب وهم ينقسمون الى بطنين كبيرين : **المحاميد** بناحية قابس وبلاد نفوسة وحرب ، **والجوارى** بضواحي طرابلس وذنزور وغريان ومغر ، ومن أولاد وشاح أيضاً **أولاد حريز** بن تميم بن عمر بن وشاح ، **والجواوبة والعمور** وهم غير **عمور** الهلايين حسب بعض الأقوال .

**ح - أولاد سليمان :** بنو سليمان بن هيب بن رابع بن دباب ، مواطنهم قبلة مغر وغريان .

**خ - أولاد سالم :** بن هيب أخى سليمان المتقدم ، وبطنهم **الأحمد** **والعمائم وأولاد مرزوق والعلالوة** وهاؤلاء يجاورون **العزة** من غرب برقة **والمشابنة** من هواردة المقيمين .

ويلحق بقبائل دباب قبائل أخرى مختلف في أصلها تجاورهم من جهة القبلة ، مثل **ناصر** المتوطنون بفزان وودان ، **والعزة** جيرانهم فسى الشرق المتوطنون باقليم برقة ، وتسمى بلادهم **برنيق** ، وهم يبلغون فى النجعة الى بلاد السودان .

## 2 - زُعب

بضم الزاى وسكون العين ، وضبطها الاجدابى بالكسر ، وكذلك ينطق بها الفصحاء من الأعراب .

ذكر ابن خلدون نقلا عن ابن الكلبي انهم بنو زعب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، وذكر التيجاني فى رحلته انهم ينسبون الى زعب الأصغر ابن زعب الأكبر بن جرو بن مالك ، يجتمعون مع **دباب** فى هذا المعنى ، يقول الدبابيون انهم منهم ، يريدون القرب الذى بينهم فى النسب ، وقد تبين من كلامه ان زعباً الأكبر ولد ولدين : زعباً الأصغر وربيعة أبا **دباب** ، فدباب هو ابن أخى زعب الأصغر ، واذا تداعى الزعبيون بزعب فانما يعنون به الأصغر ولو عثوا الأكبر لدخلت معهم فى ذلك **دباب** ، ولكانت **دباب** من زعب .

وقال الرشاطى عن زعب بكسر الزاى وعين مهملة .

وقال ابن ماكولا فى الاكمال : والى اليوم منهم خلق بالحجاز زعبيون  
ولهم غفارة فى طريق مكة .

بقيت من هذا الشعب قبيلة بشط الجريد زارها عبد الله التيجانى  
وذكرها فى رحلته .

### 3 - عوف

بنو عوف بن بهثة بن سليم .

كانت مواطنهم من وادى قابس بجنوب القطر التونسى الى عنابة بالمغرب  
الأوسط ، وكانوا ينقسمون الى جذمين عظيمين : مرداس وعلاق .

فمن قبائل مرداس :

أ - أولاد جامع : فيهم كانت رئاسة علاق .

ومن قبائل علاق :

ب - أولاد يحيى : وهم ينقسمون الى ثلاثة بطون : حمير ودلاج  
ورياح ، فمن حمير كردم وترجم وهذا الأخير هو والد قبيلة بنى كعب بن احمد  
بن ترجم المعروفين بالكعوب الذين يضرب المثل بالمنسوب اليهم فى الشؤم  
مثل المنسوب الى زغبة فى قبائل هلال ، وكانت رئاستهم فى أولاد شبيحة ،  
ومن بطون رياح قبيلة حبيب .

ت - حصن : ينقسمون الى بطنين عظيمين : أولاد عل وحكيم  
والفريقان معروفان الى اليوم بالقطر التونسى .

### 4 - هيب

بنو هيب بن بهثة بن سليم .

كانت مواطنهم بأقصى شرق برقة مما يلى حدود مصر .

من قبائلهم :

أ - شماخ كان لها العزق قبائل هيب لكونها حازت خصب برقة الذى  
منه المرج ، ومن أشهر قبائل شماخ بنو حميد الذين كانوا بأجدابية ونواحيها .

ب - بنو لبيد : كانوا يسكنون الى الشرق من مواطر سماخ الى العقبة الكبيرة ، وكانت بين الفريقين فتن وحروب موصولة .

ت - محارب : الى الشرق من بنى لبيد فى اتجاه العقبة الصغيرة .

ث - شمال : الى الشرق من بنى لبيد فى اتجاه العقبة الصغيرة .

ج - بنى عزاؤ : ويدعون أيضاً العزة فيهم كانت رئاسة قبيلتى شمال ومحارب .

قال ابن خلدون : وجميع بطون هيب هذه استولت على اقليم طويل خربوا مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية الا لأشياخهم ، وفى خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر ، ومعهم من رواحة وفزارة أمم .



## مواطن القبائل العربية

كما يصعب على المؤرخ رسم خريطة تحدد بتدقيق مواطن البربر ومجالاتهم من أرض المغرب يصعب عليه أيضاً رسم خريطة مماثلة تحدد بنفس الدقة مواطن العرب ومجالاتهم منها ، ويرجع السبب في ذلك الى ان القبائل العربية والبربرية اختلطت خلال هذه الأربعة عشر قرناً من اسلام المغرب اختلاطاً قوياً بالصهر والحلف والجوار ، وتعرب منها بربر وتبربر منها عرب ، وكثرت الدعوى في النسب والاستلحاق من طرف والخلع والجحود من طرف آخر ، وغلبت العاطفة والهوى على طائفة من المؤرخين وأوقع الوهم طائفة أخرى منهم في أخطاء وأغلاط حتى صارت التفرقة بين جماعة وجماعة أمراً صعباً ، وأصبح الباحث كلما أراد شيئاً من ذلك تواجهه حقيقة وجود أمة مغربية متماسكة متداخلة الأصول العربية والبربرية .

ولو جاز الاعتماد على اللغة وحدها واتخاذها مقياساً للتمييز بين سلالة وسلالة لكان جميع الليبيين والتونسيين عرباً لأنهم لا يتكلمون اليوم غير العربية ، ولو جاز أيضاً أن تكون أسماء القبائل المغربية دالة وحدها أيضاً على أصولها لجعلنا بنى مطير ورهونة مع العرب مع أنهم بربر ، وجعلنا ادوعل ومدلس وتجكانت مع البربر مع أنه لا خلاف في ان الأولى علوية والثانية أموية ، والثالثة حميرية .

ومع ذلك فان في الامكان الكلام على مواطن العرب اعتماداً على عدد من المقاييس مجتمعة كاللغة والتسميات والنصوص التاريخية وأقوال السكان أنفسهم ، وسنذكرها ونذكرهم مغفلين ذكر القبائل الأخرى العربية لساناً البربرية أصلاً التي سبق الكلام عليها وعلى مواطنها في الفصل السابق .

فبيلاد برقة والتخوم المغربية - المصرية تقيم قبائل هييب من بنى سليم وتنجع ، يختلط معهم من العرب غيرهم لفائف من فزازة ورواحة ،



وأشهر قبائل هيب شماخ الذين حازوا خصب برقة ومرجها فكان لهم العدد والعز بسبب ذلك ، يجاورهم شرقاً بنو كبيد ، وقبيلتا شمال ومحارب اللتان كانت رئاستهما فى بنى عزاى المعروفين أيضاً بالعزة ، ويجاورهم غرباً بنو حميد سكان أجداية ونواحيها .

والى الغرب من مواطن هيب ومجالاتها تسكن قبائل بنى سليم الأخرى وتغطى مواطنهم جميع الاقليم الطرابلسى وتمتد الى قابس وشط الجريد ، ومن أشهر قبائلهم هناك الزعبيون بنو زعب الأصغر بمين مهملة والمحاميد والجوارى ، ومن قابس تمتد مواطنهم ومجالاتهم فى اتجاه شمالى غربى الى ناحية عنابة بالمغرب الأوسط يجاورهم قبائل سلمية منهم كحكيم وأولاد على والكعوب وطرود ودياح ، وقبائل هلالية مثل دريد الاثبجيين .

وفى المغرب الأوسط تحتل القبائل العربية أكثرية عمالة قسنطينة ، وفى الشمال يوجد بنو مرداس السلميون قرب عنابة وعطية فى ناحية جيجل ، ودريد بين تبسة ووادي الزناتى ، وكرفة قرب العين البيضاء ، وأولاد ماضى قرب برج بوعريج ، يليهم أولاد صولة فى الزاب ، والنواودة بين الزاب والحضنة ، وأولاد سعيد والمخادمة وأولاد جلال ، وقارس ، وعامر ، فى الهضاب العليا والصحراء .

والى الغرب منهم يسكن بقايا الثعالبية بسهل متيجة ، وأولاد ماضى ودياح وبنى منصور والخشنة وجواب وي زيد ومربع وسليمان حول سور الغزلان ، والبراز والمطاف وجندل جنوب مليانة وعلى سهول شلف ، وتسكن قبائل نزلوية ، وعمرارة ، والعميد حول بلاد الجرجرة الجبلية ، بينما يقيم فى الجهة المقابلة للصحراء أولاد نايل وبنو ديان .

أما عمالة وهران فقد تعربت من قديم ، وصارت جميع قبائلها تتكلم العربية ، ومن أشهر قبائلها عربية الأصل بنو عامر والدوائر والزمول بين وهران وتلمسان ، والحشم غربى مدينة معسكر ، ومجاهر قرب مستغانم وصهيب وفليتة قرب الاصنام ، والفسل ودياح وأولاد ميمون قرب تلمسان ، وأولاد

النهاد خلفها . ويسكن فى أقصى جنوبها بنى مطهر وأولاد سيدى الشيخ كما يسكن الخلاقات وأولاد خالد والجعافرة وأولاد الشريف ما بين الساحل وفرندة وسعيدة .

وبجوار هازلآء فى المغرب الأقصى ما بين نهر تافنا ووادى ملوية توجد قبائل عربية كثيرة مثل المهايا وحميان والعمور والاحلاف والشجع وبنى وكيل يحاذيهم فى الجنوب ذوى منيع وأولاد جريس والنواصر والغنامة سكان ناحية بشار ، وبعد ما تفصل قبائل جبال تازة التى بعضها بربرى وبعضها متعرب بين شرق المغرب وغربه تظهر القبائل العربية مع ظهور السهول مثل أولاد الحاج وأولاد جامع والحيانة والودايا بناحية فاس، تجاورهم فى الشمال الغربى القبائل العربية الكبرى التى تحتل سهول الغرب من طنجة الى سلا مثل سفيان وبنى مالك والخلوط وطلق وعامر وحصين ، والقبائل العربية الكبرى الأخرى التى تسكن سهول الشاوية والحوز مثل زعير والشاوية والرحامنة وأحمر ، ومن يحاذيهم شرقاً من قبائل تسكن سهول تادلة مثل بنى خيران وورديفة وبنى عمير وبنى موسى .

اما أقصى الجنوب فهو موطن قبائل المعقل التى منها المنابهة والشبانات والرقيطات والودايا وأولاد دليم وأولاد يحيى وأولاد جرار ومن أكبرها شعب ذوى حسان الذى تنتشر قبائله فوق سهوب أقاليم موريطانيا والساقية الحمراء ووادى الذهب وتوات ، وتصل فى مجالاتها بها الى نهر النجير ونهر السنغال .



## خاتمة

وبعد فهذه نظرة مجملة على جغرافية الوطن المغربى وتاريخه ، ولمحة مختصرة عن اصول سكانه وطبائعهم وعاداتهم فسى معاشهم ، واستعراض لشعوبهم وقبائلهم ومواطن اقامتهم ومجالات نبعثهم ، وقد بذلنا الجهد فسى التحقيق وعملنا الوسع فى ترتيب المواضيع ترتيباً عقلائياً حتى يمكن الرجوع اليها بسهولة للاستفادة أو النقد .

وبذلك ينتهى القسم الأول من هذا الكتاب ، يتلوه القسم الثانى الذى يرتب القبائل المغربية بحسب المواطن التى كانت تقيم بها عند بزوغ عصر النهضة الحديثة فى الثلث الأول من القرن الماضى ، مع بيان بطون كل قبيلة وذكر الأماكن التى توجد بالأرض التى تقيم بها أو تظعن فيها من مدن عامرة وقرى مأهولة ، ودواوير محصنة .

والرجاء فى الحق سبحانه وتعالى أن يهبنا من صحة البدن وثقوب الذهن وصبر النفس ما نستطيع أن نتم به هذا العمل القيم ليتأتى النفع وتعم الفائدة .

انه نعم المولى ونعم النصير .



من مراجع هذا الفصل :

- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام .  
لبطرس البستاني - بيروت 1953
- الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينته فاس .  
لعلي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي - فاس 1303
- الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى .  
لأحمد بن خالد الناصري - الدار البيضاء 1956
- ايلغ قديما وحديثا .  
لمحمد المختار السوسي - الرباط 1966
- البيان المغرب ، في أخبار الأندلس والمغرب .  
لابن عذارى - تطوان 1965 - بيروت 1967
- تاريخ الأدب العربي .  
لأحمد حسن الزيات - القاهرة
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث .  
لمبارك بن محمد الهلال الميلي - بيروت 1963
- جمهرة أنساب العرب .  
لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي - القاهرة 1962
- حياة محمد .  
لمحمد حسين هيكل - القاهرة 1935
- رحلة التيجاني .  
لعبد الله بن محمد التيجاني - تونس 1958
- كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ،  
ومن عاصريهم من ذوى السلطان الأكبر ( تاريخ ابن خلدون ) .  
لعبد الرحمان بن خلدون الحضرمي التونسي - بيروت 1961

- معالم تاريخ الجزيرة العربية .  
لسعيد عوض باوزير - بيروت 1966
- مجموع رسائل موحدية .  
لكتاب الدولة المومنية - الرباط 1941
- المن بالامامة على المستضعفين .  
لعبد الملك بن صاحب الصلاة - بيروت 1965
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب .  
لعبد الواحد المراكشي - سلا 1938
- المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب .  
لعبد الله بن عبد العزيز البكري - باريس 1965
- المفصل في الأدب العربي .  
لجماعة من الأساتذة - القاهرة 1934
- الوسيط ، في تراجم أدباء سنجيط .  
لاحمد بن الأمين الشنقيطي - القاهرة 1958
- شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي .  
لمحمد الفاسي - الرباط 1957

— G. Margars : Les Arabes en Berberie



## الفهارس

- \* المواضيع
- \* الأعلام الجغرافية
- \* الأعلام الانسانية الفردية
- \* الأعلام القبلية والجنسية
- \* الكتب
- \* الخطأ والصواب

# فرسى

## مواضيع الكتاب

محتوى

م	مقدمة المؤلف
I	وطن القبائل المغربية ( نظرة جغرافية عامة )
2	- الاسم
3	- الموقع والحدود
4	- المساحة وعدد السكان
7	- السطح
8	- الجبال
9	- السواحل
9	- الأنهار
10	- الطقس
13	- النبات
15	- الثروات الطبيعية
18	- الصناعة
19	- الميزانيات
20	- التجارة الخارجية
22	- الدخل الكامل
23	- السياحة
23	- الطرق السيارية
24	- السكك الحديدية

صغيرة

- 24 - المراسى
- 24 - المطارات
- الأقسام : ( المغرب الأدنى - المخر الأوسط - المغرب الأقصى )
- 25 .....
- 26 - حب المغاربة للمغرب .....
- 29 - المغرب الأدنى .....

1 ( المملكة الليبية :

- 29 - موقعها وحدودها .....
- 29 - مساحتها
- 29 - سطحها
- 30 - طقسها
- 32 - عدد سكانها .....
- 32 - أقسامها الادارية
- 32 - انتاجها الزراعي
- 33 - ثروتها المعدنية
- 34 - صناعتها
- 34 - تجارتها الخارجية .....
- 35 - طرقها
- 35 - نظامها

2 ( الجمهورية التونسية :

- 36 - موقعها وحدودها
- 36 - سطحها
- 37 - ساحلها
- 38 - طقسها
- 38 - نباتها



مخيفة

39	- عدد سكانها .....
39	- أقسامها الادارية
39	- انتاجها الزراعى
43	- ثروتها المعدنية .....
44	- صناعتها
45	- تجارتها الخارجية .....
47	- طرقها
48	- نظامها
49	- المغرب الأوسط ( الجمهورية الجزائرية ) .....
49	- موقعها وحدودها .....
49	- مساحتها
49	- ساحلها
50	- سطحها
52	- طقسها
53	- نباتها
53	- أقسامها الادارية
54	- سكانها
55	- انتاجها الزراعى
58	- انتاجها المعدنى
59	- انتاجها الصناعى
60	- طرقها
60	- تجارتها الخارجية
61	- نظامها

محتوى

63	المغرب الأقصى ( المملكة المغربية )
63	- موقعها وحدودها
64	- مساحتها
64	- سطحها
66	- طقسها
68	- مياهها
70	- سواحلها
71	- تربتها
72	- نباتها
74	- غاباتها
75	- فلاحتها
77	- حيوانها
78	- صيدها
78	- معادنها
79	- صناعاتها
80	- تجارتها الخارجية
81	- عدد سكانها
81	- أقسامها الادارية
82	- طرقها
82	- أشهر مدنها
83	- نظامها
83	- اقاليمها السلية
89	عصور التاريخ المغربى
	عصر ما قبل الاسلام
90	- دولة قرطاجنة البونيقية

صحيفة

96	- الحكم الرومانى
101	- الحكم الفنندالى
103	- الحكم البيزنطى
105	العصر الاسلامى :
106	- بداية الفتوح العربى لبلاد المغرب ( دول المغرب الاقصى )
115	- الدولة الادريسية
119	- الامارات الزناتية أو المغرب بين المروانيين والعباسيين
123	- الدولة المرابطية
126	- الدولة الموحدية
129	- الدولة المرينية
132	- الدولة الوطاسية
134	- الدولة السعيدية
137	- الدولة العلوية
142	( دول المغرب الأوسط )
142	- الدولة الرستمىة
144	- الدولة الحمادية الصنهاجية
146	- الدولة الزيانية العبد الوادية
151	- الحكم التركى
158	( دول المغرب الأدنى )
158	- الدولة الأغلبية
161	- الدولة المبيدية
165	- الدولة الزيرية الصنهاجية
168	- الدولة الحفصية
172	- الحكم التركى

محتبة

177

العصر الحديث

177 ..... - الجزائر فى العصر الحديث

194 ..... - تونس فى العصر الحديث

210 ..... - ليبيا فى العصر الحديث

219 ..... - المغرب الأقصى فى العصر الحديث

246 ..... - المغاربة القدماء

252 ..... - الهجرات الى المغرب

261 ..... البربر

262 ..... - معنى كلمة بربر

265 ..... - أصول البربر

280 ..... - المجتمع البربرى

292 ..... - أقسام البربر

297 ..... - البربر البتر

301 ..... - البربر البرانس

303 ..... - شعوب البتر

313 ..... - شعوب البرانس

337 ..... - مواطن البربر فى القديم

العرب :

344 ..... - أصل العرب

344 ..... - موطنهم

345 ..... - أقسام العرب

349 ..... - تاريخ العرب قبل الاسلام

353 ..... - المجتمع العربى

361 ..... - محمد رسول الله

367 ..... - بداية الاستيطان العربى بالمغرب

386 ..... - الزحف الثانى الكبير

- 412 ..... أنساب العرب الداخلين الى المغرب وبعض اخبارهم -
- 417 ..... شعوب بنى هلال -
- 424 ..... شعوب المعقل -
- 428 ..... شعوب بنى سليم -
- 432 ..... مواطن القبائل العربية -
- 435 ..... خاتمة -
- 439 ..... الفهارس -



# فهرس

## الأعلام الجغرافية \*

### 1

- آبار حديج 373
- آبار حسان 377
- آسيا ( القارة ) 105 - 248 - 273 - 276 - 279 - 344 - 353
- آسيا الجنوبية 271
- آسيا الغربية 228 - 270 - 271
- آسيا الوسطى 106 - 158
- آيت وريز ( أرض ) 325
- أبراريس ( دوار ) 334
- ابن الكفيف ( دوار ) 316
- الأبناء 362
- أبو رقراق ( وادي ) 10 - 69 - 73 - 100 - 117 - 323
- أبو مدفع ( بومدفع ) 307
- ابيريا ( شبه جزيرة ) 258 - 273 - 275 - 283
- الاتحاد السوفياتي 43 - 217
- أجسا ( جبل ) 346
- أجدايية 215 - 391 - 430 - 433

---

(\*) حذفنا من هذا الفهرس كلمات المغرب ، والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى وإفريقية والجزائر ( القطر ) وتونس ( الفطر ) التي تتكرر كثيراً في صفحات الكتاب .

- أحياد ( مكة ) 363
- أحد كورت 423
- أدرار 227 - 425
- الأراك 409
- الأرال ( بحر ) 270
- الأربص 162 - 395
- الأربعاء ( قرية ) 333 - 334
- أرزيو 24 - 330
- أرشكول 118
- أزموور 134 - 329
- أزغار 322 - 408
- أزفون ( مرسى ) ط الزفون
- الأطلس ( بلاد - جبال ) 1 - 2 - 4 - 8 - 10 - 12 - 14 - 64 -  
67 - 70 - 72 - 73 - 75 - 116 - 247 - 253 - 258 - 276  
329 - 425
- الأطلس التلي 8 - 9 - 50 - 51
- الأطلس الريفى 65
- الأطلس الكبير 65 - 66 - 67 - 69 - 123 - 126 - 134 - 322
- الأطلس المتوسط 65 - 67 - 69 - 73 - 74 - 124 - 312 - 322  
340 -
- الأطلس الصحراوى 8 - 9 - 51
- الأطلس الصغير 66 - 73
- الأطلس الساحلى 8 - 65 - 74
- أُندير 24 - 69 - 71 - 78 - 81 - 86 - 134 - 324 - 326
- أُندير ( حى بتلمسان ) 116
- أُنسلوين 322
- اُلمان سيدى على 10

- اثلين ( جبل ) 66
- ائيدى 425
- الالب ( جبال ) 94
- الازاس 181
- ألمانيا 180 - 188 - 217 - 224 - 225 - 228 - 263
- ألمانيا الغربية 35 - 101
- أم الربيع ( وادى ) 10 - 69 - 117 - 228 - 324 - 406
- أمريكا 43 - 74 - 248
- الأمريكتان 3
- أمزميز 79 - 324
- أمشتيل 425
- أنجرة ( جبال ) 8
- الأندلس 3 - 101 - 114 - 116 - 118 - 121 - 122 - 124 - 125
- 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 133 - 143 - 151 - 159 - 160
- 168 - 170 - 171 - 174 - 249 - 268 - 293 - 296 - 299
- 308 - 310 - 312 - 313 - 315 - 320 - 322 - 323 - 332 - 369
- 379 - 380 - 384 - 385 - 386 - 395 - 396 - 398 - 399 - 400
- 402 - 403 - 406 - 407 - 408 - 411
- انطابلس 107
- انكاد 75 - 137 - 154 - 340 - 427
- أنكلترا 35 - 42 - 43 - 84 - 93 - 212 - 215 - 217 - 222
- 223 - 224 - 226
- أنفا 139
- الأصنام 52 - 53 - 317 - 433
- أصيلة 74 - 118 - 133 - 134 - 138 - 220 - 237 - 383
- أغمات 123 - 124
- الأغواط 137
- أفريقيا 2 - 96 - 97 - 116



- إفريقيا ( القارة ) 3 - 5 - 7 - 47 - 63 - 71 - 104 - 158 -  
212 - 249 - 250 - 262 - 272 - 274 - 275 - 277 -  
أفريقيا الجنوبية 250 -  
أفريقيا الصغرى 2 -  
أفريقيا الغربية 87 - 225 - 227 -  
أفريقيا الشرقية 253 - 276 - 272 - 274 -  
أفريقيا الوسطى 93 -  
أفطوط 425 -  
أفكان ظ فكان -  
أفعال 134 -  
أقبو 319 -  
أسبانيا 5 - 9 - 52 - 63 - 70 - 78 - 83 - 84 - 85 - 86 -  
94 - 95 - 99 - 101 - 115 - 140 - 152 - 153 - 172 - 178 -  
221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 243 -  
249 - 250 - 258 - 277 - 378 -  
اسطنبول 153 - 154 - 155 - 170 - 173 - 176 - 200 - 210 -  
211 - 213 -  
الاسكندرية 107 - 163 - 184 - 240 - 268 -  
اسلام بول 103 -  
أسمر 391 -  
أسنى 327 -  
أسفى 17 - 24 - 68 - 69 - 71 - 78 - 80 - 81 - 82 - 134 - 420 -  
اشبيلية 101 - 128 - 400 -  
الأشكل ( بحيرة ) 10 -  
أشير 122 - 144 - 145 - 165 - 166 - 424 -  
الأودير ( نهر ) 101 -  
أوراس ( جبل ) 8 - 51 - 104 - 111 - 113 - 305 - 318 -  
338 - 339 - 340 - 378 - 418 - 419 -

- أوربا 7 - 36 - 43 - 47 - 69 - 114 - 132 - 140 - 142 -
- 158 - 163 - 195 - 199 - 219 - 222 - 223 - 235 - 247 -
- 248 - 249 - 250 - 257 - 270 - 271 - 273 - 275 - 287 -
- أوربا الجنوبية 10 - 14 - 76 -
- أوربا الغربية 101 - 250 -
- أوربا الشمالية 3 - 93 - 271 -
- أوربا الوسطى 76 -
- اورشليم 259 -
- أستراليا 74 -
- ايجه ( بحر - أرخبيل ) 258 - 275 - 277 - 283 -
- ايطاليا 9 - 35 - 43 - 46 - 93 - 163 - 199 - 212 - 213 -
- 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 256 -
- ايطاليا الجنوبية 93 - 96 - 225 - 228 - 249 - 262 -
- ايكجان 162 -
- إيگلی 64 -
- إيگیدی ( عرق ) 4 -
- ايمفوت 70 -
- ايفيان 192 -
- ايش 225 -

## ب

- باب ايلان ( مراکش ) 327 -
- باب المندب 272 - 352 -
- باب وشماتة 303 -
- بابسل 249 - 259 -
- البابور ( جبال ) 50 - 162 -
- باجة 39 - 46 - 169 - 385 - 394 - 396 -
- بادس ( جزيرة - مدينة مغ ) 5 - 9 - 85 - 243 - 306 -

- بادس ( جزا ) 418
- بادو ( جبل ) 8
- بادية العرب 344
- بادية الشام 273 - 346
- بارباريا ( الولايات الباربارية ) 8 - 262
- باربارياس 263
- باريس 52 - 180 - 182 - 185 - 187 - 199 - 201 - 202 - 209 - 217 - 230 - 231 - 233 - 239 - 242
- باطنة 53
- الباليار ( جزائر ) 153 - 173 - 407
- باماكو 64 - 193
- باني ( جبل ) 8 - 66
- باغاية III - 161 - 318 - 340 - 375 - 377
- بجاية 51 - 57 - 58 - 102 - 127 - 145 - 148 - 149 - 152 - 154 - 257 - 305 - 318 - 321 - 329 - 331 - 334 - 336 - 340 - 395 - 396 - 404 - 406 - 407 - 423
- بجاية ( وادي ) 335
- البحر الأحمر 3 - 254 - 264
- البحر الأخضر 266
- بحر الأندلس 266
- البحر البلطى 101
- بحر الزقاق 8 - 71 - 258
- البحر المتوسط 3 - 11 - 38 - 47 - 52 - 72 - 77 - 85 - 91 - 93 - 94 - 106 - 117 - 118 - 121 - 147 - 148 - 149 - 151 - 155 - 197 - 251 - 256 - 257 - 259 - 260 - 261 - 271 - 272 - 277 - 279 - 308 - 312 - 325 - 329 - 340 - 350 - 425
- البحرين 348 - 357 - 413 - 414 - 415 - 420
- بسدر 365

- برباط ( فحص ) 322
- بربرة 263
- البر تغال 78 - 83 - 85 - 86 - 127 - 135 - 224
- برج بو عريرج 433
- برج منايل 334
- بركة الدم 387
- برنيق 429
- برقة ( ولاية - اقليم ) 3 - 4 - 5 - 25 - 29 - 30 - 31 - 32 - 35
- 93 - 97 - 107 - 108 - 109 - 112 - 113 - 211 - 213
- 214 - 215 - 217 - 218 - 227 - 266 - 268 - 305 - 315
- 338 - 339
- برسة 91
- البرواقية 165
- البريجة 135 - 139
- بريطانيا العظمى 46 - 263 - 218
- بريكة 336
- البريني ( جبال ) 94
- بسزو 285
- بطليوس 124
- بطن ذات عرق 347
- بطوية 330
- بطوية ( ساحل ) 307
- بلاد الاغريق 271
- بلاد البربر 269
- بلاد اليونان 339
- بلجيكا 56 - 224
- بلزمة 161 - 162 - 318 - 340
- بنزرت 24 - 29 - 41 - 43 - 48 - 110 - 172 - 257

- بنغازى 24 - 32 - 35 - 211 - 212 - 213
- بنيادم 215
- بنى بهدل ( سد ) 55
- بنى ملال 82
- بنى مصاف 58
- بنى سنوس ( أرض ) 426
- بنى هلال ( قرية ) 393
- بنى ونيف 225
- بنى يزناسن ( أرض ) 118 - 426
- البصرة ( مغ ) 118 - 167
- البصرة ( عرا ) 373 - 385
- بصرة الذبان 118
- بصرة الكتان 118
- بغداد 159 - 160 - 161 - 164 - 167 - 385 - 388
- بقوية ( ساحل ) 85
- بسكرة 11 - 13 - 56 - 179 - 307 - 419
- بشار 58 - 224 - 225 - 226 - 434
- بهت ( وادى ) 70
- بوردو 239
- بونسة 285 - 287
- بويبلان ( جبل ) 65
- البويرة 331
- البيبان ( جبال ) 50
- البيت الحرام 348
- بيت المقدس 259 - 269 - 357
- بيروت 250 - 255
- بيزانس 103

- بيزنطة 103 - 104

- البيض 11 - 13 - 321 - 331

- البيضاء 32

## ت

- تادلة 69 - 70 - 72 - 75 - 121 - 123 - 124 - 305 - 322  
427

- تادلة ( جبل ) 420

- تارودانت ط رودانة

- تازارين 333

- تازة 25 - 65 - 67 - 82 - 119 - 299 - 306 - 310 - 311 - 312

313 - 322 - 334 - 341

- تاكرارت ( بسيط ) 305

- تاكمدارت 134

- تالا ايفاسين ( دوار ) 319

- تامسنا 117 - 123 - 124 - 322 - 325 - 375 - 408 - 418 -

419 - 420

- تافنا ( وادي ) 10 - 55 - 84 - 118 - 138 - 139 - 156 - 178

220 - 308 - 340 - 434

- تافيلالت 310 - 340 - 375 - 414 - 425

- تاسالة 52 - 310

- تاورغة 377

- تاويرت 130 - 147 - 427

- تبرزق 36

- تبسة 58 - 316 - 433

- تبوعصامت 137

- تجموعت ( قمة ) 8

- التحت ( وادي ) 55

- ترارة ( جبال ) 8 - 118 - 285 - 309 - 340
- تركة ( جبل ) 65
- تركيا 155 - 173 - 195 - 197 - 199 - 212 - 213 - 214 - 215
- تركيست 65
- ترانة ( مدينة ) 118
- ترهونة 303
- تطوان 82 - 83 - 140 - 164 - 222 - 233 - 307 - 310
- 326
- تکرور 374
- تگانت 424
- تکرارت 126
- تلزازه 64
- تلمسان 25 - 50 - 51 - 53 - 54 - 65 - 111 - 115 - 116
- 118 - 120 - 121 - 124 - 125 - 126 - 129 - 130 - 131 - 135
- 137 - 138 - 139 - 140 - 143 - 145 - 147 - 149 - 150
- 151 - 152 - 154 - 166 - 172 - 178 - 192 - 220 - 285
- 308 - 309 - 310 - 311 - 333 - 340 - 374 - 383 - 385 - 394
- 396 - 405 - 414 - 422 - 433
- تلمسان ( جبال ) 8 - 50 - 52
- تمزذکت 147
- تمنطيت 426
- تنس 5 - 122 - 145
- تنسيفت ط نسيفه
- تنومة 418
- تفرسييت 330
- تسابيت 4 - 426
- التشاد 29 - 274
- تهامة 347

- تهودة 112 - 375 - 418
- سنوات 4 - 70 - 224 - 225 - 252 - 310 - 340 - 426 - 434
- توبقال ( جبل ) 66
- توزر 421
- تونس ( مدينة ) 11 - 24 - 25 - 37 - 38 - 39 - 42 - 47 - 91 - 96 - 113 - 153 - 160 - 161 - 163 - 169 - 170 - 172 - 173 - 174 - 175 - 205 - 207 - 208 - 209 - 336 - 378 - 383 - 408 - 418 - 430
- تونس ( خليج ) 36
- تيجيكجة 226
- تيجيس 307
- تيدغين ( جبل ) 65
- تيديكلت 224 - 225 - 415
- تيزي وزو 331 - 334
- تيطري ( جبل ) 165 - 175 - 424
- تيگروان 111 - 374
- تيگريگرة 74
- تيگورارين ظ گورارة
- تيماء 356 - 357
- تيميمون 225
- تينجيس 97 - 98 - 257
- تيندوف 87
- تينملل 127 - 128 - 324
- تيساوت ( وادي ) 69
- تيسموكة ( جبل ) 65
- تيهرت 53 - 111 - 117 - 120 - 129 - 142 - 143 - 162 - 166 - 266 - 309 - 319 - 338 - 340 - 375 - 384 - 385



## ث

- ثنية المعدن 322

- ثنية غنية 419

## ج

- الجابية 106

- جامع الأندلس بفاس 116 - 118 - 122

- جامع حسان بالرباط 128

- جامع الزيتونة بتونس 161 - 171 - 198

- الجامع الكبير بتونس 161

- الجامع الكبير بالقيروان 389 - 408

- جامع الكتبيين بمراكش 128

- جامع القرويين بفاس 116 - 118 - 122 - 410

- جبال بني سمير 225

- جباله ( أرض ) 67 - 69 - 408

- الجبل الأخضر 29 - 31 - 32 - 35

- جبل بني راشد 310 - 395 - 419

- جبل طارق 3 - 49 - 66 - 67 - 71 - 84 - 220 - 223 - 249 -

259 - 273

- جبل الكوكب 402

- جبل موسى 249

- جبل نفوسة 143

- جبل غزوان 412

- جبل وجدة 310

- الجبيلات 65

- الجديدة 68 - 71 - 81 - 82 - 135 - 139 - 220 - 330 - 427

- جريدة 78

- جراوة ( مدينة ) 118

- جربة ( جزيرة ) 9 - 38 - 110 - 153 - 154 - 172 - 174 - 274 - 285 - 286
- الجرجرة ( جبال ) 8 - 50 - 179 - 309 - 433
- جرمانيا 101
- الجرف ( ع ) 108 - 109 - 370 - 371
- الجزائر ( مدينة ) 11 - 24 - 25 - 50 - 51 - 52 - 53 - 57 - 60 - 125 - 127 - 152 - 153 - 155 - 157 - 165 - 177 - 187 - 192 - 193 - 194 - 331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 340 - 396 - 407 - 424 - 428
- جزائر ملوية ط ملوية
- الجزائر الخالدات 9 - 220
- جزائر الهند الشرقية 249
- الجزائر ( دوار ) 336
- الجزيرة الخضراء 80 - 229
- جزيرة العرب 104 - 105 - 106 - 109 - 254 - 268 - 272 - 273 - 277 - 288 - 344 - 345 - 348 - 349 - 350 - 351 - 352 - 353 - 356 - 357 - 366 - 370 - 376 - 380 - 386 - 413
- جكارتا 208
- الجلّاز 199
- جلقة 12 - 428
- جلّولاء 110
- الجم 109 - 110 - 391
- الجمهورية الرومانية 96
- الجمهورية العربية المتحدة 29 - 84
- جندوبة 39
- جندين ( وادي ) 319
- الجنوب العربى 276 - 283 - 346
- جنوة 163

- جنوبيا 98
- جفيوب 35 - 214
- جفارة ( سهل ) 29 - 30 - 34 - 37
- الجوف 350
- جيان 101
- جيتوليا 95 - 253 - 292
- جيغل 97 - 152 - 162 - 318 - 319 - 320 - 321 - 334 - 404
- 433

## ح

- الحاجب ( جبل ) 283
- حاحة ( أرض ) 134 - 420
- حامة دقيوس 408
- حاسي بلال 78
- حاسي البيضاء 193
- حاسي تينجوب 193
- حاسي الرمل 59
- حاسي مسعود 58
- الحبشة 251 - 253 - 254 - 263 - 276 - 283 - 344 - 352 - 357
- حبيبات ( جزيرة ) 9
- الحجاز 137 - 298 - 344 - 346 - 348 - 350 - 351 - 372 - 430
- حجر النسر 116 - 118 - 120
- حجرة بادسي ظ بادسي
- حجرة الجزائر 149
- حجرة نكور ظ نكور
- حران 413

- حرب ( أرض ) 429
- الحرمان الشريفان 167 - 385
- حريب 277
- حلب 389
- حلق الوادى 172 - 173 - 174
- حماة 161
- الحمامات 41
- الحمامات ( خليج ) 38
- حمام ريفه 307
- حمام ملوان 333
- حضرموت 277 - 288 - 346 - 350
- الحضنة 58 - 419 - 433
- الحسيمة 65 - 71 - 82 - 85 - 117 - 321 - 330 - 334 --
- حوران 344 - 357 - 359
- الحوز 124 - 322 - 408 - 434
- حيان ( جبل ) 65
- حيدران ( جبل ) 393
- الحيرة 346 - 350

## خ

- خديجة ( قمة للا ) 8 - 50
- خريبكة 79 - 82
- الخليج البربرى 263
- خليج العرب 363
- الخليج الفارسى 350
- خليج سرت ط سرت
- الخمس 32 - 213
- الخمير ( جبال ) 8 - 36 - 38 - 197

- خنيفرة 69 - 285

- خيبر 356

## د

- الداخلة ( اقليم ) 36 - 229

- الدار البيضاء 11 - 13 - 24 - 25 - 68 - 71 - 78 - 81 -

83 - 139 - 225 - 227 - 233 - 237 - 239 - 241 - 316

- الدار البيضاء ( مطار - ج ) 60

- الدانوب 101 - 263

- الداورة ( وادي ) 10 - 70

- دبندو 321

- درب مسوفة ( تلمسان ) 333

- درن ( جبال ) 4 - 8 - 64 - 267 - 327 - 331 - 335 - 375

- درنة 32 - 213

- درعة 123 - 134 - 137 - 267 - 327 - 341 - 425

- درعة ( وادي ) 8 - 70 - 75 - 113 - 223 - 305 - 326 - 329

375

- دكالة ( أرض ) 66 - 70 - 72 - 75 - 322

- دلس 51 - 145 - 149 - 321

- دمشق 106

- الدنمارك 93 - 224

- الدويرات ( جبال ) 37

- ديان بيان فو 209

## ذ

- ذراع قبيلة ( دوار ) 336

- ذو المجاز 356



- رأس أدار 37
- رأس بوجادور 223
- رأس تالا تينزار ( دوار ) 336
- رأس جوبى 71
- رأس كبدانة 84
- رأس غير 65
- رأس سكين ( دوار ) 314
- رأس شميرتال 71
- الرباط 26 - 66 - 68 - 69 - 79 - 81 - 83 - 100 - 117 - 127
- 128 - 131 - 229 - 232 - 233 - 234 - 238 - 239 - 242 - 271
- 323 - 330 - 333 - 396 - 406 - 407 - 409
- رباط تازة 130
- رباط الفتح ط الرباط
- رباط شاكر 379
- الرجة 215
- رجة الحلفاوين ( تونس ) 175
- الرك 425
- الرملية 160
- الرمشی 426
- رفراف 41
- رقادة 161 - 162 - 163
- رشكون ( جزيرة أرشكول أيضاً ) 19
- رودانة 69 - 326 - 427
- روما 94 - 95 - 96 - 97 - 99 - 100 - 102 - 262
- روسادير 257
- ريدان 350
- الريف ( أرض ) 65 - 112 - 124 - 141 - 184 - 203 - 229 -
- 252 - 307 - 322 - 325 - 330 - 338 - 340

## ز

- الزاب ( ج زيبان ) 55 - 104 - III - 112 - 121 - 160 - 305
- 338 - 340 - 375 - 383 - 394 - 395 - 405 - 418 - 433
- زارزيتن 59
- زاكورة 308
- زالغ ( جبل ) 303 - 332
- زاغر الغربى 10 - 51
- زاغر الشرقى 10 - 51
- الزاوية 32
- زاوية الدلاء 136 - 137 - 138
- زاوية زرهون 118
- زاوية الشيخ حسين السيجومى 174
- زبيد 347
- زرهون ( جبل ) 341
- زرود ( وادى ) 37
- زكار ( جبل ) 58
- الزلاقة 124
- زمور ( أرض ) 74 - 316
- زمورة 331
- الزناثة ( فكك ) 255
- زنزور 429
- زعير ( أرض ) 74 - 323
- زغوان ( جبال ) 8
- الزفون ( مرسى ) 304
- زوارة 311 - 320
- زواغة ( سهل ) 312
- زواوة ( أرض ) 160 - 181 - 220 - 252 - 304 - 307 - 309

- زوسفانة ( وادی ) 70
- الزويتينة 215
- زويلة 305 - 339
- زیان ( بلاد ) 69 - 74
- زیدور ( فحص ) 50
- زیز ( وادی ) 70

## ط

- الطائف 356 - 357 - 412
- طارف مصفلة 418
- طبرق 10 - 35
- طبرقة ( جزيرة ) 9 - 96
- طينة 158 - 162 - 375 - 385 - 395 - 409
- طرابلس ( مدينة - اقليم ) 3 - 4 - 5 - 11 - 14 - 24 - 25 - 26
- 29 - 30 - 31 - 32 - 33 - 35 - 37 - 100 - 102 - 107 - 108
- 109 - 113 - 154 - 155 - 160 - 165 - 173 - 174 - 197
- 199 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217
- 218 - 226 - 261 - 284 - 288 - 299 - 303 - 305 - 306
- 308 - 309 - 311 - 315 - 317 - 320 - 338 - 339 - 369
- 372 - 375 - 376 - 377 - 378 - 393 - 394 - 407 - 416
- 422 - 428 - 429 - 433
- طرابلس الشام 91
- طرطوشة 385
- طرفاية 64 - 71 - 82 - 86 - 223 - 243
- طليطلة 124 - 385
- طنجة 13 - 24 - 47 - 66 - 68 - 71 - 78 - 81 - 82 - 83
- 97 - 98 - 103 - 111 - 113 - 114 - 124 - 127 - 138 - 220
- 221 - 224 - 225 - 227 - 228 - 229 - 237 - 257 - 266 - 267
- 268 - 319 - 320 - 375 - 378 - 380 - 383 - 408 - 423 - 434



- الطواصر ( كدية ) 65

- طولون 157

- طونكة ( بحيرة ) 10

## ظ

- ظفار 350

- الظهرا 14

- الظهرا ( جبال ) 8 - 338

## ك

- الكاريير سنترال 241

- كاليدونيا الجديدة 181

- الكاف 39

- الكاف الأخضر 165

- كبا 316

- كنامة ( أرض ) 74

- كرط ( وادي ) 70 - 329 - 341

- الكرنك 263

- كريغلة 323

- كناريا ( أرخبيل ) 9 - 66

- الكنج 267

- كندا 81

- كندر ( جبل ) 283 - 312

- الكعبة - 352 - 357 - 362 - 364

- الكفرة 35

- كورمسيكا 93 - 94 - 100 - 140 - 242

- كولومب - بشار ظ - بشار

- كومة 93

- الكونغو 228

- الكوفة 373 - 385

- كيس ( وادي ) 63 - 118

## ك

- الكابون 234

- كرينويتش 36 - 49 - 229

- كلالوة ( جبال ) 8

- كندافة ( جبال ) 8

- الكور ( جبال ) 66

- كورارة 425 - 426

- كيكو ( وادي ) 44

- كبر ( وادي ) 64 - 65 - 70

## ل

- لار ( وادي ) 70

- لبد 305 - 339

- لبنان 14 - 26 - 91 - 236

- لكوس ( وادي ) 10 - 69 - 303

- للا مغنية 63 - 221 - 304

- لماية ( قرية ) 309

- لمبيس 111

- لمدية 53 - 157 - 329 - 332 - 340

- لوباري 32

- لوبيا 249 - 251 - 253 - 339

- اللورين 181

- لوكران 192

- ليبيا 2 - 5 - 7 - 8 - 14 - 20 - 21 - 23 - 24 - 29 - 30 - 31  
32 - 33 - 34 - 36 - 47 - 49 - 93 - 191 - 199 - 210 - 211  
211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 241 - 241  
212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 241 - 249 - 251  
- ليكسوس 257

## م

- ما بين النهرين 249 - 375 - 386  
- مأرب 250 - 346 - 350  
- مالقة 85  
- مالي 84 - 87 - 274  
- ماسيليا 95  
- ماسيسليا 95  
- ماهون 173 - 193  
- المتلوي 43  
- متيجة ( سهل ) 9 - 25 - 50 - 179 - 305 - 424 - 433  
- مجردة ( وادي ) 10 - 40  
- مجمع ( وادي ) 25  
- مجنة 356  
- المحمدية ( جزا ) 145 - 163  
- المحمدية ( مغ ) ظ فضالة  
- المحيط الأطلسي 3 - 4 - 6 - 9 - 10 - 12 - 25 - 63 - 65 - 66  
67 - 68 - 69 - 70 - 71 - 86 - 87 - 93 - 95 - 98 - 100  
III - 116 - 125 - 159 - 229 - 247 - 249 - 258 - 261 - 264  
271 - 305 - 322 - 323 - 325 - 329 - 338 - 369 - 415  
- المحيط الهادي 181  
- المحيط الهندي 263  
- المخازن ( وادي ) 221  
- المدحوس ( جبل ) 8

- مدريد 224 - 225 - 243
- مدنين 39
- مدغشقر 209 - 242
- المدينة الحمراء 391
- المدينة المنورة 108 - 110 - 357 - 362 - 365 - 369 - 415
- مديونة ( أرض - جزا ) 426
- مرادة 34
- مراکش 11 - 13 - 26 - 47 - 65 - 68 - 72 - 82 - 83 - 124 -
- 125 - 126 - 127 - 128 - 130 - 134 - 138 - 145 - 147 -
- 169 - 171 - 227 - 239 - 309 - 324 - 325 - 326 - 327 - 328 -
- 332 - 333 - 340 - 396 - 399 - 406 - 408
- المرة ( وادي ) 64
- مرتيل 70 - 71
- المريج 430 - 433
- مرزوق 35
- مر الظهران 356
- مرناق 41
- المرسى 197
- المرسى الكبير 149 - 156 -
- مرسالة ( وادي ) 37
- مرسيليا 232
- المرية 145
- مزاب 274 - 286
- المزمة 65 - 85 - 117 - 330
- مطماطة ( جبال ) 37 - 310 - 339
- مطير ( سد بني ) 40
- مكناس 67 - 68 - 74 - 75 - 82 - 83 - 138 - 234 - 307 - 312

- مكة 115 - 162 - 346 - 347 - 348 - 351 - 352 - 356 - 357 -
- 361 - 362 - 363 - 364 - 365 - 366 - 413 - 430
- مكنون ( جبل ) 66
- ملالة 335
- ملاق ( سد ) 40
- ملوية ( وادي ) 10 - 25 - 65 - 69 - 70 - 84 - 97 - 98 -
- 119 - 120 - 146 - 228 - 229 - 284 - 312 - 338 - 340 - 414
- 424 - 425 - 426 - 434
- ملوية ( جزائر ) 5 - 9 - 84 - 221 - 243
- مليانة 25 - 307 - 329 - 333 - 407 - 433
- مليتة ( سهل ) 9
- مليلية 71 - 82 - 83 - 85 - 141 - 220 - 228 - 243 - 257
- 307 - 330
- المملكة المغربية 5 - 6 - 8 - 43 - 63 - 66 - 68 - 74 - 75 -
- 78 - 80 - 81 - 191 - 224
- ممش 112 - 376
- منداس ( وادي ) 316
- منزل أبي زريفة 41
- المنطقة الاستوائية 353
- المنصورة ( تلمسان ) 130 - 148
- المنصورية 163 - 164 - 166
- منصورية ( جزيرة ) 9
- منف 252 - 254
- المنستير 27 - 38 - 43 - 48
- منوبة 41
- المصامدة ( جبال ) 126

- مصر 28 - 102 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 -
- 159 - 162 - 164 - 166 - 184 - 212 - 214 - 215 - 216 -
- 226 - 249 - 251 - 252 - 253 - 259 - 266 - 267 - 268 -
- 272 - 273 - 275 - 288 - 303 - 308 - 339 - 345 - 350 -
- 368 - 369 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 -
- 379 - 381 - 385 - 413 - 420 - 430
- مصر العليا 213
- مصر الجنوبية 276
- مصراتة 211 - 214
- 159 - 162 - 164 - 166 - 184
- المعدنوس ( جزيرة ) 9 - 223
- معسكر 120 - 433
- المعمورة 73 - 136 - 220
- معين 350
- مغر 429
- مغنية ( للا ) ط للا مغنية
- مقرين 43
- مستغانم 53 - 154 - 433
- مسجد المهدي بتينملل 324
- مسجد عقبة ( القيروان ) 161
- مسراتة 35 - 316
- مسكيانة 113
- مسكيانة ( وادي ) 377
- مسلانة 214 - 317 - 328
- مسقط 276
- المسون 112
- المسيلة 163 - 164 - 319 - 329 - 336 - 340 - 375 - 395 - 409
- مشرع حمادي 70

- مشرع الكلية 70
- مشرية 57
- المشور ( تلمسان ) 154
- المهديّة ( تو ) 38 - 127 - 154 - 163 - 164 - 167 - 394 - 397
- 408
- المهديّة ( مغ ) 69 - 128 - 138
- موريتانيا 5 - 84 - 87 - 95 - 96 - 97 - 98 - 224 - 434
- موريتانيا الطنجية 98 - 99 - 102 - 292
- موريتانيا القيصريّة 98 - 292
- مولاي يعقوب 79
- موسى ( جبل ) 65
- موسى وصالح ( جبل ) 65
- ميلّة III - 162 - 167 - 318 - 340
- الميلية 321
- مينا ( وادي ) 305
- ميورقة 268
- المية ( وادي ) 10

## ن

- نابل 39 - 41
- نابولي 195
- الناظور 80 - 82
- الناموس ( وادي ) 10
- نافارين 176
- نجد 292 - 346 - 347 - 348 - 415
- نجران 357
- النجير 29 - 261
- النجير ( نهر ) 334

- نخلة 350
- ندرومة 118 - 178 - 285 - 426
- النرويج 224
- نكور ( حجرة ) 5 - 9 - 85 - 117 - 120 - 243 - 384
- النمسا 224
- نفاوة ( أرض ) 306
- نفزة 43
- نفوسة ( جبل ) 4 - 8 - 29 - 37 - 429
- النفيضة 208
- نفيس ( وادي ) 70
- نسيغة ( وادي تنسيغت أيضاً ) 69 - 75 - 324
- نقاوس 318 - 340
- النوبة ( بلاد ) 288
- نوميديا 95 - 97 - 104 - 258 - 292
- النيل 3 - 4 - 167 - 253 - 271 - 305 - 368 - 391 - 413
- نينى ( وادي ) 113 - 377

## ص

- صبراتة 107
- صبرة 107 - 163 - 308
- الصحراء 2 - 7 - 10 - 13 - 14 - 37 - 39 - 49 - 51 - 58 - 59 - 63 - 66 - 67 - 70 - 72 - 74 - 114 - 123 - 124 - 127 - 137 - 143 - 188 - 208 - 214 - 234 - 255 - 257 - 280 - 286 - 287 - 293 - 299 - 309 - 315 - 330 - 332 - 333 - 335 - 395 - 396 - 414 - 419 - 433
- الصحراء الجزائرية 182
- صحراء الجزيرة العربية 400
- الصحراء الكبرى 273 - 329 - 341
- الصحراء الليبية 107 - 261



- صحراء المغرب الأقصى 414
- الصحراء المغربية 182 - 255 - 311 - 317 - 390
- الصخيرة 59
- صرصر ( جبل ) 320
- صرواح 350
- صنداي 102 - 257
- صنعاء 350
- صفرو ( جبل ) 8 - 66 - 79
- الصعيد ( مصر ) 390 - 400 - 411 - 413 - 416
- صفاقس 24 - 38 - 39 - 41 - 43 - 96 - 197 - 305 - 327
- صفرو 307 - 309 - 310 - 312
- صقلية 3 - 93 - 94 - 102 - 128 - 159 - 161 - 165 - 256 -
- 268 - 315 - 376 - 378 - 387
- صقلية ( مضيق ) 9 - 36
- الصوادي ( دوار ) 311
- صور 91 - 92 - 93 - 257
- الصومال 263
- الصويرة 11 - 68 - 69 - 71 - 79 - 81 - 121 - 139 - 324
- 427
- الصويرة ( جزيرة ) 9 - 221
- صيدا 91
- الصين 159

## ع

- العباد ( حومة بتلمسان ) 147
- العباسية 143 - 159
- عبدة 66 - 70 - 72 - 75
- عدن ( خليج ) 263

- العبيد ( وادي ) 69 - 70
- العرائش 69 - 71 - 136 - 138 - 220 - 257 - 423
- العراق 160 - 254 - 255 - 344 - 346 - 348 - 371 - 385
- عرفة 356
- عرق ايكيدى ظ ايكيدى
- العرق الغربى الكبير 4
- العرق الشرقى الكبير 4
- عرق شيش 4
- العريش 106
- عكاظ 356
- عمان 346 - 357
- العمور ( جبال ) 8 - 51
- عمى موسى 312
- عنابة 24 - 51 - 54 - 100 - 102 - 103 - 146 - 149 - 173 -
- 257 - 287 - 308 - 317 - 318 - 319 - 333 - 340 - 394
- 418 - 430 - 433
- عنابة ( سهل ) 50
- عنتر ( جبل ) 64
- العفبة 255
- العقبة الكبيرة 431
- العقبة الصغيرة 431
- العقل 425
- عقوبة ( حصن ) 109
- عوثيقة 98
- العوينة ( مطار )
- العياشى ( جبل ) 66 - 67
- عين اسحاق 120
- عين بسام 331 - 332

- العين البيضاء 320 - 433
- عين الدراهم 38
- عين الدنيا 50
- عين ماضى 137
- عين صالح 223
- العين الصفراء 225 - 419
- عين فكان ظ فكان
- العميون 86

## غ

- غات 35
- غار حراء 364
- الغال ( بلاد ) 93 - 99 - 101
- غدامس 4 - 35 - 299 - 311 - 338
- الغرب 9 - 65 - 66 - 75 - 322 - 408 - 420 - 423 - 434
- غرناطة 101 - 133
- الغرغار ( وادى ) 10
- غريان 32 - 215 - 317 - 429
- غريب ( سد ) 55
- غريبو 418
- غريس ( سهل ) 9
- غريس ( وادى ) 70
- غزوة 352
- الغزوات 24 - 221
- غزوان ( جبل )
- غليزان 55 - 147 - 331
- غمارة ( جبال ) 8 - 329
- غمر ذى كندة 347

- غمسانة ( مرسى ) 307 - 330

- غيس ( وادى ) 70

## ف

- فارس 259 - 352

- فاندلوسيا 101

- فاس 26 - 27 - 65 - 66 - 67 - 68 - 69 - 74 - 75 - 79 - 82

- 116 - 117 - 118 - 120 - 121 - 122 - 124 - 125 - 133 -

138 - 139 - 141 - 144 - 146 - 164 - 166 - 167 - 222 - 224 -

239 - 303 - 307 - 310 - 331 - 312 - 314 - 316 - 320 - 322 -

331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 384 - 385 - 395 - 397 - 410 -

414 - 224 - 423 - 434

- فاس الجديد 130 - 228 - 229

- فج مزالة 321 - 335

- فنج 115

- فذك 357

- الفرات 344

- فرنسدة 434

- فرنسا 35 - 43 - 45 - 46 - 56 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 76 -

78 - 81 - 83 - 84 - 86 - 93 - 99 - 101 - 140 - 156 -

157 - 170 - 176 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 -

185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191 - 192 - 193 -

195 - 197 - 198 - 200 - 201 - 202 - 204 - 205 - 206 -

207 - 208 - 209 - 212 - 217 - 218 - 220 - 221 - 222 -

223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 232 - 234 -

235 - 236 - 238 - 239 - 240 - 242 - 243 - 249 - 284

- فزارة ( بحيرة ) 308

- فزاز ( جبال ) 124

- فزان 4 - 5 - 23 - 25 - 29 - 30 - 33 - 34 - 35 - 214 -

217 - 218 - 429

- فكان 120

- فكيك 63 - 225 - 255 - 331
- فلسطين 81 - 181 - 256 - 267 - 270 - 278 - 297 - 298
- 344
- فم الغررة 56
- فنيقيا 91 - 93 - 255 - 271 - 278
- فضالة أو ( المحمدية ) 24 - 71 - 78 - 79 - 81 - 139 - 307
- الفضة ( وادي ) 55
- القسطاط 373 - 385
- فونتي ( حصن ) 134
- فيردوست ( جبل ) 66
- الفيستولا ( نهر ) 101
- الفيوم 163

## ق

- قابس 24 - 47 - 59 - 109 - 198 - 305 - 394 - 397 - 407
- 422 - 428 - 430 - 433
- قابس ( خليج ) 38 - 39 - 43
- قادس 86
- القالة 52 - 157
- قالمة 96 - 100 - 334 - 428
- القاع 425
- القاهرة 167 - 190 - 191 - 207 - 218 - 387
- القدس 385
- قرطاجنة 90 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 98 - 100 -
- 102 - 103 - 104 - 105 - 111 - 113 - 257 - 259 - 377
- قرطاجنة ( اسبانيا ) 101
- قرطبة 164 - 385 - 400
- القرن 373

- القرن الإفريقي 274
- قرنا 350
- القرضابية 214
- قرقنة ( جزائر ) 9 - 38
- قزوين ( بحر ) 270
- القل 52 - 318 - 340
- قلعة بني حماد - 144 - 146 - 166 - 336 - 340 - 393 - 395 -
- 419 - 409 - 396
- قلعية ( أرض ) 70
- قعودة 109
- قمونية 27 - 109
- القنادسة 58
- القنصرة ( سد ) 70
- القنيطرة 69 - 71 - 81 - 82 - 423 - 427
- القصاب 419
- القصارين 39 - 198
- قصبه تونس 160 - 161 - 169 - 173 - 174 - 175
- قصر أميون ببجاية 145
- قصر باردو 174 - 197
- قصر البديع بمراكش 135
- قصر حسان 305 - 339
- قصر دار الباي بتونس 175
- قصر دار السلام بقلعة بني حماد 145
- قصر دنهاجة 320
- القصر الكبير 135 - 314 - 320 - 420
- قصر الكوكب بقلعة بني حماد 145

- قصر اللؤلؤة ببجاية 145
- قصر الملك بقلعة بنى حماد 145
- قصر المنار بقلعة بنى حماد 145
- قصر منوبة 175
- قصر عبد الكريم 320
- القصر العتيق ( مراکش ) 406
- القصر القديم 161
- قصر قرطاجنة 209
- قصر السوق 82
- القصور ( طرا ) 213
- القصور ( جبال ) 8 - 37 - 51
- قصور كتامة 320
- قفط 254
- قفصة 39 - 43 - 407
- القسطنطينية 103 - 114
- قسنطينة II - 25 - 37 - 51 - 53 - 54 - 102 - 103 - 127 -
- 146 - 147 - 157 - 162 - 172 - 179 - 181 - 185 - 186 - 189
- 306 - 318 - 319 - 320 - 321 - 395 - 396 - 399 - 407 - 418 -
- 428 - 433
- قسطنطينية 383 - 394
- قوصرة ( جزيرة ) 9
- القيروان 37 - 39 - III - 113 - 144 - 148 - 159 - 160 -
- 162 - 163 - 166 - 167 - 172 - 173 - 197 - 266 - 307
- 339 - 374 - 375 - 376 - 377 - 378 - 380 - 383 - 384 - 385
- 387 - 392 - 393 - 394 - 397 - 405 - 408 - 409 - 421

## س

- الساحل 37 - 38 - 41 - 172 - 394
- الساحل ( سهل ) 9

- سارنو ( وادی ) 55
- السانية ( مطار ) 60
- الساقية الحمراء 5 - 86 - 223 - 229 - 243 - 434
- الساورة ( وادی ) 10 - 54 - 70 - 311
- سايس ( سهل ) 9 - 75
- سبأ 350
- سبتة 5 - 65 - 71 - 82 - 83 - 95 - 99 - 103 - 113 - 117
- 121 - 124 - 131 - 138 - 141 - 164 - 166 - 222 - 243
- 249 - 319 - 380 - 383 - 385
- سبرت 107
- سبها 32 - 35
- سبو ( وادی ) 10 - 66 - 69 - 73 - 75
- سبيطلة 37 - 150 - 109 - 110 - 371 - 372
- سجلماسة 113 - 117 - 123 - 136 - 137 - 162 - 164 - 219
- 266 - 307 - 311 - 322 - 340 - 341 - 384 - 385 - 425
- سخالين ( جزيرة ) 271
- سراة عسير 347
- السراغنة ( أرض ) 324
- سرت 35 - 36 - 391
- سرت ( خليج ) 4 - 14 - 30 - 32 - 93 - 249
- سرت ( صحراء ) 34
- سردانية 94 - 102 - 195 - 263 - 268
- سطات 82 - 316
- سكانديناfia 208
- سكرة 41
- سكوما 381
- سكيكدة 319 - 333
- سطيف 54 - 162 - 189 - 304 - 318 - 319 - 320 - 340 - 396



- سلا 25 - 69 - 122 - 131 - 146 - 323 - 396 - 408 - 423 - 434
- سلاطة 53
- سلامين 93
- السلمية 161
- سلفات ( جبل ) 79
- سلوق 216
- سمير 71
- السند ( نهر ) 263 - 270
- السنغال 87 - 220 - 261 - 274 - 425
- السنغال ( وادي ) 123 - 226 - 434
- سعيدة 54 - 57 - 434
- سعيدة ( جبال ) 8 - 146
- السعيدية 71
- سوتول 96
- السودان 4 - 29 - 123 - 124 - 125 - 135 - 258 - 266 -
- 273 - 287 - 329 - 332 - 429
- سور الغزلان 433
- سوريا 95 - 116 - 161 - 184 - 236 - 253 - 256 - 271 -
- 272 - 273
- سوماته ( أرض ) 118
- سوماج ( وادي ) 10
- سوق أربعاء الغرب 423
- سوس 123 - 134 - 137 - 138 - 268 - 274 - 286 - 308 -
- 322 - 324 - 326 - 327 - 331 - 332 - 341 - 420 - 424 - 425
- 427
- سوس ( وادي ) 69 - 115 - 121
- السوس الأقصى 266 - 267 - 299 - 375
- سوسة 38 - 39 - 43 - 103 - 110 - 163 - 257

- السويد 224
- السويس ( خليج ) 254 - 272
- سويسرا 56
- سيدى ابراهيم ( ج ) 178
- سيدى بلعباس 120
- سيدى بلعباس ( سهل ) 58
- سيدى حرازم 79
- سيدى حمودة ( دوار ) 311
- سيدى عقبة 112
- سيدى غانم 79
- سيدى فرج ( شبه جزيرة ) 157
- سيدى قاسم 70 - 79 - 427
- سيدى سليمان 70
- سيدى يبنى 5 - 86 - 222 - 229 - 243
- سميرتة 103
- سيروة ( جبل ) 66
- سميراريا 98
- السنين 185
- سينا ( صحراء ) 106

## ش

- شالة 121
- الشام 91 - 93 - 150 - 160 - 162 - 183 - 254 - 257 - 268 - 269 - 273 - 278 - 282 - 297 - 344 - 345 - 346 - 350 - 351 - 356 - 357 - 362 - 363 - 376 - 385 - 386 - 413
- الشاوية ( أرض ) 9 - 66 - 72 - 75 - 228 - 322 - 323 - 434
- الشراط ( وادى ) 228

- الشركة ( دوار ) 311
- الشرق 26
- الشرق الأوسط 258 - 270
- شرشال 51 - 98 - 149 - 306 - 317
- شريك ( شبه جزيرة ) 111
- شريش 400
- شط الجريد 10 - 37 - 42 - 305 - 306 - 338 - 339 - 383 -
- 407 - 408 - 421 - 433
- شط حميان 10 - 51
- شط الحضنة 29 - 30 - 34 - 37 - 104
- الشط الغربي 10 - 51
- شط العرب 273
- شط الغرسة 37
- شط فجاج 37
- الشط الشرقي 10 - 51
- شلف 9 - 124 - 143 - 145 - 267 - 310 - 333 - 338 - 340 -
- 433
- الشلية ( قمة ) 8
- شمامة 425
- شنترين 127
- شنكيط 87 - 224 - 252 - 425
- شنعار 255
- الشعباني ( جبل ) 36
- شعبة اللحم 152
- شفشاون 65
- شيشاوة 285

## هـ

- الهبط ( جبال ) 307 - 317 - 408
- هبونة 100 - 102 - 103 - 257
- هرك ( شبه جزيرة ) 330
- هكار 51 - 280 - 318
- الهند 159 - 253 - 254 - 267 - 356
- هنين 149 - 426
- هولاندة 35 - 224
- هيمار 93 - 94

## و

- وادى البلاء 377
- وادى الذهب 5 - 86 - 223 - 229 - 243 - 425 - 434
- وادى زا ( صاع ) 426
- وادى زم 79
- وادى الزناتى 433
- الوادى الكبير 97 - 333
- وادى اللبن 334
- الوادى المالح 152
- وادى المخازن 135 - 136
- وادى العذارى 377
- وادى القرى 356 - 357
- وادى السفلات 332
- والنسيفن ( وادى ) 323
- وجلة 63 - 75 - 82 - 83 - 121 - 122 - 130 - 137 - 147 -
- 178 - 220 - 227 - 321 - 426
- ودان 35 - 429

- ورزازات 82 - 311 - 325 - 327 - 331 - 333 - 335
- ورثلة 339
- ورغة ( وادي ) 314 - 317 - 325 - 331 - 335
- وزان 285 - 303 - 322 - 332
- وطن زناتة 311
- الوطن القبلي 41
- الولايات المتحدة الأمريكية 35 - 43 - 79 - 139 - 156 - 184 -
- 207 - 208 - 217 - 218 - 224
- ولماس 79
- وليلي 101 - 118 - 375
- الوزنة 58
- ونشريس ( جبال ) 8 - 50 - 52 - 121 - 145
- ونيف ( بنى ) 64
- وهران 11 - 24 - 51 - 53 - 54 - 60 - 67 - 120 - 121 -
- 125 - 139 - 145 - 148 - 149 - 152 - 154 - 156 - 179
- 192 - 194 - 305 - 312 - 313 - 316 - 423 - 330 - 340 - 433
- وهران ( سهل ) 50
- الويدان ( بين ) 70

## ى

- يشرب 346 - 356 - 357 - 365
- يداس ( وادي ) 321 - 334
- يدوغ ( جبل ) 8
- يزناسن ( جبال بنى ) 69 - 70
- اليمن 105 - 253 - 254 - 266 - 269 - 272 - 275 - 276 - 277 -
- 278 - 314 - 344 - 345 - 346 - 347 - 350 - 351 - 356 -
- 357
- اليمن الجنوبي 274

- ينبوع النخل 134 - 137 - 219
- يفتى ظ سیدی يفتى
- يسر ( قرية ) 335
- يسر ( وادی ) 308 - 332 - 333
- يسر الويدان ( دوار ) 331
- يسلي ( وادی ) 66 - 140 - 142 - 178 - 221 - 222
- يسوماتن ( قرية ) 307



## فهرس

### الأعلام الانسانية الفردية

#### ا

- آدم 384
- آمنة بنت وهب الزهرية 361 - 362
- ابراهيم بن تاشفين 125
- ابراهيم الخليل 347 - 357
- ابراهيم الشريف ( الآغا ) 174
- أبرهة الحبشى 352
- ابن حبيب 28
- ابن حرب 400
- ابن حزم 306 - 316 - 320
- ابن حمادو البرنسى السبتي ( محمد ) 27
- ابن خلدون ط عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي
- ابن الرومي 28
- ابن الكلبي 318 - 328 - 414 - 429
- ابن مأكولا 430
- ابن النحوى 328
- ابن صاحب الصلاة ط عبد الملك بن صاحب الصلاة
- ابن عبد الحكم 339
- ابن عذارى 382
- ابن عمران التتملى ( القاضى ) 397

- ابن عياش 404
- ابن غانية
- ابن سعيد 28
- أبو بكر بن الطفيل 403
- أبو بكر الصديق 104 - 106 - 387
- أبو البهار الصنهاجى 121
- أبو الجليل بن شاكر 396
- أبو جعفر بن عطية 396
- أبو حمارة ظ الجيلالى اليوسفى الزرهونى
- أبو حفص ظ عمر بن يحيى الهنتاتى
- أبو الحسن الأشعرى 81 - 129 - 386
- أبو حسون ظ على بن محمد الشيخ الوطاسى
- أبو ذر الغفارى 371
- أبو ركوة 413
- أبو زكرياء الحفصى ظ يحيى بن عبد الواحد الحفصى
- أبو زمعة البلوى 371
- أبو زيان الاول العبد الوادى ( السلطان ) 148
- أبو زيان الزعاطشى ( القائد ) 179
- أبو طالب بن عبد المطلب 362 - 363
- أبو مدين الهوارى 62
- أبو مسعود 394
- أبو المهاجر دينار ( مولى مسلمة بن مخلد ) 111 - 112 - 374 - 375 - 379
- أبو عبد الله بن أبى المجد 327
- أبو عبيد البكرى ظ عبد الله بن عبد العزيز البكرى
- أبو عمارة 182
- أبو عمران الفاسى 332
- أبو العيش بن القاسم كنون الادريسى 116



- أبو القاسم القالبي 397
- أبو سعيد بن أبي حفص 408
- أبو يعقوب البادسي 306
- أجانا بن يحيى بن ضريس ( أبو زناتة ) 310 - 311
- الأجدابي 429
- أحمد باي 176
- أحمد البدوي 182
- أحمد بن عبد السلام الغفجومي الجراوي 400 - 401
- أحمد بن علي الجرجرائي 388 - 390
- أحمد بن سيد اللص الاشبيلي 398
- أحمد بن مصلي التلمساني ط. مصالي الحاج
- أحمد بوضربة 183
- أحمد حسن الزيات 360
- أداس 315 - 303
- أدريان بلت 218
- ادريس الأول ملك ليبيا 35 - 215
- ادريس الأول بن عبد الله الكامل 115 - 159 - 312 - 341 - 379 - 386
- ادريس الثاني بن ادريس الأول 115 - 116 - 118 - 379
- ارم بن سام 345
- ألفونس جوان ط. جوان ( المرشال )
- ألفونسو كونت دي برسيلوس 85
- ألفونسو السادس 124
- اليسع بن مدرار 162
- امرؤ القيس 347
- أملكار 94
- أنوشروان 346
- أصناك بن برنس ط. صنهاج بن برنس
- أفريقش 318

- اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة 368
- اسحاق الوردى ( الأوردى ) 114
- أسد روبال 95
- أسرباس 91
- اسماعيل بن ابراهيم 347 - 358
- اسماعيل بن عبيد الله المخزومى 379
- اسماعيل بن الشريف العلوى ( السلطان مولاى ) 316
- الأشعرى ظ أبو الحسن الأشعرى
- أورب بن برنس ( أبو وربة ) 313
- أورناياس 104
- أورينغ بن برنس ( أبو وريفة ) 314 - 315 - 303
- أوغسطين ( القديس ) 100
- أيلان بن بر بن قيسى بن عيلان 327
- أيلان بن مصمود ( أبو هيلانة ) 327

## ب

- البادسى ظ أبو يعقوب البادسى
- بختنصر 93 - 259 - 269
- بدر بن سرحان 413
- بربر بن كسلوجيم بن مصراييم بن حام 266
- بر بن قيسى عيلان 269 - 295 - 297 - 298 - 300 - 368
- برنس بن سفجو 295
- بروكلمان 256
- بريم ( الخنرال ) 222
- بطوليمى 97
- البكرى ظ عبد الله بن عبد العزيز البكرى ( أبو عبيد )
- بلات 182
- البلاذرى 368

- بلقيس 350
- بلقين بن زوى 296 - 332 - 333
- بليسى ( المرشال ) 238
- بسر بن أوطاة 107 - 371
- البشير الابراهيمى 186
- البهاء بنت دهمان 297
- بوانكارى 184
- بوكوس الاول 76 - 77
- بوكوس الثانى 97
- بونصو 232
- بونيفاس ( الكونت ) 99 - 101
- بوغود 97
- بوفير 254
- بوسكى 262
- بيجو ( المرشال ) 220 - 238
- بيگيدير 233
- بيلاسيدية 99
- بيليزير 103
- بيغماليون 91 - 257
- بيغن 218
- بيسمارك 181
- بييدرو نافارو ( القائد ) 85

## ت

- تافاريناس 97
- تاشفين بن على اللمتونى ( السلطان ) 125
- ترغاش بن ولهاص بن يطففت بن تفزاو 308
- تليد مولى عبد العزيز بن مروان 376

- تماضر 297 - 298
- تمرغ بنت مجدل 297
- تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبت 309
- تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ( الأمير ) 167 - 394
- تميم اليفرنى ( الأمير ) 122 - 323
- التهامى المزوارى الكلاوى ( الباشا ) 239
- تومس ( الفرعون ) 255
- تيمتوس ( الإمبراطور ) 259
- التيجانى 429
- تيصكى العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبت 315 - 328

## ث

- ثمال بن صالح 389
- الثعالبي ط عبد الرحمان الثعالبي
- ثعلب بن سحير 424

## ج

- الجازية بنت سرحان 411 - 413
- جالوت 278 - 266 - 268 - 269 - 278
- جبارة بن مختار 390
- الجراوى ط أحمد بن عبد السلام الجراوى
- الجرجرائى 27
- جرجير 104 - 105 - 109 - 110 - 371 - 372
- جرجى زيدان 149
- جرجيس 262
- جزول ( أبو جزولة ) 267
- جليمير 102 - 103
- جمال الدين الأفغانى 198

- جناحه 110
- حنصريق 99 - 102
- جعفر بن أبي طالب 414 - 424
- جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن 420
- جوان ( الجنرال ألفونس ) 207 - 238 - 240
- جوانفيل (الأميرال ) 221
- جوبا الثاني 97
- جولييان ( الكونت ) ط يولييان الغماري
- جونو ( الأميرة ) 91 - 257
- جوستينييان 102 - 104
- جوهر الصقلي 117 - 121 - 164
- جيراردان 232
- الجيلالي اليوسفي الزرهوني ( أبو حمارة ) 225 - 226 - 228

## ح

- الحاج عمار 183
- الحارث بن الحكم 109 - 371
- الحارث بن عبد العزى 362
- الحارث بن عمرو 346
- الحاكم بأمر الله الفاطمي 413
- حام بن نوح 248 - 250 - 260 - 265
- حامد بن حمدان الهمداني 120
- حباس بن مشيفر 396
- حباسة بن يوسف ( القائد ) 163
- الحبيب بورقيبة 48 - 204 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210
- حذيفة بن بدر الذبياني 254
- الحلبي ( أبو عبد الرحمان ) 27
- حليلة السعدية 361
- حماد بن بلغيين الصنهاجي ( الأمير ) 144 - 166 - 366

- حمامة بن المعز بن عطية المفراوى 122 — 144
- حمودة باشا بن مراد ( الباي ) 174
- حمودة بن علي ( الباي ) 175
- حميد بن يصليتن الكتامي 120
- حنش بن عبد الله الصنعاني 112 — 375
- حنو ( الوزير ) 254
- حسان بن ثابت 345
- حسان بن النعمان 113 — 376 — 377 — 378 — 379 — 380 — 381
- حسن أغا 153 — 154
- الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان العلوى ( السلطان — مولاى ) 140 —
- 141 — 223 — 224 — 225
- حسن باشا بن خير الدين 154
- الحسن بن دواس الكتامي 388
- احسن بن محمد الادريسي ( الحجام ) 120
- الحسن بن كُسنون 116 — 121 — 164
- الحسن بن محمد العلوى ( الأمير — مولاى ) 227 — 238 — 242
- الحسن بن المهدي العلوى ( الأمير — مولاى ) 237 — 238
- الحسن بن عبد الله الزباني ( السلطان ) 149 — 154
- الحسن بن علي اليازورى 167 — 389 — 390 — 394 — 413 — 416
- الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجى ( الأمير ) 167
- الحسن بن قاسم العلوى ( الداخل ) 137
- الحسن بن سرحان 394 — 413 — 418
- الحسن الثاني 83 — 193 — 243
- حسن قورصو 154
- الحسين آيت أحمد 190
- حسين باشا بن محمود باشا ( الباي ) 176 — 194
- حسين بن علي ( الأغا ) 174 — 175
- الحسين بن علي بن أبى طالب 161

- حسين داي ( آخر ولاية الترك بالجزائر ) 157 - 177
- حيدر باشا 173

## خ

- خالد الادريسي الهاشمي ( الأمير ) 184 - 187
- خالد بن يزيد القيسي 113
- خبور بن المثنى 314
- خراج بن مطرف بن عبيد الله ( أبو خراج ) 426
- خديجة بنت خويلد الأسدية 363 - 364
- خزرون الزناتي 166
- خليفة اليفرني ( أبو سعدي ) 394
- الخضر بن عامر 421
- خويلد بن خالد ( الشاعر أبو ذؤيب ) 371
- خير الدين ( القائد ) 152 - 153 - 154 - 172
- خير الدين أغا 194
- خير الدين باشا ( الوزير ) 196
- خيملكن 93

## د

- دالكاوديتي ( الكوندي ) 154
- داوود ( النبي ) 255 - 268 - 269 - 278 - 363
- دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر ( أبو دباب ) 428
- دراس بن اسماعيل 27
- درغوث باشا 154
- الدقي ( أبو مسلم ) 27
- دهمان بن عيلان 297
- دهييا بنت ماتيت بن نيفان ( الكاهنة ) 377
- دواس بن صولات ( أبو حميد ) 319

- دوبرا 267
- دوبرفال شارل ( القنصل ) 196
- دوگول ( الجنرال ) 188 — 192
- دولس 182
- دونات ( الراهب ) 102 — 287
- دوناس بن حمامة المغراوي 122
- دي بورمون ( الجنرال ) 177
- ديلكاسي 226
- ديفال ( قنصل فرنسا ) 157

## ذ

- ذو الجدين الشيباني 254
- ذو نواس الحميري 350
- ذو القرنين III

## ر

- راشد ( مولى ادريس الاول ) 114
- الرباب بنت حيدة 297
- ربيعة بن كلب 424
- رمادي 238
- رمضان السويحلي 214
- رمسيس الثاني 263
- رضوان بن عبد الملك ( أبو نعيم ) 137
- الرشاطي 429
- رشيد رضا 230
- رشيد بن الشريف العلوي ( السلطان ) 138
- رود 294
- رومالوس 96



- رويفع بن ثابت 371
- رياح بن أبي ربيعة بن نهيك 421
- الريان بن الوليد 254
- ربحان المكناسي 120
- رينيو 228

## ز

- زانا ظ أجانا ( أبو زناقة )
- زايد بن لوا الاصغر 340
- الزبير بن المهايا 421
- الزبير بن العوام 421
- زحيك بن مادغيس الأتر 297 - 303
- زعب الاصغر بن زعب الاكبر بن جرو بن مالك 430 - 433
- زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك ( أبو زغبة ) 422
- زهير بن قيس البلوي 112 - 113 - 375 - 376
- زياد بن أبيه 294
- زيادة الله بن الأغلب 159 - 160 - 161 - 162
- زيدان بن احمد المنصور السعدي ( السلطان ) 135
- زيري بن مناد الصنهاجي 165
- زيري بن عطية المغراوي 121 - 166 - 395

## ط

- طارق بن زياد الليثي 114 - 374 - 380 - 400
- طالوت ( شاوول ) 255
- الطبري ط محمد بن جرير الطبري
- طراخان 98
- الطيب العقبي 186

## ظ

- الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي ( الخليفة ) 27 - 387 - 388

## ك

- كارل ولهم لخماني 276
- كارلوس الخامس 153 - 172
- كافينياك ( الجنرال ) 238
- الكاهنة 113 - 377 - 378 - 380
- كتام بن برنس ( أبو كتامة ) 302
- كحول بن دالي ( المفتي ) 187
- كريميو 181
- كطوط بن لوا الأصغر 304
- كلثوم بن عياض 383
- كلوديوس 97 - 98
- كلوزيل ( المرشال ) 194
- كنزة الوردية ( زوجة ادريس الأول ) 116
- كنعان بن حام 256 - 270
- كسافيي كابولاني 226
- كسلان بن خليفة بن لطيف 418
- كسيلة 111 - 112 - 374 - 375 - 376
- كشك محمد ( الاميرال ) 176
- كهلان بن أبي لؤي 268 - 295
- كوتسينا 104
- كوريبيوس 287
- كومود

## ك

- كابريل بيو 236

- گرازیانی 216
- گریگوریوس الثاني 104 - 105 - 109 - 371
- گوتیبی 276 - 293 - 294
- گورو 227
- گئی مولى 209
- گیوم ( الجنرال ) 240 - 241 - 242

## ل

- لاموريسبير ( الجنرال ) 178 - 238
- لافيچرى ( الكاردينال ) 181 - 203
- لاووذ بن سام 345
- لمت ( أبو لمتونة ) 267
- لمط ( أبو لمطة ) 267
- لقمان بن خليفة بن لطيف ( أبو اللقائمة ) 418
- لقوط الفمارى 123
- لسان الدين بن الخطيب ط محمد بن الخطيب السلماني
- لوا الأكبر بن زحيك 299 - 304 - 315
- لوا الأصغر ( أبو لواتة ) 304
- لوسيان سان 202
- ليل صاحبة المجنون 413
- ليوطى ( المرشال ) 228 - 233
- ليون بنوم 184 - 186 - 187 - 206 - 232

## م

- مادغيس الأبتى 292 - 297 - 303
- مارسى ( وليام ) 294
- مازينغ بن كنعان بن حام 264 - 266 - 268 - 270
- مالك بن أنس الأصبحى ( الامام ) 81 - 123 - 124 - 167 - 323 - 386 - 387

- مالك بن المرحل 267
- المالكي 380
- المامون بن أحمد المنصور السعدي ( السلطان ) 135
- المامون بن هارون الرشيد العباسي ( الخليفة ) 160
- المامون الموحدي 169
- مانديس فرانس 209
- مؤنس الصنبري 392 - 394 - 414 - 421
- ماصل بن لوا الأصغر 304
- ماضي بن مقرب 414
- ماست ( الجنرال ) 207
- ماسيگلي 236
- ماسينييسا 96
- مجنون ليلي 413
- محرز بن زياد الفارغي 397
- محمد رسول الله 104 - 105 - 324 - 348 - 351 - 352 - 361 - 362 - 363 - 364
- محمد الأمين باي 176
- محمد باشا باي 195
- محمد باش حانية 200
- محمد البرتغالي الوطاسي ( السلطان ) 133
- محمد بكداش 156
- محمد بن ادريس الثاني الحسني 116 - 117
- محمد بن أبي بكر 376
- محمد بن تومرت الهرغي ( مهدي الموحدين ) 125 - 126 - 127 - 129
- محمد بن جرير الطبري 266 - 268 - 298
- محمد بن الحسن الوزاني 233 - 234
- محمد بن حسين باشا 176

- محمد بن حسين باى 175
- محمد بن خزر المغراوى
- محمد بن الخطيب السلماني ( لسان الدين ) 132 — 307
- محمد بن مبارك بن حميد الحسنى 137
- محمد بن مرزوق التلمساني ( الخطيب ) 132
- محمد بن معقل 324
- محمد بن مقاتل العكي 158 — 159
- محمد بن عبد الجليل التنسي 150
- محمد بن عبد الرحمان العلوى ( السلطان — سيدى ) 140 — 222 — 223 — 224
- محمد بن عبد الكريم الخطابي 203
- محمد بن عبد الله ظ محمد رسول الله
- محمد بن عبد الله الأنصارى الشاعر 388
- محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوى 139
- محمد بن عثمان 156
- محمد عرفة العلوى 242
- محمد بن علي العمراني ( نقيب الشرفاء — السلطان ) 133
- محمد بن الفتوح الشاكر لله ( الأمير ) 117 — 164
- محمد بن سعد 368
- محمد بن الشريف العلوى ( السلطان — مولاي ) 137 — 138
- محمد بن يوسف ( السلطان ) ظ محمد الخامس
- محمد الحبيب باى 200 — 203 — 204
- محمد الحلو بن يحيى الوطاسى 132
- محمد الخامس 140 — 142 — 209 — 230 — 235 — 239 — 242 — 243
- محمد الخيضر 190
- محمد المنصف باشا باى 207
- محمد المقراني ( الباشاغا — الحاج ) 181

- محمد المقرئ التلمساني ( القاضي ) 132
- محمد الناصر باي 202
- محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدى ( الخليفة ) 127 - 145 - 168
- 366 - 397
- محمد نديم باشا 211
- محمد النفس الزكية الحسنى 114
- محمد الصادق باي 176 - 197
- محمد الصالح المزالى 209
- محمد عبده 198
- محمد على 204
- محمد العياشى ( المجاهد ) 136
- محمد الغالب بالله السعدى 135
- محمد القائم بأمر الله السعدى 134
- محمد السنوسى 198
- محمد الشنيطى 268
- محمد شنيق 208
- محمد الشيخ بن يحيى الوطاسى 132 - 133
- محمد الشيخ السعدى 133 - 134
- محمد اليزيدى 234
- محمود باشا باي 176
- محسن بن القائد بن حماد الصنهاجى 144
- مختار بن محمد بن معقل 424
- مخلد بن كيداد اليفرنى 103 - 120 - 165
- مراد باشا 174
- مرداس بن رياح 421
- مرسيل بيروتون 206 - 232 - 233
- مروان بن الحكم 371
- مزدلى ( القائد ) 124

- مزطار ( أبو مزطارة ) 267
- مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار 297
- المطلب بن عبد مناف 348 - 352
- المكتفى العباسى ( الخليفة ) 162
- المكى بن عزوز 198
- ملد بن أوريغ 315
- مليران 202
- المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب 420
- المنذر بن ماء السماء 346
- منذر بن سعيد البلوطى 308
- المنصور بن أبى عامر 121
- منصور بن محمد بن معقل ( أبو ذوى منصور ) 425
- المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجى ( الأمير ) 395
- مصالة بن حبوس 120
- مصالى الحاج 185 - 188 - 189
- مصطفى باشا 173
- مصطفى باى 176
- مصطفى خوجة 175
- مصطفى داي ( الحاج ) 156
- مصطفى كامل 198
- مصكاب ( والد مظماطة الملقب بمظماط ) 310
- مصمود بن برنس ( أبو مصمودة ) 267 - 302 - 322
- مضاضى الجرهمى 347
- مضر بن نزار بن معد بن عدنان 297
- معاوية بن حذيع 120 - 371 - 327
- معاوية بن أبى سفيان 110 - 372
- معد بن اسماعيل العبىدى ظ المعز لدين الله الفاطمى

- المعز بن باديس 166 - 167 - 387 - 388 - 390 - 391 - 392 - 393 - 394 - 413 - 421
- المعز بن زيري المغراوي 122
- المعز لدين الله الفاطمي ( معد بن اسماعيل العبيدي ) 117 - 164 - 165 - 166
- معنصر بن المعز بن زيري المغراوي 122
- مغراو ( أبو مغراوة ) 267
- مقر بن أورينغ 315 - 316
- المستنصر بن أبي زكرياء الحفصي 170
- المستنصر بن خزرون 393
- المستنصر الفاطمي 167 - 387 - 388 - 394
- مسلم بن عقيل بن مرداس 421
- مسلمة بن مخلد 111
- مسلمة بن سعيد 368
- المسعودي 167 - 268
- المسور بن مخرمة بن نوفل 371
- المسور بن السكاسك 314
- مسوف ( أبو مسوفة ) 267
- المسيح 105
- مسينيسا 95
- المهدي بن تومرت 323 - 326 - 327 - 335 - 396
- موانبي ( الجنرال ) 228
- موريس 182
- موريس فيوليت 184 - 185
- موسى ( النبي ) 350 - 362 - 363 - 400
- موسى بن أبي العافية 120
- موسى بن نصير 113 - 379 - 380 - 381
- موسى بن عبد المؤمن بن علي ( الأمير ) 405
- موسى بن يحيى المرداسي 394



- مرسولينى 215
- ميمون بن حمدون ( الوزير ) 145
- ميناووس 252
- ميسرة ( غلام خديجة ) 363
- ميسرة المدغرى 382 — 383

## ن

- نابليون بوناپرت 156 — 157
- نابليون الثالث 580
- الناصر الموحدى ظ محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدى
- الناصر بن علناس الصنهاجى ( الأمير ) 144 — 195 — 330 — 395
- الناصر المروانى ظ عبد الرحمان الناصر المروانى
- النعمان بن حمير 267 — 269
- نفوس بن زحيك ( أبو نفوسة ) 299 — 308 — 315
- نوگيس ( الجنرال ) 233
- نوح ( النبى ) 260
- نوفل بن عبد مناف 348
- نيطط بن لوا الأصغر 304

## ص

- الصادق دندان 183
- صالح ( النبى ) 350
- صالح بن طريف 322 — 323
- صالح رايس 154
- صلاح الدين البكوش 290
- صليصل بن الاحيمر 414
- صنهاج بن برنس ( أبو صنهاجة ) 302 — 328
- صنهاج بن المثنى الحميرى 328

- صنهاج بن عاميل 328
- صنهاج بن يصوصكان بن افريقش 328
- صفوان بن ادريس ( أبو بحر ) 259
- صولات بن وزمار 369
- الصولى 266

## ض

- الضحاك بن مشرف بن أتبج ( أبو الضحاك ) 418
- ضريس بن زحيك 299 - 308 - 315

## ع

- عائد بن أبى الغيث المرداسى 394
- عائشة بنت أبى بكر الصديق 366
- عائشة بنت محمد العلوية ( الأميرة - لالا ) 238
- العادل بن المنصور الموحدى 169
- تاجر بن عبد الله بن يوسف المرينى ( السلطان أبو ثابت ) 130
- عاصم بن مشرف بن أتبج 419
- العباس بن عبد المطلب 389
- عباس فرحات 187 - 188 - 189 - 192
- عبد الحميد بن باديس 185
- عبد الحق بن محيو المرينى ( السلطان ) 129 - 130 - 132
- عبد الحفيظ بن الحسن العلوى ( السلطان - مولاي ) 227 - 228
- عبد الحى الكتانى 242
- عبد الدار بن قصى 348
- عبد الرحمان بن ادريس بن يوسف بن عبد المومن بن على الكومى 169
- عبد الرحمان بن الأسود الزهرى 371
- عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى 2 - 4 - 132 - 304 - 306 - 307 - 308 - 310
- 318 - 319 - 320 - 322 - 325 - 327 - 329 - 334 - 338 - 339 - 368
- 382 - 389 - 395 - 408 - 410 - 414 - 418 - 424 - 429 - 431

- عبد الرحمان بن رستم 117 - 124 - 309
- عبد الرحمان بن عمر بن عبد المومن بن علي 407
- عبد الرحمان بن هشام العلوي ( السلطان - مولاي ) 139 - 178 - 220 - 222
- عبد الرحمان الثعالبي 424
- عبد الرحمان الحفصي 169
- عبد الرحمان الداخل المرواني 159 - 413
- عبد الرحمان الناصر المرواني 117 - 120 - 313
- عبد الكريم بن سليمان 226
- عبد الله بن أبي بكر الصديق 370
- عبد الله بن أنس 371
- عبد الله بن اسماعيل العلوي ( السلطان - مولاي ) 139
- عبد الله بن جدهان التيمي 363
- عبد الله بن الزبير بن العوام 109 - 110 - 112 - 370 - 372 - 376
- عبد الله بن زيد بن الخطاب 370
- عبد الله بن طاهر 160
- عبد الله بن طلحة 370
- عبد الله بن عباس 370
- عبد الله بن عبد المومن بن علي الكومي ( الامير ) 127 - 396
- عبد الله بن عبد المطلب 348 - 361
- عبد الله بن عبد العزيز البكري ( أبو عبيد ) 266 - 268 - 287 - 297 - 307 - 314 - 319 - 320 - 323 - 325
- عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص 169
- عبد الله بن عمر بن الخطاب 370 - 372
- عبد الله بن عمرو بن العاص 370
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح 108 - 109 - 370 - 371 - 372
- عبد الله بن ياسين الجزولي 123 - 323
- عبد الله المالقي 406

- عبد الله الغالب بالله السعدي 135
- عبد الله القائم بأمر الله العباسي ( أبو جعفر ) 389 - 390
- عبد المومن بن علي الكومي ( الخليفة ) 125 - 126 - 127 - 145 - 146 -
- 167 - 290 - 309 - 392 - 396 - 397 - 398 - 399 - 400
- عبد المطلب بن السائب بن وداعة 370
- عبد المطلب بن هاشم ( شعبة ) 348 - 352 - 361 - 362
- عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي ( السلطان ) 135
- عبد الملك بن مروان الأموي ( الخليفة ) 112 - 113 - 372 - 376
- عبد الملك بن صاحب الصلاة 397 - 404 - 408
- عبد العزيز بن الحسن العلوي ( السلطان - مولاي ) 223 - 225 - 227
- عبد العزيز بن مروان 376
- عبد العزيز بوتفليقة 193
- عبد العزيز التتعالبي 199 - 200 - 201 - 202 - 203
- عبد العزيز الحفصي 170
- عبد العزيز الملزوزي 131
- عبد القادر بن محيي الدين الادريسي ( الأمير ) 140 - 178 - 179 - 220
- عبد القادر المغربي 230
- عبد القادر السايح 188
- عبد السلام الكومي 397
- عبد شمس بن عبد مناف 348
- عبد شمس بن يشجب 346
- عبد الواحد بن أبي حفص 168
- عبد الواحد المراكشي 404
- عبد الوهاب بن رستم 162
- عبيد الله بن الحبحاب 382
- عبيد الله بن عباس 370
- عبيد الله بن سحير المعقلي ( أبو ذوى عبيد الله ) 424

- عبید الله الشيعی ( المهدي ) 120 - 161 - 162 - 163 - 320
- عبیده بن قیس العقيل 209
- عثمان باشا بن علی ( البای ) 176
- عثمان بن المنصور بن عبد العزيز الحفصی 170 - 172 - 173
- عثمان بن عفان ( الخليفة ) 108 - 110 - 121 - 147 - 369 - 370
- عثمان بن یغمراسن بن زیان ( السلطان ) 148
- عثمان دای 173
- عجیسة بن برنس ( أبو عجیسة ) 302 - 336
- عجیسة بن دوناس 122
- العربی التنسی 186
- عروبة بن یوسف الکنامي 319
- عروج ( القائد ) 152 - 172
- العزيز بن المنصور الحمادی الصنهاجی ( الأمير ) 142 - 335
- عزیز المصری 213
- لال الفاسی 223 - 224 - 227
- علج علی 155
- علوان بن بر بن قیس بن عیلان 297
- علی باشا باي 175
- علی باشا النانی 210
- علی باشا حانبه 199 - 200
- علی بن أبی الرجال 387
- علی بن أبی طالب ( الخليفة ) 110 - 369 - 372
- علی بن حسین باشا باي 175
- علی بن خلیفة 197
- علی بن رزق الرياحی 393
- علی بن زیان 132
- علی بن محمد بن ادريس ( الملقب بحیدرة ) 116
- علی بن محمد الشیخ الوطاسی ( أبو حسون ) 133

- علي بن غانية المسوفى 408
- علي بن غذاهم المساهلي الماجري 196
- علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي 167
- علي بن يدو الزكندري 424
- علي بن يوسف بن تاشفين 125
- علي بوشوشة 198
- علي رضا باشا 211
- علي العلوي ( الأمير - مولاي ) 178
- عليشة ديدون 91 - 257
- عمر بن أبي ربيعة 419
- عمر بن ادريس الحسني 116
- عمر بن الخطاب ( الخليفة ) 106 - 107 - 108 - 264 - 365 - 368 - 369
- 387
- عمرو بن روية 419
- عمرو بن كلثوم الثعلبي 359
- عمر بن لحي الخزاعي 357
- عمر بن عامر بن مزيقا 346
- عمرو بن العاص 106 - 107 - 108 - 367 - 368 - 369 - 371 - 372
- عمر بن عبد المؤمن بن علي 402
- عمر بن عبد مناف 419
- عمر بن عثمان 198
- عمر بن حربون 402
- عمر بن قيس بن عيلان 298
- عمر بن يحيى الهنتاتي ( أبو حفص ) 168 - 327
- عمر المختار 213 - 215 - 216
- عمران بن منصور بن محمد بن معقل ( أبو العمارنة ) 426
- عمليق بن لاوود بن سام 255

- عقبة بن نافع 107 - 108 - 109 - 111 - 112 - 369 - 371 - 373 - 374
- 375 - 376 - 379
- عوف بن بهثة بن سليم ( أبو عوف ) 430
- عياد بن أبي شفرة الوديعي 139
- عياض بن مشرف بن أثبج 419
- عيلان بن مضر 297
- عيسى بن مريم ( النبي ) 362
- عيسى بن يزيد المكناسي 117

## غ

- غمار بن اصاد بن مسمود 325
- غمار بن مسمود ( أبو غمار ) 325
- غمار بن سطايف بن مليل بن مسمود 325
- غلازر 346
- غليوم الثاني 227

## ف

- فاتن بن تمصيت 309
- فتوح بن دوناس المغراوي 122
- فرانكو ( الخنرال ) 233
- فرحات حشاد 208 - 240
- فلاتير 182
- فضل بن ناهض 413
- فهر بن مالك 348
- فون هورن جوستل 276
- فيسكي 263

## ق

- القائد بن حماد الصنهاجي ( الأمير ) 144 - 393
- القائم بأمر الله العباسي 167

- القاسم كُنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى 116
- فباز الفارسى 346
- قبط بن حام 266
- قطفير 254
- قطوبال 250
- قليج على باشا 173
- قنطور بنت يقظان الكنعانية 255
- قصى بن كلاب 348 — 351
- قيس بن عيلان 269 — 297 — 299 — 300 — 398 — 402 — 403 — 404 — 405

### س

- السائب بن عامر بن هشام 371
- سابق بن سليمان المظماطى 267 — 295 — 305 — 306 — 316 — 317 — 318
- سابور ( الملك ) 348
- سارة 255
- سالمون 104
- سام بن نوح 248 — 256 — 344
- سان لوى ( ملك فرنسا ) 170
- سبع بن منخفاد 402
- ست الملك 389
- ستينجك 184
- سحير بن معقل 324
- سدرات ( أبو سدراتة ) 334
- سرجى 250
- سكرديد بن زوغى الورى 313
- سكور ( أبو هسكورة ) 267 — 328
- سلامة بن رزق 414
- سلسطس 258
- سليم العثمانى ( السلطان ) 152 — 153 — 170



- سليمان الباروني 214
- سليمان بن داوود ( النبي ) 269 — 350
- سليمان بن محمد بن عبد الله ( السلطان — مولاى ) 139
- سليمان بن عباس الحميرى 414
- سليمان بن وانسوس 312
- سمگسان بن يحيى بن ضريس ( أبو زواغة ) 311 — 320
- سمفون بن يزلان الزناتى ( أبو القاسم ) 117
- سنان باشا 173 — 210
- سنخ كارغ 254
- سعد بن أبى وقاص 26
- سعيد بن خزرون المقرائى 422
- سعيد بن عبد الله المنداسى 316
- سفورزا 218
- سفيان بن عيينة 26
- سيباستيان ( الدون — ملك البرتغال ) 135
- سيرانو ( الخنرال ) 84
- سيبينون ( ايميليان ) 95

## ش

- الشاذلى خير الله 204
- شاكر ( صاحب عقبة ) 379
- شبان بن الأحيمر 414
- شبانة بن مختار بن محمد بن معقل ( أبو الشبانات ) 427
- الشريف بن على العلوى ( مولاى ) 137
- الشطيبى ظ محمد الشطيبى
- شكر بن أبى الفتوح 413
- شكيب أرسلان 230
- الشنفرى 357

- شعبان ( الداء ) 156
- شعيب ( النبي ) 350
- شيبه بن هاشم ظ عبد المطلب بن هاشم

## هـ

- هاجر 347
- هادريان 98
- الهادي شاكر 208
- هارون الرشيد 114 — 159
- هانيء بن بكور الضريسى 267 — 295
- هانز هولفريتز 276 — 277
- هاشم 348 — 351 — 352
- الهراج بن مهدي بن محمد بن عبيد الله 427
- هرقل 104
- هلال بن ثوران اللواتى 376
- هشام المؤيد المروانى 121
- هوار بن أوريع ( أبو هوازة ) 315 — 316 — 317
- هود ( النبي ) 350
- هونيرك ( الملك ) 102
- هيب بن بهثة بن سليم 430
- هيركوليس ( الملك ) 258
- هيرودوتس 259 — 260 — 263 — 280
- هيريو 184
- هيلديريك 102

## و

- واكاف بن ذولو 332
- الواقدى 368
- ورتانطق بن منصور بن مصالة 335
- ورتجين ( أبو بنى ورتجين ) 267

- ورقة بن نوفل 364
- ورستيف بن يحيى بن ضريس 312
- ولسون 184 - 200
- الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي 114 - 381
- الوليد بن هشام 413
- ولهاص بن يظوفت 308

## ي

- يابداس 104
- اليازوري ظ الحسن بن علي اليازوري
- يافت بن نوح 248 - 250 - 265
- يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي 167
- يحيى بن الحكم بن أبي العاص 372
- يحيى بن زيان الوطاسي ( أبو زكري ) 132
- يحيى بن محمد بن ادريس الحسنى 116 - 120
- يحيى بن ضريس 309 - 310
- يحيى بن عبد المومن بن علي الكومي ( الأمير ) 406 - 407
- يحيى بن عبد المنعم الحاحي 136
- يحيى بن عبد الواحد الحفصي ( أبو زكرياء ) 145 - 169 - 170
- يحيى بن العزيز الحمادي 145 - 146
- يحيى بن غانية المسوفى 408
- يحيى بن يحيى الوطاسي 132
- يدو بن يعلا اليفرنى 121
- يزيد بن خالد 300 - 327 - 378
- اليزيد بن محمد بن عبد الله العلوي ( مولاي ) 139
- يزيد بن مسلم 381
- اليزيد بن معاوية 111
- يظوفت بن نفزاو 306 - 307

- يعرب بن قحطان 345 - 346 - 398
- يعلا بن أبي محمد اليفرنى 313
- يعلا بن عبد الله بن بكار اليفرنى 120 - 121
- يعقوب بن عبد الحق المرينى ( السلطان ) 129 - 131 - 290
- يعقوب بن عمر بن عبد المومن بن علي الكومى ( الأمير ) 408
- يعقوب الرستمى 143
- يعقوب المنصور الموحدى ( الخليفة ) 127 - 130 - 407 - 408 - 418
- 420 - 421
- يفراسن بن زيان ( السلطان ) 147 - 148
- يقشان بن ابراهيم 255 - 266 - 269
- يسودة بن كنام 319
- يشجب بن يعرب 346
- يوحنا ( القديس ) 210
- يوليان الغمارى 113 - 375
- يوغورطة 96
- يوسف ( النبى ) 254
- يوسف بن تاشفين 122 - 123 - 124 - 130 - 290
- يوسف بن الحسن العلوى ( السلطان - مولى ) 229
- يوسف بن عبد المومن الموحدى ( الخليفة ) 127 - 167 - 400 - 402
- 404 - 407
- يوسف بن يعقوب المرينى ( السلطان ) 130 - 131 - 148
- يوسف المستنصر 127
- يوسف الصنهاجى ( الأمير ) 144
- يوسف الوراق 295
- يوشع ( النبى ) 255 - 268

## فهرس

### الأعلام القبلية والجنسية \*

#### ا

- الاراميون 344
- الأباضيون 143
- الابيريون ( الابيران أيضاً ) 250 - 258
- الأتراك ط الترك
- الأترسك 256 - 260
- الأتروريون 93
- الأثيج 390 - 394 - 395 - 396 - 408 - 413 - 417 - 418 - 419 - 420 - 422
- أجانة 319
- الأحامد 429
- الاحباش ط الحبش
- الاحلاف 426 - 434
- أولاد احمد 428
- أولاد أحمد اكندی 425
- بنى احمد 334
- آل حسين ط الحسينيون

---

\* اعتبرنا فى ترتيب هذه الأسماء القبلية والجنسية الأسماء التى ينسب إليها فقط فأيت مرغاد وأولاد جامع وبنى عامر يبحث عنها فى حروف الميم والجيم والعين وهلم جرا .

- أولاد أبي الحسين 425
- أولاد أحي 425
- الأخصاص 283
- الأدارسة ( بنو ادريس - الادريسيون ) 116 - 117 - 118 - 119 - 120
- 159 - 166 - 314 - 384 - 385
- اداسة 298 - 303 - 315
- بنو ادريس ط الأدارسة
- ادا وزداغ ط زداغة
- اد وعلى ط ( العلويون )
- اد وعيش ط العيشيون
- اركيش 270
- الأرمن 106 - 158 - 258 - 407 - 411
- أرغن ط هرغة
- الأزد 116 - 346
- أزداجة ط وزداجة
- اكودة ( اكورة - اكورة ؟ ) 305
- الألمانيون 59 - 207 - 215
- بنو أمامة 297
- الأمريكيون 207 - 235
- الأمويون 116 - 121 - 161 - 165 - 296 - 349 - 369 - 371 - 381 - 383
- 384 - 385 - 386
- بنو أمية ط الأمويون
- أميم 345
- انجرة 319
- أنجفة ط هنجافة
- أندارة ( أنداوة ؟ ) 303
- أندرة ( واندرة ؟ ) 303
- الانكليز 196 - 212 - 215 - 217 - 223 - 235

- أنمار 47
- أنوغة ط ونوغة
- الاصابة 428
- أصادة ط صادة
- أصادن ط صادة
- بنو الأصغر 415
- الأعراش 336
- الأعشاش 283 - 304
- الأغالبة 143 - 160 - 161 - 162 - 384
- الاغريق 94 - 257 - 282 - 292
- آل الاغلب ط الاغالبة
- بنو الاغلب ط الاغالبة
- الاسبانيون 65 - 83 - 84 - 85 - 86 - 127 - 131 - 133 - 135 - 136
- 138 - 149 - 152 - 153 - 154 - 156 - 170 - 172 - 173 - 184 - 229
- 233
- بنو أسد 346 - 349 - 354 - 370
- بنو اسرائيل ط الاسرائيليون
- الاسرائيليون 255 - 268 - 270 - 298 - 357
- أسلم 371
- أسيل 316
- أشجع 138 - 371 - 413 - 415
- الاشوريون 344 - 357
- أهل تيارت 333
- أهل وادي نفيس 324
- أهل الواسطة ط الواسطيون
- الاورافريكان 249
- أوربة ط وربة
- الأوربيون 26 - 54 - 155 - 172 - 181 - 183 - 241

- أوريغة ظ وريغة
- اوطيطة 303
- أوكتة 312
- الأوليميدون 260
- اوفاس 319
- الأوس 346 - 365
- الأوسز 256 - 260
- اياد 347
- بنو ايان 319
- الايثوبيون 2
- ايزناكن ظ صنهاجة
- الايطاليون ( الطليان ايضاً ) 32 - 33 - 158 - 196 - 198 - 199 - 207 ..
- 212 - 213 - 214 - 215 - 217
- أيلان ظ هيلانة
- ايليزرغن 326
- ايلوان ظ ملوانة
- ايمورى 260
- اينكفو ظ هنجافة
- الاينو 271
- ايصادن ظ صادة
- ايصهاكن ظ صنهاجة
- ايفشتالن ظ فشتالة

## ب

- البابليون 93 - 344
- بنو باديس ظ الباديسیون
- الباديسیون 44 387 - 390 - 422
- بارباجيا 263



- الباسك 250
- بجاية 145 - 314 - 330
- بجاوة 330
- بجيلة 348
- البراز 433
- البراكنة ( أولاد عبد الله ) 226 - 425
- البرانس 165 - 313
- البربر 260 - 261 - 292
- البربر البتر 303 - 320 - 323 - 348 - 267 - 292 - 293
- البربر البرانس 320 - 323 - 338 - 267 - 292 - 293 - 301
- البرتغاليون 83 - 130 - 131 - 133 - 134 - 135 - 221
- برغواطة 117 - 123 - 322 - 323 - 325 - 328
- بطوية 316 - 330 - 335 - 341
- بطوية ظ بطوية
- بكر 346 - 348 - 354
- آل بلكنين 394
- بلي 317 - 346
- بقوية 300
- بنى بشير 334
- البهاليل 309
- بهراء 346
- البونيقون 93
- البوشيمان 250 - 272
- بنو بويه 415
- بيانة ( بيانة ) 317
- البيزنطيون 103 - 104 - 106 - 107 - 110 - 113 - 369

## ت

- تاجكانت 432
- تاركة 330
- بنو تامر 421
- التبابعة 262 - 268 - 270 - 318 - 346 - 350
- ترجم 430
- بنو تجين 424
- التحنو 273
- الترازة 425
- الترك 83 - 84 - 103 - 106 - 133 - 135 - 136 - 137 - 139 - 140 - 141
- 153 - 154 - 155 - 158 - 170 - 171 - 174 - 175 - 194 - 210 - 212 - 214 - 214 - 215 - 411
- ترهونة ظ رهونة
- التلاغة 314
- تلكانة 330
- بنى تليلان 321
- التمحو 273
- بنو تمصيت 299
- تمود 345 - 350
- بنو تميم 349 - 354 - 357 - 370
- تنوخ 346
- تغزوت 334
- تغلب 346 - 347 - 348 - 357 - 359
- التسول 120 - 338
- التوارك 4 - 182 - 294 - 330
- التواركة ظ التوارك
- توبة 418
- تينملل 323 - 324 - 326 - 328

## ث

- النعالبة 424 - 433

- بنو ثور 413 - 414

## ج

- اولاد جاب الله 418

- بنى جابر 420 - 421

- اولاد جامع 409 - 430 - 434

- الجدارى 429 - 433

- جدانة 304

- جديس 345

- جذام 266 - 346 - 357 - 402

- اولاد جرار 434

- جراوة 113 - 259 - 339 - 377

- جرم 346

- جرمانة 305

- جرمة 107

- اولاد جرمون 420

- جرهم 345 - 347 - 351

- اولاد جرير 226 - 418 - 434

- جزولة 253 - 302 - 314 - 331 - 327 - 425

- اولاد جلال 433

- ذوو جلال 418

- ذوو ابي الجليل 418 - 425

- اولاد جماعة 422

- بنو جمع بن عمرو 349

- بنى جناد 307

- جندل 423 - 433
- الجعافرة 433
- الجعاونة 426
- منو جعد 331
- جشم 390 - 394 - 396 - 397 - 408 - 412 - 413 - 417 - 420
- جهجوة 314
- جهينة 346 - 371
- جواب 423 - 433
- الجواوبة 429
- الجيتول 258 - 260
- جيملة 319 - 320

## ح

- اولاد الحاج 434
- حاحة 134 - 324
- الحارث 357
- الحارث 420
- بنو الحارث بن فهر 348
- آل حام ظ الحاميون
- الحاميون 260 - 267
- الحبش 350 - 352 - 344
- حبيب 430
- بنو حجر 347
- الحراطين 286 - 415
- الحراكنة 320
- اولاد حريز 429
- حكيم 430 - 433
- بنو حماد ظ الحماديون

- الحماديون 144 — 145 — 146 — 330 — 331 — 396
- الحمارنة 428
- حميان 182 — 423 — 434
- حميان الجنبية 225
- بنو حميد 331 — 423 — 430 — 433
- حمير 262 — 267 — 269 — 270 — 278 — 307 — 318 — 328 — 346 — 357 —
- 359 — 414 — 430
- حصن 430
- حصين 323 — 423 — 434
- الحضنة الشرقية 336
- بنو حفص ط الحفصيون
- الحفصيون 148 — 149 — 153 — 169 — 170 — 171 — 172 — 137 — 338 —
- 418
- بنو حسان 325
- ذوو حسان 332 — 424 — 425 — 427 — 434
- آل حسين ط الحسينيون
- اولاد حسين 425
- الحسينيون 176
- الحشم 433
- الحيانة 434

## خ

- اولاد خالد 434
- اولاد خالد بن جرمون 425
- خشم 347
- الخراج 419 — 426 — 427
- خراش 423
- الخرجة 428

- خراعة 346 - 348 - 351
- الخزرج 116 - 346 - 365
- الخلافات 434
- الخلط 420
- بنى خلفون 308
- الخلوط 394 - 434
- بنى خليل 331
- بنى خليل 331
- اولاد خليفة 423
- بنى خليفة 423
- الخماننة 423
- خميس 423
- خندف 348
- اولاد خنفر 423
- بنى خنوس 334
- الخضر 421
- الخشنة 423 - 433
- اولاد خشعة 423

## د

- دباب 391 - 428 - 429
- بنى بودرار 309
- بنى دركول 331
- بنى دركون 331
- درنة 309
- دريد 413 - 418 - 433
- دكالة 266 - 324
- دكالة البيضاء 324

- دكالة الحمراء 324
- الدلائيون 137
- دلاج 430
- اولاد دليم 333 434
- بنو دمر 312
- دنهاجة 319
- الدواير 305 - 433
- دونة ؟ 309
- الديالم 423
- بنو الديل 371
- ديقوسة 314

## ذ

- ذبيان 354
- ذكوان 415
- الذواودة 418 - 421 - 433

## ر

- ربعة 347 - 348 - 357 - 358 - 390
- اولاد رحاب 423
- الرحامنة 434
- ركرائة 324
- رعل 415
- رغبة 314
- الرقيطات 424 - 427 - 434
- رقيقة 308
- بنو رستم طه الرستميون
- الرستميون 117 - 162 - 384

- رهونة 303 - 314 - 325 - 432
- رواحة 391 - 431 - 432
- رياح 390 - 392 - 394 - 395 - 397 - 398 - 408 - 414 - 417 - 419
- 421 - 430 - 433
- الروم 103 - 104 - 106 - 108 - 110 - 110 - 111 - 113 - 350 - 352
- 368 - 369 - 371 - 372 - 375 - 376 - 378 - 381
- الروم البيزنطيون 90
- الرومان 2 - 90 - 94 - 95 - 96 - 97 - 99 - 100 - 102 - 103 - 259 -
- 282 - 357
- ريفة 314

## ز

- زاتيمة 306
- بني زحيك 315
- زداغة ( ادا وزداغ ) 375
- زرديزة 319
- الزرقبيون 326
- بني زروال 306 - 331 - 341
- بني زرويل 331
- زكارة 317
- زكاوة 317
- بني زلدوى 319
- بنو زمال 332
- زمود 308 - 341
- بني زمود 308
- زمورة 308
- زناتة ( الزناتيون ) 119 - 121 - 124 - 127 - 146 - 148 - 151 - 165
- 166 - 167 - 267 - 270 - 295 - 296 - 301 - 305 - 311 - 313 - 320
- 321 - 323 - 339 - 340 - 393 - 394 - 395 - 413 - 414 - 415 - 420
- 422



- الزناتيون ظ زناتة
- الزناتة ( صنهاجة ) 322 - 331 - 341
- الزنوج 260
- الزعاطشة 179
- زعير 323 - 434
- زغاوة 332
- زغبة 390 - 391 - 394 - 395 - 408 - 410 - 417 - 419 - 422 - 423 -- 430
- زهجوكة ظ جهجوكة
- زهجوكة ظ جهجوكة
- زهيلة 306
- زوارة 311 - 320
- زوازة 320
- زواغة 311 - 320 - 323 - 340
- زواوة 165 - 179 - 270 - 311
- زيان 282
- بنو زيان 433
- بنو زيان ( رياح ) 408
- بنو زيان ( العبد الواديون ) 131 - 154
- الزيانيون ( العبد الواديون ) 149 - 150
- آل زيري ظ الزيريون
- بنو زيري ظ الزيريون
- الزيريون 144 - 164 - 167 - 168 - 296 - 311

## ط

- الطالبيون 414
- طرود 413
- اولاد طريف 423

- دُليق 420
- طسم 345
- الطوارق ظ التوارك

## ك

- كنعان 267
- إنكعوب ظ بنى كعب

## ك

- الكارامنتيون 260
- كدالة 332
- كُدانة 304
- كدميوة 324
- كدميوة الجبل 324
- كدميوة الفحص 324
- كزولة ظ جزولة
- كلاوة 325
- كلاوة الجنوبية 325
- كلاوة الشمالية 325
- كنفيصة 325 — 328
- الكوليون 284
- كومية 127 — 293 — 309 — 318 — 340

## ل

- اللاغطان 287
- لبنو لبيد 431 — 433
- اللتين 96 — 103
- لحم 266 — 346 — 402

- لطيف 418
- لماية 309 - 340
- لمتونة 122 - 123 - 267 - 314 - 330 - 335 - 336
- لمدية 314 - 332
- لمطة 267 - 302 - 314 - 327 - 332
- اللقامنة 418
- لشوة 317
- لهانسة 316
- لهيصة 319
- بنو لوا 299
- لواتة 107 - 266 - 270 - 276 - 299 - 304 - 305 - 338 - 341 - 368 -
- 413 - 420
- اللوبيون 258 - 260
- آل ليديا 260
- الليكوريون 256

## م

- بنى ماجر 311
- مارب 346
- بنو مازن 281
- ماطوسة 308
- الماكاي 260
- المالطيون 198
- بنى مالك 423 - 434
- اولاد ماضى 433
- الماغريون 103
- ماغوس 325
- ماواس 316

- ماوطن 319
- متنان 332
- متوسة 320
- متوسين 320
- مجامر 433
- بنى مجر 306
- بنى مجرو 306
- المجوس 357
- محارب 431 - 433
- بنو محارب بن فهر 349
- المحاميد 429 - 433
- بنى محمد 305
- المخادمة 421 - 433
- بنو مخزوم 349
- بنو مدرار 117 - 119 - 311 - 384 - 385
- مدلاوة 325
- مدلش 432
- مدغرة 310 - 340
- مدين 345 - 350
- مديونة 138 - 159 - 310 - 340 - 341
- مذحج 346 - 414 - 424
- المرابطون 119 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 128 - 129 - 145
- 323 - 332 - 333 - 396 - 407
- المربعة 423
- مراد 346
- المراديون 174
- مربع 433
- المرتفع 419

- مرداس 394 - 414 - 421 - 430 - 433
- اولاد مرزوق 429
- مريسة 306
- آيت مرغاد ط مرغادة
- مرغادة 333
- بنو مروان ط المروانيون
- المروانيون 119 - 121 - 122 - 143 - 166 - 167 - 369 - 384 - 386
- اولاد مرين ( مزين ؟ ) 427
- بنو مرين ( المرينيون ) 128 - 129 - 131 - 132 - 133 - 136 - 146 -
- 148 - 149 - 150 - 151 - 170 - 311 - 338 - 407 - 420 - 421 - 422
- 423 - 426 - 427
- مزاة 304 - 313
- مظارة 266 - 267
- بنى مزكدة 332
- مزنة 418
- بنو مزنى 418
- مزغة 333
- بنى مزوارت 334
- مزيات 314
- مزيانة 314
- مزيته 304 - 371
- اولاد مطاع 420
- المطارفة 426
- ذوو مطرف 418
- بنو المطلب 349
- مطماطة 310 - 316 - 339 - 340 - 341
- مطخرة 310
- بنى مطهر 434

- بنو مطير 432
- اولاد مظفر 426
- بنى مكلا 335
- مكلات 307
- مكلاثة 270 - 306
- مكناسة 119 - 312 - 316 - 340
- مكنونة 308
- الملتمون 293 - 330 - 332 - 333 - 335 - 341
- ملكيش 424
- ملوانة 333 - 334
- ملوثة 319
- ملوثة 319
- ملوثة 319
- ملوثة 319
- مليانة 333
- مليلة 316 - 317
- المنابهة 434
- بنو مناد 427 - 331
- المناذرة 346
- المنبات 425 - 426
- منداسة 316
- بنى منكلات 179
- بنى منصور 427 - 433
- ذوو منصور 424 - 425
- ذوو منيع 226 - 434
- مصمودة ( المصامدة أيضا ) 124 - 171 - 267 - 302 - 321 - 322 - 323
- 324 - 325 - 326 - 327 - 328 - 329 - 331 - 334 - 338 - 340 - 341
- 420
- معاد 319

- معاوية 421
- المعاينة 423
- معد 347
- مغانة 305
- مغيلة 309 - 310 - 340 - 341
- مقدم 418 - 420
- بنى مقر 317
- مسالقة 319
- بنى مستارة 266
- مسرات 316
- مسراتة 316
- مسراى 316
- مسطاسة 313
- بنى مسكن 313
- بنى مسكور 308
- اولاد مسلم 421
- اولاد مسعود 423
- مسفاوة 325
- بنى مسسيرة 333
- مسوفة 267 - 333 - 407 - 422
- المشابنة 429
- المشاهرة 421
- المهايا 182 - 415 - 419 - 427 - 434
- موالين النوالات 283
- الموحدون 125 - 126 - 128 - 129 - 130 - 146 - 171 - 309 - 311 -
- 323 - 324 - 326 - 328 - 396 - 407 - 408 - 410 - 418 - 420 - 422
- 424
- الموريتانيون 293

- بنى موسى 421 - 434
- اولاد ميمون 423
- الميسد 258

## ن

- اولاد نايل 433
- اولاد نابت 418
- ناصرة 391 - 429
- الناسامو نيون 260
- بنو ناسجة 332
- بنو النجار 362
- ندرومة 309
- اولاد نزار 418
- نزليوة 433
- بنو النظير 357
- بنو نعيم 412 - 413
- بنو نصر 133
- النضر 423
- اولاد نغماش 425
- نغات 421
- نفاسة 314
- نفزاوة 299 - 306 - 307 - 308 - 339
- نفزة 266 - 306 - 368
- نفوسة 107 - 143 - 259 - 299 - 308 - 339 - 368
- اولاد النهار 433
- النواصر 434
- النوايل 428
- النوبيتش 276
- النورمانديون 127 - 128 - 145 - 167



- التوميدون 293
- بنو نوفل 349

## ص

- صادة 323
- بنو صالح 117 - 384
- بنو صالح بن طريف 323
- الصباح 415
- صبيح 423
- الصدف 116
- صدفورة 309
- صدينة 310 - 341
- صطفورة 309
- بنو صمادح 145
- بنو صنبر 414 - 421
- صنبرة 303
- صنهاجة ( الصنهاجيون أيضا ) 123 - 124 - 127 - 164 - 165 - 167
- 168 - 253 - 266 - 267 - 268 - 280 - 295 - 296 - 302 - 311 - 314
- 316 - 318 - 324 - 327 - 328 - 329 - 330 - 331 - 332 - 333 - 334
- 335 - 336 - 338 - 340 - 341 - 350 - 369 - 390 - 391 - 393
- 394 - 395
- صنهاجة البر 329
- صنهاجة الجنوب 334 - 341
- صنهاجة الذل 329
- صنهاجة الظل 329 - 333 - 334
- صنهاجة مصباح 329 - 333
- صنهاجة العز 329
- صنهاجة غدو 329 - 333
- صنهاجة القبلة 329 - 333 - 334

- صنهاجة السراير 321 - 329 - 334
- صنهاجة الشمس 329 - 333
- صغارة 309
- الصهبة 428
- صهيب 333
- اولاد صولة 433
- بنو صولان 332
- الصيدونيون 260
- الصيقال 256
- انصهونيون 181

## ض

- الضحاك 414 - 418
- ضريسة 299 - 309 - 310 - 320
- ضمرة 371

## ع

- بنى عابد 309
- عامر 323 - 333 - 334
- اولاد عامر 421
- بنى عامر 138 - 371 - 104 - 423 - 426 - 433
- بنو عامر بن لؤى 349
- عاملة 314 - 346
- العاصم 419 - 420
- بنو العباس ظ العباسيون
- العباسيون 144 - 158 - 161 - 162 - 384 - 386 - 389 - 413 - 415 - 420
- عبدة 134 - 324

- بنو عبد الدار 348 - 349
- اولاد عبد الله ط البراكنة
- بنى عبد الله 419
- أولاد عبد الملك 426
- بنو عبد مناف 348 - 349
- عبد القيس 348
- بنو عبد الواد 130 - 131 - 146 - 147 - 148 - 149 - 150 - 151 - 311
- 407 - 422 - 424 - 426 - 427
- العبيد 433
- عبيد البخارى 138
- عبيد الله 423
- بنو عبيد الله ط العبيديون
- ذوو عبيد الله 426
- العبيديون ( بنو عبيد أيضاً ) 116 - 119 - 120 - 144 - 161 - 164 - 165 -
- 167 - 387 - 389 - 390
- العثمانة 426
- العثمانيون 155 - 156 - 157 - 158 - 195
- عجيصة 302 - 336 - 340
- العدنانية 344
- العدنانيون 359
- عذرة 323 - 346
- عدوان 413
- بنو عدى 370 - 390 - 397
- بنو عدى بن كعب 349
- العرب 344
- العرب البائدة 345
- العرب المستعربة 345
- العرب العاربة 345

- أولاد عريف 423
- بنى عزاز ط العزة
- العزة 413 — 429 — 431 — 433
- عزوذة 304
- أولاد بوعزيز 330
- العطاف 423 — 433
- أولاد عطية 311 — 418
- بنو عطية 414 — 433
- عك 347
- المكارمة 423
- آيت وعلال ط علالة
- علالة 333
- علاق 430
- العللونة 429
- العلويون 136 — 137 — 141 — 142 — 295
- العلويون ( اد وعلى ) 432
- أولاد على 427 — 430 — 433
- اد وعلى ط العلويون
- بنو على 397
- العمائم 429
- العمارنة 426
- العماليق 255 — 267 — 269 — 270 — 278 — 245 — 294
- اولاد عمارة 426
- عمران 334
- بنى عمران جبالة 334
- بنى عمران السفلية 334
- عمراوة 433
- العمور 182 — 415 — 419 — 429 — 434
- العمور الغرابية 225

- بنى عمير 434
- عنزة 348
- بنو عصام 117
- عصية 415
- بنو عقيل بن كعب 415
- بنو عشرة 146
- عوف 391 - 417 - 430
- عياض 336 - 419
- آل عيلام 260
- أولاد عيسى 421
- اد وعيش ظ العيشيون
- العيشيون ( اد وعيش ) 425

## غ

- بنو غانية 407 - 408 - 418 - 419 - 422
- غرسن 318 - 319
- غريب 423
- الغز 407
- بنو غزية 281
- غطفان 346 - 371
- غمارة 65 - 122 - 270 - 306 - 325 - 326 - 328 - 341
- غمرة 391 - 413 - 420
- الغنامة 434
- غسان ( الفساسنة أيضا ) 182 - 266 - 346 - 357
- غساسنة 307
- الغسل 426 - 433
- غسيان 319
- غيابة 338
- غيفاية 326 - 328

## ف

- آل فارس طه الفرس
- الفاروسيون 158
- الفاطميون 117 - 144 - 166 - 167 - 295 - 296 - 387 - 388 - 390 -
- 391 - 413
- فاصلة ؟ 304
- أولاد فرج 423
- الفجور 421
- الفرنسيون 26 - 40 - 54 - 55 - 59 - 64 - 65 - 87 - 139 - 170 - 176
- 178 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 187 - 191 - 196 - 197 -
- 198 - 212 - 228 - 229 - 231 - 233 - 234 - 235 - 237 - 238
- الفرس 93 - 106 - 116 - 248 - 258 - 260 - 282 - 348 - 300 - 352 -
- 357 - 358 - 384 - 433
- فرسان مالطة 174
- فرغ 423
- فزارة 371 - 413 - 431 - 432
- بنى فزاز 322
- فطواكة 266
- اولاد فكرون 427
- فل 317
- فلان 319
- فلانة 320
- فلدن 317
- فلسطين 270
- فليقة 433
- الفنдал طه الواندال
- الفنيقيون 90 - 91 - 93 - 157 - 219 - 282 - 344 - 349
- فشتالة 334

## ق

- قبائل الواسطة 139
- القبط 106 - 109 - 254 - 260 - 267 - 268 - 273 - 276 - 304
- القحطانيون 345
- القرامطة 394 - 413 - 414 - 415 - 420
- بنو قرة 394 - 413 - 414 - 419 - 420
- القرطاجنيون 92 - 93 - 49 - 95 - 282 - 350
- بنو قريظة 357
- قريش 266 - 267 - 298 - 339 - 348 - 351 - 361 - 363 - 364 - 365
- 369 - 372
- قطورا 347
- قلعية ( كُلمية ) 65 - 307
- قمصانة 317
- قنص 346
- بنو قنسيلا 321
- قضاة 314 - 346 - 357 - 414
- بنو قينقاع 357
- قيس 116
- قيس عيلان 348

## س

- الساحل القبلي ( قبيلة ) 319 - 336
- أولاد سالم 429
- آل سام ظ الساميون
- الساميون 260 - 267
- آل ساسان ظ الساسانيون
- الساسانيون 401

- سبأ ( السبئيون أيضا ) 346
- ستات 316
- ستيتن 321 - 331
- أهل ستيتن ظ ستيتن
- السحارى 423
- آيت سدرات ظ سدراتة
- سدراتة 304 - 305 - 333 - 339
- سدراتة الجبل 333
- سدويكش 321
- سراى 317
- انسرحانية 418
- اولاد سرور 418
- سطات 316
- سطة 316 - 334
- سطمط 316
- سطفورة 340
- السكاسك 270
- سكساوة 308 - 325 - 328
- سكتانة 328
- سكورة ظ هسكورة
- السلاف 103
- السلميون 167
- سلول 413
- بنى سليب 334
- بنو سليم 167 - 371 - 391 - 397 - 407 - 412 - 414 - 415 - 428 -
- 432 - 433
- سليمان 433
- اولاد سليمان الشراكة 333



- السليمانيون ١١٨
- آيت سمكان ط سمكانة
- سمكانة 3١١
- سملالة ( السملاليون أيضا ) ١38
- اولاد سنان 428
- بنو سنوس ١38
- بنو سعد ١34 — 362
- السعديون ١33 — ١36
- أولاد سعيد 304 — 42١ — 433
- سفيان 323 — 333 — 394 — 420 — 434
- بنو سهم بن عامر 348
- السودان 4١١ — 42١
- سودان افريقيا 279
- سوماتة 307
- سويد 423
- أولاد السيد 425

## ش

- بنو شافع 423
- الشاوية 304 — 323 — 434
- الشبانات ١38 — 424 — 427 — 434
- الشبه 4١8
- الشجع ( أشجع أيضا ) 434
- انشراودة 427
- شراقة ( شراكة ) 3١0 — 423
- بنو الشريد 4١5
- شريفة 423
- اولاد الشريف 434

- اولاد شكر 422
- الشلوح 264
- شماخ 430 - 431 - 432
- شمال 431
- الشياظمة 134 - 324
- بنو شيبان 354
- بنى بوشيب 334
- اولاد مبيد الشيوخ 179 - 182 - 434
- الشطة 415
- الشعراء 415

## هـ

- بنو هاشم ط الهاشميون
- الهاشميون 349 - 370 - 414 - 424
- الهبرة 423
- هتروقة ؟ 303
- هتروقة ؟ 303
- هداغة 303
- بنو هذيل 371
- الهراج 426 - 427
- هرغة ( ارغن أيضا ) 323 - 326
- هزرجة 326
- هزميرة 326
- هكارة 317 - 341
- بنو ملال ط الهلايون
- الهلايون 144 - 145 - 146 - 167 - 341 - 369 - 390 - 391 - 393 - 394
- 401 - 403 - 405 - 408 - 412 - 413 - 414 - 416 - 417 - 419 - 420
- 421 - 424 - 428 - 430

- همدان 346
- هنتاة ( ينتى أيضاً ) 168 - 326 - 328
- هنجافة 330 - 334
- هنزوة ؟ 303
- هنزولة 303
- هسكورة 216 267 - 302 - 314 - 327 - 335
- هسكورة القبلة 335
- هسكورة الظل 325 - 335
- هشتيو 321
- هوازن 363
- هوازة 107 - 138 - 270 - 298 - 301 - 303 - 308 - 313 - 314 - 315 -
- 316 - 318 - 324 - 325 - 338 - 339 - 341 - 368 - 429
- الهوتنتوت 232
- عيب 391 - 430 - 432 - 433
- اولاد هيبة ( ابن هيبة ايضاً ) 425
- هيزونة ؟ 303
- الهيكسوس 254 - 349
- هيلانة 267 - 327
- هيواره 318

## و

- بنى واطيل 311
- آيت واوذكيت ظ وركيتة
- بنو وانسوس 312
- وانوغة 330 - 335
- آيت وارث وعلى 335
- بنو وارث 335
- بنو وارثن 335

- الواندال 99 — 100 — 101 — 102 — 103 — 104 — 260 — 275
- الواسطيون 139
- وتريكة 335
- الوداية 138 — 427 — 434
- ودرنة 309
- ودغروس 307
- ورهة 115 — 293 — 301 — 313 — 314 — 340 — 374 — 381
- ورتناكط 318
- ورتانطق ظ ورتنطق
- بنو ورتجين 267
- ورتناج 312
- بنو ورتنطق 332 — 335
- ورجين 317
- بنو ورجين 317
- وردين 307
- ورديفة 420 — 434
- وركلاوة 226
- وركول 307
- ورغروسة 307
- ورغوس 307
- ورفجومة 339
- ورفل 316
- ورفلة 317
- ورسطيف 317
- ورسين 320
- ورسيف 307
- بنو وريائل 335
- بنو ورياغل 330 — 335 — 341 — 409

- آيت وريبل ط وريبله
- وريبله 313
- وريكة 327
- وريغة 301 - 314 - 315
- وزداجة 301 - 313 - 340
- وزكيتة 326 - 327
- بنو وطاس ط الوطاسيون
- الوطاسيون 132 - 133 - 134 - 136
- بنى وكيل 434
- ولهاصة 118 - 308 - 340
- ونيجة 314
- آيت ونير ط ونيرة
- ونيرة 308
- ونيفن 316 - 317
- آيت وفلة 317
- وسيف 307
- آيت وسيف 308
- بنى وسيف 308
- وشتانة 303 - 341

## ى

- آل يافث ط اليافثيون
- اليافثيون 260
- يحصب 116 - 328
- اولاد يحيى 430 - 434
- اولاد سيدى يحيى 316
- بنو يحيى 299
- بنى يزناسن 137

- يزيد 334
- اولاد يزيد 423 — 328
- بنو يزيد بن زغبة 419
- بنو يطففت 306
- بنو يلول 309 — 318
- آيت يموّر ظ يمورة
- يمورة 333
- بنو يناوة 318
- ينتى ظ هنتاتة
- بنو ينطاس 319
- بنى ينهل 314
- اولاد يعقوب 423 — 327
- بنو يفرن ظ اليفرنيون
- اليفرنيون 119 — 120 — 121 — 122 — 340
- يقطان 423
- بنو يستيتن 321
- يسودة 318
- اليونانيون 158 — 176 — 260 — 262 — 339 — 349 — 357
- اولاد يوسف 421
- اليقشانيون 255
- الظل ظ صنهاجة الظل 333 — 334



## فهرسى

### الكتب والمجلات والجرائد

#### أ

- الاستبصار ، فى عجائب الأمصار -- لمؤلف موحدى مجهول 25 - 88
- اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان - لآحمد بن أبى الضياف 244
- الاستقصا ، لأخبار المغرب الأقصى - لآحمد بن خالد الناصرى 25 - 88
- 137 - 244 - 342 - 436
- أخبار المهدي بن تومرت - لآبى بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق 323
- أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام - لبطرس البستاني 436
- الاكمال - لابن ماكولا 430
- الأمة 185
- الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث - لآالف لنتون ، ترجمة عبد المالك الناشف 342
- الأنساب ، فى معرفة الأصحاب - لمؤلف مجهول 334 - 335 - 342
- الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس 244 - 342 - 409 - 436
- الاعلام بمن حل مراکش واغمات من الاعلام - لآعباس بن ابراهيم التمارجى المراكشى 342
- افريقيا الشمالية فى العصر القديم - لآمى الدين المشرفى 244
- الاقدام 184

- أسد الغابة في تمييز الصحابة - لابن الأثير 374
- أسفى وما اليه - لمحمد بن أحمد العبدى الكانونى 342
- ايلخ قديماً وحديثاً - لمحمد المختار السوسى 436

## ب

- البصائر 186
- البيان المغرب ، فى أخبار الأندلس والمغرب - لابن غذارى 378 - 379 - 342 - 436

## ت

- تاريخ الأدب العربى - لاحمد حسن الزيات 360 - 436
- تاريخ الجزائر العام - لعبد الرحمان الجيلالى 244 - 342
- تاريخ الجزائر فى القديم والحديث - لمبارك بن محمد الهلالى الميلى 342 - 436
- تاريخ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى - لعلال الفاسى
- تاريخ اللغات السامية - لبروكلمان 256
- تاريخ المغرب العربى - لمحمد على دبور 244 - 342
- تاريخ المغرب العربى - للدكتور سعد الدين زغلول عبد الحميد 244 - 342
- تاريخ هيرودوتس 263
- تطور الجنس البشرى - للدكتور محمد السيد غلاب 342
- التطورات السياسية فى المملكة المغربية - لدوكلاس آى . اشفور د 244
- تونس الجديدة - لصلاح الدين التلاتلى 88
- تونس الشهيدة - لعبد العزيز الثعالبى 200
- تونس وفرنسا - لعبد المجيد المطوى 244
- التونسى 199

## ج

- الجريدة الرسمية الجزائرية 192
- الجزائر العربية - لاحسان حقى 244
- الجمان ، فى أخبار الزمان - لمحمد الشطيبى 368



- جمهرة أنساب العرب - لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي 269 - 297 - 299
- 304 - 305 - 307 - 316 - 320 - 342 - 412 - 436
- جنى زهرة الآس ، فى بناء مدينة فاس - لعلي الجزنائي 88
- الجغرافية الافريقية القديمة 258
- جغرافية المدن المغربية - لحسان عوض
- الجغرافية المصورة للمغرب الجديد - تأليف عمر السباعي 88
- جغرافية المغرب وسائر الوطن العربي - لابراهيم حركات 88
- جغرافية الوطن العربي - للدكتور فيليب رافلة واحمد سامي مصطفى 88

## ح

- الحاضرة 198
- حبيب الأمة 198
- الحبيب بورقيبة : حياته وجهاده - لكتابة الدولة التونسية فى الاخبار والارشاد 244
- الحر 204
- حروب يوغورطة - لسلسطس 258
- الحياة 231
- حياة محمد - لمحمد حسين هيكل 346

## د

- دائرة المعارف - للبستاني 263
- دائرة المعارف الفرنسية 88

## ر

- رحلة التيجاني - لعبد الله بن محمد بن احمد التيجاني 342 - 436
- رياض النفوس 375 381

## ز

- زاد المسافر ، وغرة محيا الادب المسافر - لأبى بحر صفوان بن ادريس 259

## ط

- طبقات الأمم 249

## ك

- كتاب الجزائر 88 - 244

- كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ،

ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ( تاريخ ابن خلدون ) 88 - 244 - 343

250 - 255 - 261 - 262 - 270 - 278 - 286 - 291 - 299 - 305

307 - 317 - 320 - 321 - 322 - 326 - 327 - 335 - 368 - 382 - 389

395 - 408 - 410 - 436

## ل

- ليبيا بين الماضى والحاضر - لحسن سليمان محمود 245

343 - 404 - 437

## م

- مجموع رسائل موحدة 396 - 397 - 437

- مدنية المغرب العربى فى التاريخ - ل احمد صفر 245

- المن بالامامة على المستضعفين - لعبد الملك بن صاحب الصلاة 397 - 404

406\* - 408 - 437

- معالم تاريخ الجزيرة العربية - لسميد عوض باوزير 437

- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب - لعبد الواحد المراكشى 25 - 88 - 245

343 - 404 - 437

- المغرب - لابن حمادو 27

- مغرب ( مجلة ) 231

- المغرب فى بداية العصور الحديثة - للدكتور صلاح العقاد 245

- المغرب ، فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ( المسالك والممالك ) لعبد الله

بن عبد العزيز البكرى 307 - 320 - 323 - 325 - 343 - 457

- المغرب فى عشر سنوات - وزارة الأنباء 88
- المفصل فى الأدب العربى 437
- المسألة المغربية - لمحمد خير فارس 245
- المستقبل التونسى 198
- موجز التاريخ العام للجزائر - لعثمان الكعالك 287 - 343

## ن

- نبذ تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى ( منتخب من كتاب مفاخر البربر ) 296 - 328 - 343
- نظرات فى تاريخنا القومى - للحاج محمد بنونة 343
- نظم الدر والعقيان ، فى بيان شرف بنى زيان ، ومن ملك من سلفهم الاعيان ، فيما مضى من الأزمان - لمحمد بن عبد الجليل التنىسى 150
- نضال ملك - لمحمد الرشيد ملين 245

## ص

- صوت التونسى 204
- صوت الشعب 204

## ع

- العلم التونسى 204
- العمل التونسى 204 - 206
- عمل الشعب 331
- العناصر الحقيقية لاقليمية المغرب العربى - لمحمد الغربى 277
- العقيدة - لسعيد بن عبد الله المنداسى 316

## ف

- فتح العرب للمغرب - لحمين مؤنس 245
- فتوح افريقية والاندلس - لعبد الرحمان بن عبد الحكم 339 - 343
- فتوح البلدان - للبلاذرى 368

## ق

- القصيدة اليوحناوية 287
- قيام دولة المرابطين - للدكتور حسن احمد محمود 296 - 343

## س

- السلام 231
- السنة 186
- السعادة 225

## ش

- شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوى - لمحمد الفاسى 437
- الشريعة 186
- الشهاب 186

## و

- الوسيط ، فى تراجم أدباء شنجيت - ل احمد بن الأمين الشنقيطى 437

## ي

- اليمن من الباب الخلفى - ل هانز هولفريتز 276

- Algérie - Tunisie (Les Guides Bleus).
- Le Grand Maghreb Arabe - Comité Permanent Consultatif du Maghreb.
- Maroc (Les Guides Bleus).
- Population Légale du Maroc (Le Recensement Démographique Juin 1960).

- F. Weisgerber - Au Seuil du Maroc Moderne - Rabat 1947.
- H. Terrasse - Histoire du Maroc - Casablanca 1950.
- Maréchal Juin - Le Maghreb en Vue - Paris 1957.
- J. L. Meège - Le Maroc et l'Europe - Paris 1961.
- G. Granval - Ma Mission au Maroc - Paris 1966.
- P. B. de Latour - Vérité sur l'Afrique du Nord - Paris 1956.
- Répertoire Alphabétique des tribus et douars de l'Algérie  
Alger 1879.
- Répertoire Alphabétique des tribus et douars - Communes  
de l'Algérie - Alger 1900.
- Répertoire Alphabétique des Confédérations des tribus, des  
Fractions de tribus et des Agglomérations de la Zone Française  
de l'Empire Chérifien - Rabat 1939.
- Répertoire Alphabétique des Agglomérations de la Zone  
Française de l'Empire Chérifien - Rabat 1941.
- G. Marçais : Les Arabes en Berberie.



# جدول الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
12	17	تنفع	ينفع
14	16	الأراضي	السهب
17	15	الانتاج المغربي	انتاج المغرب
17	16	ومدخراتها	ومدخراته
53	24	المدينة	لمدية
62	5-6	ومنذ شهر يونيو سنة 1966	ومنذ 19 يونيو 1965
70	15	وادي نفيس	وادي أم الربيع
72	25	الانقلابية والاستوائية	الصحراوية والانقلابية
120	23	كيدان	كيداد
147	6	المحمدية	الناصرية
157	24	المدينة	لمدية
219	13	الريية	الريية
224	22	موريطا	موريتانيا
243	28	وحجرة نكور	وحجرة نكور وحجرة بادس
247	23	سلالات جنسية خليطة	سلالات خليطة
250	2	Baslones	Bascones
259	2	هرفل	هرقل
266	9	التوراة	التوراة
266	20	تاهرت	تيهـرت
283	8	ايبيريا	ايبيريا
285	26	افريقيا	افريقية

ص	س	خطا	صواب
287	27	لابن عبيد	لابنى عبيد
295	25	tho veil	The veil
308	4	دحية	يعجى
313	12	أوزاع بالمغرب الأقصى	قبيلة شهيرة بريف المغرب الأقصى
323	15	الموحدين	المرابطين
331	8	أكرول	أكزول
338	20	تاهرت	تيهت
340	25	تاهرت	تيهت
343	3	الخضرمى	الحضرمى
344	38	تردف	ترادف
345	4	ترادف	ترادفان
346	14	فسكن	فسكنت
346	15	وعاش	وعاشت
350	13	الدول	الأول
352	2	الرومانية	الرومانية
372	21	عمر	عمرو
327	24	يزيد بن خالد	خالد بن يزيد
382	22	تحنى	تجنى
382	24	المعرب	المغرب
386	9	الشرق جمال	الشرق عن جمال
391	7	فأجازوا	فجازوا
391	11	ذياب	دباب
391	24	ومعنا	ومنعا
399	17	الشرة	الشرة
419	8	الكلبى	ابن الكلبي

## تحت الطبع :

- انبعاث أمة - الجزء 13

- الحسن الثاني - ملك المغرب

تأليف :

روم لانسو - تعريب بنحمان الداودي

المطبعة الملكية - الرباط



A. BENMANSOUR  
Historiographe du Royaume du Maroc

TRIBUS  
du  
MAGHREB

*( Prix du Maroc 1968 )*

TOME I



IMPRIMERIE ROYALE - RABAT  
1968